



سلسلة تراث العلماء (١)

حياة عليه السلام الامام زين العابدين

تأليف
السيد محمد باقر الصدر

شعبة التراث الثقافي والديني
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
(١٩٦)

موسسه
العلمية

٤

حياة الامام زين العابدين عليه السلام

الحسين



حياة الإمام زين العابدين عليه السلام

المؤلف: السيد عبدالرزاق المقرم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبذة عن المؤلف

١ - تمهيد

أ - نافح أئمة الهدى عن شريعة سيد المرسلين ، فأقاموا معالم الدين وأوضحوا السنن ونشروا ألوية الحق ، وهم يلقون التعاليم كلما واتتهم الفرصة وسنحت لهم السانحة وقد كابدوا في سبيل ذلك شتى البلايا والمحن وصابروا كلما اعتكر الجو في أوجههم ونفس عليهم أعداؤهم وحقد عليهم الشائنون والمبغضون ، فسمّ قطع أمعاءهم وفَتَّت أكبادهم وسيوف وزعت أوصالهم وسجون دامسة أُلْقُوا في غياهبها ، ولكن أنوار الحق كانت كاشفة لظلماء الضلال ، وصدق الحقيقة مزهق للباطل الزائف ، وقد انمحت قرون وأتت أجيال وعلماء شريعة بيت العصمة يحوطونها ، وتكفلوا بمدارسها واستجلاء غوامضها واستكناه لبابها ، وقد حظيت علوم آل البيت بكثير من العناية وحفلت بكثير من الاهتمام ، فزخرت أمهات المدن الإسلامية

بجهاذة أفذاذ وبعلماء أساطين قعدوا القواعد وفرعوا الفروع،
وجالت أقلامهم في كل ميدان وصالت مزايرهم في كل رحب من
رحاب العلم وركضت أفراسهم في كل مضمار من مضامير
المعارف والعلوم. . . .

ب - وأجدني لست بصدد الحديث عن هذه العلوم التي ألفوا
فيها والفنون التي صنفوا في مسائلها أو وقفوا أنفسهم وحياتهم
في صيانة نفائسها وإن مكتبات العالم الغربي في كبريات مدنه
ترخر بأعداد هائلة من تلك المؤلفات الجلية وازدحمت صالات
معاهدها بألوف المؤلفات مما حررته أقلام أولئك الأساطين،
ناهيك بما تضمّه المدن الإسلامية في الشرق بين جوانحها من
هذه المؤلفات الجلية والمصنّفات العتيدة. . . وجاءت دور النشر
والمعاهد العلمية في الجامعات والمجامع العلمية فشمرت عن
ساعد الجد فأخذت في تحقيق المؤلفات واستخرجتها من
كنوزها، فأخذت بالشرح والتحقيق والإبانة والمقارنة والفحص،
وغاصت أقلام المحققين في الأغوار فاستخرجت الدرر
النفائس. . . وقد اهتبلت الفرصة كل مؤسسة ناشرة محبة في
العلم أو راغبة في الثراء حيث في النفوس طموح للعلم وعشق
للارتشاف من معين المعارف ونميرها الصافي. . . والنجف
الأشرف، سيدة المدن الإسلامية في البحث والنظر والتدريس
والتأليف منذ أن أسّسها شيخ الطائفة (الطوسي) في القرن

الخامس الهجري تعجّ منتدياتها بعلماء أمثال سطعوا كواكب في دياجير الظلم، وشموساً باهرة في الأزمنة التي أعقبت عصور أئمتنا، ولم ينكصوا عن مواصلة المسيرة ولم يلقوا الأقالم التي جرّدها لإزاحة الشبهات ولا تخلّوا عن (المنابر)، فالمساجد الشريفة تعجّ بوجوه نيّرة من المشايخ وتحفل بعقول لمّاحة الخواطر وأذهان وقادة الإشعاع وقرائح عذبة الموارد ولذا نجد النجف لم تبرحها الزعامة والرئاسة فهي موئل أهل العلم والشادين به ومباءة أهل الفضل... أظن أن رئاسة التدريس ومكانتها في (الفتيا) تفارقها وتبارحها وإشعاعات سيد العارفين وإمام المتّقين أمير المؤمنين تغمر الكون الإسلامي والقبسات من حكمه وأحكامه تعمر القلوب وتغمرها وتملأ الأفئدة وتفعمها كل ذلك من أنفاس سيد الحكماء عليه السلام.

ج - وفي بحر هذه الأمواج من الفيوضات العلمية الزاخرة نشأ وعاش سيدنا (المترجم له) فحزّ في نفسه أن يجد أخبار أهل البيت عليهم السلام مطموسة المعالم في كثير من الجوانب، وآلمه أن لا تعنى (الأقلام) باستجلاء حياتهم واستبطان مكنونات مآثرهم وفواضلهم!؟ ألا تكفي المكتبة الإسلامية هذه الألوף المؤلفة والمجاميع المصنّفة في الفقه والأصول، ويبقى (نضال) سادات الورى مطموساً يغلب عليه التضليل والتمويه والتحريف من الأقلام المعادية التي انصرفت في العهود التي ما هادنتهم عليهم السلام ولا

ركنت إلى موادعتهم فشنت عليهم حروباً شنيعة فظيعة من البهتان والإفك في تزوير الحقائق!! وكيف لا تكون كذلك، والسلطة غاشمة وولاة الأمور في (أزمانهم) ينفسون عليهم ويكيدون لهم، فجاءت الأراجيف والأباطيل وانتشر المتملقون للحكام القائمين آنذاك بالأمور.

وسيدنا (المترجم له) بخبرته الواسعة بهؤلاء الرواة الكاذبين، وبأسماء الشخصيات المفتعلة وجد من حقّ (الأئمة (عليهم السلام)) عليه أن يصرف جهده، ويبذل نشاطه في أن يحقق ويدرس تعاليمهم التي أنهيت إلينا وأن يجيل النظر في كثير من الأخبار المرتبكة المروية عنهم، وبيان سبب ذلك الارتباك في الأخبار ومؤدى مضامينها، كل ذلك (بالمقارنة) و(الاستنباط) والنفاذ إلى دقائق الأحكام.

ولكنه وجد التآليف أحق بأن يقصر في بيان أحوالهم وتراجمهم، أليس ظلماً لهم منا ونحن نملك، القلم، ولدينا المعرفة، وتتوفر بين أيدينا كل أسباب البحث والدراسة أن نتقاعس عن ذلك ولا نكشف ما ران على أخبارهم من شبهات؟ إذا كان الأمويّون والزييريون والعبّاسيّون شنّوا عليهم حروباً شعواء في إخفات إشعاعاتهم وطمس معالمهم واستخدموا من يواليهم ويناصرهم، أفلا يتوجب علينا أن نوجّه الهمم والنشاط لمواصلة الأشواط التي ساروا عليها وبالأحرى أن نؤلّف في (حقّهم) فنناصرهم ونعضدهم في نضالهم وكفاحهم وبيان

حقائقهم الناصعة التي رانت عليها ترهات الأباطيل! ألم يكتف علماؤنا من الخوض في (مسائل) فقهية وأصولية وكلامية وفلسفية أمضينا عليها قروناً وقروناً فلم يبق مجال لقائل أو بيان لمجادل ومناظر...؟ إنَّ حقَّهم علينا أن نكتب فيهم وندرس نهضاتهم ونستجلي غوامض أقوالهم وندفع ما ألصق بهم وبطرائقهم من الريب! وكان يجد رَحِمَهُ اللهُ من العبث أن يبذل المؤلف جهده ويفني نفسه في فروع من أمور العلم الحديث أو القديم ولا يخصص شيئاً من هذا الجهد وذلك الإضناء في دراسة شخصياتهم وشخصيات ذرائعهم والمشايخين لهم، الذين ركبوا أعواد المشانق وألقي بهم في الحبوس وشردوا في الآفاق فلاقوا الحتوف ثابتين على المبدأ السامي ودينهم الحنيف. هذا ما حرّره في مقدمة شرحه لقصيدة الشيخ حسن ابن الشيخ كاظم سبتي رَحِمَهُ اللهُ المسماة (الكلم الطيب)^(١) وهو أول ما بدأ في كتابته، قال: «لذلك كان الواجب بعد الأصول الاعتقادية النظر في فضائلهم ومناقبتهم وأحوالهم قياماً بواجب حقهم من جهة ولنقتدي ونتبع أقوالهم من جهة أخرى... الخ».

٢ - نسبه

عبد الرازق بن محمد بن عباس ابن العالم حسن ابن العالم

(١) مخطوط / ديباجة الشرح.

قاسم بن حسون بن سعيد بن حسن بن كمال الدين، بن حسن بن سعيد بن ثابت بن يحيى بن دويس بن عاصم بن حسن بن محمد بن علي بن سالم بن علي بن صبرة بن موسى بن علي بن جعفر بن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (عليه السلام): وكان لقبه (المقرّم) وهو لقب العائلة وسببه أنّ أحد أجداده كان عليلاً في رجله من مرض أجهدته وأنحله فأقعده في البيت على أنّ اللقب الذي كان يغلب على العائلة قبل هذا (السعيدى) نسبة إلى جده سعيد بن ثابت.

٣ - ولادته ونشأته (١٣١٦ - ١٣٩١هـ) (١٨٩٤ - ١٩٧١م)

ولد ﷺ في النجف الأشرف من والدين شريفيين عام (١٣١٦هـ) الموافق لعام (١٨٩٤ الميلادي) كما استعلم منه العلامة الشيخ علي أصغر أحمدى وكما ذكرته مقالة الصحفي الإيراني مدير مجلة خود (عماد زادة) المنشورة في جريدة (نداي حق) بطهران بتاريخ (٢٩ رمضان) عام (١٣٧٠هـ):

كان أبوه السيد محمد ابن السيد عباس كثير الاعتكاف بالجامع الأعظم بالكوفة وكثير الإقامة فيها، ولكن جده لأّمه السيد حسين العالم أخذه بمزيد من الرعاية والتنشئة الدينية على غرار ما ينشأ عليه أبناء أهل العلم والفضل من دراسة العربية بأدواتها والفقه بفروعه والعقائد بمسائلها وكانت وفاة جده هذا

في سنة (١٣٣٤) قد آلمته كثيراً وحملته جهداً ونصباً في العيش والحياة، فتحمل الشظف وكابد قساوة الأحوال ولكن هذه لم تصرفه عن طلب العلم وحضور (البحث) لدى أساتذته، وكان يذكر والده السيد محمد المتوفى عام (١٣٥١هـ) بكثير من الخير... ووالدته العلوية كانت بارّة به وقد برّ بها كانت صالحة وقارئة للقرآن وقد وافاها الأجل عام (١٣٧٠هـ).

كان عمه السيد مهدي ابن السيد عباس كثير التجوال بين المدن وكثير الاختلاف إلى الأرحام المنبثين في النعمانية والديوانية والهندية وأماكن أخرى وكان هذا العم رحمه الله مناوئاً وشديداً على العثمانيين وكثير التقرّيع لهم لما ينزلون بالناس من الأذى والجور حتى ظفروا به في الكوت وأعدموه شنقاً بدخوله إليها عام (١٣٣٤هـ).

وأما جدّ عائلة (آل المقرّم) فهو السيد قاسم وقد نزح من أراضى (الحسكة) حيث كانت له أراضٍ يباشرها وجاء إلى النجف الأشرف لجوار سيد الوصيين ولأنّ بعض أفراد العائلة كان يقيم في النجف كذا سجل (المترجم له) في بعض أوراقه.

كان نزوحه في القرن الثاني الهجري، ومنذ حلّ في دارهم الحالية جدّ في طلب العلم حتى صار علماً من الأعلام وكان مرموقاً لدى علمائها وأفاضلها وكانت داره مرتاداً لذوي الفضل

وكثيراً ما كان يقيم الحفلات لأهل البيت ويعقد المجالس لذكراهم، كان نسابة ومن أئمة الجماعة له مؤلفات، منها حاشية على كتاب (الأنساب) لأبي الحسن الفتوني العاملي المتوفى سنة (١١٣٨) وحاشيته هذه غير متصلة في ذكر الآباء والأجداد أو ذكر الفروع بالأخرى، وحاشية أخرى على كتاب (عمدة الطالب) لابن عنبه الداودي الحسيني المتوفى سنة (٨٢٨هـ) . . . و مترجمنا رحمه الله لم يشتغل في قضايا الأنساب المتأخرة وقد كان يتخرج من الخوض في شؤونها، على أنه ملّم واسع المعرفة بأخبار الرجال والرواة وبمن يتفرع من (الأصايل) ولذلك لا يعسر عليه فهم قيمة الحديث والخبر أو الرواية من معرفة الاسم (المكذوب) أو بالأحرى المفتعل أو الخلائق التي كان يتسم بها (الرجل) أو يشتهر بها .

ولا يعزب عن البال أن جده لأمه السيد حسين المتوفى في أواخر عام (١٣٣٤هـ) كان هو الآخر إمام جماعة ومن المشتغلين بالتدريس وكان خاله السيد أحمد ابن السيد حسين المتوفى أيضاً سنة (١٣٣٤هـ) من أهل الفضل والعلم وقد أنجب أولاداً أربعة عرف منهم السيد إبراهيم ابن السيد أحمد المتوفى سنة (١٣٥٨هـ) عالم فاضل وكان ذا نظر وفقه واسع وحضر عنده كثير ممن صاروا في منازل علمية جلييلة، وقد درس ردحاً من الزمن في مدرسة الإمام الشيخ محمد حسين آل شيخ علي كاشف الغطاء رحمه الله .

٤ - مشايخه

١ - جده العالم الورع التقي السيد حسين المتوفى (١٣٣٤هـ) وقد عني بتنشئته وتربيته وتعليمه .

٢ - العلامة الحجة الشيخ محمد رضا آل شيخ هادي آل كاشف الغطاء المتوفى (١٣٦٦) وقد قرأ عليه الأصول .

٣ - العلامة الحجة الفقيه الشيخ حسين الحلبي النجفي مد ظله، وقد قرأ عليه السطوح فقهاً وأصولاً .

٤ - المرجع الأعلى المغفور له السيد محسن الحكيم المتوفى (١٣٩٠هـ) حضر عليه خارج الفقه .

٥ - الحجة المجتهد الشيخ أغا ضياء العراقي المتوفى (١٣٦١هـ) وحضر عليه خارج الأصول .

٦ - الزعيم الديني المرجع في الفتوى السيد أبو الحسن الأصفهاني النجفي المتوفى (١٣٦٥هـ) حضر عليه خارج الفقه وكتب تقاريراته .

٧ - الحجة المرجع في الفتوى الميرزا محمد حسين النائيني النجفي المتوفى (١٣٥٥هـ) حضر عليه خارج الفقه والأصول وكتب تقاريراته .

٨ - آية الله المدرّس الأكبر المرجع الأعلى السيد أبو القاسم

الخوئي النجفي مدّ ظله، حضر عليه في الفقه والأصول.

٩ - (أ) أما المجاهد الكبير الشيخ محمد جواد البلاغي المتوفى (١٣٥٢هـ) فكانت في نفسه له مكانة أثيرة، وكان كثير التحدث عن منزلته ولتشابه الرجلين في أسلوب العمل والنضال عن شريعة المصطفى مما قوى العلاقة بينهما، وقد ساهم (المغفور له) مع الحجة البلاغي في نشر (الرحلة المدرسية)، وكذلك كتابه (الهدى إلى دين المصطفى)، وكانت شخصية (المرحوم البلاغي) تملأ نفسه إعجاباً وإكباراً في كثير من المواقف التي يبدو فيها (الولاء) لآل البيت خالصاً صريحاً. كما تلاحظ ذلك فيما سجله على قصيدة البلاغي المثبتة في باب المراثي وعلى كثير من الكتب التي اشتراها منه مثل تصحيح المترجم له نسخة له من كتاب الرحلة المدرسية وشرائه مسند أحمد حيث فهرسه وعليه عبارة تنم عن تقديره لشخصيته.

(ب) أما المرحوم الحجة المرجع في الفتوى الشيخ محمد حسين الأصفهاني النجفي المتوفى سنة (١٣٦١هـ) فقد كانت له صحبة جليلة وقد استفاد من دروسه في الفلسفة والكلام وبرغبة من (السيد المقرّم) كتب المرحوم الشيخ الأصفهاني أرجوزته الكبرى في المعصومين عليهم السلام المسمّاة (الأنوار القدسية) ومع أنّ الناظم أستاذ في الفلسفة وملاً جوانب هذه

الأرجوزة بالمصطلحات العقلية الفلسفية فقد جاءت سلسلة في تراكيبها، واضحة في أفكارها ومعانيها عذبة في جرسها، ونحن ندري أنّ الفلسفة بمصطلحاتها ترهق (النظم) وتثقل كاهل الشعر فلا تدعه شعراً، ولم يفتأ المغفور له (المقرّم) يكثر من قراءة المناسب من هذه الأرجوزة في عديد من المجالس التي يقيمها في ذكرى المعصومين، وكتاب (مقتل الحسين) هذا لم يغفل الأرجوزة من الإلماع إلى بعضها وفي باب المراثي تجد فصلاً من هذه الأرجوزة مثبتاً في الحسين عليه السلام.

(ج) والحنة الشيخ عبد الرسول بن الشيخ شريف الجواهري المتوفى سنة (١٣٨٩هـ) نور الله ضريحه فقد كان مثال الورع والعفة وفي أعلى درجات طهارة النفس والتقوى فقد لازمه (المترجم له) والشيخ ممن يعرف بالاجتهاد والمنزلة العالية في العلم، وسيدنا (المقرّم) ذو صلة وثيقة به خصوصاً عند المذاكرة في أمّهات المسائل ودقائق المباحث، وقد سألت صديقي الفاضل الأستاذ الحاج يحيى الجواهري وكان يحضر مجلسهما عن طبيعة (المباحث) التي تدور بين الشيخ والسيد، أجاب أنّ المرحوم (المقرّم) كان يورد إیرادات فيما يسمى (اشتباهاً) على الشيخ الكبير صاحب الجواهر في كتابه (الجواهر) وكان الفقيه الشيخ عبد الرسول يقره على

تلك ويوقفه عَلَى الملاحظات التي يبيدها في بعض مسائل (الجواهر).

٥ - مكانته العلمية

هذا الموضوع لا أجده يسمح لي في الحديث عن مكانة السيد العلمية وهو والدي، ولكن هذه المكانة العلمية إذ أراد أن يستشفها (القارئ الكريم) فيكفيه ما أدرج في قائمة المؤلفات التي حرّرها قلمه، فالخطية منها والمطبوعة ما فيه غنية للباحث ونجعة للمرتاد، ناهيك عن تلك (الإجازات) العلمية التي منحها له (أكابر) العلماء وهي محفوظة إلى جنب مخطوطاته لكن (السيد) لم يكن يتبجح بها ولا أدري ما أثرها في نفسه. أما المقدمات التي كتبها لكثير من المؤلفات التي أخرجتها (المطابع) ثم تلك البحوث والتعليقات في كتاب (الدراسات) للسيد علي الشاهرودي رحمته الله وهي تقارير سيدنا الخوئي وكذلك كتابه الآخر (المحاضرات في الفقه الجعفري) فهي تنم عن العقلية التي يتمتع بها (المترجم له) والذهنية التي توفرت له، ثم الصبر الطويل في تقليب الصفحات للمراجع والمصادر العديدة ويغلب عَلَى ظني أنه أعان كثيراً من الباحثين المحدثين في النجف المعاصرين الذين أخرجوا شهيرات الكتب وربما قدم لهم فصولاً تامة، للكتب التي نشروها، كل ذلك خدمة للعلم وأهل العلم وإليك ما

كتبه الشيخ محمد هادي الأميني نجل المرحوم الحجة الأميني^(١) «لقد كان الحجة السيد المقرّم بحراً متدفقاً لا في الفقه وأصوله فحسب وإنما تجده يخوض في الحديث والأدب والفلسفة والدراية والحكمة الإلهية، كعبة القاصد وملاذ المحتاج، واسع الثقافة، وافر العلم، صريحاً في جميع أقواله وأعماله . . إن كتاباً واحداً من كتبه يكفي أن يعطيك فكرة واضحة عن ثقافته الحية التي تتجلى فيها نفحات العبقريّة، وهو مع هذا العلم الغزير والبحث الجسيم لا يزدهيه الفخر ولا يداخله الغرور لذلك كنت تجده دائماً موطأ الجانب يلقي إليك بما عنده وكأنه يأخذ منك . . .».

٦ - أسلوبه

إنّ أساليب الباحثين تعتمد على الوضوح والإبانة وإقامة الدليل وسطوع الحجة، وإذا استقرأنا مؤلفات المغفور له، فبماذا يظهر أسلوبه الكتابي؟

في أكبر الظن أنك إذا تفحصت كتبه في مواضيعها والتعليقات التي حرّرها للآخرين، أو التي كتبها مقدماتٍ لكتب علماء أجلاء، فلا شك أنك ستجد سمة الوضوح وطابع الإشراف هما الأساس في التراكيب، ولا يبعد عن البال أنّ البحث الذي تتميز به كتبه، هو دراسة وفحص ومقارنة، وهذا يستدعي منه

(١) مجلة العدل النجفية ١٧/ في ١٤ شعبان ١٣٩١ الموافق ٥/ ١٠/ ١٩٧١.

قراءة (النصوص) بوجوهها المختلفة مع نقد للقائلين والرواة، وعرض لشخصياتهم وبعد هذا كله، إما أن يستقيم (النص) أو يتهاوى، وعلى هذا صدر كتابه (تنزيه المختار الثقافي) وكتابه الجليل (السيدة سكينة) وكتابه المخطوط (نقد التاريخ في مسائل ست) وأسلوب الكتابة في عصره كان يعتمد السجع والاحتفال بالزخرفة اللفظية وشحن التراكيب بما يثقل كاهل العبارة من رموز وإشارات وأشياء أخرى يجفوها البيان العربي الحديث... هذه أشياء خلا منها أسلوبه، واعتمد على (الاستنباط) والفهم الجيد، لذلك قامت مؤلفاته على الأصالة في الفكرة والاسترسال في سرد الحقائق وعرض المعاني، وتراه يستدرجك إلى الرضا بالمسألة الخطيرة التي يشرها، وقد حفل هذا الكتاب (مقتل الحسين) بمثل هذه الأمور (والسيد) حين يستمر في البحث والدراسة والفحص والمقارنة يقول: وعلى هذا نستفيد فقهاً أن... الخ.

٧ - أول مؤلفاته

إنَّ شدة حبه لآل البيت (عليهم السلام) تدفعه حين يقرأ الكتاب أن يلتقط منه تلك الأخبار والأحاديث التي تشير إلى شيء من أمورهم أو شيء من أمور من يناوئهم ثم هو يجمع هذه الشذرات في (رسالة) نقدر أن نقول عنها (غير متكاملة) وهي في عرف الباحثين (مادة البحث الأولى) وكثيراً ما يهب هذه التي (يجمعها) إلى كل من يعنى (ببحث) ينفعه هذا الذي (هياه) لنفسه. وصل إلى علمه أن

الخطيب الشاعر المرحوم الشيخ حسن سبتي قد نظم قصيدة مطولة بائية في أحوال المعصومين سَمّاها «الكلم الطيب» أو «أنفع الزاد ليوم المعاد» فشرحها وجاء في صدر الشرح: وهذا أول ما كتبت، وبعدها كتبت أحوال «زيد الشهيد» وفي آخر هذا الشرح جاءت العبارة التالية: «قد كنت أرغب في اختصاره وعاقني عنه الشغل الكثير» وقد نذر نفسه لشرحها والتعليق عليها وبيان ما يحتاج إلى بيان، لكنه رَحِمَهُ اللهُ لم يحسبه في عداد مؤلفاته، لأنّ الشرح لا يقوم على جهد أساسي منه فلذلك لم يحفل به.

لقد صدر له أول كتاب هو (زيد الشهيد) وألحق به رسالة في (تنزيه المختار الثقفي) والكتاب هو ترجمة لأحوال ابن الإمام السجاد (عليه السلام)، ولم يذكر في المقدمة دواعي التأليف، وفي أكبر ظني أنّ حبّه الأصيل لثورة الحسين (عليه السلام) دفعته لأن يكتب عنه ولغرض الإطاحة بحكم الأمويين الجائر ولتشابه كثير من المواقف بينها وبين ثورة (أبي الشهداء): والكتاب يحفل بكثير من القضايا التي زوّرتها الأقلام المسخرة لتركيز دعائم الأمويين!! هذا أمر لا يهمنّا بقدر ما يهمنّا الإلماح إلى شيء وهو أنّ الكتاب صدر في الثلاثينات وكان يومئذٍ من المعيب على (العالم) أن يجرد نفسه في الاشتغال بأمور ليست من صلب (الفقه والأصول) ويعتبر عمله مزرياً به وبمنزلته وفضله، والمترجم له كسر أقفال الحديد التي تمنع الرجل العالم أن يبحث وينشط (للطبع) و (التعليق) أو

التحقيق في كتاب لجهز من أعلامنا في القرون المتقدمة، ولذلك لم تتطامن نفوس الحوزة العلمية إلى أن ينصرف (علم من أعلامها) إلى البحث في أمور لا تتصل بالفقه أو الأصول واشتد الاستغراب لدى الحوزة أن يبرز كتاب للمرحوم الشيخ عبد الحسين الأميني (شهداء الفضيلة) ويأتي الباحث المنقب المرحوم أغا بزرك فيباشر بإخراج موسوعته الجليلة (الذريعة) وتخرج أجزاءه الأولى مطابع النجف ويسبقهم في العمل المرحوم الحجة الثقة الشيخ عباس القمي فيخرج كتابه النفيس «الكنى والألقاب» ثم يأتي منتدى النشر فيحقق كتاب السيد الرضي (حقائق التأويل) ويكتب له مقدمة نفيسة الحجة العالم والشاعر الشيخ عبد الحسين الحلبي... وهكذا ألف أهل الفضل والعلم هذا اللون من طرائق الكتابة والدراسة فتتابعت (المؤلفات) وبالأحرى (الدراسات) وحينئذ لا يمكن أن يبقى (مؤلف) يتراكم عليه غبار النسيان والإهمال، فالمطابع ودور النشر والقراء يقبلون عليها في كثير من الرضا وحينئذ عمت (المكتبات) الخاصة والعامة، وكثر المنتفعون بتحقيقات أهل العلم.

٨ - آثاره

أ - المطبوعة:

١ - زيد الشهيد (ترجمة).

٢ - المختار بن عبيد الثقفي (نقد ودراسة).

- ٣ - السيدة سكينة (دراسة).
- ٤ - مقتل الحسين عليه السلام (تاريخ وتحقيق).
- ٥ - الصديقة الزهراء عليها السلام (ترجمة).
- ٦ - الإمام زين العابدين عليه السلام (ترجمة).
- ٧ - الإمام الرضا عليه السلام (ترجمة).
- ٨ - الإمام الجواد عليه السلام (ترجمة).
- ٩ - قمر بني هاشم - العباس عليه السلام (ترجمة).
- ١٠ - علي الأكبر عليه السلام (ترجمة).
- ١١ - الشهيد مسلم بن عقيل (ترجمة).
- ١٢ - سرّ الإيمان في الشهادة الثالثة (أخبار ودراسة).
- ١٣ - يوم الأربعين عند الحسين (رسالة) (مآثر وطاقات).
- ١٤ - المحاضرات في الفقه الجعفري (كتاب للسيد علي الشاهرودي) تعليقات ودراسة له.
- ب - مقدمات وتصدير لكتب تراثية:
- ١٥ - دلائل الإمامة لابن جرير الطبري الإمامي.
- ١٦ - الأمالي - للشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان العكبري).

- ١٧ - الخصائص للسيد الرضي .
- ١٨ - الملاحم - للسيد أحمد بن طاووس .
- ١٩ - فرحة الغري - للسيد عبد الكريم ابن طاووس .
- ٢٠ - إثبات الوصية - للمسعودي .
- ٢١ - الكشكول - للسيد حيدر بن علي العبيدي الحسيني الآملي .
- ٢٢ - بشارة المصطفى - لعماد الدين الطبري الآملي - تعليقات وملاحظات .
- ٢٣ - الجمل - للشيخ المفيد - تعليقات .
- ج - آثاره المخطوطة:
- ١ - المنقذ الأكبر - محمد بن عبد الله - دراسة .
- ٢ - الحسن بن علي عليه السلام - دراسة .
- ٣ - عاشوراء في الإسلام - نقد وتاريخ .
- ٤ - الأعياد في الإسلام - تاريخ .
- ٥ - ذكر المعصومين (أجزاء منه مطبوعة) - تاريخ .
- ٦ - زينب العقيلة عليها السلام - ترجمة .
- ٧ - ميثم التمار (رسالة) - ترجمة .

- ٨ - أبو ذر الغفاري (رسالة) - ترجمة .
- ٩ - عمار بن ياسر (رسالة) - ترجمة .
- ١٠ - نقل الأموات في الفقه الإسلامي - دراسة .
- ١١ - نقد التاريخ في مسائل ست - دراسة وتحليل .
- ١٢ - حلق اللحية - نقد .
- ١٣ - دراسات في الفقه والتاريخ : دراسة وتحليل لأحاديث .
- ١٤ - ربائب الرسول - تاريخ ودراسة .
- ١٥ - الكنى والألقاب - تراجم .
- ١٦ - حاشية على الكفاية - للشيخ محمد كاظم الخراساني - أصول .
- ١٧ - حاشية على المكاسب للشيخ مرتضى الأنصاري - فقه .
- ١٨ - نوادر الآثار - شؤون شتى .
- ١٩ - يوم الغدير - أو حجة الوداع - تاريخ .

٩ - ولاؤه لأهل البيت عليهم السلام

ليس أكبر ذخيرة من أن يحيا المرء، بل ويموت على محبة أهل البيت عليهم السلام وليس أنفس شيء يحرزه المرء حين تصفر الأكف مما يملكه لنفسه من حيازة محبتهم ويضمن شفاعتهم وتكون

مثوبته في الدار الأخرى أن ينزل منازلهم ويكون (من المقربين) إليهم. والناس كلهم ينشأون على محبتهم وولائهم، ولكن درجة تركيز هذه الصفة تتباين لديهم، فواحد يرضى من نفسه أن يحضر مجالسهم وآخر لا يرضى إلا أن يقيم لهم المجالس وآخر يرضى لنفسه أن يحضر أو يرحل لزيارتهم في ضرائحهم وآخر ينشط لتهيئة الناس وربما ينفق لتهيئة الزائرين لحضور (مشاهدتهم عليه السلام).

وسيدنا المترجم كان تزدهيه هذه الألوان من النشاط كلها... نشأ وتربى ووجد نفسه في بيت تكثر فيه (المناسبات) التي تعقد لآل البيت. هكذا كان يرى جده (السيد حسين) يجتمع الناس عنده ويتذكرون بل ويلقون من نتائجهم الأدبية الشيء الكثير، ووجد نفسه ﷺ مفعمة بهذا الولاء فاستزاد منه، وأخذ يتحين (الفرص) لإقامة المجلس حتى لأولئك الذين شايعوهم وتابعوهم وعلوا صهوات الأعداء أو ماتوا في ديار الغربة وتجرعوا كؤوس الردى صابرين - والشواهد كثيرة جداً، وكتابه المخطوط (نوادير الآثار) فيه تلك القصائد التي كان يلقيها الشعراء الزاهبون رحمهم الله في مناسبات أفراحهم، وطريقة (الإحياء) عنده لا تكفي بإقامة (المجالس) لهم بل الانصراف إلى نشر آرائهم وبيان طرائقهم في السلوك والحياة وقد مارس ذلك عن طريق (المحاضرات) التي يجمع عليها أهل المكاسب من إخوانه وأصحابه (في أيام رمضان) وهكذا كنت أرى البيت يمتلئ بهم

ويتكرر (البحث) ليلة بعد ليلة ورمضاناً بعد رمضان... أما (قلمه) وراحته ووقته فشواهدا هذه (المؤلفات) التي خلفها، ونرجو منه تعالى أن يسدّد الخطى لنشرها بين الناس وأجل مخطوطاته (المنقذ الأكبر - محمد ﷺ والإمام الحسن) وقد مضى على تأليفهما أكثر من ثلاثين عاماً وكتابه «نقد التاريخ في مسائل ست» كان كثيراً ما يتحدث عنه.

١٠ - نظمه

لم يكن (المترجم له) يحسن الشعر ولا يتعاطاه ولم يعان قرضه غير أنّه ﷺ كان يحبه لاسيّما إذا قيل في أهل البيت ﷺ وكثيراً ما كان يقتبس من شعر شعراء أهل البيت في مؤلفاته في ذكراهم ﷺ، إحياءً لذكر شعرائهم... أما هو فلا نعهد له شيئاً سوى نزر قليل منه قوله في أبي الفضل العباس ﷺ متوسلاً إلى الله تعالى به لكشف ما أَلَمَّ به :

أبا الفضل يا نور عين الحسين ويا كافل الظعن يوم المسير
أعرض عني وأنت الجواد وكهف لمن بالحمى يستجير
وَمِنْهُ أَرْجُوزَتِ التي نظمها في النبي ﷺ وآله الأَطْهَارَ ولكنه لم يتمّها فمنها :

نحمدك اللهم يا من شرفا هذا الوجود بالنبي المصطفى
محمد وآله الأَطْيَابِ نهج الهدى كفاية للطالب

إرشاد من ضلّ عن الهداية إلى طريق الحقّ والولاية
وفيهما يقول :

وجاء في حديث أهل البيت من قال فينا واحداً من بيت
أيده الله بروح القدس وزال عنه كل ريب ملبس
لذلك أحببت أن أنظم ما قد دونوه في الصحاح العلما
من فضل عترة النبي الطهر ومن هم ولاية رب الأمر

خاتمة حياته

عانى المؤلف رحمته الله من شظف العيش وقساوة الحياة شيئاً كثيراً
وسار في حياته سيرة فيها الإباء والترقّع وكان يربأ بنفسه أن تتدنى
إلى ما لا يليق بها ، وغرامه بحضور الدرس وأداء مهمة التدريس
والاعتكاف شغله الشاغل فكان يرضى من عيشه بالبلغة : وكم رغب
إليه المرحوم آية الله الزعيم الديني أبو الحسن الأصفهاني أن يحضر
إليه فيكون (وكيلاً) عنه في إحدى هذه الحواضر الكبرى من مدن
العراق حينئذ يكون رخاء الحياة ولكنه لا يرضيه ذلك العرض ! ولا
ترذهيه تلك (المهمة) ، وكل ما في نفسه أنه راضٍ بقسمه تعالى قانع
بما يتهيأ له من أسباب الحياة ويهمه أن يملأ نفسه من زاد العلم
ويشبع مما في كنوزه من دقائق الذخائر بالجد والمثابرة المتواصلة
حتى نال المكانة المحترمة بين أهل الفضل

كان يتحدث رحمته الله كثيراً عن مثل تلك (الرغبات) التي يريدها له

أصحاب المراجع، كان يعلّل رفضه، بأنّ النفس لا يكبح جماحها إذا تهيأت لها غضارة العيش ورخاء الحياة وربما تغمسه في أشياء أخرى... هذه التعللات وأمور أخرى لم يفصح عنها - هي سبب الرفض وكان كتوماً في مثل هذه الشؤون!

أما صفاته الجسمية، فقد كان نحيفاً في قامته معتدلة، وفي أخريات أيامه حينما اجتمعت عليه العلل كان يغالب نفسه بأن يكون معتدل القامة رافع الرأس، كان يرتاح إلى أن يباشر شؤون إقامة (المجلس) في المناسبات العديدة للأئمة الأطهار ولأصحابهم البررة. وإيمانه بهم وبكرامتهم عند الله كان كثيراً ما يتوسّل إليهم في رفع البلوى ورفع الضر، ولم لا يفعل^(١) ذلك؟ ألم يكن الإمام أبو الحسن علي الهادي يأمر أبا هاشم الجعفري أن يطلب من رجل . . أن يدعو له عند مرقد سيد الشهداء؟!

كان ﷺ مستوفز الأعصاب، تستثيره (البادرة) التي لا يرضاها وينفعل لسماع ما لا تطمئن إليه النفس، رقيق القلب ووافر الدمعة لدى سماعه مصاب آل الرسول ﷺ هذه أمور تضعف الركن الشديد، فكيف بعلل وشدائد صحيّة عديدة ولا تفارقه واحدة حتى تنتابه أخرى ومع هذا كله يفزع إليهم ﷺ يتوسّل إليهم بجاههم عنده تعالى أن يكشف العسر ويدفع الضر، وكان يعتقد

(١) مقتل الحسين (للمقرّم): ص ٣٨ (هذه الطبعة).

اعتقاداً جازماً أنّ الله تعالى لم يمد في عمره إلا بسببهم وبحرمتهم حيث إنّ الواحدة من العلل التي تصيبه كفيلة بأن تقضي عليه، وهكذا سار على هذه الشاكلة حتى وافته المنية في ١٧ محرّم عام (١٣٩١) في اليوم الموافق ١٥ / ٣ / ١٩٧١ فله من الله الرضوان وجزيل المثوبة . . . وأطرف ما رثي به قول الأستاذ الشيخ أحمد الوائلي مؤرخاً عام الوفاة:

إيه عبدالرزاق يا ألق الفكر	وروح الإيمان والأخلاق
إن قبراً حلت فيه لروض	سوف تبقى به ليوم التلاقي
فإذا ما بعثت حفت بك الأعم	البيضاء حلوة الإشراق
فحسان الأصول والفقه والتاريخ	خ قلّدن منك بالأعناق
ومدى الطف يوم سجلت فيه	لحسين وآله والرفاق
صفحات من التبحر والتمحيص	ص تزري بأنفس الأعلاق
في حسين وسوف تلقى حسيناً	وترى الحوض مترعاً والساقى
هذه عندك الشفيع وما	عند إلهي خير وأبقى البواقي
مستميحاً عطاء ربك أرخ	(رحت عبدالرزاق للرزاق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ ، ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ ،
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٥٠) ، ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ،
﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ ، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ
الدَّارِ﴾ (٥٢) .

«القرآن المجيد»

المقدمة

لقد أوجد الله المهيمن جلّ شأنه كيان أئمة الهدى من آل الرسول الأقدس ﷺ رحمة للعالمين وقيضهم أعلاماً يقتدى بهم ويقتص أثرهم وخلق لهم ما هو كالوسيط في تمشية دعوتهم وإنفاذ أحكامهم ألا وهم الشيعة المجاهدون دون التعريف بهم والتنويه بفضائلهم ونشر آثارهم فيبلغ الشاهد منهم الغائب حتى يعود القاصي منهم كالداني لديهم فيجد كل منهم ذكر أئمة ﷺ والإشادة بمآثرهم أهم ما يحذب عليه وأولى ما يدأب على إظهاره وبه تتم الدعوة وتستقيم النهضة الإلهية وينتج شكل الحركة البارة فأحكام تنشر وحكم تتبع وأخلاق كريمة تستقصى وحقائق مستورة تظهر وفواضل يقتفى آثارهم فيها وبذلك كله إحياء أمرهم وحياة الدين وقوام الصالح العام وخلود السعادة الكبرى ولأجله أمروا شيعتهم بالتزاور في بيوتهم والمذاكرة في أمرهم.

حدث إسماعيل البصري أنه سمع الإمام الصادق ﷺ يقول لبعض الشيعة إنكم تجلسون وتحدثون في المكان وتقولون ما شئتم

وتبرأون ممن شئتم؟ فقل له نعم فقال (عليه السلام) : وهل العيش إلا هكذا^(١) .

وفي وصية أبي جعفر الباقر (عليه السلام) لخشيمة: أبلغ موالينا مني السلام وأوصهم بتقوى الله وأن يعود غنيهم على فقيرهم وقويهم على ضعيفهم وأن يشهد حييهم جنازة ميتهم وأن يتلاقوا في بيوتهم^(٢) فرحم الله عبداً اجتمع مع آخر وتذاكر في أمرنا فإنّ ثالثهما ملك يستغفر لهما وما اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياء أمرنا وخير الناس من بعدنا من ذاكر بأمّنا ودعا إلى ذكرنا^(٣) .

ومن المعلوم أنّ الدعوة إلى ذكرهم التي فيها حياة أمرهم تحصل بكل ما يتأتى من العبد سواء في ذلك الخطابة أو تدوين مآثرهم وما أهّلهم المولى سبحانه له في كتابة أو إملاء أحاديثهم أو نظم مدائحهم وما جرى عليهم من الجور والظلم والقهر أو عقد حفلات في مواسم مواليدهم ووفياتهم وكل مورد يتحقق فيه

(١) روضة الكافي للكليني ملحقه بتحفة العقول: ص ٢١٦.

(٢) كتاب جعفر بن محمد بن شريح: ص ٧٩، في مجموع الأصول الستة عشر طبع طهران.

(٣) بشارة المصطفى: ص ٢٣، لمحمد بن جرير الطبري من أعلام القرن الرابع طبع النجف (المطبعة الحيدرية) ورواه في البحار: ص ٦٣، عن أمالي الطوسي بتمامه وفي الوافي: ج ٣، ص ١٠٠ في باب التراحم والتعاطف عن الكافي.

إحياء أمرهم والدعوة إلى ذكرهم داخل تحت هذه الكبرى الكلية التي يقول فيها الإمام «أحيوا أمرنا».

وفي ذلك يقول أبو الحسن الرضا عليه السلام رحم الله عبداً أحيى أمرنا قال له أبو الصلت الهروي كيف يحيي أمركم؟ قال عليه السلام : يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبّعونا . فقال أبو الصلت : روي لنا عن أبي عبد الله أنه قال : من تعلّم علماً ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو ليقبل بوجوه الناس إليه فهو في النار . فقال عليه السلام : صدق أبي عليه السلام ، أفندري من السفهاء هم قصاص مخالفينا والعلماء هم علماء آل محمد الذين فرض الله طاعتهم ومودّتهم ومعنى ليقبل بوجوه الناس إليه ادّعاء الإمامة بغير حقّها فمن فعل ذلك فهو في النار^(١).

وقد أكثر الأئمة صلوات الله عليهم من بيان الأجور المترتبة على أمثال هذه النصرة لهم إلى حدّ بعيد وشكروا شيعتهم على جهادهم الناجع لأجلهم ومقاساتهم الشدائد والمحن من قتل وتشريد وصلب وسجن حتى رجحواهم على حواريتي عيسى عليه السلام إذ لم يدفعوا اليهود عنه وأما شيعتهم فكانوا يستمرّثون ذعاف الموت ويستسهلون ركوب المشانق ويعانقون المراهف والعواسل في حبّهم فديار خاوية وأيتام باكية وأحشاء طاوية .

(١) عيون أخبار الرضا : ص ١٧١ .

وإياهم عنى أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: إِنَّ الله اختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا وإلينا^(١). ومن أجل هذا لم يزل صلوات الله عليه يدعو الله بغفران ذنوب شيعة^(٢). ويقول أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): شيعتنا منا ومضافون إلينا عجنوا بنور ولايتنا رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة يحزنهم حزننا ويسرهم سرورنا ونحن نطلع على أحوالهم ونتألم لتألمهم فهم معنا لا يفارقونا لأن مرجع العبد إلى سيده ومعوله على مولاه إِنَّ شيعتنا أودوا فينا ولم نُؤدَّ فيهم^(٣) وإنَّ شيعتنا نظروا إلى ما نظر الله واختاروا ما اختار الله أحبونا وأبغضنا الناس ووصلونا وقطعنا الناس إنهم والله شيعة رسول الله وإنَّ أهل هذا الرأي يغتبطون حتى تبلغ أنفسهم إلى هذه وأشار بيده إلى حلقه فيقال لهم أما ما كنتم تخافون من أمر دنياكم فقد انقطع عنكم وأما ما كنتم ترجون من أمر آخرتكم فقد أصبتم^(٤). إِنَّ حوارِيَّ عيسى بن مريم (عليه السلام) كانوا شيعة وإنَّ شيعتنا حوارِيّونا وما كان حوارِيّو عيسى (عليه السلام) بأطوع له من حوارِيّينا وقد قال عيسى للحواريين من أنصاري إلى الله؟ قال

(١) الخصال للصدوق: ج ٢، ص ١٦٩، من حديث الأربعمئة.

(٢) الروضة: ص ١٣٥، ملحقة بعلل الشرائع ومعاني الأخبار.

(٣) أسرار الشهادة للدربندي: ص ٤٣.

(٤) كتاب جعفر بن محمد بن شريح: ص ٧٨.

الحواريون نحن أنصار الله فلا والله ما نصره من اليهود ولا قاتلوهم دونه وإنّ شيعتنا والله منذ قبض رسول الله ﷺ ينصروننا ويقاتلون دوننا ويحرقون ويعذبون ويشردون في البلدان فجزاهم الله عنا خيراً^(١) وإنّ حقوق شيعتنا علينا أوجب من حقوقنا عليهم^(٢). فنحن نترحم عليهم كل صباح ومساء^(٣).

ويقول السجاد علي بن الحسين ﷺ لأُم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر: إني لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة مائة مرّة لأنّا نصبر على ما نعلم ويصبرون على ما لا يعلمون^(٤).

وقال أبو الربيع الشامي لأبي عبدالله ﷺ بلغني عن عمرو بن إسحاق حديثاً أنه دخل على أمير المؤمنين ﷺ فرأى صفرة في وجهه فسأله عنها فأخبره بوجع أصابه فقال له أمير المؤمنين ﷺ إنا نفرح لفرحكم ونحزن لحزنكم ونمرض لمرضكم وندعو لكم وتدعون فتؤمن. قال له عمرو: كيف ندعو فتؤمن، قال ﷺ:

(١) روضة الكافي (للكليني) حديث ٣٩٥، وتفسير فرات الكوفي: ص ١٨٤، طبع النجف.

(٢) بشارة المصطفى لشيعه المرتضى: ص ٢٤٧.

(٣) كامل الزيارة لابن قولويه.

(٤) عيون المعجزات: ص ٧٦، طبع مؤسسة الأعلمي، (للحسين بن عبد الوهاب)، والوافي: ج ٢، ص ١٨٣، باب ما جاء عن الصادق عن الكافي.

سواء علينا البادي والحاضر فقال أبو عبدالله (عليه السلام) : صدق عمرو^(١) .

ويحدث الشريف النقيب رضي الدين علي بن طاووس : أنه سمع الحجة عجل الله فرجه يدعو في السرداب سحراً ويقول : اللهم إِنْ شِيعَتْنَا خَلَقُوا مِنْ شِعَاعِ أَنْوَارِنَا وَبَقِيَّةِ طِينَتِنَا وَقَدْ فَعَلُوا ذُنُوباً كَثِيرَةً اتَّكَالاً عَلَى حُبِنَا وَوَلَايَتِنَا ، فَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُهُمْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَأَصْلَحْ بَيْنَهُمْ وَقَاصِّ بِهَا عَنْ خَمْسِنَا وَأَدْخِلْهُمْ الْجَنَّةَ وَزَحْزَحْهُمْ عَنِ النَّارِ وَلَا تَجْمَعْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِنَا فِي سَخَطِكَ^(٢) .

غير خافٍ عَلَى الْقَارِئِ الْكَرِيمِ شَفَقَةُ أُمَّتِهِ (عليه السلام) عَلَيْهِ وَلُطْفُهُمْ بِهِ وَتَرْحَمُهُمْ عَلَيْهِ فَلَا تَذْهَبُ بِهِ الْأَحْوَالُ إِلَى الطَّغْيَانِ وَالتَّعَدِي عَلَى حَقُوقِ الْمَهِيْمِنِ جَلَّ شَأْنُهُ وَحَقُوقِ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مَشْمُولاً لِهَذِهِ الضَّرَاعَةِ مِنْهُمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنْ حَشَرَ فِي زَمَرَتِهِمْ وَانْضَوَى تَحْتَ (لِوَاءِ الْحَمْدِ) وَلَعَلَّ أَصْغَرَ الذُّنُوبِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَمَاتِ عَلَى وَلَايَتِهِمْ عَلَى مَا رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي إِرْشَادِ الْقُلُوبِ وَإِذَا لَمْ يَتَوْفَقْ لِلْمَمَاتِ عَلَى الْوَلَايَةِ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَخِيْمَةُ وَالْحَسْرَةُ طَوِيلَةً وَيَنْدَمُ وَلَاتِ حِينَ مَنْدَمٍ وَفِي الْمَتَوَاتِرِ مِنْ

(١) بصائر الدرجات (للصفار) : ص ٧١ .

(٢) جنة المأوى (للحاج ميرزا حسين النوري) : ص ٢٨١ ، ملحقة بجزء ١٣ من البحار .

أحاديثهم ﷺ : لو أنّ عبداً صفّ قدميه بين الركن والمقام وعبد الله سبعين عاماً ولم يأت بولاية الأئمة كان عمله هباءً منبثاً ومن هنا جزم المحققون من علمائنا الأعلام باشتراط صحة العبادات بالإيمان كالإسلام.

فولاية آل الرسول ﷺ المجعولة لهم من الله سبحانه على كافة البشر لا تنال إلاّ بالورع والتقوى وحفظ نظم الاجتماع التي أمروا بها وليكن العبد زيناً لأئمة ﷺ ولا يكن شيناً عليهم وليحبهم إلى الناس باجتنب الرذائل وترك الطغيان حتى يقولوا رحم الله جعفر ابن محمد ﷺ فقد أدب شيعة :

يا بني الزهراء أنتم عدتي	وبكم يكثّر إن قل عديدي
بيتكم قصدي ومدحي لكم	هو في نظم الثنا بيت قصيدي
أنا قد فزت باللطاف وجود	منكم فوزي باللطاف وجودي
ولكم جهري على سري شهيد	إنكم ملاك غيبي وشهودي
أنتم المحور من دائرة	أكملت قوس نزولي وصعودي
أنتم حبل اعتصامي إن تكن	بلغت نفسي إلى حبل وريدي
إنني أرجو نجاتي في غد	بكم لا بركوعي وسجودي
ليس لي إلا ولاكم عمل	آمن الهول به يوم الوعيد
ما لنقصي جابر غيركم	يوم تدعو (سقر) هل من مزيد
فإذا أسلمتموني فلمن	وإذا حدث إلى أين محيدي

التعريف بشاه زنان

إن من سنّة الله الجارية في أمّهات الأئمة عليهم السلام أن لا تعدوهن الطهارة من دنس الشرك والسفاح حيث برأهن الله تعالى أوعية لأشرف الجواهر الفردة لدينه الحنيف وعلبة يدخر فيها بضاعة شرعه القويم فالتزم عزّ شأنه بجعل المسانخة بين الظرف ومظروفه وبالعز في نزاهة جذم العصمة بعدم مقارنته بشيء مما يدنسه في حال من الأحوال وإن من مرعيّات الشريعة الغراء تحري الشريفات من النساء لتأثير عرق الأمومة في الولد فتقول في نصّها: إياكم وخضراء الدمن وفسّره الأمين على الوحي الإلهي: بالمرأة الحسناء في منبت السوء^(١) ثم يأمر عليه السلام بتحري ذوات الأحساب من المرضعات حذار عدوى لبن الذميمة فيقول عليه السلام في تعليل ذلك: توقوا على أولادكم من لبن البغي والمجنونة فإنّ اللبن يعدي^(٢) كما نهى عن استرضاع الحمقاء معللاً بأن الولد

(١) الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٣، ص ٤٤٥.

(٢) المقنعة (للشيخ المفيد) والمجازات النبوية للشریف الرضي: ص ٦١، مصر.

ينزع إلى اللبن^(١) ثم يقول الخال أحد الضجيعين فاختراروا لنطفكم^(٢).

فإذا كانت هذه الأحوال ملحوظة في آحاد الأمة العاديين وهم في الأكثر لا يرقب منهم إلا صلاح أنفسهم إلى حد محدود وقليل منهم من ينتظر فيه إصلاح غيره كما أنّ من يصلحونه أناس معدودون وأما من برأه الله سبحانه من عنصر القداسة وجعله المثل الأعلى للصلاح والإصلاح من غير أن يكون لمدى تهذيبه حد ولا لمن أرسل إلى تكميلهم عدد ولا لما يحمله من النزاهة معرف فهو أولى أن يلحظ فيه ما هو أرقى مما ذكر وإنّ الأحاديث الماثورة عن النبي ﷺ وخلفائه المعصومين (عليهم السلام) تؤكد هذه الظاهرة فتقول: إنّ الله تعالى صوّرنا عمود نور في صلب آدم ثم كان ذلك النور في جبينه وانتقل إلى وصيّيه شيث وفيما أوصاه به ألا يضع هذا النور الإلهي إلاّ في أرحام المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها يتناقلها كابر عن كابر فولدنا الأخيار من الرجال والخيرات المطهرات من النساء حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب فجعله نصفين نصف في عبدالله فصار إلى آمنة

(١) نوارد الراوندي: ص ١٣، ملحق بالفصول العشرة (للمفيد) طبع النجف،

ومحاضرات الراغب الأصفهاني: ج ١، ص ١٥٩.

(٢) تهذيب الشيخ الطوسي ونوارد الراوندي.

ونصف في أبي طالب فصار إلى فاطمة بنت أسد^(١).

ومما لا شك فيه أن أم السجاد ﷺ لم تكن منفردة عن النساء اللاتي أخبر عنهن نبي الإسلام ﷺ في طهارة العنصر وقداسة الجذم وصفاء الطينة فقد كانت مكلوذة عن كل عيب منزّهة عن كل شين بعين من الله عاصمة وعناية منه حارسة وليس عجيباً أن يكلاًها المهيمن جلّ شأنه بين أمة كافرة فلا يصيبها شيء من أوساخ مروقهم عن الدين الصحيح كما يكلاً التيار العذب بين لجّي أجاج من غير أن تغيره الأمواج المتلاطمة كما حفظ (محمداً ﷺ) وأسلافه الطاهرين من رذائل الإلحاد والشرك فأطلعه مرآة لجماله الأقدس وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق وإن احتف به بين شعاب مكة وطواغيت قريش سيل الضلال وقطع العمى المظلمة ورعونة وسفاهة وطيش ونزق وكم لله تعالى خرق للعادات.

فهذه (الحرّة) أم السجاد ﷺ وإن لم يوقفنا التاريخ على التفصيل من حالها ولكن أوقفنا العلم إجمالاً بأنها أم حجة الله المأمون على الدين والمنصوب لتهديب البشر وإرشادهم إلى لآحب الطريق فلا بد وأن تكون جمانة من ذلك العقد الذهبي الذي وصفناه.

(١) هذا حاصل أحاديث ذكرها شيخنا المجلسي في البحار: ج ٦، ص ٦ وج ٩، ص ٨.

وقد اختلفت الرواية في وصولها إلى ولاية الأمر من المسلمين والذي عليه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان وأبو علي محمد الفتال النيسابوري والفضل بن الحسن الطبرسي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لما استخلف أرسل حريث بن جابر والياً على جانب من المشرق فبعث إليه بابنتي يزدجرد بن شهريار^(١) فنحل شاه زنان ولده الحسين (عليه السلام) فولدت زين العابدين (عليه السلام) ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر فولدت القاسم فهما ابنا خالة^(٢).

والرواية الثانية تنص على أن عبدالله بن عامر بن كريز لما فتح خراسان أيام عثمان أصاب ابنتين ليزدجرد بن شهريار فبعث بهما إلى عثمان فوهب إحداهما الحسن بن أمير المؤمنين والأخرى الحسين (عليه السلام) فماتتا عندهما نفساوين^(٣).

ولم يظهر من الحديثين أنهما مسبيتان ولعل رغبتهما في الاتصال بالمسلمين مكنت الولاية من الوصول إليهما.

(١) شهريار بن كسرى ابرويز بن هرمزد انوشروان وفي الأخبار الطوال تملك يزدجرد بعد تمصير البصرة سنة ١٦، وشهريار تملك سنة ١٢، وقتل كسرى ابرويز سنة وفاة النبي ﷺ وأن هرمزد لما خلع خنق بالعمامة وكانت ولادة النبي بعد أن بقي من ملك انوشروان ٣٣ سنة.

(٢) الإرشاد وروضة الواعظين: ص ١٧٢، وإعلام الوري: ص ١٥١.

(٣) عيون الأخبار (للصدوق): ص ٢٧٠.

نعم الحديث الثالث يصرّح بأنّهما مسبيتان وذلك أنّ سبايا
الفرس لما أُدخلت على عمر بن الخطاب في المدينة وشاهدت
(شاه زنان) المسجد محتشداً بالناس وأنّ الخليفة يحدّ النظر إليها
غطّت وجهها وصاحت متضجرة من الوضع الذي شاهدها بما
معناه في العربية (اسود يوم هرمزد إذ صار أولاده سبايا) وحيث
لم يفهم الخليفة كلام الفارسية توهم أنّها شتمته فهمّ بها غير أنّ
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام طيّب خاطره ببيان ما أرادت
فأمر الخليفة أن ينادى عليها فأرشده أمير المؤمنين عليه السلام إلى سنّة
رسول الله ﷺ في أولاد الأشراف والملوك من إكرامهم وإن
خالفوا طريقة الإسلام^(١) فلا تباع بنات الملوك ولكن تختار أحد
المسلمين وتحسب عليه من عطائه^(٢).

ولمّا رغب المسلمون فيها عرفّهم سيد الأوصياء عليه السلام وخامة
الإكراه على التزويج وأنّ في الاختيار جمع الشمل ولما سئلت
عن رغبتها في الزواج وسكتت قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنها
أرادت ثم أوقف الخليفة والمسلمين على نصّ الشريعة في كريمة
القوم إذا خطبت واستحت من البيان بأنّ سكوتها رضاها وبعد أن

(١) دلائل الإمامة: ص ٨١ (لابن جرير الطبري)، من أعيان الإمامية في القرن

الرابع.

(٢) البحار: ج ١١، ص ٤ عن الخرائج.

فهمت «السيدة» رجوع الأمر إليها اختارت سيد الشهداء (عليه السلام) (١)

(١) غير خفي أن لقب الحسين بسيد الشهداء جرى على لسان الرسول الأقدس الذي لا ينطق إلا عن وحي إلهي نعرفه من حديث زينب الكبرى عن أم أيمن المعلوم أنها لا تحدث إلا عن مصدر الرسالة وفيه قولها لزین العابدين (عليه السلام) حينما مروا بهم على القتلى ورأته يجود بنفسه كما في كامل الزيارة (لابن قولويه): ص ٢٦١ النجف، (وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على مرور الليالي والأيام) وهذا الحديث أعادته على أبيها أمير المؤمنين لما ضربه ابن ملجم فقال (عليه السلام) لها الحديث كما حدثك أم أيمن وكأني بك وبنيات أهلک سبايا في هذا البلد - الكوفة - تخافون أن يتخطفكم الناس وورد في لسان ميثم التمار الذي لا يحدث إلا عن باب مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وآله) فإنه يقول لجبله المكية كما في أمالي الصدوق: ص ٧٧، مجلس ٢٧ (اعلمي يا جبله أن الحسين بن علي سيد الشهداء يوم القيامة ولأصحابه على سائر الشهداء درجة) وورد في لسان السجاد زين العابدين (عليه السلام) ففي كامل الزيارة: ص ٢٦٨، قال تزهّر أرض كربلاء يوم القيامة كالكوکب الدري وتنادي (أنا أرض الله المقدّسة الطيّبة المباركة التي تضمنت سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة) ولا غرابة في أن يودع الله سبحانه في تلك التربة القدسية قوة كهربائية تضيء لأهل المحشر كما نشاهد لطفه بعباده في إيداع مادة الإنارة في هذه الأجسام ولا استحالة في أن يجعل عزّ شأنه فيها صوتاً يعلم الجمع بفضل المنحور على المجزرة الإلهية كما فعل في (الشجرة) إعلاماً لنبیه موسى (عليه السلام)، وورد لفظ سيد الشهداء على لسان الباقر (عليه السلام) ففي أمالي الصدوق: ص ٧٣، مجلس ٢٥، كان الباقر يقول حدّثني سيد العابدين علي بن الحسين عن سيد الشهداء الحسين بن علي عن سيد الأوصياء =

فكرّر عليها القول وهي لا تختار غيره وجعلت أمير المؤمنين (عليه السلام) وليّها وخطب حذيفة بن اليمان عن الحسين (عليه السلام) .

وسألها أمير المؤمنين عن اسمها فقالت: شاه زنان أي (ملكة النساء). قال (عليه السلام): أنت شهربانويه أي (ملكة المدينة) ولعلّ السبب في تغييره اللقب هو التعريف بأنّ الملوكية على النساء الملازمة للسيادة عليهن مختصة بالصدّيقة الزهراء (عليها السلام) لقول النبي (صلى الله عليه وآله) في الحديث المستفيض: فاطمة سيد نساء العالمين من الأولين والآخرين.

= علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقال الصادق (عليه السلام) لحنان بن سدير وأم سعيد الأحمسية (الحسين سيد الشهداء) نصّ عليه الصدوق في ثواب الأعمال: ص ٥٦، وابن قولويه في كامل الزيارة: ص ١١٠ وص ٢٩١، ويحدث شيخنا المجلسي أعلا الله مقامه في البحار: ج ٥، ص ٢٦٦، عن تفسير العسكري أنّ هذا اللقب جرى على لسان موسى بن عمران (عليه السلام) فإنّ قومه لما أهلكهم العطش دعا الله تعالى موسى (عليه السلام) وقال إلهي بحق محمّد سيّد الأنبياء وبحقّ علي سيّد الأوصياء وبحقّ فاطمة سيدة النساء وبحقّ الحسن سيّد الأولياء وبحقّ الحسين سيّد الشهداء وبحقّ عترتهم وخلفائهم سادة الأزكياء لما سقيت عبادك هؤلاء فأوحى الله إليه يا موسى اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب مشربهم وفي هذا تكريم من المولى سبحانه للمنحور على مجزرة الشهادة الإلهية بالسيادة على كل من قتل في سبيل دعوة الحق فيكون مرجع أولئك الشهداء يوم الجزاء إليه لأنّ المسود يراجع سيده فيما يحتاجه من حباء وتكريم وترفع فليكن على ذكر منك أيها القارئ الكريم.

ثم إنَّ أختها (مرواريد)^(١) لما خيّرت اختارت الحسن بن أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٢) فقال أبو الریحانین (عليه السلام) للحسين يا أبا عبد الله احتفظ بها فإنها ستلد لك خير أهل الأرض^(٣) وهي أم الأوصياء الذرية الطيبة^(٤).

وينصّ هذا الحديث على أن سبي الفرس لما ورد على عمر عزم على بيع النساء وأن يجعل الرجال عبيداً للعرب يحملون العليل والضعيف والشيخ الكبير على ظهورهم في الطواف حول الكعبة فعرفه أمير المؤمنين (عليه السلام) سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) في من ألقى إلى المسلمين السلم ورغب في الإسلام أن يقبل منهم الإسلام وبكون حالهم كحال المسلمين ثم أشهد (عليه السلام) من حضر بأنه أعتق نصيبه منهم لوجه الله تعالى فوهب بنو هاشم نصيبهم لأمر المؤمنين (عليه السلام) فقال اللهم اشهد أنني قد أعتقت جميع ما وهبوني من نصيبهم لوجه الله. فقال المهاجرون والأنصار قد وهبنا حقنا لك يا علي فقال (عليه السلام): اللهم اشهد أنهم قد وهبوني حقوقهم وقبلت وأني قد أعتقتهم لوجه الله تعالى.

(١) معناه اللؤلؤ.

(٢) دلائل الإمامة: ص ٨٢.

(٣) بصائر الدرجات (للصفار): ص ٩٦ باب يتكلمون بالألسن وإثبات الوصية (للمسعودي): ص ١٢٩ وص ١٤٣، ط. النجف (المطبعة الحيدرية).

(٤) البحار: ج ١١، ص ٤ عن الخرائج.

فساء الخليفة ذلك وقال لم نقضت عزمي في الأعاجم وما الذي رغبت عن رأيي فيهم فأعاد عليه السلام عليه ما سنّه النبي الأكرم عليه السلام فيهم وما هم عليه من الرغبة في الإسلام فعندها قال عمر: إني قد وهبت لله ولك ما يخصني وسائر ما لم يوهب لك فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهم اشهد على ما قال وقبولي وعقلي^(١). غير خاف على المتأمل أقربية رواية الشيخ المفيد والفتال والطبرسي إلى الحقيقة وأوفق بالاعتبار من هذه الرواية الثالثة لأن السجاد عليه السلام ولد في خلافة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام بغير خلاف وعاش معه ثلاث سنين وإن كانت الرواية الثانية تقرب منها في الصحة لكون فتح خراسان سنة ثلاثين من الهجرة وهي السنة السادسة من خلافة عثمان وفي هذه السنة قتل يزدجرد بن شهريار في (مرو)^(٢) وليس بالبعيد على هذه الرواية أن تبقى حائلاً

(١) دلائل الإمامة (لابن جرير): ص ٨٢.

(٢) في الأخبار الطوال (للدينوري): ص ١٤١ وفتوح البلدان (للبلاذري): ص ٣٢٢ مصر هرب يزدجرد إلى خراسان وأتى (مرو) فأخذ يحاسب عامله بها (ماهويه) وتشدد عليه في إحضار الأموال فكتب ماهويه صهره خاقان ملك الترك بالزحف لفتح البلاد وأعلمه بالأمر وجاء بجنوده وفتح له (ماهويه) أبواب المدينة فهرب يزدجرد ماشياً على رجليه مقدار فرسخين وانتهى في السحر إلى بيت رحى على الماء فاستضاف الطحان ولما عرفه نفسه قتله وأخذ ما عليه وألقاه في الماء ولما استبان لماهويه الأمر قتل الطحان.

ست سنين وأما الرواية الثالثة فالاعتبار لا يساعد عليها لأنّ فتح المدائن في السنة السادسة عشرة من الهجرة وعليه تكون حائلة عند الحسين (عليه السلام) إلى سنة ثمان وثلاثين والعادة تبعد بقاء المرأة حائلة اثنتين وعشرين سنة تقريباً فما أفادته الرواية الأولى والثانية أقرب إلى الواقع وإن كانت الرواية الأولى أصوب.

واحتمال شيخنا المجلسي في البحار: ج ١١، ص ٤ التصحيف في لفظ عمر عن عثمان قريب ومع ذلك فقد جزم بصحة ما في (الإرشاد) لما قلناه من عدم الخلاف في سنة ولادة السجاد (عليه السلام) في ثمان وثلاثين للهجرة ومساعدة الاعتبار عليه.

ومن الغريب إرسال (اليقوبي) القول بأن أم السجاد من سبي كابل^(١) من دون أن ينبه على خطئه لأنّ فتح كابل كان سنة ثلاث وأربعين على يد عبدالرحمن بن سمرة الأموي من قبل معاوية بعد خلافته والسجاد كما عرفت ولد سنة (٣٨هـ) بالاتفاق فكيف تكون أمه من سبي كابل.

كما أنّه لا عبرة بما يحكيه الياضي^(٢) وابن تغربردي^(٣) من

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٣، ص ٤٦ ط. النجف (المطبعة الحيدرية).

(٢) مرآة الجنان: ج ١، ص ١٩٠.

(٣) النجوم الزاهرة: ج ١، ص ٢٢٩.

أَنَّهَا مِنْ بِلَادِ السَّنْدِ لِأَنَّ الْمَشْهُورَ عَلَى خِلَافِهِ وَلَا أَجْلَهُ نَسَبُهُ ابْنُ قَتِيْبَةٍ إِلَى الْقَيْلِ^(١).

ويُتحدَّثُ بِعَظْمِ الرِّوَاةِ عَنْ اخْتِيَارِهَا سَيِّدَ الشَّهْدَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) دُونَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهَا قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَمَعَهُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَخَطَبَهَا إِلَى وَلَدِهِ الْحُسَيْنِ وَأَثَرَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَا فِي قَلْبِهَا مَحَبَّةً لِرُوحِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَمَهْجَةً لِلْإِسْلَامِ فَكَانَتْ يَوْمَهَا لَا تَفْكَرُ إِلَّا فِي الْوَصُولِ إِلَى أَبِي الْأَئِمَّةِ الْأَطْهَارِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ الصَّدِيقَةَ الزَّهْرَاءَ دَاخِلَةً عَلَيْهَا فَأَخْبَرَتْهَا بِأَنَّ الْغَلْبَةَ سَتَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَنَّهَا عَنْ قَرِيبٍ تَصِلُ إِلَى وَلَدِهَا الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الَّذِي زَوَّجَهَا مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَأَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَمُدُّ إِلَيْهَا يَدَ السُّوءِ ثُمَّ عَرَضَتْ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَتْ^(٢).

فَأَصْبَحَتْ وَلَيْسَ لَهَا هَمٌّ إِلَّا الْحِظْوَةُ بِالْإِقْتِرَانِ مِنْ (سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ) وَالِاسْتِزْأَةِ بِالنُّورِ الْإِلَهِيِّ وَلَمْ تَغْبِ عَنْهَا الشَّمَائِلُ الْحُسَيْنِيَّةُ وَحَفَظَهَا اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَا تَأْبَاهُ شَرِيعَةُ التَّوْحِيدِ وَالِدِينِ الْحَنِيفِ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى مَنْقِذِ الْأُمَّةِ مِنْ أُمُوجِ الضَّلَالِ وَرَوَى بَدْمَةُ الطَّاهِرِ دُوحَ النَّبُوَّةِ يَوْمَ تَجَمَّعَتْ عَلَيْهِ عَصَبُ الشُّرْكِ وَأَحْزَابُ

(١) المعارف: ص ٩٤.

(٢) البحار: ج ١١، ص ٤ عن الخرائج.

الجاهلية وقد قطعت عنه خطوط المدد وسدت الورود لا يريدون إلا استئصال شأفة الدين ومحق الخلافة الكبرى فقابل أولئك الجماهير من أعدائه بجأش طامن ومحياً يزدهي بشراً وطلاقة .

ركين وللأرض تحت الكماة	رجيف يزلزل ثهلائها
أقر على الأرض من ظهرها	إذا ململ الرعب أقرانها
ولما قضى للعلى حقها	وشيد بالسيف بنيانها
ترجل للموت عن سابق	له أخلت الخيل ميدانها
ثوى زائد البشر في صرعة	له العز حبب لقيانها
وأصبح مشتجراً للرماح	تحلي الدما منه مرانها ^(١)

ولكمال فضل شهربانويه وتبصرها في الأمور ومعرفتها بمقام أهل البيت سمّاها أمير المؤمنين (عليه السلام) (مريم) تشبيهاً لها بمريم الكبرى ويقال سمّاها (فاطمة) ولقت بين الناس بسيدة النساء^(٢) وإلى ذلك يشير النبي ﷺ بقوله : الله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس ويقول زين العابدين (عليه السلام) : أنا ابن الخيرتين لأنّ جدّه رسول الله ﷺ وأمه ابنة يزجرد بن شهريار بن كسرى وفيه يقول أبو الأسود الدؤلي^(٣) المتوفى سنة (٦٧) بالطاعون الجارف :

(١) من قصيدة للسيد حيدر الحلّي .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب : ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٣) ربيع الأبرار (للمخشري) .

(وإن وليداً بين كسرى وهاشم
هو النور نور الله موضع سره
فلولاه ساخت هذه الأرض بالورى
وكيف يقر الكون من بعد ما عدت
فأردوه مقتولاً فنفسي له الفدا
وأصبح زين العابدين تقوده
لأكرم من نيطت عليه التمام)
ومنبع ينبوع الإمامة عالم
ولولاه ما قرّت هناك العوالم
على الفرقد الثاني العتاة الغواشم
فقامت عليه في السماء المآثم
عتاة بني مروان باغ وظالم^(١)

وبيت أبي الأسود سرقه رماح بن ابرد المعروف بابن ميادة
المتوفى سنة (١٤٩) في أبيات يفخر فيها بنسب أبيه في العرب
وأمه ميادة في العجم ، فقال :

أنا ابن أبي سلمى وجدي ظالم وأمي حصان أخلصتها الأعاجم
أليس غلامٌ بين كسرى وظالم بأكرم من نيطت عليه التمام^(٢)

وماتت بالمدينة في نفاسها بالإمام زين العابدين عليه السلام^(٣) فما
عليه البعض من حضورها في مشهد الطف حتى أتلفت نفسها
بالفرات حين رأت تلك الجثث الزواكي تجول عليها الخيول
والريح تسفي عليها بوغاء الثرى^(٤) لا يعبأ به كدعوى بقائها بعد

(١) ما بين قوسين لأبي الأسود والزيادة لبعض فضلاء القطيف .

(٢) الأغاني : ج ٢ ، ص ٨٥ .

(٣) إثبات الوصية للمسعودي : ص ١٤٣ ط . النجف (المطبعة الحيدرية) .

(٤) مناقب ابن شهر آشوب : ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

الحسين (عليه السلام) فزوجها من رجل أولدها زيداً وعاتبه عبدالملك بن مروان على ذلك توهماً أنه زوجة أمه من مولاه وهي خسيصة تترفع عنها الأشراف فعرفه الإمام (عليه السلام) بأنها ظئره وليست أمه التي أولدته (١).

وفي ذلك يقول أبو الحسن الرضي (عليه السلام) لسهل بن القاسم النوشجاني إنّ أم علي بن الحسين ماتت في نفاسها به فكفله بعض أمهات ولد أبيه فسمّاها الناس أمه وإنما هي مولاته وزعموا أنه زوج أمه ومعاذ الله ذلك، وإنما زوج هذه قال سهل لم يبق طالبي بخراسان إلّا كتب هذا عن الرضي (عليه السلام) (٢).

ولعلّ تعوّد الإمام (عليه السلام) من تزويج أمه من جهة ما اختصّ بأهل العصمة من عدم تزويج نسائهم من بعدهم وقد روت أمامة بنت زينب ابنة رسول الله (ﷺ) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حرمة تزويج نساء أوصياء النبي (ﷺ) من بعدهم وعملن زوجات أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه الرواية فلم يتزوجن بعده أبداً (٣).

(١) حكاه المجلسي في مرآة العقول: ج ١، ص ١٩٦ عن مختصر تهذيب الكمال وكتاب عبد الملك إليه في هذا الشأن ذكره الطوسي في التهذيب: ج ٢، ص ٢٢٦ والكليني في الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٣، ص ٤٤٨.

(٢) عيون الأخبار (للصدوق): ص ٢٧٠.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٧٦.

وحديث زرارة سألت أبا جعفر عليه السلام عن مفرد الحج يقدم طوافه أو يؤخره قال عليه السلام يقدمه فقال رجل إلى جنبه: لكن شيخي لم يفعل ذلك كان إذا قدم مكة أقام «بفخ» حتى إذا راح الناس إلى (منى) راح معهم فقلت له من شيخك قال: علي بن الحسين عليه السلام فسألت عن الرجل فإذا هو أخ لعلي بن الحسين من أمه ^(١).

لا دلالة فيه على أنها أمه التي أولدته لأنها ماتت في النفاس به وفي هذا يقول القاشاني ملا محسن الفيض أعلى الله مقامه هذا الرجل من جارية كانت للحسين ربّت السجاد عليه السلام واشتهرت بأنها أمه حتى قيل للرجل إنه أخوه من أمه.

وعن هذه الجارية قيل لعلي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنت من أبر الناس ولا نراك تؤاكل أمك فقال عليه السلام: إني أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها ^(٢).

وفي هذا تعليم دقيق لتهديب الأمة الواعين كلمته الذهبية فإنّ الأدب العلوي إذا ألزم برعاية حق المربية حتى أطلق على مخالفتها اسم العقوق مع أنه عليه السلام لم يتعمّد المخالفة لها وإنما تخوّف من سبق يده لما سبقت عينها إليه فكيف حال الولد مع من حملته تسعاً وتحملت المشاق فيه وحتى إذا وضعته فرشت له جفنها وألحفته

(١) الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٣، ص ٣٣٤ باب الطواف.

(٢) كامل المبرد: ج ١، ص ١٦١ وعيون الأخبار لابن قتيبة: ج ٣، ص ٩٧.

الآخر وأجاعت نفسها وأشبعته وظمئت وروته تخاف عليه ريح الصبا أن يخذشه فهل يستطيع الولد أن يؤدي حقها - كلا - ومن هنا كان الرسول الأقدس ﷺ يقول حق الوالد أن تطيعه ما عاش وأما حق الوالدة فهيها هيهات لو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها^(١).

وهذه الأهمية من جهة تحمّلها ما لم يتحمّله الأب من مصاعب تلاقيها عند الولادة فتكون على شفا من الهلكة، وفي مداراتها له في الحرّ والبرد ولذا ورد أنّ الجنة تحت أقدام الأمّهات^(٢) وفي هذا يقول بعضهم^(٣):

لأُمّك حق لو علمت كبير	كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي	لها من جراها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة	فمن غصص كاد الفؤاد يطير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها	ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها	حنواً وإشفاقاً وأنت صغير
فأهاً لذي عقل فيتبع الهوى	وأهاً لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها	فأنت لما تدعو به لفقير

(١) غوالي اللثالي (لأبي جمهور الاحسائي).

(٢) لب الباب (للراوندي).

(٣) حكاة الألوسي في تفسيره روح المعاني: ج ٢١، ص ٨٦.

ولادة السجاد عليه السلام

ولد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين . وفي هذا اليوم ابتهج الكون بأكرم قادم أكسب الدنيا بذخاً وألبس الدهر برداً قشيباً ومطرف حبور ازدان نسيجه بالعبقريّة فعاد الوقت به غرة على جبهة الزمن ودرة في عقد الأيام والأعوام فالتقى به قوسا الصعود والنزول ولاح به الممكن الأشرف وتسرب الفيض الأقدس إلى حجة الله فكان صلة بين عالم الملك والملكوت وفاح به عرف القداسة من نجر نبوي وأصرة علوية وعصمة فاطمية يعلوه نور النبوة ورفعته الإمامة وبهاء الملوك .

ومما لا شك فيه أنّ الإمام زين العابدين لم يكن ببدع من أئمة الدين في ما سبق لهم من التكريم والتعظيم فحقّ له ما حق لهم من مراتب الجلالة وقدس المنبت وبذخ الشأن ورفع الرتبة فلا ندحة عن القول بأن جميع المراتب الثابتة لمن تقدمه من المعصومين ثابتة له عند الولادة كما أنه لا يعدوه شيء من جهات

الفضيلة والإمامة الثابتة لرجال بيته (أئمة الهدى (عليهم السلام)) وإن لم
يرد بذلك نص خاص في حقّه صلوات الله عليه وهذا معنى ما في
إثبات الوصية للمسعودي: كان مولد أبي محمد علي بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب ومنشأه مثل مولد آبائه (عليهم السلام).

تاريخ الولادة

لا يستغرب القارئ ما يجده من الخلاف في ولادة المعصومين ووفياتهم بعدما يشاهد اضطراب المؤرخين في تاريخ ولادة المنقذ الأكبر ﷺ وشهادته وبعثته مع أنّ الأحرى بهم التثبت فيه ولكن هذا شأن الحوادث عند تقادم العهد وعليه فلا يؤخذ بقول المؤرخ ما لم ترافقه القرينة التي تدعم الدعوى أو لم يوجد المعارض له واتفاق جماعة على شيء وإن أوجب الاطمئنان بالحقيقة إلا أنه فيما إذا لم يوجد المعارض له على أنّ أكثر النقول ناشئة عن تقليد المتقدم من دون فحص وتمحيص ولهذا أمثلة منها ما ينص به المؤرخون في تاريخ وفاة أبي نؤاس في سنة (١٩٥) وعليه لا يكون موجوداً يوم البيعة بولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام ولكن الشيخ الجليل الحافظ محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق المتوفى سنة (٣٨١هـ) روى في عيون أخبار الرضا: ص ٢٨١، عن رجاله ما يشهد بحياته سنة (٢٠٢) فإنه ذكر عتب المأمون عليه بعدم مشاركته الشعراء في تهنئة الإمام بولاية العهد فأنشأ:

قيل لي أنت أشعر الناس طراً في فنون من الكلام النبیه إلى آخر الأبيات ورواه عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم علي بن محمد بن علي بن رستم الطبري الآملي الموجود سنة (٥٥٣) في بشارة المصطفى ص ٩٧ ، بسند رجاله أجلاء ثقات ومن شيوخ الإجازة فالإعراض عنه اغتراراً بالمؤرخين جزاف خصوصاً إذا عرفنا منشأ التحديد في سنة (١٩٥) الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣) وتابعه كل من ابن الأثير المتوفى سنة (٦٣٠) وابن خلكان المتوفى سنة (٦٨١) وابن الفدا المتوفى سنة (٧٣٢) فهو قول واحد في الحقيقة .

وقد تنبه لذلك الحجة المحقق الأميني العاملي وحدّث في أعيان الشيعة: ج ٢٤ ، ص ٤ عن شذور العقود أن له ذكراً في سنة (٢٠٢) ومن هذا النوع تحديد مقتل هرثمة بن أعين في سنة (٢٠٠) فلا يكون موجوداً سنة شهادة الإمام الرضا (عليه السلام) ولكن الشيخ الصدوق روى في عيون أخبار الرضا: ص ٣٥٥ بقاءه إلى هذه السنة وإخبار الإمام (عليه السلام) بما يجري عليه من المأمون .

إلى غيره مما يذكره المؤرخون مع معارضة أحاديث الإمامية الأجلاء التي لم يعلم كذبها فالإعراض عنها اعتماداً على المؤرخين بلا مبرر وإلا فقاعدة التعارض توجب التوقف في المتكافئين ما لم يحصل المرجح .

وعلى ذلك فقد اختلف المؤرخون في ولادة الإمام
السجاد عليه السلام على أقوال ثمانية :

١ - خامس شعبان سنة (٣٨) ذكره الكفعمي في جدول
المصباح والإربلي في كشف الغمة والشهيد الأول في مزار
الدروس وابن الصباغ في الفصول المهمة : ص ٢١٢ والشيخ
يوسف البحراني في المزار من الحقائق وابن طلحة في
مطالب السؤل .

٢ - ثامن شعبان حكاه في البحار عن الذخيرة .

٣ - تاسع شعبان في روضة الواعظين : ص ١٧٢ .

٤ - سابع شعبان .

٥ - حادي عشر رجب .

٦ - ثامن ربيع الأول وهذه الثلاثة الأخيرة نسبها في جنات
الخلود إلى القيل .

٧ - نصف جمادي الأول ذكره الشيخ الطوسي في مصباح
المتهجد والعلامة الحلي في التذكرة في صوم أيام من ذي
القعدة وابن طاووس في الإقبال .

٨ - نصف جمادي الثاني ذكره ابن شهر آشوب في المناقب
والطبرسي في إعلام الوری .

زين العابدين

إنَّ أسماء الأئمة وألقابهم نزل بها الروح الأمين من المولى الجليل عَلَى الرسول الأقدس ﷺ فيحدث سلمان الفارسي أَنَّ النبي ﷺ ذكر خلفاءه الاثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة وأوجب عَلَى الأمة معرفتهم بأسمائهم وأنسابهم وأنه لا إيمان لمن لم يتولهم ولا يتبرأ من عدوهم ثم قال لسلمان لقد عرفتهم إلى الحسين وبعده سيد العابدين علي بن الحسين ثم ابنه محمد باقر علم الأولين والآخرين ثم ابنه جعفر لسان الصادقين ثم ابنه موسى الكاظم غيظه صبراً في الله ثم ابنه علي الرضا لأمر الله ثم ابنه محمد الجواد المختار لله ثم ابنه علي الهادي إلى الله ثم ابنه الحسن الأمين الصامت العسكري ثم ابنه محمد المهدي الناطق القائم بحق الله^(١) فهذا الحديث والنصوص الناطقة بنزول الصحيفة التي فيها أسماء ولادة الأمر الإلهي تدل على أَنَّ سيد العابدين^(٢)

(١) المختصر: ص ١٥٣ .

(٢) كفاية الأثر (للخزاز): ٢٩٥ ملحق بأربعين المجلسي .

لقب للسجاد من المولى سبحانه كما لقبه تعالى شأنه بزين العابدين^(١) ومن هنا كان أبو جعفر الباقر عندما يحدث عنه يقول حدثني سيد العابدين علي بن الحسين عن سيد الشهداء الحسين بن علي عن سيد الأوصياء علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٢).

وفي حديث أبي ذر الغفاري دخلت على النبي ﷺ فإذا هو يبكي فرقت له وسألته عما أبكاه فقال هبط عليّ جبرائيل وأخبرني أنّ ولدي الحسين يولد له ولد يسمى علياً ويعرف في السماء زين العابدين ويولد له ابن يسمى زيداً يقتل شهيداً^(٣).

ويحدث ابن عباس أن رسول الله ﷺ يقول إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين فكأنني أنظر إلى ولدي علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو بين الصفوف^(٤) واشتهر بالسجاد لإكثاره من السجود لله حينما يرى تواتر نعمه وآلائه وفي هذا يقول أبو جعفر الباقر (عليه السلام) لم يذكر أبي نعمة الله إلاّ سجد ولا قرأ آية فيها سجدة إلاّ سجد ولا دفع الله عنه سوء إلاّ سجد ولا فرغ من صلاة مفروضة إلاّ سجد ولا وفق

(١) الغيبة (للشيخ الطوسي): ص ١٠١.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٧٣ مجلس ٢٥.

(٣) الحقائق الوردية مخطوط.

(٤) علل الشرائع (للصدوق): ص ٨٧، باب ١٦٥.

لإصلاح بين اثنين إلاّ سجد وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمي السجاد لذلك وقيل له ذو الثغفات لوجود آثار ناتئة في مواضع سجوده وكان يقطعها في السنة مرتين^(١) وجاء النص بأنّ رسول الله ﷺ لقبه بذي الثغفات قبل أن يولد علي بن الحسين^(٢).

والثغفات الغر في مساجده أطواره السبعة في مساجده بنورها استنارت السبع العلى والملا الأعلى بنورها علا وآية النور على جبينه وشقة البدر على عرنيه ونوره الباهر في المحراب يذهب بالأبصار والألباب ولا يصغى إلى ما قيل في سبب لقبه بزين العابدين أنّ الشيطان تمثّل له في صورة أفعى فالتقم إبهامه حتى آلمه وهو في الصلاة فلم يلتفت إليه وبعد فراغه انكشف له أنه الشيطان فصاح به اخساً يا ملعون وقام إلى تمام ورده فسمع ﷺ صوتاً (أنت زين العابدين)^(٣).

ويروي أبو الحسن البكري في الأنوار بأنّ الشيطان تمثّل له في صورة أفعى له عشرة رؤوس محدّدة الأنياب متقلبة الأعين

(١) معاني الأخبار (للصدوق): ص ٢٤ ملحق بعلل الشرائع له.

(٢) الغيبة (للشيخ الطوسي): ص ١٠٥.

(٣) نسبه في البحار: ج ١١، ص ٢ إلى القيل.

بحمرة فطلع عليه من جوف الأرض من موضع سجوده ثم تناول في محرابه فلم يفرغه ذلك ولم يكسر طرفه إليه فانقضَّ عَلَى رؤوس أصابعه يكدمها بأنيابه وينفخ عليه من نار جوفه وهو لا يكسر إليه طرفه ولا يحول قدميه عن مقامه ولا يختلجه شك ولا وهم في صلاته ولا في قراءته فلم يلبث إبليس حتى انقضَّ عليه شهاب محرق من السماء فلما أحسَّ به صرخ وقام إلى جانب علي بن الحسين في صورته الأولى مستجيراً به وقال يا علي أنت سيد العابدين كما سميت وأنا إبليس والله لقد رأيت عبادة النبيين من عهد أبيك آدم وإليك فما رأيت مثلك ولا مثل عبادتك ثم تركه وولّى وهو في صلاته لم يشغله كلامه حتى قضى صلاته عَلَى تمامها^(١).

لقد عرفت أنّ هذا اللقب الشريف نصّت به الصحيفة النازلة من السماء عَلَى رسول الله ﷺ وفيها أسماء الأئمة الذين يلون الخلافة من ذريته وفيها ألقابهم ولكن رواة السوء لم يرقهم هذا الفضل لأبناء النبي ﷺ فأرادوا الحط من مقام أمين الله عَلَى شرعه القويم وقد خفي عَلَى المنقبين في الآثار فأودعه البعض بعنوان (القليل) غير أن التمهيص كشف عن عوار ما راموه وإلاً

(١) دلائل الإمامة: ص ٨٣ ومناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٣٩ ورواه مؤلف الروضة: ص ١٦٠ ملحقة بعلم الشرائع ومعاني الأخبار (للمصدق).

فقد ورد في المستفيض من الآثار أنّ الشيطان لا يقرب من هذه الذوات القدسية بل لا يتصور بصورهم وإذا كان الكتاب العزيز يهتف بأنّ الله سبحانه لم يجعل للشيطان سبيلاً على عباده المؤمنين فمن اشتقهم من نور قدسه وبرأهم من جلال عظمتهم أعلاماً لدينه وهداة لعباده أخرى ألا يدنو منهم الشيطان.

على أن راوي الحديث الثاني أبو الحسن أحمد بن عبدالله البكري^(١) لم يكن في محل الاعتماد عليه والحديث الأول لاشتماله على ما لا يتفق مع عظمة الإمام وسعة علمه لا يركن إليه لأنّ الله تعالى أعطى الأئمة عليهم السلام قوة قدسية تمكنوا بها من الوقوف على حقائق ما في الكون وأسرار الطبيعة فالأشياء كلها مكشوفة لهم منذ البدء ولا استغراب في ذلك بعد تحقق القابلية فيهم وعدم البخل في الفيض الأقدس وإذا كان (سليمان عليه السلام) يعرف منطق الطير ويفهم كلام النملة ويعلم (الهدهد) ما تحت الأرض من الماء إقذاراً من المولى الجليل عزّ شأنه فالمتكون من

(١) في كشف الظنون: ج ١، ص ١٩٥ كتاب الأنوار في مولد النبي المختار في سبعة أجزاء كلها في مجلد يقرأ في مولد النبي ﷺ في شهر ربيع الأول وذكره الشيخ عبدالله بن حاج صالح بن جمعة السماهيجي في إجازته الكبيرة والمجلسي في مقدمات البحار: ج ١، ص ١٦.

الحقيقة المحمدية أجدر به .

أئمة حق لو يسировن في الدجى بلا قمر لاستصبحوا بالمناسب
بهم تبلغ الآمال من كل آمل بهم تقبل التوبات من كل تائب^(١)

(١) لابن رزيك كما في مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٦١.

علي الأصغر

من ألقابه علي الأصغر لكونه أصغر من أخيه الشهيد بكربلاء فإنه ولد سنة (٣٨) وله يوم الطف (٢٣) سنة وولد الشهيد علي الأكبر في الحادي عشر من شعبان^(١) سنة (٣٣) قبل مقتل عثمان بسنتين^(٢) فله يوم الطف ما يقارب سبعاً وعشرين سنة على أن السجاد عليه السلام صرح بأنه أصغر من أخيه المقتول فإنه قال لابن زياد في المحاورة التي دارت بينهما: كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً فقتلتموه^(٣).

وقد وصف السجاد بالأصغر والشهيد بالأكبر جماعة من المؤرخين كما في تاريخ الطبري ج ٦، ص ٢٦٠ والمعارف لابن قتيبة ص ٩٣، والبداية لابن كثير ج ٨، ص ١٨٨، وج ٩، ص ١٠٣

(١) أنيس الشيعة مخطوط. انظر الذريعة (للشيخ آغا بزرك): ج ٢، ص ٤٥٨.

(٢) الحدائق الوردية مخطوط.

(٣) المنتخب من الذيل (للطبري) ملحق بالتاريخ الكبير بجزء ١٢، ص ٨٩
والبداية (لابن كثير): ج ٩، ص ١٠٣.

والأخبار الطوال للدينوري ص ٢٥٤ والتاريخ لليعقوبي ج ٢، ص ٩٤، ط. النجف وتاريخ القرماني ص ١٠٨، ولواقح الأنوار للشعراني ج ١، ص ٢٣ وتاريخ الخميس لأبي الحسن الديار بكري ج ٢، ص ٣١٩ والروض الأنف للسهيلي ج ٢، ص ٣٢٦ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٥٦ وإسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأبصار للشبلنجي ص ١٩٤ ووفيات الأعيان لابن خلكان بترجمة السجاد والفرق للنوبختي ص ١٠٧ النجف والأمال للشيخ الصدوق ص ٣٠ مجلس ٩٣.

وجماعة غيرهم استوضحوا صغر السجاد فاقتصروا على وصف الشهيد بالأكبر كما في كامل ابن الأثير ج ٤، ص ٣٠ ومروج الذهب ج ٢، ص ٩١ والتنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٦٣ وشذرات الذهب لابن العماد ج ١، ص ٦٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٠٩ وذخائر العقبى للمحب الطبري ص ١٥١ وغرر الخصائص للوطواط ص ٢٢٩، باب ١١ وحياة الحيوان للدميري ج ١، ص ١٦٩ بمادة بغل والإتحاف بحب الأشراف للشبراوي ص ٤٧ ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ج ١، ص ١٤٢ ومزار الدروس للشهيد الأول ومزار السرائر لابن إدريس الحلي إلى كثير أتينا عليهم في رسالة علي الأكبر طبع النجف.

ولا يضر في الإمامة صغر السن بعد أن كانت من قبل الله

سبحانه يودعها حيث يشاء من عباده ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ولقد كان الجواد عليه السلام ابن سبع سنين والهادي ابن ست سنين والحسن العسكري أصغر من أبي جعفر محمد والحجة المنتظر ابن خمس سنين ولما سأل صفوان بن يحيى أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الإمام بعده أشار إلى الجواد وكان إذ ذاك ابن ثلاث سنين وحيث استصغره عرفه أبو الحسن أنّ الإمامة عهد من الله إلى نبيه ﷺ فهو المدبر له كما أقام عيسى بن مريم بالحجة وهو ابن سنة وبعث يحيى نبياً وهو صبي وأوحى سبحانه إلى داود عليه السلام أن يستخلف سليمان وهو صبي يرعى الغنم فأنكر ذلك عباد بني إسرائيل وعلمواؤهم فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن يأخذ عصا المتكلمين وعصا سليمان ويجعلها في بيت ويختم عليه بخواتيم القوم فإذا كان من الغد ينظر إلى العصي فمن أورقت عصاه وأثمرت فهو الخليفة والحجة فقبل القوم ذلك ولما دخلوا البيت من الغد لم يروا إلا عصا سليمان قد أورقت وأثمرت فخضعوا للحكم الإلهي ومن كان أمره من الله تعالى لا يقاس بسائر الناس ^(١).

(١) انظر كتابنا الإمام الجواد من ص ١٦ إلى ص ١٨ طبع النجف (المطبعة الحيدرية).

النص عَلَى الإمامة

ما غاب عن أفق الشريعة كوكب إلا وجاء بكوكب وقاد
 إنَّ المهيمن ليس يخلي أرضه من حجة متستر أو باد
 لولا إمام الحق ما بقي الورى والجسم لا يبقى بغير فؤاد
 كن كيف شئت فقد أصبت هدايتي بهداهم وبلغت كل مرادي
 ما ضرني أن ضلّ عن طرق الهدى غيري إذا كتب الإله رشادي
 من صدّ عن عين الحياة ومات من ظمأ فلا سقيت عظام الصادي^(١)

الخلافة إمامة من المولى سبحانه وسرّ من أسرارهِ أوحى به
 إلى نبي الأمة ليعرفهم القائم من بعده ومن يجب عليهم الركون
 إليه وأخذ معالم الدين منه وقد أودعها المهيمن جلّ شأنه في ذرّة
 الرسول الأقدس بعد أن طهرهم من الريب وزكّاهم من العيب
 وكلائهم عما يشين الإنسانية فبرأهم أوعية لدينه وأعلاماً لعباده

(١) في أعيان الشيعة: ج ٥، ص ٥٥١ من قصيدة في السجاد (للشيخ إبراهيم يحيى العاملي).

يسلكون بهم لاحب الطريق إلى معرفة المعبود تعالى وما يراد بهم من أمر الدين والدنيا فتعقد صلوات التأخي وترفع الضغائن وتتم أنظمة الحياة وقد وصف الأئمة أبو جعفر الباقر بقوله:

نحن منبت الرحمة وشجرة النبوة ومعدن الحكمة ومصابيح العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله في عباده وحرمة الأكبر وعهده المسؤول عنه فمن أوفى بعهد الله فقد وفى ومن خفره فقد خفر ذمة الله وعهده فعرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه بالرفقة والرحمة ووجهه الذي يؤتى وبابه الذي يدلّ عليه وخزان علمه وتراجمة وحيه وأعلام دينه والعروة الوثقى والدليل الواضح لمن اهتدى وبنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار ونزل الغيث من السماء ونبت عشب الأرض وعبادتنا عبد الله ولولانا ما عُرف الله وأيم الله لولا وصية سبقت وعهد أخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه الأولون والآخرون^(١).

وقيل له بم يعرف الإمام قال (عليه السلام): يعرف بالنص عليه من الله تعالى ونصبه علماً للناس حتى يكون عليهم حجة وقد نصب رسول الله علياً (عليه السلام) وعرف الناس باسمه وعينه لهم وكذلك الأئمة

(١) المحتضر: ص ١٢٨ (للحسن بن سليمان الحلي).

ينصب الماضي من يكون بعده ويعرف الإمام بأن يسأل فيجيب
ويبتدئ إن سكت الناس عنه ويخبرهم بما يكون في غد بعهد
واصل إليه من رسول الله ﷺ وذلك مما نزل به جبرائيل من أخبار
الحوادث الكائنة إلى يوم القيامة^(١).

وقد أشار بالبيان الأخير إلى الطريق الثاني لمعرفة الإمام
وهو المعجز وقد دلت الأخبار المتضافرة عَلَى أَنَّ الله تعالى
أودع في الأئمة قوة قدسية تكشف لهم ما في الكون مضافاً إلى
ما أكرمهم سبحانه بأخبار الملائكة النازلة عليهم بالحوادث
والملاحم فليس الأمر مقصوراً عَلَى ما عندهم من العهد
الواصل إليهم من رسول الله ﷺ كما في هذا الحديث ولعلّ
لقصور في فهم السامع لجأ الإمام الباقر عليه السلام عَلَى الاقتصار عَلَى
هذا الحد من البيان.

وإلى هذه الظاهرة أرسل شيخنا المفيد أعلى الله مقامه في
«الإرشاد» كلمته الثمينة حيث يقول: كان الإمام علي بن الحسين
أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً فهو أولى بأبيه وأحقّ بمقامه
من بعده بالفضل والنسب والأولى بالإمام الماضي أحقّ بمقامه
من غيره بدلالة آية ذوي الأرحام وقصة زكريا عليه السلام.

وقد شهدت النصوص المتواترة عَلَى إمامة السجاد وأنه

(١) معاني الأخبار: ص ٣٥ (للصدوق).

الحجة عَلَى الأمة بعد أبيه سيّد الشهداء (عليه السلام) فيروي أبو خالد الكابلي عن علي بن الحسين أَنَّ أباه الحسين قال له دخلت عَلَى رسول الله ﷺ فرأيتَه مفكراً فقلت له ما لي أراك مفكراً. قال: إِنَّ الأمين جبرائيل أتاني وقال العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل الاسم الأعظم وآثار علم النبوة عند علي بن أبي طالب فإني لا أترك الأرض إلّا وفيها عالم يعرف به طاعتي وولايتي وإني لم أقطع علم النبوة من الغيب من ذريتك كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم ثم ذكر أسماء الأئمة القائمين بالأمر بعد علي بن أبي طالب وهم الحسن والحسين وتسعة من صلب الحسين أولهم ابنه علي وآخرهم الحجة بن الحسن^(١).

وفي ليلة وفاته ﷺ دعا أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) وقال له يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة ثم أملئ رسول الله ﷺ وصيته حتى انتهى إلى بيان الخلفاء من بعده فقال يا علي سيكون بعدي اثنا عشر إماماً فأنت يا علي أولهم سَمَّاكَ الله في سمائه علياً المرتضى وأمير المؤمنين والصديق الأكبر والفاروق الأعظم والمأمون فلا تصلح هذه الأسماء لأحد غيرك إلى أن قال:

وأنت خليفتي عَلَى أمتي من بعدي فإذا حضرتك الوفاة

(١) كفاية الأثر: ص ٣١١ (لعلي بن محمد بن علي الخزاز القمي).

فسلمها إلى ابني الحسن البر الوصول فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي «سيد العابدين ذي الثفنت» فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد باقر العلم فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الرضا فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة التقي فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد^(١).

وسأله ابن عباس عن الأئمة بعده فقال إنهم بعدد حواربي عيسى عليه السلام وأسباط موسى عليه السلام ونقباء بني إسرائيل فإنهم كانوا اثني عشر والأئمة بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب وبعده سبطاه الحسن والحسين فإذا انقضى الحسين فابنه علي ثم عدّ أسماء الباقيين كما تقدّم فقال ابن عباس هذه أسماء لم أسمع بها قال عليه السلام يا بن عباس هؤلاء هم الأئمة بعدي وإن قهروا أمناء معصومون نجباء أخيار من أتى يوم القيامة عارفاً بحقهم أخذت بيده إلى الجنة ومن أنكر أو ردّ واحداً منهم فكأنما أنكرني أو

(١) الغيبة (للشيخ الطوسي): ص ١٠٥ ومختصر البصائر: ص ٣٩، ط. النجف (المطبعة الحيدرية).

ردّني ومن أنكرني أو ردّني فكأنما أنكر الله .

وقال في بعض خطبه (عليه السلام) : معاشر الناس إني راحل عنكم عن قريب ومنطلق إلى المغيّب أوصيكم في عترتي خيراً وإياكم والبدع فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

معاشر الناس من افتقد الشمس فليتمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليتمسك بالنجوم الزاهرة ثم فسّر (عليه السلام) هذا بقوله أما الشمس فأنا والقمر علي بن أبي طالب والفرقدان الحسن والحسين والنجوم الزاهرة تسعة من صلب الحسين أولهم علي بن الحسين ثم سمّى الباقيين كما تقدم إلى أن قال والحجة بن الحسن المنتظر في غيبته فإنهم عترتي من دمي ولحمي حكمهم حكمي من آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي .

وحدّث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم سلمة عما رآه مكتوباً في العرش حين عرج به إلى السماوات العلى فإلى سدرة المنتهى وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله أيّده ونصرته بعلي ورأى أنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة ابن الحسن وكان نوره يتلأأ بينهم كالكوكب الزاهر وسمع النداء : هذه أنوار الخلفاء بعدك الذين

جعلتهم حججى عَلَى خلقي والنور الزاهر نور الحجة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وهم مطهرون معصومون^(١).

وهذه الأسماء المكرمة استودعها المهيمن جلّ شأنه أنبياءه ومبلّغي شرائعه معرّفاً لهم بما آتاهم من فضل كثار وألزمهم بالإيمان بهم والإذعان بتفضيلهم عليهم^(٢) وأخذ كل نبي يتلو عَلَى أُمته ما يأتي بعده من رسل وأوصياء آخرهم الرسول الأقدس المنتجب من النور الإلهي حبيب الله (محمد ﷺ) وعترته الذين بهم فتح الله وبهم يختم وبإشراق أنوارهم عَلَى العوالم تم الفيض عَلَى الممكنات وبيمنهم رزق الورى وثبتت الأرض والسماء ليتدينوا أولاً بمعرفة المعبود سبحانه ويدعنوا ثانياً بأنه عزّ وجل لم يخل الأرض من حجة يقضي بالحق ويقيم الاعوجاج ولم يزل الأنبياء يعملون بهذا الميثاق ويذكرون الأمم بهم وبما أهّلهم المولى له تصريحاً وتلويحاً.

يحدث الشعبي أن عبدالملك بن مروان قال له إنّ عامله عَلَى المغرب موسى بن نصر العبدى كتب إليه يخبره عن مدينة لسليمان ابن داود عليه السلام في مفازة من الأندلس بناها له الجن من الصفر وقد أودع سليمان فيها كنوزه وأنّ هذه المفازة قصدها دارا بن دارا

(١) الأحاديث الثلاثة في كفاية الأثر (للخزاز): ص ٢٩٠ وص ٢٩١ وص ٣١٢.

(٢) المحتضر (للحسن بن سليمان): ص ١١٧ ط. النجف.

وبلغ الإسكندر ذلك فقال إني جبت الأرض ووطئت المفاوز البعيدة ولا بدّ لي من عبور هذه الأرض.

فكتب إليه عبدالملك يأمره بالاستعداد إليها والاستخلاف على عمله فقصدها ووصل إليها وكتب إلى عبدالملك بما رآه فيها وفي آخر الكتاب: لما قربت من المدينة رأيت بحيرة ذات شجر إلى جانب السور ولما وصلت إلى السور رأيت على الجدران شعراً مكتوباً بالعربية فنسخته وهو هذا:

ليعلم المرء ذو العز المنيع ومن	يرجو الخلود وما حيّ بمخلود
لو أنّ خلقاً ينال الخلد في مهل	لنال ذاك سليمان بن داود
سالت له القطر عين القطر فائضة	بالقطر منه عطاءً غير مصدود
فقال للجن ابنوا لي به أثراً	يبقى إلى الحشر لا يبلى ولا يودي
فصيره صفاحاً ثم هيل له	إلى السماء بإحكام وتجويد
وأفرغ القطر فوق السور منصلاً	فصار أصلب من صماء صيخود
وبثّ فيه كنوز الأرض قاطبة	وسوف يظهر يوماً غير محدود
وصار في بطن قعر الأرض مضطجعاً	مصمداً بطوابيق الجلاميد
لم يبقَ من بعده للملك باقية	حتى تضمن رمساً غير أخذود
هذا ليعلم أن الملك منقطع	إلا من الله ذي النعماء والجلود
حتى إذا ولدت عدنان صاحبها	من هاشم كان منه خير مولود
وخصّه الله بالآيات منبعثاً	إلى الخليقة منها البيض والسود
له مقاليد أهل الأرض قاطبة	والأوصياء له أهل المقاليد

هم الخلائف اثنا عشرة حججاً من بعده الأوصياء السادة الصيّد حتى يقوم بإذن الله «قائمهم» من السماء إذا ما باسمه نوذي^(١)

(١) القائم هو الحجة بن الحسن العسكري عَجَّلَ اللهُ فرجه وهو الثاني عشر من أوصياء النبي ﷺ عَلَى أُمّته ومن الراجح المؤكد القيام عند سماع هذا اللقب الشريف الذي لَقِبَ به المهيمَن سبْحانه وكتبه عَلَى سِرادق عرشه تعظيماً لِلأَمِين عَلَى الشرع القويم وإِكْبَاراً لِلإمام الوقت وحجة الزمن وقد ورد الأثر في ذلك وهو كافٍ في الإِذعان بِالرجحان بعد ورود أخبار التسامح في أدلة السنن وممن أُرشدنا إِلَى هذا الطريق الحجة علي بن زين العابدين البارجيني اليزدي فإنه نقل في إلزام الناصب: ص ٨١ عن تنزيه الخاطر أَنَّ الإمام الصادق سئل عن سبب القيام عند ذكر لفظ (القائم) فقال ﷺ: إِنْ له غيبة طويلة ومن شدة الرغبة إِلَى أحبته ينظر إِلَى كل من يذكره بهذا اللقب المشعر بدولته والحسرة بغيبته ومن تعظيمه أَنْ يقوم العبد الخاضع لصاحبه عند نظر المولى الجليل بعينه الشريفة إِلَيْه وليطلب من الله تعالى تعجيل فرجه ثم روى ثانياً عن تنزيه الخاطر أَنَّ القائم ﷺ ذكر في مجلس الرضا ﷺ بخراسان بهذا اللفظ الخاص فقام الرضا ﷺ ووضع يده المباركة عَلَى رأسه وقال اللهم عَجِّل فرجه وفي النجم الثاقب (للنوري) أَنَّ سيرة الشيعة في جميع الأقطار الإسلامية مستمرة عَلَى القيام عند سماع هذا اللقب الخاص تعظيماً لَهُ وطلباً من المولى سبْحانه تعجيل فرجه. هـ واستمرارهم عَلَى هذا العمل كغيره من الأعمال المعروفة بينهم ولم يوجد فيها نص صريح كاشف عن مصادقة الأئمة عَلَيْهِ وإلى هذا أشار الشيخ أسد الله في كشف القناع: ص ٢٣٠ بما حصله أَنَّ الأصل في كثير من الأعمال المتداولة بين الشيعة ولم يكن لها مستند ظاهر من الأخبار هو حصول العلم لبعض حملة أسرار الأئمة بقول الإمام ﷺ وحيث لم يسعه التصريح به =

فلما قرأ عبدالملك الكتاب وأخبره الرسول طالب بن مدرك بما عاينه من تلك العجائب قال لمحمد بن شهاب الزهري وكان حاضراً عنده ما ترى في هذا الأمر العجيب فقال الزهري لعل الحفظة من الجن الموكلين بهذه المدينة يخيلون لمن قصدها ذلك .

فسأله عبدالملك عمّن ينادى باسمه في السماء فلم يخبره بما عنده خوفاً منه وقال له أعرض يا أمير المؤمنين عما لا يعينك فأصرّ عليه وقال أخبرني به ساءني أم سرّني فقال الزهري إن يكن لهذا علم فهو عند علي بن الحسين فلقد أخبرني بأنّ هذا هو «المهدي» من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكذّبه عبدالملك وكذّب الإمام (عليه السلام) وقال إنكما لا تزالان تكذبان في قولكما إنّ هذا الرجل متّا .

فقال الزهري إني أرويه عن علي بن الحسين فإن شئت فأسأله فإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم فقال عبدالملك لا حاجة لنا في سؤال ابن أبي تراب يا زهري لا يسمعن هذا القول منك أحد فحلف له بذلك^(١) .

= أبداه بصورة الاتفاق عليه هـ . وكأن المحدث الجليل النوري لم يعثر على هذين الحديثين فتمسك بسيرة المتدينين .

(١) مقتضب الأثر: ص ٤٧ (لابن عياش) ورواه عنه في صحيفة الأبرار: ص ٢٣٦ .

وهذا التعنت من المرواني المتسئم عرش النبوة المتأمر عَلَى الأمة بغير رضا من الله ولا من رسوله شاهد عَلَى التوائه عن سنن الحق وتردّده في الغي والسعي في إسدال الحجاب عَلَى وجه الحقائق لئلا تبصر الأمة الإسلامية بصيصاً من الشعاع الإلهي فتظهر لهم دفائن الجاهلية والإلحاد وينتكث الأمر عَلَى هؤلاء الطغاة وينقلب عليهم ظهر المجن وإلا فما يضرّه في التعرّف من ابن رسول الله عما عهد إليهم الرسول ﷺ من حوادث وملاحم وقصص الماضين وما عند الأنبياء من عجائب وأنّى يبعد الله ابن (الخيرتين) عن الوقوف عَلَى خواص الطبائع وما في الكون من غرائب وأسرار وإنّي لا أريد أن يعترف المرواني بإمامة زين العابدين ولكني أقول لم تثبت عَلَى سيد الساجدين فرية توجب عدم إيمان المرواني بابن النبي ﷺ كيف وقد صادق عَلَى ما وصفه به ابن طلحة الشافعي كل من أبي نعيم الإصبهاني في حلية الأولياء: ج ٣، ص ١٣٣ وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ص ١١٩ والشعراني في لوائح الأنوار: ص ٢٧ والشبراوي في الإتحاف: ص ٤٩ وابن سعد في الطبقات قال ابن طلحة في مطالب السؤول ص ٧٧: كان قدوة الزاهدين وسيّد المتّقين وإمام المؤمنين يشهد له سمته بأنه من سلالة رسول الله ﷺ ويثبت مقامه قرب من الله وثفّناته تسجل له كثرة الصلاة والإعراض عن الدنيا درّت لديه أخلاف التقوى فتفوقها وأشرق

له أنوار التأييد فاهتدى بها وألفته أوراد العبادة فأنس بصحبته وحالفته وظائف الطاعة فتحلى بحليتها طالما اتخذ الليل مطية ركبها لقطع طريق الآخرة.

من هاشم في ذراها وهي صاعدة إلى السماء تمتت الناس بالحسد قوم أبى الله إلا أن تكون لهم مكارم الدين والدنيا بلا أمد^(١)

ولما ضرب أمير المؤمنين (عليه السلام) بسيف ابن ملجم في مسجد الكوفة وهو في الصلاة أوصى إلى ابنه الحسن (عليه السلام) بالإمامة كما أمره رسول الله ودفع إليه مواريث الأنبياء وأشهد على ذلك الحسين ومحمد بن الحنفية وجميع أولاده ورؤساء شيعته وقال للحسين إنك القائم بعد أخيك الحسن وإن رسول الله ﷺ يأمرك أن تدفع المواريث إلى ولدك زين العابدين وكان له ثلاث سنين وقال له إن رسول الله يأمرك أن توصي بالإمامة من بعدك إلى ولدك محمد الباقر وأقرئه من رسول الله ومني السلام^(٢).

ولم يكن الباقر (عليه السلام) مولوداً ثم عرّف الحاضرين بما كان نبي الإسلام يلهج به ليله ونهاره من أن الأوصياء من ولدي كلهم مهديون محدثون فقال له سليم الشامي عدهم علينا يا أمير المؤمنين فقال (عليه السلام) أولهم الحسن ثم الحسين ثم ابني علي بن

(١) صلح الحسن: ص ١٧٤.

(٢) أصول الكافي في باب النص على الحسن: ص ١٧٢، ح ١.

الحسين ثم ثمانية من بعده وذكر أسماءهم كما تقدم^(١).

ولما سار الحسين عليه السلام إلى العراق استودع تلك الموارث التي تسلمها من أخيه الحسن عند أم سلمة وأمرها أن تدفعها إلى ولده زين العابدين فلما رجع السجاد إلى المدينة بعد حادثة الطف تسلم الوديعة من أم سلمة^(٢) وفي حديث الصادق عليه السلام أن علي بن الحسين لما انتهى إليه الأمر فتح الخاتم الرابع من الوصية المنزلة عَلَى جده عليه السلام فقرأ فيها يا علي أطرق واصمت^(٣).

فقام عليه السلام بما أمره به المهيمن سبحانه من السكوت والاعتزال واختلى عن الاختلاط بالناس حتى ضرب له بيتاً من الشَّعر خارج المدينة^(٤) تفرغاً فيه للابتهاال والعبادة ليحفظ بذلك دمه ودماء شيعته ولكن لم يفته في هذه الظروف القاسية تنبيه الناس من رقدة الغفلة وإرشادهم إلى معرفة المعبود تعالى شأنه وتعليمهم الطرق الموصلة إلى ما يستدر رحمته ويجلب عطفه ورضاه ويجنبهم سخطه ونقمته بألوان من البيان فمن طريق الدعاء تارة ومن التعريف بالحقوق اللازمة أخرى ومن طريق عمته زينب الكبرى

(١) بصائر الدرجات (للصفار): ص ١٠٨.

(٢) أصول الكافي باب النص عَلَى السجاد.

(٣) الغيبة (للنعماني): ص ٢٤ وأمالى ابن الشيخ الطوسي: ص ٢٨٢.

(٤) فرحة الغري (لابن طاووس): ص ٣٣ ط. النجف (المطبعة الحيدرية).

ثالثة المجعولة لها الوصية من سيد الشهداء (عليه السلام) فكانت صلوات الله عليها تتلقى الأحكام الإلهية منه وتفيضها على الشيعة سترًا على زين العابدين من عادة أعدائه^(١).

ومن لم يعرف معنى الإمامة المجعولة من الله تعالى ولم يقرأ أصول الإمامية الاثني عشرية في هذا الشأن يفوته التركيز الإلهي في الخلافة الكبرى فيتباعد عن الواقع ويلتوي عن الطريق اللاحب ويسجل ما لا يعلم فيقول إن الحسين أوصى بالإمامة إلى محمد بن الحنفية إلى أن يشب علي بن الحسين ولذلك سمي محمد بن الحنفية إماماً بالتفويض^(٢).

وهذا شيء لم يذكره علماء الشيعة ولا هو من معتقدهم فإن كتبهم طافحة بأن الإمام القائم بالأمر بعد الماضي لا يضره صغر السن ولم يخف الله تعالى عنه مواد العلم كما أعطى النبوة لعيسى ويحيى (عليهما السلام) على أن السجاد كان عمره يوم شهادة أبيه (عليه السلام) ثلاثاً وعشرين سنة.

نجوم هدى تجلّو عى كل حائر بحور ندى تروي صدى كل حائم
بهم أظهر الإسلام واتّضحت له مناهج كانت قبل جد طواسم
وهم أمناء الله في الأرض كلما مضى قائم عشنا بدولة قائم

(١) إكمال الدين (للصدوق): ص ٢٧٥ والغيبة (للطوسي): ص ١٤٨.

(٢) كتاب عبيد الله المهدي: ص ٨٠.

وخزان وحي الله إن غاب عالم	جلا ظلمات الجهل طلعة عالم
وهم فلك نوح لا نجاة بغيرهم	لذي الخلق من موج الردى المتلاطم
وهم كلمات الله ألقن آدمًا	دعاً فأقال الله عشرة آدم
بهم تقبل الطاعات من كل عامل	وتغتفر الزلات من كل جارم
وهم أهل بيت مصطفى من الورى	مصنفون من شوب الخطا والمآثم
أئمة حق قائد بعد قائد	ونواب صدق حاكم إثر حاكم
لهم من قریش في النجار سنامها	ومن هاشم في المجد ذروة هاشم
فليس لهم في نجرهم من مقارب	وليس لهم في مجدهم من مزاحم ^(١)

(١) في شعراء الحلة (للأستاذ علي الخاقاني): ج ١، ص ٣١ أنها للعلامة
الجليل السيد صادق الفحام المتوفى في النجف سنة (١٢٠٤).

دليل الإمامة

من الواضح أنّ مؤهلات الإمامة ليست من الأمور العادية حتى يعرف كل أحد قيام الإنسان بها ولا من المشهودات ليبصرها اللاحظ وإنما المعلوم منها على الإجمال أنها صلة بين عالم الغيب والشهود وهذا المقدار من المعلوم لا يفي بتعيين القائم بالإمامة ما لم يعلم المؤهل له على التفصيل وحيث إنّ الإمامة خلافة إلهية موحى بها إلى النبي المرسل فاللازم أن يكون الناهض بالأمر منصوباً عليه من الإمام الماضي وبما أنّ النص قد يقصر مدى سيره فلا يبلغ البعض وقد يقصر فهم السامع عن حقيقته مع أنّ هناك نفوساً ضعيفة لا ترضخ إلاّ بالشيء المشاهد فيجب أن يكون عند الإمام من نماذج عالم الملكوت ما يخرق نوايس الطبيعة حتى يتأتى لهؤلاء الإيمان بتلك الصلة فمن واجب الإمامة أن يحتوي صاحبها على ما يقنع السائل ويفحم المجادل .

وقد أودع الله تعالى في الأمناء على شرعه من ذرية الرسول الأقدس ﷺ قوة قدسية تمكنوا بواسطتها من الوقوف على الحقائق

الكونية والحوادث الكائنة في المبدأ إلى النهاية ولم يعزب عنهم كل ما يحتاجون إليه في تثبيت إمامتهم وولايتهم العامة على البشر وليس من المستحيل أن يمكن الباري جلّ شأنه من يؤهلهم للنهوض بأعباء الخلافة الكبرى للإتيان بخوارق العادة والإخبار عن الكائنات وإنما المستحيل دعوى علمهم بالمغيبات بالذات بلا إفاضة من المولى سبحانه ولا إقدار منه تعالى وقد ورد في أحاديثهم ما يبعد هذه الدعوى فقالوا: لولا أنا نزداد في كل ليلة جمعة لنفد ما عندنا^(١) مشيرين بذلك إلى أن علمهم بالأشياء لم يكن من قبل أنفسهم وإنما هو مفاض عليهم من قبل المولى جلّت آلاؤه بحيث لولا استمرار الفيض الإلهي بإبقاء تلك القوة فيهم وتتابع الرحمات عليهم لنفد ما عندهم من مواد العلم وأصوله والتخصيص بليلة الجمعة من جهة نزول الآلاء فيها من أول الليل إلى آخره على العكس من سائر الليالي.

ولا مغالاة في هذه الدعوى المدعومة بالمتواتر معنى من النصوص فإنّ الغلو في شخص عبارة عن الاعتقاد فيه لما لا يستحقه وهذه الذوات من خلفاء النبي (صلى الله عليه وآله) بعد اتّحادهم مع الحقيقة المحمدية المشتقة من النور الأقدس في المآثر كلها إلا النبوة والأزواج^(٢)...

(١) أصول الكافي بهامش مرآة العقول (للمجلسي): ج ١، ص ١٨٥.

(٢) المحتضر (للحسن بن سليمان): ص ٢٠.

كانت قابلة لتحمل الفيوضات الإلهية وحيث إنه لا بخل في ساحة المولى تعالى عن ذلك علواً كبيراً فقد اجتمع مبدأ فياض ومحل قابل للإفاضة فكان البرهان تام الإنتاج على قابليتهم لإيداع ما به يتمكنون من الإخبار بالكائنات بحيث تكون الأشياء كلها حاضرة لديهم حتى كأنها نصب أعينهم كما في نص الحديث^(١).

وإلى هذا يشير زين العابدين بقوله: ليس بين الله وبين حجته حجاب ولا لله دون حجته ستر فنحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن عيبة علمه ونحن تراجمة وحيه ونحن أركان توحيده ونحن موضع سرّه^(٢).

وقال له أبو حمزة الثمالي الأئمة يعلمون ما نضمر فقال ﷺ علمت والله ما علمت الأنبياء والرسل ثم قال أزيدك بأننا نزداد ما لم تزد الأنبياء^(٣).

فالإمام كما يقول أبو الحسن الرضى ﷺ: واحد دهره لا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب له ولا اكتساب بل اختصاص بالفضل

(١) مختصر البصائر: ص ١٠١.

(٢) تفسير البرهان (للسيد هاشم البحراني): ج ١، ص ٣٢.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٦٥.

من (الوهاب) عزّ شأنه فمن ذا الذي يبلغ كنه الإمام ويمكنه اختياره هيهات هيهات ضلّت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وحسرت العيون وتضاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحسرت الخطباء وكلّت الشعراء والأدباء وعيت البلغاء عن وصف شأنه أو فضيلة من فضائله وأقرّت بالعجز والتقصير وكيف يوصف وينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغني عنه.

أين الاختيار من هذا وأين العقول عن هذا وأين يوجد مثل هذا ظنّوا أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول ﷺ كذبتهم والله أنفسهم ومنتهم الأباطيل فارتقوا مرتقى صعباً دحضاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم.

راموا إقامة الإمام بعقول حائرة ناقصة وآراء مضلّة فلم يزدادوا منه إلّا بعداً قاتلهم الله أنى يؤفكون ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين رغبوا عن اختيار الله واختيار الرسول إلى اختيارهم والقرآن يناديهم ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨)، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (١).

(١) في بصائر الدرجات: ص ١٣٧ في باب عند رسول الله الاسم الأكبر عن =

إنَّ الإمامَ عالم لا يجهل وداع لا ينكل معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة مخصوص بدعوة الرسول ﷺ وهو نسل المطهّرة البتول ﷺ لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب في البيت من قريش والذروة من هاشم والعتره من آل الرسول والرضا من الله تعالى والفرع من عبد مناف .

نامي العلم كامل الحلم مضطلع بالإمامة عالم بالسياسة مفروض الطاعة قائم بأمر الله ناصح لعباد الله حافظ لدين الله معصوم مؤيد موفق مسدد قد أمن الخطأ والزلل والعتار اختصّه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهده على خلقه واختاره جلّ شأنه لأُمور عباده فشرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً فلا يحيد عن الصواب^(١) .

ألبسه الله تاج الوقار وغشاه من نور الجبار يمد بسبب من السماء لا ينقطع عنه مواد العلم ولا ينال ما عند الله إلاّ بجهة أسبابه ولا يقبل الله الأعمال إلا بمعرفته فهو عالم بما يرد عليه من مشكلات الوحي ومعميات السنن ومشتبهات الفتن لم يزل

= الصادق أنّ موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع إلى ولد هارون دون ولد موسى لأنّ الخيرة لله يختار من يشاء من عباده .

(١) عيون الأخبار (للصدوق): ج ١، باب ٢٠، ح ١، ص ١٩٥، طبعة الأعلمي والغيبة (للنعماني): ص ١١٦ .

مرعياً بعين الله يحفظ بملائكته مدفوعاً عنه نفوثة كل فاسق ووقوب الغواسق مصروفاً عنه قوارف السوء مبرراً من العاهات محجوباً عن الآفات معصوماً عن الفواحش معروفاً بالحلم والبر في يفاعه منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه مسنداً إليه أمر والده صامتاً عن المنطق في حياته فإذا انقضت مدة والده وانتهت به مقادير الله إلى مشيئته صار أمر الله إليه فقلّده دينه وجعله الحجة على عباده وقيمه في بلاده وضياءاً لأهل دينه .

أعطاه الله علمه واستودعه سرّه وأحى به مناهج سبله وفرائضه وحدوده فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل وتحير أهل الجدل بالنور الساطع والشفاء النافع والحق الأبلج والبيان من كل مخرج على الطريق المنهج الذي مضى عليه الصادقون من آبائه فليس يجهل حق هذا العالم إلا شقي ولا يجحده إلا غوي ولا يصد عنه إلا من تجرأ على الله وعلى رسوله^(١) .

فالائمة من آل النبي الأعظم (عليه السلام) لم يفقدوا الأمرين معاً : النص من الإمام الماضي والمعجز الخارق للعادة لتتم الحجة على العباد وقد جمعهما الله لزين العابدين فقد تضافرت النصوص النبوية والعلوية على إمامته كما تواترت البراهين النيرة بما يعجز عنه البشر من الخوارق تهذيباً للنفوس وإرشادها إلى الصراط

(١) غيبة النعماني : ص ١٢٠ من خطبة للصادق في وصف الإمام (عليه السلام) .

السوي وتعريفاً للأمة من يجب عليهم التسليم له والإذعان لأمره ونهيه وهكذا حجج الله يتخذون الوسائل لرفع الحيرة عن الناس والسلوك بهم إلى الطريقة المثلى وإليك من دليل إمامته . . .

المعجزات

الأول - ما يرويه سلمان الفارسي والبراء بن عازب عن أم سليم وكانت قارئة للتوراة والإنجيل والكتب الإلهية وعرفت منها أوصياء الأنبياء وأرادت معرفة وصي النبي محمد ﷺ فجاءت إليه وقالت يا رسول الله ما من نبي يموت إلا وله خليفتان خليفة يموت قبله وخليفة يبقى بعده وكان خليفة موسى في حياته أخوه هارون فقبض قبل موسى وكان وصيه بعده يوشع بن نون وخليفة عيسى في حياته كالب بن يوفنا فمات قبله ووصيه من بعده شمعون بن حمون الصفا ابن عمه مريم ﷺ وقد نظرت في الكتب الأولى فما وجدت لك إلا وصياً واحداً في حياتك وبعد وفاتك فبين نفسي أنت يا رسول الله من وصيك .

فقال لها رسول الله ﷺ إن لي وصياً واحداً في حياتي وبعد وفاتي وسألته عنه فأرشدتها إليه من طريق المعجز الذي لا يقوى عليه إلا من كان أمره من الله تعالى وأمرها أن تأتيه بحصاة فرفعت له حصاة من الأرض ففركها بيده حتى صارت كسحق

الدقيق ثم عجنها فإذا هي ياقوتة حمراء وختمها بخاتمه حتى بدا النقش فيها للناظرين وأمرها بالاحتفاظ بها وأن من يفعل مثل هذا فهو وصيّه ثم جاء (عليه السلام) بمعجز آخر وهو قيامه على قدميه ورفع يده اليمنى حتى وصلت السقف ومدّ اليسرى فوصلت الأرض من دون انحناء وعرفها بأن وصيّه مستغن بنفسه في جميع الحالات كاستغنائه بنفسه (عليه السلام) .

وخرجت أم سليم من عنده حاملة بشرى الأبد بما أودع الله في قلبها من نور الإيمان الذي لا تحجبه الشبهات فرأت سلمان الفارسي خصيص الأوصياء وقارئ الكتب المقدسة ملازماً لأمير المؤمنين (عليه السلام) دون غيره من أسرة النبي (عليه السلام) وصحابته وهو على حداثة سنّه فلم يعزب عنها العلم بأن (علم المهتدين) هو المعين بقول الرسول (عليه السلام) «وصيي مستغن بنفسه في جميع الحالات» وقصدته تسأله عن قيامه بالوصية وتطلب منه الدليل عليها .

فأمرها (عليه السلام) أن ترفع إليه حصاة من الأرض فأتته بها ففركها بيده حتى صارت كسحيق الدقيق وعجنها فكانت ياقوتة حمراء وختمها بخاتمه حتى بدا النقش للناظرين وجاء بالمعجز الثاني كما فعل رسول الله (عليه السلام) وقال لها من فعل مثل فعله فهو الوصي بعده .

وخرجت من بعده شاكرة لله بما أفاض عليها من آلائه

مستزيدة منه النعماء بمعرفة الوصي الآخر وإذا بأبي محمد الحسن السبط عليه السلام في الطريق والنور الإلهي يعلوه وهيبة الإمامة تحف به فاستفزها ألق الحق إلى سؤاله عن قيامه بالوصية وهي إذ ذاك متعجبة من سؤالها إياه لاستصغارها سنّه مع أنها لم تفقد صفة الأوصياء الاثني عشر في الكتب الإلهية التي درستها من قبل وهو في جملتها والمقدم فيهم بعد أبيه فعرفّها أبو محمد بأنّه القائم بالإمامة بعد أمير المؤمنين وإذا طلبت منه الحجة عليها أمرها أن تأتيه بحصاة من الأرض فجاءته بها وفركها بيده حتى صارت كسحق الدقيق وعجنها فإذا هي ياقوتة حمراء وختمها حتى بدا النقش ومدّ يده اليمنى وهو قائم فجازت سطوح المدينة وأرسل اليسرى فوصلت إلى الأرض من غير انحناء وعرفّها بأنّ الوصي بعده من يفعل مثله .

فخرجت من عنده مفكرة في ملاقة الوصي بعده فمرّت على رحبة المسجد وإذا بسيد الشهداء على كسر الرحبة فلم تثبته معرفة لصغر سنّه وإن قرأت في الكتب السالفة شمائله وصفاته فقالت له من أنت يا سيدي .

قال عليه السلام أنا طلبتك يا أم سليم أنا وصيّ الأوصياء وأبو التسعة الأئمة الهادية أنا وصي أخي الحسن وأخي وصي أبيه علي وعلي وصي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله .

فسألته العلامة فأمرها أن تأتيه بحصاة وإذا رفعت له الحصاة فركها بيده حتى صارت كالدقيق وعجنها فكانت ياقوتة حمراء وختمها بخاتمه ودفعها إليها لتتنظر ما فيه فنظرت إلى الخاتم فإذا فيه رسول الله وعلي والحسن والحسين وتسعة أئمة أوصياء من ولد الحسين قد تواطأت أسماؤهم إلا اثنين أحدهما جعفر والآخر موسى وهكذا قرأت في الإنجيل .

فازداد عجبها مما جاء به من الدلائل التي لم يأت بها من كان قبله ومع ذلك طلبت منه العلامة الأخرى فتبسّم وقام على قدميه ومدّ يده اليمنى إلى السماء فإذا هي كعود فيه نار يخرق الهواء حتى غابت عن عينها فأدهشها المعجز البديع حتى سقطت مغشياً عليها وإذا به صلوات الله عليه يضرب بطاقة من آس على منخرها فأفاقت من تلك الرائحة الذكية التي لم تذهب عنها مدة من الزمن وبقيت الطاقة عندها على نضارتها وطراوتها ورائحتها وأوصت أهلها بأن يضعوها في كفنها ثم سألته عن الوصي بعده فقال من يفعل مثل ما فعل جده وأبوه وأخوه .

إلى هنا انقطع حديث سلمان الفارسي والبراء بن عازب ولكن زر بن حبیش يحدث بتمام الحديث عن جماعة من التابعين منهم مينا مولى عبدالرحمن بن عوف وسعيد بن جبیر مولى بني أسد عن أم سليم قالت :

جئت إلى علي بن الحسين عليه السلام وهو في منزله قائم يصلي وكان يطول في صلاته ولا يتجاوز ويصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة فجلست تنتظره حتى طال بها المقام فهتت بالانصراف وحانت منها التفاتة إلى خاتم في إصبعه عليه فص حبشي فإذا مكتوب فيه (مكانك يا أم سليم آتيك بما جئت له) ثم أسرع في صلاته وبعد أن فرغ منها أمرها بأن تأتيه بحصاة من الأرض فجاءت بها ففركها حتى صارت كالدقيق وعجنها فإذا هي ياقوتة حمراء وختمها فثبت النقش وفيه أعيان القوم الذين رأتهم يوم اجتماعها بالحسين .

فسألته عن الوصي بعده قال هو من يفعل مثل هذا ولا تدركين من بعدي من يفعل مثلي فأذهلها هذا البرهان عن طلب المعجز الآخر فخرجت من البيت فناداها عليها السلام ارجعي يا أم سليم فرجعت إليه فرأته واقفاً في وسط داره ثم مشى معها إلى البيت وهو متبسم فمدّ يده اليمنى حتى غابت عن عينها وعادت تحمل كيساً فيه دنائير وقرط من ذهب وحق فيه فصوص من جزع كله لها فأخذته وانكفأت إلى منزلها عارفة بهم وبما آتاهم المولى عزّ شأنه من فضل كثار وتبرز على عامة العباد .

وهذا الحديث يرويه بتمامه أحمد بن محمد بن عياش في مقتضب الأثر: ص ٢١ المطبعة العلوية في النجف عن القاضي أبي صالح سهل بن محمد الطرطوسي وقد قدم من الشام سنة (٣٤٠هـ)

عن زيد بن محمد الرهاوي عن عمار بن مطر عن أبي عوانة عن خالد بن علقمة عن عبيد بن عمرو السلماني عن عبدالله بن خباب ابن الأرت عن سلمان الفارسي والبراء بن عازب عن أم سليم .

قال ابن عياش وحدثني به من طريق أصحابنا علي بن حبشي ابن قوتي عن جعفر بن محمد الفزاري عن الحسين المنقري عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي عن زر بن حبيش عن عبدالله بن خباب بن الأرت عن سلمان الفارسي والبراء بن عازب عن أم سليم .

قال ابن عياش وقرأت على أبي بكر محمد بن عمر الجعابي إسناده الحديث للعامة فاستحسن طريقه وطريق أصحابنا فيه وسألته عن القاضي أبي صالح سهل بن محمد الطرطوسي فقال كان ثقة عدلاً حافظاً وسألته عن أم سليم فقال هي امرأة من النمر بن قاسط معروفة من النساء اللاتي روين عن رسول الله ﷺ قال وليست هي أم سليم الأنصارية أم أنس بن مالك ولا أم سليم الدوسية فإن لها صحبة ورواية ولا أم سليم الخافضة التي كانت تخفض الجواري على عهد رسول الله ﷺ ولا أم سليم الثقفية وهي بنت مسعود الثقفي فإنها أسلمت وحسن إسلامها وروت الحديث انتهى مقتضب الأثر^(١) .

(١) نقل المجلسي هذا الحديث بتمامه في البحار: ج ٧، ص ٢٢٦ وفي مرآة =

وفي هذا الحديث دلالة عَلَى أن ملاقاتها لأمير المؤمنين والحسينين عليهما السلام كانت في أيام النبي ﷺ ولذا استصغرت سنّ الحسينين وأن الحصيات كانت متعددة فإنها لما جاءت إلى أمير المؤمنين وطلب منها أن تأتيه بحصاة من الأرض لم تدفع له الحصاة التي طبع عليها النبي ﷺ وإنما رفعت له حصاة من الأرض وهكذا فعلت عند كل إمام وأن تلك الحصيات ببركات تصرفاتهم الخارقة للعادة انقلبت إلى ياقوتة حمراء وأنّ الحسين عليه السلام لما طبع عَلَى الحصاة رأت صور المعصومين أجمع لا نقش أسمائهم وهذا هو الظاهر من قولها فنظرت فإذا فيها رسول الله وعلي والحسن الخ. ويتأكد هذا الظهور من قولها لما طبع السجاد عَلَى الحصاة (نظرت والله إلى القوم بأعيانهم كما رأيتهم يوم الحسين).

ويظهر من قول السجاد عليه السلام «ولا تدركين من بعدي مثلي» أنّ الباقر لم يكن مولوداً مع أنّ الثابت في التاريخ ولادته سنة (٥٨) وله يوم الطف ثلاث سنين ولعله لم يكن حاضراً في المدينة وتوفيت قبل التشرف بخدمته واحتمال حضورها عند السجاد عليه السلام قبل ولادته بعيد.

الثاني - حدّث عبدالله بن سليمان أنّ غانم ابن أم غانم دخل المدينة ومعه أمه يسأل عن رجل من بني هاشم اسمه علي

فأدخلوه على علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب فقال له إن معي حصاة طبع عليها أمير المؤمنين والحسنان (عليهما السلام) وسمعت أنه يختم عليها رجل اسمه علي فنهره علي بن عبدالله بن عباس وكذّبه ووبّخه من حضر من الهاشميين وضربوه وأخذوا الحصاة منه فخرج من عندهم آيساً من معرفة الإمام غير أنّ سيد الشهداء أتاه في المنام ومعه الحصاة مرشداً إلى إمام الحق زين العابدين (عليه السلام) فإنه بغيته وعنده دليل الإمامة فانتبه فرحاً بهذه السعادة الخالدة وعند الصباح قصد سيد الساجدين فختم له على الحصاة كما فعل جده وعمه وأبوه وقال له إن في أمرك لعبرة فلا تخبر به أحداً فأنشأ غانم ابن أم غانم :

أتيت علياً أبتغي الحق عنده	وعند علي عبرة لا أحاول
فشدّ وثاقي ثم قال لي اصطبر	كأنني مخبول عراني خابل
فقلت لحاك الله والله لم أكن	لأكذب في قولي الذي أنا قائل
فخلّى سبيلي بعد ضنك فأصبحت	مخلّاة نفسي وسربي سابل
وقلت وخير القول ما كان صادقاً	ولا يستوي في الدين حق وباطل
ولا يستوي من كان بالحق عالماً	كآخر يمسي وهو للحق جاهل
وأنت الإمام الحق يعرف فضله	وإن قصرت عنه النهى والفضائل،
وأنت وصي الأوصياء محمد	أبوك ومن نيّطت إليه الوسائل ^(١)

الثالث - روى جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أن حبابة الوالبية دخلت على علي بن الحسين باكية فسألها عن بكائها قالت جعلني الله فداك إنَّ أهل الكوفة يقولون لو كان علي بن الحسين إمام حق كما تزعمين لأذهب هذا الذي بوجهك من الوضح فاستدناها منه ودعا الله بما لم تفهمه ثم مسح بيده المباركة على وجهها ثلاث مرات فأذهب الله ببركة دعائه ما كان بوجهها من الوضح ^(١).

وغير خفي أن الإمام الذي جعله الله تعالى أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما جعل ذلك لنبي الأمة ﷺ تكون له الولاية المطلقة عليهم أجمع فيتصرف فيهم حسبما تقتضيه المصلحة فلا غرابة في أن يمر يده الشريفة على وجه امرأة أجنبية فإنه تصرف في ما له التصرف فيه وقد فعل المسيح ﷺ مثله.

وحبابة بتشديد الباء الموحدة الأولى ^(٢) كنيته أم الندى وأبوها جعفر الأسدي الوالبي ^(٣) نسبة إلى بني والبة بطن من بني أسد وهم بنو والبة بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة عاشت إلى أيام الرضا عليه السلام ورأت منه برهان الإمامة وماتت في أيامه.

(١) دلائل الإمامة: ص ٩٣.

(٢) القاموس بمادة حبيب.

(٣) إعلام الوری (للطبرسي): ص ٢١٤.

الرابع - روى أبو النمير علي بن يزيد قال كنت مع علي بن الحسين عندما انصرف من الشام إلى المدينة مع عياله فكنت أحسن إلى نسائه أتوارى عنهن إذا نزلوا وأبعد عنهم إذا رحلوا فلما نزلوا المدينة بعثوا إليّ بشيء من الحلي فلم آخذه لأنّي إنما فعلت ذلك تقرباً لله ولرسوله فجزاني علي بن الحسين (عليه السلام) بأعظم منه فإنه أخذ حجراً أسود صلداً وطبع عليه وأعطانيه لأقضي منه كل حاجة فوالله الذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق لقد كنت أجعله في البيت المظلم فيسرج لي وأضعه على الأقفال فتفتح لي وآخذه بيدي وأقف بين يدي الملوك فلا أرى إلا ما أحب^(١).

الخامس - روى الزهري أن بعض أصحاب علي بن الحسين شكا إليه ديناً يبلغ خمسمائة دينار وقد عجز عن وفائه فأخذ (عليه السلام) يبكي فسأله الرجل عن بكائه قال وهل البكاء إلا لمحن الكبار وأي محنة أكبر من أن يرى الإنسان أخاه المؤمن في حاجة لا يتمكن على قضائها وفي فاقة لا يطيق دفعها فقال من حضر من أهل الخلاف عجباً لهؤلاء بينا يدعون أن السماء والأرض وكل شيء في طاعتهم وأن الله تعالى لا يردهم عما يريدون ثم يعترفون بالعجز عن إعانة خواصهم فكبر على الرجل طعنهم في إمام الحق أكثر مما انتابه من الحاجة فدخل على زين العابدين

وعرّفه بطعن فلان وفلان وأنّ قولهم في إمامه أشدّ مما هو فيه من المحنة .

فطمّنه الإمام بالفرج ثم دعا بفطوره فجيء له بقرصين وقال للرجل خذهما فليس عندنا غيرهما وسيكشف الله تعالى بهما كربتك ويعطيك خيراً ببركتهما فأخذهما الرجل ولا يدري ما غناؤهما في قضاء دينه وستر عياله فمرّ بسمّاك بارت عليه سمكته فابتاع السمكة بقرص وأخذ بالقرص الثاني بعض الملح وجاء بها إلى أهله .

فلما شقّ بطن السمكة وجد في جوفها لؤلؤتين وبينما هو يفكر في ما أنعم الله به عليه وإذا بصاحب السمكة والملح يطرقان عليه الباب ويقولان إنا جهدنا في أكل القرصين فلم تعمل فيهما أسناننا وما نظنك إلّا وقد تناهيت في سوء الحال وقد سوغناك السمكة والملح والقرصين وبعد انصرافهما أتاه رسول علي بن الحسين عليه السلام يقول إنّ الله تعالى قد فرّج كربتك فاردد إلينا طعامنا فإنه لا يقوى عليه غيرنا وباع الرجل اللؤلؤتين بمال كثير قضى منه دينه وحسنت حاله .

فقال أولئك النفر ما أشدّ هذا التفاوت بينا علي بن الحسين لا يقدر أن يسدّ خلّة الرجل وإذا به قد أغناه وبلغ السجادة عليه السلام قولهم فقال هكذا قالت قريش لرسول الله كيف يمضي إلى بيت

المقدس ويشاهد ما فيه من الآثار في ليلة واحدة وهو لا يقدر أن يبلغ المدينة من مكة إلا في اثني عشر يوماً.

ثم قال (عليه السلام): جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه ألا وإنّ المراتب الرفيعة لا تنال إلا بالتسليم لله جلّ ثناؤه وترك الاقتراح عليه والرضى بما يدبرهم به إنّ أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لم يساهمهم فيه غيرهم فجازاهم عن ذلك بنجح جميع طلباتهم ومن ذلك أنهم لا يريدون إلا ما يريد جلاله شأنه^(١).

السادس - روى محمد بن علي مؤلف كتاب الأنبياء والأوصياء أنّ رجلاً دخل على علي بن الحسين وعنده أصحابه وقال أنا قائف عراف فقال (عليه السلام) هل أدلك على رجل قد مرّ منذ

(١) أمالي الصدوق: ص ٢٧١ مجلس ٦٩ وروضة الواعظين: ص ١٦٨ وبهذا الحديث وغيره استدللّ صاحبها الرياض والجواهر في كتاب اللقطة في مسألة من وجد في جوف سمكة شيئاً على ملكية الواجد له وفي بدائع الصنائع: ج ٥، ص ١٦٧ لعلاء الدين الحنفي في البيع إذا اشترى سمكة فوجد فيها لؤلؤة تكون اللؤلؤة للمشتري لأنّ السمك يأكل الصدف فصار من أجزائها كما لو اشترى سمكة فوجد فيها سمكة أنّ الثانية تكون للمشتري نعم لو اشترى دجاجة فيها لؤلؤة تكون اللؤلؤة للبائع لأنّ اللؤلؤ لا يتولد من الدجاج ولا هو من علفها فلا يدخل في بيعها وقال أبو يوسف كل شيء مما لا يأكله الطير فهو للبائع.

دخلت علينا في أربعة آلاف عالم قال القائف من هو فقال ﷺ أما الرجل فلا أذكره ولكن إن شئت أخبرتك بما أكلت وادّخرت في بيتك إنك أكلت هذا اليوم حيساً وادّخرت عشرين ديناراً منها ثلاثة دنائير وازنة^(١) فاعترف الرجل بذلك وشهد بأنه الحجة الذي لا يزيغ قوله وهو المثل الأعلى وكلمة التقوى فقال ﷺ له وأنت صديق امتحن الله قلبك بالإيمان فثبت^(٢).

وقد أشار صلوات الله عليه بقوله: (مرّ في أربعة آلاف عالم) إلى النور المودع فيه وبه كان هو والخلفاء من آبائه وأبنائه يتمكنون من الوقوف على ما كان ويكون والتحديد بهذا العدد لم يكن للحصر بحيث لا يتجاوز علمه إلى أكثر منه وإنما المقصود منه التقريب إلى الأذهان ببيان سعة ما لهم الوقوف عليه وقد ورد نظيره في تحديد ما علمه أمير المؤمنين من رسول الله ﷺ وهو ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب إذ ليس المقصود قصر علم سيد الأوصياء على ذلك وإنما الغرض الإشارة إلى كثرة معلوماته ولذا ورد في بعض الأحاديث (ينفتح منه ألف ألف باب) فالاختلاف في الأحاديث للتعريف بسعة المعلومات.

(١) الوازنة في تاج العروس: ج ٩، ص ٣٦١ الدرهم الذي يتعامل به الناس.

(٢) فرج المهموم (لابن طاووس): ص ١١١ وروى نحوه في بصائر الدرجات: ص ١١٧ وفيه قوله (أما الرجل فأنا).

السابع - أن أبا خالد الكابلي قال كنت أقول بإمامة محمد بن الحنفية فلقيني يحيى بن أم الطويل ودعاني إلى علي بن الحسين فامتنعت فقال لي ما ضرّك أن تقضي حقي وتلقاه مرة واحدة فصرت معه ورأيتَه جالساً في بيت مفروش بالمعصر ملبس الحيطان وعليه ثياب مصبغة ولما أردت النهوض قال (عليه السلام) لي صر إلينا من الغد فخرجت من عنده وقلت ليحيى أدخلتني على رجل يلبس المصبغات وعزمت على عدم الرجوع إليه ولكنني فكرت في عدم البأس من المصير إليه وفي الغد أتيت الدار فلم أر أحداً فهمت بالرجوع وإذا به يصيح ادخل ثلاث مرات فظننت أنه يريد غيري .

فصاح ادخل يا كنكر فأخذني العجب من معرفته باسم سمتني به أمي ولم يعرفه غيرها فدخلت عليه فوجدته جالساً على حصير بردي في بيت مطين وعليه قميص كرايس فقال (عليه السلام) يا أبا خالد إني قريب عهد بعرس وما رأيتَه بالأمس من فعل الزوجة ولم أحب خلافها .

ثم قال إن شئت أريتك الجنة التي هي مسكني قلت نعم فمسح على عيني فرأيت كأنني في الجنة أنظر إلى قصورها وأنهارها وبقيت مدة أنظر إلى ذلك ثم مسح على عيني فإذا أنا بين يديه^(١) .

ثم سأله ﷺ عن معنى كنكر فلم يفهم معناه فقال ﷺ كنت ثقيلاً في بطن أمك فكانت تقول بلغت يا ثقيلاً الحمل^(١).

وليس من البدع أن تتصرف يد الإمامة في الأشياء تطيباً للنفوس وتثبيتاً للعقائد كما فعل موسى بن عمران مع السحرة الذين آمنوا به وأراد فرعون قتلهم فإنه ﷺ أراهم منازلهم في الجنة^(٢) وفعل سيد الشهداء مع أصحابه الغلب الصيد الذين وصفهم أمير المؤمنين ﷺ بأنهم سادة الشهداء لم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق فأراهم أبو الأئمة منازلهم في الجنان وفعل أبو الحسن الهادي مع صالح بن سعيد حين تعجب من إنزالهم إياه في خان الصعاليك فقال له لست كما ترى ثم أمره أن ينظر فإذا هو في روضات أنيقات وأشجار وأطيار وحوار وولدان فقال له الهادي ﷺ حيث كنا فهذا لنا^(٣). وليس الغرض من قوله ﷺ (حيث كنا) بيان لجلوسه في تلك الروضات وإنما أراد أن يعرفه بأنه مهما جرى عليهم من الظلم والقهر والتحقير فنتيجته هذا الرضوان والنعيم. ثم إن أبا خالد طلب من محمد بن الحنفية وكان يخدمه سبع سنين الدرع والمغفر اللذان هما لرسول الله ﷺ

(١) مدينة المعاجز (للسيد هاشم البحراني): ص ٣١٧.

(٢) أخبار الزمان (للمسعودي): ص ٢٤٧.

(٣) الإرشاد (للشيخ المفيد).

فقال له إنهما عند علي بن الحسين (عليه السلام) وصار إليه من الغد فرأى الباب مفتوحاً فتعجب لأن أبواب الأئمة مغلقة ولما قرع الباب ناداه زين العابدين ادخل يا أبا خالد وبعد أن استقر به المجلس ابتدأه الإمام بقوله: إنا حجج الله وخزانه وحيه فينا النبوة والإمامة ومختلف الملائكة وبنا يفتح الله وبنا يختم.

فحمد الله أبو خالد على ما أنعم عليه من الهداية إلى طريق الحق وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن علي بن الحسين حجة الله على خلقه.

ثم بين له الإمام السبب في فتح الباب وهو أن الجارية خرجت ولا علم لها بالتواء الباب مفتوحاً ولا يجوز لبنات رسول الله أن يبرزن فيصفقنه وأمر الغلام أن يأتيه بالسفط فأخرج منه الدرع والمغفر فلبسهما وقام على قدميه فكأنما أفرغا عليه وقال هكذا كانا على جدي رسول الله وعلى أمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين^(١).

وسأله أبو خالد عن الذين فرض الله مودتهم على العباد وأوجب عليهم الاقتداء بهم بعد رسول الله (عليه السلام) فقال يا أبا خالد إن أولي الأمر الذين جعلهم الله أئمة للناس وأوجب طاعتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم انتهى الأمر إلينا.

فقال له يا سيدي روي لنا أن أمير المؤمنين قال لا تخلو الأرض من حجة لله على عباده فمن الإمام والحجة بعدك قال عليه السلام ابني محمد واسمه في التوراة باقر يبقر العلم فهو الإمام والحجة على الخلق وذكر الأئمة بعد الباقر عليه السلام وما يجري عليهم من المحن وأن الغيبة تمتد بالثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وأن أهل زمانه القائلين بإمامته المنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والمعرفة ما صارت الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف أولئك هم المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهرّاً وأن انتظار الفرج من أفضل الأعمال^(١).

الثامن - ما روي عن الباقر عليه السلام قال خرج أبي علي بن الحسين حاجاً فلما بلغ وادياً بين مكة والمدينة وإذا لص يقول انزل ودع جميع ما عندك فقال له أبي إني أقاسمك ما عندي وأحلّه لك فلم يقبل فقال عليه السلام أين ربك قال اللص إنه نائم فلم يشعر الرجل إلاّ وأسدان أخذ أحدهما برأسه والآخر برجله فقال عليه السلام له زعمت أن ربك نائم^(٢).

(١) إكمال الدين (للصدوق): ص ١٨٤.

(٢) الاثنى عشرية في المواعظ العديدة: ص ٣٢ تأليف محمد بن محمد بن الحسن المعروف بابن قاسم الحسيني العاملي.

التاسع - التزقت يد رجل وامرأة على الحجر الأسود فكلما أراد الناس نزعهما لم يتمكنوا وبينما هم على هذا إذ دخل علي بن الحسين ووقف على حالهما فوضع يده عليهما فانحلت يداهما وتفرقا^(١).

العاشر - أنه (عليه السلام) قال موت الفجأة تخفيف للمؤمن وأسف للكافر وإن المؤمن ليعرف غاسله وحامله فإن كان له عند ربّه خير ناشد حملته أن يعجلوا به وإن كان غيره ناشدهم أن يقصروا به.

فقال ضمرة بن سمرة^(٢) إني أقفز من السرير وضحك وأضحك فقال زين العابدين اللهم إن ضمرة ضحك وأضحك لحديث ابن رسول الله فخذهُ أخذ أسف ثم قام (عليه السلام) فما أسرع أن أتاه مولى له يقول له لقد مات ضمرة فجأة وسمعتة يقول الويل لضمرة بن سمرة تخلى مني كل حميم وحللت بدار الجحيم لها مبيتي والمقيل فقال (عليه السلام) الله أكبر هذا جزاء من ضحك وأضحك من حديث ابن رسول الله^(٣).

(١) كشف الغمة (للإربلي): ص ٢٠٩.

(٢) سمى السيد محسن الأمين في الصحيفة الخامسة: ص ٤٩١ أباه معبداً وسمرة لعله صاحب النخلة التي أمر النبي ﷺ بقلعها وقال لا ضرر ولا ضرار وقصته مشهورة وعاقبته سيئة والشجرة المرة لا تنبت إلا مرّاً وإن طليت بالعسل.

(٣) الخرائج (للراوندي): ص ٩٠.

الحادي عشر - ما رواه عبدالله بن عطاء التميمي قال كنت مع علي بن الحسين في المسجد إذ مرّ عمر بن عبدالعزيز وعليه نعلان شراكهما فضة وكان من أمجن الناس فقال عبدالله بن عطاء إنّ الله هذا الفاسق يلي الناس فقال عليه السلام نعم ولا يلبث إلا يسيراً حتى يموت فيلعنه أهل السماء ويبيكه أهل الأرض^(١).

وما عمله من التظاهر بالزهد والإنكار على أهل بيته من المظالم التي فعلوها ورفع السب عن أمير المؤمنين ورد فذك على بني هاشم إلا كله رياء وتصنع طمعاً في أن تستوسق له الأمور وتنقاد له الناس لما عرف من إنكارهم على أهل بيته المجدين في الموبقات وهتك حرّات الله والتمرد على ما جاءت به الشريعة ولو كان ما نسبوه إليه من النسك والتخوف من الطغيان والتعدي على أوامر المولى سبحانه حقيقياً لردّ الخلافة إلى أهلها واعترف بإمامة زين العابدين وولده مع اشتهاار الحديث عن النبي ﷺ بأسماء من يلي الخلافة عنه.

والعجب منه أنّه لما ولي المدينة أيام الوليد بن عبد الملك سنة (١٨٧) أحضر عروة بن الزبير وأبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وعبدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود إلى غيرهم من فقهاء

(١) دلائل الإمامة: ص ٨٨ وبصائر الدرجات - المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

يطلب منهم العون عَلَى أمر الدين وتقويمه عند الاعوجاج كيلا يزلّ فيهوي في النار^(١) ولو كان صادقاً في زعمه فأين هو عن إمام المتّقين وزينة المهتدين ذي الفضل الشامخ محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام) إذ لم يخفَ عليه فضله ولا تقدّمه عَلَى أولئك الفقهاء ولكنه مصانع محتال يعمل رياءً ويقول كذباً ويحكم باطلاً.

يشهد له أنّه في بعض الأيام أمر مناديه ينادي من كانت له مظلمة فليأتِ دار عمر بن عبدالعزيز فدخل عليه أبو جعفر الباقر (عليه السلام) فرآه يبكي فقال له إنما الدنيا سوق من الأسواق يبتاع فيها الناس ما ينفعهم وما يضرّهم وكم قوم ابتاعوا ما ضرّهم فلم يصبحوا حتى الموت فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا ما ينفعهم وصاروا إلى من لا يعذرهم فنحن والله حقيقون أن ننظر إلى تلك الأعمال التي نتخوّف عليهم منها فكف عنها واتّق الله واجعل لنفسك اثنتين انظر إلى ما تحب أن يكون معك إذا قدمت عَلَى ربّك فقدّمه إلى بين يديك وانظر إلى ما تكره أن يكون معك إذا قدمت عَلَى ربّك فارمه وراءك ولا ترغبن في سلعة بارت عَلَى من كان قبلك فترجو أن يجوز عنك وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانصف المظلوم وردّ الظالم ثلاثة من كن فيه استكمل الإيمان بالله من إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ومن إذا غضب لم يخرج منه غضبه من الحق ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

(١) تاريخ الطبري: ج٧، ص٧١ وكامل ابن الأثير: ج٤، ص٢٠١.

فدعا عمر بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ردّ عمر بن عبدالعزيز ظلامة محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بفدك^(١).

وما قيمة فدك وغير فدك بإزاء الخلافة الإلهية المجعولة لذرية النبي ﷺ من الله سبحانه ولو كان ابن عبدالعزيز صادقاً في تخوّفه وبكائه من النار الكبرى لردّ الخلافة إلى أهلها وهل ظلامة أحد أكبر من ظلامة أهل البيت في عدم إرجاع الحق إليهم وتعريف الأمة أنهم الأولى ممن تسنم منبر النبوة بغير رضا من الله ولا من رسوله وكان الواجب عليه خلع نير الضلال من عنقه رضي بذلك أهله أو لم يرضوا وما قدر غضبهم وغضب الناس أجمع بإزاء رضى الله ومثله لم يجهل المعنيين بالخلافة الكبرى وأحاديث الرسول ﷺ بتعيين القائمين بالأمر أمامه وللأنباء بذلك دويّ في مسامعه أجل لا يترك السلطان والملك وخفقان الرايات ولقد اغترّ بهذا من كان قبله كما اعترف به الغزالي في سرّ العالمين: ص ٩٩^(٢).

(١) الخصال (للصدوق): ج ١، ص ٥١ ومناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٩٣.

(٢) نص على نسبة كتاب سرّ العالمين إلى الغزالي الذهبي في ميزان الاعتدال: ج ١، ص ٢٣٢ مصر وابن حجر في لسان الميزان: ج ٢، ص ٢١٥ وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ص ٣٦ وجرجي زيدان في آداب اللغة العربية: ج ٣، ص ٩٨.

وقد تنبّه لهذه الظاهرة الشريف الجليل السيد حيدر الآملي فقال لما وضح لابن عبدالعزيز ميل الناس عن بني أمية لإفراطهم في سب باب مدينة علم الرسول وأخذت الأندية تلهج بوخامة هذه الدنية أراد أن يبرّر موقفه أمام الناس فأظهر الاستياء من هذه الفعلة ومنع العمال والولاة مما اعتادوه من لعن أمير المؤمنين وردّ على العلويين «فدكاً» رجاء أن يستميل القلوب ويستتوي الأفتدة، وإلاً فهو على ما جبل عليه من العداء فإنّ الشجرة المرة لا تنبت إلاّ مرّاً^(١) وقال الجاحظ الذي حسن أمر عمر بن عبدالعزيز وشبهه على الأغبياء حاله أنه قام بعقب قوم قد بدّلوا عامة شرائع الدين وسنن النبي (صلى الله عليه وآله) وكان الناس قبله من الظلم والجور والتهاون بالإسلام في أمر صغر ما عاينوه من القوة وألفوه عليه فجعلوه بما نقص من تلك الأمور الفضيعة في عداد الأئمة الراشدين وحسبك من ذلك أنهم كانوا يلعنون علياً (عليه السلام) على منابرههم فلما نهى عمر عن ذلك عدّوه محسناً^(٢).

وإنّ حديث الصادق (عليه السلام) يكشف لنا ما أبهم على الناس من حاله قال (عليه السلام) لما ولي عمر بن عبدالعزيز أعطانا عطايا عظيمة فدخل عليه أخوه وقال له إنّ بني أمية لا ترضى منك بأن تفضل

(١) الكشكول في ما جرى على آل الرسول: ص ١٥٦.

(٢) رسالة الجاحظ في بني هاشم من رسائله جمع السندوسي: ص ٩١.

بني فاطمة عليهم فقال أفضلهم حتى لا أبالي ألا أسمع لأني سمعت أنّ رسول الله ﷺ يقول فاطمة شجنة مني يسرني ما سرّها ويسوءني ما ساءها فأنا أتبع سرور رسول الله ﷺ وأتقي مساءته^(١).

ويفيدنا هذا الحديث أنّه إنما أراد بما صدر منه رفع السبّ عنه والتحبب إلى الناس بإظهار العدل والمساواة في الرعية وأنّ الرحيم لا يحركه على العصبية لقومه ولو كان صادقاً في دعواه التحبب إلى رسول الله ﷺ وإدخال السرور عليه بالإحسان إلى ذريّته لسلم الخلافة إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام لم يبلغه عن رسول الله أنّه المستحق لها وهل يخفى أمرها عليه مع الشيوع بين الأمّة أليس في إرجاع الخلافة إلى أهلها مرضاة لنبي الإسلام والإمام الصادق عليه السلام في هذا الحديث أراد أن يلفت أنظار الأمّة إلى كذب المرواني في دعواه الإحسان إلى ذريّة النبي ﷺ وحيث لم يسع الإمام المجاهرة بكذبه سلك هذا النحو من البيان.

كيف يكون هذا الحديث دالّاً على حسن حاله وهو عليه السلام القائل للحسين بن أبي العلاء لو أنّ الناس تبعوا علي بن الحسين عليه السلام وتركوا عبد الملك بن مروان لاهتدوا الطريق فقال له

(١) قرب الإسناد (لعبدالله بن جعفر الحميري): ص ٧٢ النجف (المطبعة الحيدرية).

الحسين بن أبي العلاء من مات لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ميتة كفر قال لا ميتة ضلال^(١).

والمقصود من نفي الكفر عنهم نفي أحكام الكفار من النجاسة ونحوها وإن كانوا في الآخرة معدودين منهم لتواتر الحديث عن النبي ﷺ من لم يأت بولاية الخلفاء من عترته كان عمله هباءً.

وإن المحاورة بينه وبين الرجل الخراساني تزيدنا وثوقاً بأنّ المرواني من المدلسين الذين اتّخذوا الزهادة والاستماع إلى كلام الوعاظ والبكاء من خوف ما حذروه منه فخاً لا صطياد الدنيا والتقلب في حطامها وإلاّ فقد اعترف في هذه المحاورة بأنّ رسول الله لم ينص عليه ولا أجمع المسلمون على توليته^(٢) مع اعترافه بأنّ علي بن الحسين سراج الدنيا وجمال الإسلام وزين العابدين وقال في الباقر (عليه السلام) إنّ أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل^(٣).

ومهما تظاهر بالتقشّف وتستر بالزهد عن أعمال العصبية الموروثة له من أبيه وأمه فلقد ظهر منها في أقواله وأعماله منع

(١) البحار: ج ٧، ص ١٦ عن المحاسن (للبرقي).

(٢) البحار: ج ١١، ص ٩٧ عن أعلام الدين.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٣، ص ٤٨، النجف (المطبعة الحيدرية).

أهل العراق من الزيادة في العطاء وقد زاد أهل الشام في أعطياتهم عشرة دنانير^(١) ولا ذنب لهم سوى ميلهم لآل علي عليه السلام وانحرافهم عن بني أمية وأهل الشام مخلصون في الولاء للأُمويين حتى إن أبا الطفيل عامر بن واثلة لمجاهرته في فضل أمير المؤمنين علي وأبنائه المعصومين عليه السلام منعه من العطاء معتذراً بأنه يريد الوثبة عليه مع إمام الحق وفيما قال: بلغني أنك صقلت سيفك وشحذت سنانك ونصلت سهمك وأعلقت قوسك تنتظر الإمام القائم حتى يخرج فإذا خرج وقاك عطاءك فقال أبو الطفيل إن الله تعالى سائلك عن ذلك فاستحيي عمر منه^(٢).

ولو كان ابن عبدالعزيز في العدل والزهد والخوف من النار الكبرى كما نسبه إليه من يريد الفضل للبيت الأموي الخالي من كل محمدة لعرف حرمة هذا الرجل الصحابي المجاهد مع صاحب الدعوة الإلهية ردحاً من الزمن ولم يأخذه بقول الوشاة حتى يثبت ويستبين له الأمر والرجل لم يشق عصا المسلمين ولم يخرج على السلطان ولا سعى في هدم دولة الباطل وقد ألزمه إيمانه المشفوع برسوخ العقيدة بالدخول في ما دخلت فيه الأمة مع الخضوع للأئمة من آل الرسول ﷺ فلم يبرح ناشراً ما سمعه

(١) تاريخ يعقوبي: ج ٣، ص ٤٨، النجف (المطبعة الحيدرية).

(٢) المصدر: ص ٥٠.

من المنقذ الأكبر (عليه السلام) في حق وصيه المقدم وأبنائه الميامين لا يأبه في إظهار الحق سطوة السلطان الجائر.

لكن ابن عبدالعزيز المرواني الخطابي^(١) لم يرقه هذه السيرة من أبي الطفيل في نشر فضائل عترة النبي (عليه السلام) وهو يعلم خلو البيت الأموي من كل فضيلة رابية عار عن محاسن الأخلاق واغتياله بالقتل ينافي ما كان يتصنع به من التخوف في إراقة الدماء فلم ير وسيلة لمقابلته إلا بالمنع من العطاء ومن العجيب أنه يمنع هذا الصحابي عطاءه وهو في حاجة إليه ويشترى جارية بعشر حدائق ويهبها لفتى من بني أمية من ولد عثمان بن عفان كان متعشقا بها^(٢).

أهذا هو العدل في الرعية أهذا هو إنصاف المظلوم - لا - .

أما هذا الصحابي فلم توقفه الأثرة والحرمان عن جهاده المتواصل فلقد كان يجابه الأمراء بما هو أمر من الحنظل وأشد من حز المدى.

دعاه معاوية وكان عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وعبدالرحمن بن أم الحكم وعتبة بن أبي سفيان وسعيد بن العاص

(١) أبوه عبدالعزيز بن مروان بن الحكم طريد رسول الله (عليه السلام) وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

(٢) مروج الذهب (للمسعودي): ج ٢، ص ١٧١.

وابن أبي سرح فلما استقرّ به المجلس أخذ الجماعة يهزءون به فالتفت إلى معاوية وقال إنهم نطقوا بغير الحق وتكلّموا بغير ألسنتهم فإنّ عمرو الشانئ لرسول الله ﷺ أنطقته مصر وأنطقت عبدالرحمن أمه أم الحكم فلا جواب لمن لا حياء له في الدين ولا دنيا فقد وهبناه لها وأخوك عتبة ممن لا يرجى ولا يخشى ولا يضر ولا ينفع وابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وولّيه وكتبه وصدّ عن سبيله وبغاها عوجاً فويل للقاسية قلوبهم وأنطقت ابن العاص مكة .

ثم قال لعمرو أكفراً بعد إيمان ونقضاً بعد توكيد وأنا من الحكمين ومنكم بريء فقد قال الله ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١) وقال لمروان ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٢) وقال لعتبة ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾^(٣) وقال لعبد الرحمن ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾﴾^(٤) وقال لابن أبي سرح ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيِنِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ

(١) سورة المائدة: ٤٥ .

(٢) سورة النساء: ١٤ .

(٣) سورة المؤمنون: ٤٦ .

(٤) سورة النازعات: ٣٧ - ٣٩ .

غَيْرِهِ ^(١) وقال لسعيد ﴿فَذَرُّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ^(٢) .

فقال له معاوية أأست من قتلة عثمان قال لا ولكني ممّن حضره ولم ينصره قال له وما منعك من نصره قال لم ينصره المهاجرون والأنصار. فقال معاوية أما لقد كان حقّه واجباً عليهم أن ينصروه فقال أبو الطفيل فما منعك من نصره ومعك أهل الشام قال معاوية أما طلبي بدمه نصرة له فضحك أبو الطفيل وقال أنت وعثمان لكما قال الشاعر ^(٣) :

لألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي
إن هذه المحاورة تفيدنا فقهاً بتشيع الرجل وموالاته الصادقة
لأمير المؤمنين علي وولده الأَطْهَارِ إذ لم يعبأ بسلطان معاوية ولا
دنياه الزاهية وعطائه الجزيل لمن انحرف عن آل الرسول ﷺ .

أضف إلى ذلك أنه ممّن اختصّه (أبو الريحانتين) بسره الذي لا يحتمله إلاّ ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان قال له أمير المؤمنين إني لو حدثت عامة شيعتي الذين بهم أقاتل والذين أقرّوا بإمامتي وطاعتي وسمّوني أمير المؤمنين

(١) سورة الأنعام: ٦٨ .

(٢) سورة المؤمنون، تنقيح المقال (للحجة الشيخ عبدالله المامقاني): ج ٢، ص ١١٩ .

(٣) مروج الذهب: ج ٢، ص ٦٢ وتاريخ الخلفاء (للسيوطي): ص ١٣٤ .

واستحلّوا جهاد أعدائي ببعض ما أعلم من الحق في كتاب الله الذي نزل به جبرائيل على محمد ﷺ لتفرّقوا عني حتى أبقى في عصابة من الحق قليلة أنت وأشباهك من شيعتي .

ففرع أبو الطفيل من قوله وقال يا أمير المؤمنين أنا وأشباهي نتفرّق عنك أو نثبت معك قال ﷺ بل تثبتون إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرفه ولا يقرّ به إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان يا أبا الطفيل قبض رسول الله ﷺ فارتدّ الناس ضلالاً وجهالة إلّا من عصمه الله بنا أهل البيت ﷺ^(١) .

التعريف بالصحيفة الكاملة

الزلفى علبة كمال المعرفة لأنّ الإنسان كلما زاول مبدأً أو قرب من عظيم زالت بينهما الحواجز وتضاعف العلم بخصوصياته والعرفان بموارد سخطه ورضاه فلا محال يحاول ارتكاب موجبات الرضا والاجتناب عن بواعث الغضب ويخضع له خضوع واجل من بطشه أمل للمزيد من نيله وكلما اشتدّ اليقين بأن هذا العظيم لا يجري الأشياء إلاّ على ناموس المصالح يعتقد العبد أن العقوبات الناشئة من جرّاء مخالفته على وفق العدل وإن زوي عنه العلم بخصوصياته وإذا كان الحال كما وصف يكون الخوف والرجاء في كل حين مزيج نفسية الإنسان الكامل فلا يفتأ متضرّعاً ومستقيلاً ومستمنحاً من سيّده جلّ شأنه .

ولقد كان الإمام السجاد عليه السلام في أعلا صهوة من هذا المرتقى بمقتضى ظروفه بين ضراعة وابتهاال مشفوعين ببلاغة هي حلية منطقته وبراعة لا يعدوها كيفما يقول وينطق فجاءت له جمل ضافية تطفو عليها المعارف الإلهية فاستفادت الأمة منها أطوار

العبودية وتعرّفوا كيفية الوقوف أمام المولى سبحانه عندما يعترفون بالحبوبة المقفأة بالتوبة وكيف تستمنح رحمته ويستدفع غضبه وهذا كله ضمّته (الصحيفة المقدّسة) بين دفتيها فعادت غرة في جبهة الدهر ودرة على صدر الفضيلة يزدان بها الإخلاص في العمل وتحدو إلى السير في مراتب اليقين حتى يقف على حقّه ويعبر بها من الفناء إلى البقاء فكانت للأحقاب أذن واعية بهتافها وكان للجديدين طرف شاخص إلى هاتيك البلاغة التي تنظم الدراري وتشر الدرر.

لقد تركت البصائر حائرة في أنها هل هي أقوال ملك كريم تصكّ سمع البصير أو أمير ينظم الكلم كيف يشاء أو عارف خضعت له المعاني الفخمة أو عبد استلان شوارد الجمل فاستمطر رحمة ربّه سبحانه عطاءً غير مجذوذ أو هي صحيفة يبضاء يرتل حروفها الصالحون أو كتاب العبودية الخالد في يمين العصور فتبتهج بهتافها ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِي﴾. إنّ القارئ جدّ عليم عندما يمرّ بالصحيفة الكاملة (زبور آل محمد) بإمعان ودقّة نظر يتجلى له سير الإمام (عليه السلام) في هذه الأدعية لتحصيل الغاية المتوخاة لصاحب الدعوة الإلهية المنقذ الأكبر «محمد (عليه السلام)» بالتخلية بالخلق الكامل والتخلية عن المساويئ الذميمة وما يلزم الأمة من الاجتماع والتضامن وحفظ حقوق الإخوان ومراعاة الآباء والأولاد وشكر المنعم والموافاة على المعروف وكل ما يلزم

البشر في حالتي الحزن والفرح والصحة والمرض والعسر واليسر
وما في الكون من عجيب الخلقة وإحكام الصنعة ودقيق الفطرة:

هو الكتاب الناطق الربوبي	ومخزن الأسرار والغيوبي
يفصح عن مقام سر الذات	يعرب عن حقائق الصفات
زبوره نور رواق العظمة	يفوق كل الزبر المعظمة
زبوره في الحمد والتمجيد	زينة عرش ربّه المجيد
فيه من الإخلاص والتوحيد	ما لا ترى عليه من مزيد
لسانه في موقع التلاوة	عين الحياة معدن الحلاوة
وكيف لا وإنما لسانه	مهبط وحي الله جلّ شأنه ^(١)

إنّ الأئمة من آل الرسول ﷺ وإن أقعدتهم السلطة الغاشمة في
دورهم وأوصدت عليهم أبواب الاجتماع بشيعتهم ومنعتهم من
الانتفاع بمعارفهم والاستضاءة بأنوار تعاليمهم القدسية ليأمنوا في
سبيل السير إلى المهيمن جلّ شأنه كل عقبة كؤود لكنهم وهم
العارفون بأساليب البيان كانوا يتحرون الوسائل لتعريف الناس ما
يجب عليهم في هذه الدنيا الفانية للفوز بخلود الجنان والخلاص من
لهب النيران وإفهام الملاء أعمال الجبابة المائلين عن الصراط
السوي المجدين في محق الدين المتلاعبين في آثار النبوة الخالدة.

(١) من أرجوزة لحجة الإسلام آية الله الشيخ محمد حسين الإصفهاني (قده)
وستقرأها بتمامها في المدائح طبعة المطبعة الحيدرية في النجف.

فرّفع (ابن الخيرتين) مشعل الهداية الوهّاج بالابتهاال والاستكانة إلى البارى تعالت عظمتة لتبصر الأمة ألق الحق وتعي هذه الصرخة من كريم رحيم لم يبعثه على الدعوة الإصلاحية إلاّ صقل النفوس وتطهير القلوب من درن المطامع ولو أخذت بمنهاج ما دعا إليه لأمنت العذاب الواصب ولأكلت من فوق رؤوسها ومن تحت أرجلها ولأجابتها الطير في جوف السماء والحيتان في جوف البحار ولكنها أبت إلاّ التردد في ظلمات الجهل والنكوص على الأعقاب.

وهذا منه صلوات الله عليه أكبر جهاد من الضرب بالسيف والطعن بالأسنة فإنه بهذا الأسلوب من البيان الساحر للألباب سدّ ذلك السيل الجارف من أعمال الفئة المتسلطة على رقاب العباد بغير رضى من الله ولا من رسوله وأي أحد يبلغه صوته في (إنجيل أهل البيت)^(١) القيم فلا يبصر بعين الحقيقة من هو المستحق للخلافة الإلهية وهل يا ترى جهاد أنجع مما قصده هذا المصلح العظيم (زين العابدين) لو كانت أفئدة حية وإيمان خالص.

(١) في تعليقة السيد الداماد على الصحيفة بهامش شرح السيد نعمة الله الجزائري عليها: ص ٤ وفي تعليقة الفيض ملا محسن عليها: ص ٢٤٩ ملحقة بشرح السيد نعمة الله أنّ هذه الأدعية المكرومة تسمى إنجيل أهل البيت وزبور آل محمد وفي معالم العلماء لابن شهر آشوب: ص ١١٢ بترجمة المتوكل بن عمير تلقب زبور آل محمد (عليه السلام).

وليس كل ما في (الصحيفة الكاملة) خطابات وعظية انخرط فيها سيد الساجدين في سلك الزهاد الذين لم يعرفوا إلا نجاة أنفسهم من شرك الشيطان ولهب النيران والصلة (بمبدأ الوجود) سبحانه وإنما استعرض فيها مضافاً إلى ذلك ما ألزم المولى به عباده من واجبات وزجرهم عن المحرمات وما اقتضاه الراجح والمرجوح غير أن حراجة الوقت من جرّاء الأحكام القاسية حتم على الإمام اختيار هذا اللون من البيان لإنقاذ العباد من مهاوي الضعة إلى الذروة العليا.

لقد جرت الصحيفة المكرمة مجرى القرآن المجيد في الإيعاز إلى جمل من أصول الطاعة والنظم الإصلاحية وإبداع التكوين وإحكام الفلك فكما أن الذكر الحكيم يسوق العبارة في التوحيد تارة وفي المعارف الإلهية أخرى وفي القصص الثالثة وفي العبر والعظات رابعة وفي فطرة الكون خامسة وفي تضاعيف هذا النسيج الإلهي يأتي على وجوه الطاعة كالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والحدود والمعاملات فيرشد المكلفين إلى أنحاء الزلفى لديه بأوامره العامة من دون بيان لتفاصيل ما اعتبر فيها من أجزاء وشرائط وموانع اتكالا على بيان رسوله الأقدس ﷺ حسبما أوحى إليه من تلك المصالح الباعثة على اعتبار تلك القيود مقيدة بظروف خاصة ولذا كان إلزام الرسول بها متدرجاً.

وعلى هذا النهج والأسلوب جاءت الصحيفة الكاملة فندبت

الأمة إلى ما شرّعه المهيمن تعالى في قانون الإسلام فقال (عليه السلام) في الدعوة إلى الصلاة:

اللهم صلّ على محمد وآله وقفنا فيه على مواقيت الصلوات الخمس بحدودها التي حددت وفروضها التي فرضت ووظائفها التي وظفت وأوقاتها التي وقّت^(١).

فأرشدنا صلوات الله عليه إلى أن الصلاة التي هي قربان كل تقي ومعراج المؤمن والوازعة الفذة من الفحشاء والمنكر إن أتى بها المكلف متروياً في ما يلهج به فيجنب الكذب في الدعوى إن قال - إياك نعبد وإياك نستعين - ويتعهد في نفسه أن ينهض في مستقبل العمل بمقتضى ما يعتقده من أنه تعالى مستجمع صفات الكمال المؤهلة له لأن يعبد الله حق العباداة ويتبع أوامره وينتهي عن زواجه ويبنى على أن يشكر جميل التربية الثابتة بقوله:

(ربّ العالمين) وحسن الصنيع المستفاد من قوله (الرحمن الرحيم) وأنه يهابه على ملوكيته القاهرة للعباد غداً كما هو كذلك اليوم المستكشفة من قوله: (مالك يوم الدين) وأن يبالغ في الخضوع له جلّت آلاؤه حتى تشمله الرأفة الربوبية ويستجاب له في ما يتحراه بقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وهنا يتضح له أن هناك صراطين صراط المنعم عليهم وصراط ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾

(١) من دعائه إذا دخل شهر رمضان.

فيتأهب لسلوك الأول فتغمره السعادة الخالدة المدعوة بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وهكذا الحالة في كل ما يلفظه من قول فالصلاة هي الكافلة لإصلاح النفوس وتهذيب الأرواح وتأمين المستقبل والمتجر الرابع يوم التغابن .

ثم عقب صلوات الله عليه الصلاة بأختها الغير مفارقة لها في الكتاب المجيد فقال ﷺ : «وَأَنْ نَخْلُصَ أَمْوَالَنَا مِنَ التَّبَعَاتِ وَأَنْ نَطْهَرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ»^(١) .

فالزكاة ضريبة مالية فرضها الله عَلَى الأغنياء لإعاشة ضعفاء البشر واكتساح معرة البؤس والفاقة الدافعين لمن يمسانه إلى ما لا يحمد عقباه ديناً وديناً حيث اقتضت الحكمة البالغة تنويع البشر إلى أغنياء وفقراء حفظاً للنظام الأتم حتى يحصل فيهم من يسف إلى مباشرة المهن والصنائع ويتنازل إلى المكاسب الواطئة فالزكاة فيها سد خلّة البائسين وتتميم إعواز العافين طيلة الزمن ومع ممر الحقب والأعوام وبها يحصل سدّ فراغ واسع من حاجات المجتمع فلا ندحة عنها في حين من الأحيان وهي مستمرة باستمرار الحاجة في النوع البشري عَلَى البدل فإنه قد يثرى فرد يوماً ويفتقر فيه آخر .

وهذا هو السر في تكرار الزكاة في القرآن كلما ذكرت

(١) من دعائه إذا دخل شهر رمضان .

الصلاة مع أنه سبحانه ذكر كل فرض من فروضه مرة واحدة أما السر في تكرار الصلاة فلأنها مفروضة في اليوم واللييلة خمس مرات فناسب ذلك الاهتمام بها كي لا يغفل العباد عن الالتزام بها.

وأما السر في تكرار الزكاة فلأن مسيس الحاجة إليها أكثر لتوفر أفراد من فرض الله لهم حقاً في أموال الأغنياء يقوم بلوازم إعاشتهم فكان لتكرارها فائدة كبرى وهي تنبيه البشر على ما هو اللازم عليهم من أداء هذا الحق وتعريفهم اهتمام المشرع بهذا الأمر العظيم لئلا يعتذر أحد بالغفلة.

وهب أن الخمس كذلك إلا أنه لما كان لفريق خاص رفع المولى تعالى مكانتهم عن تناول الزكاة ولم يكونوا بالكثرة كالفريق المنطبق عليه الصدقات كان ذكره في الكتاب المجيد على حد غيره من الواجبات مرة واحدة.

(والصحيفة الكاملة الشريفة) وإن أهملت تفاصيلها لكن الإمام زين العابدين كان غرضه تسجيل أهمية كل من الحكمين الباتين وتعريف الأمة أنهم مكلفون بهما وبعد أن يعرف ثبوت التكليف في عنقه على الإجمال يلزم عند الامتثال أن تجري أحاديث الرسول وخلفائه المعصومين الناصّة على تفاصيل ما اعتبر فيهما من الخصوصيات.

وقد أشار صلوات الله عليه إلى الحج والعمرة وزيارة قبر الرسول ﷺ بقوله: (اللهم امنن عليّ بالحج والعمرة وزيارة قبر رسولك صلواتك ورحمتك وبركاتك عليه وعلى آله، وآل رسولك ﷺ أبداً ما أبقيتني في عامي هذا وفي كل عام)^(١).

لأنّ هذه الفريضة موسم عام للمسلمين تزدلف الأمة من أقطار شاسعة فيتعرف فيه القاضي بالداني والقريب بالبعيد وتقام هنالك الشعائر ويؤتى بالمناسك فتقع بينهم الألفة والتعاون والمساندة على جبر الكسير وإقالة العاثر والأخذ بناصر الضعيف والسعي وراء الصالح العام والوقوف على كيفية اعتناق المسلمين الدين الحنيف وتهالك زرافاتهم دون العقيدة والمبدأ وهذا نفسه مما يثبت القلوب ويطمئن الأفئدة ويأخذ فيه الجاهل من العالم فينفق فيه كنز المعرفة ويشاد عرش الفضيلة وهذه الحالة تحدد الملاء الديني إلى الأخلاق الفاضلة وتسوقهم إلى الحلم الراجح فينكفي الحاج ملآن الوطاب بالضرائب الحميدة والمعارف الإلهية.

وتعقيب الحج بزيارة قبر الرسول وآله الأطهرين لأنّ فيه التذكير بمقام النبوة وما عاناه صاحب الدعوة ﷺ من جهود جبارة في الزلّقى إلى المولى سبحانه والتبليغ عنه مما فيه حياة العباد من

(١) من دعائه إذا سأل الله العافية.

السعادة الخالدة كما أن في زيارة أهل بيته تعريفاً بأنهم تمام الدعوة الإلهية وأن من عموم الصلاح والخضوع لمبادئ الدين الصحيحة اتّباعهم واقتصاص أثرهم ومما يؤكد حديث أبي حنيفة الأُسلمي عن الصادق (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال من أتى مكة حاجاً ولم يزرنى في المدينة فقد جفاني ومن جفاني جفوته يوم القيامة ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي يوم القيامة ووجبت له الجنة.

وكان أبو جعفر الباقر (عليه السلام) يقول أبدأوا بمكة واختموا بنا وفي حديث الصادق من زار رسول الله كان كمن زار الله تعالى من فوق عرشه ويقول أبو الحسن الرضا (عليه السلام) لكل إمام عهد في عنق شيعته ومن تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم^(١).

من أجل هذه الأحاديث وغيرها أفتى شيخنا الشهيد الأول في الدروس بالاستحباب المؤكد في زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) للحاج وغيرهم وللإمام أن يجبر الناس على ذلك لو تركوه.

وقال (عليه السلام) في فريضة الصيام:

الحمد لله الذي جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان شهر الصيام وشهر الإسلام إلى أن قال (فأبان فضيلته على سائر

(١) شرح الصحيفة (للسيد علي خان): ص ٢٢٨ في دعائه إذا سأل الله العافية.

الشهور بما جعل له من الحرمات الموقورة والفضائل المشهورة
فحرّم فيه ما أحلّ في غيره إعظاماً وحجر فيه المطاعم والمشارب
إكراماً وجعل فيه وقتاً بيناً لا يجيز جلّ وعزّ أن يقدم قبله ولا يقبل
أن يؤخر عنه^(١).

(آثرنا به على سائر الأمم واصطفيتنا بفضله دون أهل الملل
فصمنا بأمرك نهاره وأقمنا بعونك ليله)^(٢).

ثم نبّه ﷺ على وخامة الرياء والسمعة في الطاعة لأنهما
يوجبان الشرك المنافي للخلوص فيها فقال ﷺ :

(ثم خلص ذلك كله من رياء المرائين وسمعة المسمعين لا
نشرك فيه أحداً دونك ولا نبتغي فيه مراداً سواك)^(٣).

ثم استعرض ﷺ الجهاد وعرف الأمة ما له من أهمية كبرى
في الإسلام ودعا للمرابطين من أهل الثغور ولمن أعانهم
وجهزهم على أنّ هؤلاء المسلمين أكثرهم معادين له يترقبون
الفرص في الحطّ منه واستئصاله وأهل بيته لكنه وهو الحجة
الداعية إلى الصراط السوي لا يهّمه إلا حفظ بيضة الإسلام
وإعلاء شأنه وإنارة سبيله فقال صلوات الله عليه :

«اللهم حصّن ثغور المسلمين بعزّتك وأيّد حماتها بقوتك وكثّر

عدتهم واشحذ أسلحتهم وأحرز حوزتهم وألف جمعهم وأعضدهم بالنصر وأعنهم بالصبر».

إلى أن قال (عليه السلام) :

(وافلل بذلك عدوهم واقلم عنهم أظفارهم وفرّق بينهم وبين أسلحتهم واخلع وثائق أفئدتهم وباعد بينهم وبين أزودتهم وحيرهم في سبلهم واقطع عنهم المدد وانقص منهم العدد واملاً أفئدتهم الرعب وعقم أرحام نسائهم ويبس أصلاب رجالهم واقطع نسل دوابهم وأنعامهم لا تأذن لسمائهم في قطر ولا لأرضهم في نبات اللهم وامزج مياههم بالبواء وأطعمتهم بالأدواء وارم بلادهم بالخسوف وألحّ عليهم بالقذوف).

وأما مسلم خلف غازياً أو مرابطاً أو شحذه على جهاد فأجر له وزناً بوزن ومثلاً بمثل وعوضه عن فعله عوضاً حاضراً يتعجل به نفع ما قدم وسرور ما أتى به إلى أن ينتهي الوقت إلى ما أجريت له من فضلك وأعددت له من كرامتك الخ).

وإنك لتعرف علم الإمامة بدقائق أسرار ما في الكون ومخبّات القضاء من قوله (عليه السلام) (وامزج مياههم بالبواء) فإنّ القارئ يمرّ بهذه الجملة الذهبية الحاوية لسر ما أودع المهيمن سبحانه في زيادة انتشار مكروب (المالاريا) بالماء ولم يفهم المراد منها قبل أن يكشف العلم الحديث الحجاب عن هذه الخاصية التي ألمع إليها

الإمام زين العابدين قبل مئات من السنين وكم لآل الرسول الأقدس ﷺ من أمثال هذه الدقائق مما لم يسع ظرفهم الحاضر إيضاحه لعدم تحمل تلك العقول شرحه فاكتفوا بالإشارة إليه لقناعة تلك النفوس بمثله والاتكال على المستقبل الكاشف عن سرّه.

وجملة القول في ما حواه زبور آل محمد (الصحيفة الكاملة) أنها كالكتاب المجيد حاوية لأصول المعارف الباعثة للنفوس كملاً وللعقائد إخباتاً وللضرائب الحميدة كرامة فمن توحيد يحصر الغاية في واحدة ويجعل المقصد مفرداً والمنتجع فذاً والملجأ محصوراً فلا يكاد التالي لها يعرف غير الله تعالى ولا يسأل عن عداه ولا يرجو من سواه ويعلم أنّ مع غير الله خيبة الآمال وإخفاق الظنون وفشل الأمنية وقد أشار ﷺ إلى هذا في دعائه إلى تحميد الله وفي دعائه في الإلحاح عليه جلّ شأنه وفي دعائه في الرهبة منه تعالى.

وقد أجمع صلوات الله عليه إلى (المعاد) وما هنالك من وعد ووعد وحبور وإرهاب وطمأنينة وإقلاق حتى يوقف السالك بين خططي الخوف والرجاء فلا يميل به الأمل إلى التسامح في العبادة ولا يتدهور به الفرق إلى اليأس الباعث إلى الظنون الفاشلة في رحمة الله تعالى فينبو عن العمل ويهوي إلى هوة المهمل.

وعرفنا (عليه السلام) في الصلاة على حملة العرش وظائف الملائكة المقربين وما هنالك من مظاهر اللطف ولوائح المنن فيدع التالي كل حين في ذكر منها ليدأب على شكر النعمة ويضع كلاً في موضعه .

كما شرح (عليه السلام) في الصلاة على الرسول (ﷺ) ما ناء به من جهاد في سبيل الله وتهالك دون الدعوة الإلهية وما خاضه في غمرات الحروب وتحمله من ملومات الأذى فيكون قدوة للمسلم و﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ .

وأبدع ما استطرفه فيه شرح قصص الماضين الحافلة بالعظات والعبر ليعلم من تعبد بها شؤونهم الموجبة للقرب من المولى عز وجلّ ويتجنب ما عداها من المرامي السحيقة فيهجر هذه ويعتق هاتيك .

وعرفنا مواساة المسلمين لنبيهم (ﷺ) وما عانوه من هجر الأولاد والأقارب في تأييد دعوته وتثبيت نبوته ومن مشى على أثرهم من التابعين لهم بإحسان الذين قصدوا سمتهم وتحروا وجهتهم حيث لم يشتمهم ريب في بصيرتهم ولم يختلجهم شك في اتباع آثارهم .

وأشار في دعاء الصباح والمساء إلى نظام الفلك وما أودع الله في سير الكواكب من كرائم لطفه وفيضه المقدس على العباد

ليعرفوا عدد السنين والحساب وعرفنا فوائد اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان بتقدير منه للعباد في ما يغذوهم به وينشئهم عليه وقد شرح الشريف الجليل السيد علي خان ما أجمله الإمام من زيادة الليل ونقصانه فقال مجموع الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة من غير زيادة ولا نقصان وكل ما نقص من الليل زاد في النهار وبالعكس وأطول ما يكون من النهار يوم سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر الجوزاء فيكون النهار حينئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون من الليل ثم يأخذ النهار في النقصان والليل في الزيادة إلى ثامن عشر أيلول وهو عند حلول الشمس آخر السنبلة فيستوي الليل والنهار ويسمى الاعتدال الخريفي فيصير كل منهما اثنتي عشرة ساعة ثم ينقص النهار ويزيد الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فيكون الليل في غاية الطول والنهار في غاية القصر ثم يأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان إلى سادس عشر آذار عند حلول الشمس آخر الحوت فيستوي الليل والنهار ويصير كل واحد منهما اثنتي عشرة ساعة ويسمى الاعتدال الربيعي ثم يستأنف الدور.

وكلما ابتعد البلد عرضاً عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذي لمنطقة الفلك الأعظم المسمى معدّل النهار ازداد نهاره في الصيف طويلاً وفي الشتاء قصراً وبالعكس في الليل وقد يرتقي

طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب إلى حيث يصير اليوم بليته نهاراً كله وبإزائه الليل ثم إلى أكثر من ذلك إلى حيث يكون نصف السنة نهاراً ونصفها الآخر ليلاً فتكون كلها يوماً وليلة وذلك إذا صار قطب الفلك الأعظم محاذياً لسمت الرأس ولا عمارة هنالك ولا في ما يقرب منه إذ لا يتم به النضج لشدة البرد اللازم من انخفاض الشمس ولا يصلح للسكنى حتى الحيوان لعدم تهيو أسباب المعيشة وأما البلاد التي تحت خط الاستواء فالليل والنهار فيها في جميع السنة متساويان كل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة^(١).

والنكتة في تكرير الإمام السجاد (عليه السلام) قوله: (يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه) مع كفاية الجملة الأولى عن الثانية فإنها بحسب الظاهر تؤدي المراد منها (ما أفاده) الشيخ الجليل بهاء الدين العاملي وهو حمل الواو على الحال لأمر مستغرب وهو حصول الزيادة والنقصان معاً في كل واحد من الليل والنهار في آن واحد وذلك بحسب اختلاف البقاع كالشمالية عن خط الاستواء والجنوبية عنه سواء كانت مسكونة أم لا فإن صيف الشمالية شتاء الجنوبية وبالعكس فزيادة النهار ونقصانه واقعان في وقت واحد لكن في بقعتين وكذلك زيادة الليل

(١) شرح الصحيفة: ص ١٠١.

ونقصانه ولو لم يصرح ﷺ بقوله: «يولج صاحبه فيه» لم يحصل التنبيه على ذلك بل كان الظاهر من كلامه وقوع زيادة النهار في وقت ونقصانه في آخر وكذا الليل كما هو محسوس معروف للخاص والعام فالواو في قوله ﷺ ويولج صاحبه فيه واو الحال بإضمار مبتدأ كما هو المشهور بين النحاة اهـ.

وقد تكفل دعاء مكارم الأخلاق أحكاماً مفروضة من واجبات ومحرمات وأخرى مندوبة لها الدخل في الرقي الكامل والحظوة في السعادة الخالدة في الدنيا والفوز في الآخرة وفيها جمام النفس وكبح جماحها وإنقاذها من دعارة الجهل وعرامة الهواجس المردية وشراسة الملكات الرذيلة وما يتبعها من غطرسة وعجرفة.

والقارئ في تضاعيف الدعاء المبارك وغيره مما حوته الصحيفة المقدسة يعرف كيف اندفع صلوات الله عليه إلى ما فيه التضامن والاجتماع والوئام والألفة ووصف ما يقع فيه النفرة والتباعد ويفت في عضد المجتمع ويفك عرى العصمة ويسرب البغضاء بين عناصر مجموعة وأواصر ملتفة من الغيبة والنميمة والحسد وغيرها من جراثيم الشحناء وعوامل الإحن فيصف جميعها بصورة تهش إليها الطباع وترغب بها الجبلية ويتعوّذ منها في قالب ممقوت تأباه النفوس الشريفة وتمجّه الصفات الحميدة فهو ﷺ حين ينحو منحى الدعوة والطلب يعزو إلى ما في الصنفين من المرغبات والمحذرات.

ومن دعائه في التقصير عرّفنا (عليه السلام) نعمة الباري سبحانه على العباد بإمهال العصاة وترك معاجلة المستحقين من الطغاة فقال: «فأما العاصي أمرك والمواقع نهيك فلم تعاجله بنقمتك لكي يستبدل بحاله في معصيتك حال الإنابة إلى طاعتك».

وهذه منّة وزيادة لطف من المولى الجليل بترك معاجلة العقوبة ولو تفقه العبد في هذه الفيوضات لظهر له تقصيره في ترك الطاعة وعلم أنّ الواجب عليه الدؤوب ليله ونهاره على فعل ما يقربه من المولى زلفة على أنّ ألطف المولى عزّ وجلّ على العباد لا تحصى مهما حاد العبد عن سنن القرب منه وتمرد على قدسه ففي الحديث أنّه جلّ شأنه أوعز إلى كاتب السيئات إمهال من صدرت منه السيئة إلى سبع ساعات^(١) أو تسع ساعات^(٢) ويحدث زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) كما في الوافي ج ٣، ص ١٧٠، باب تأجيل الذنب أنّ العبد إذا أذنب أجّل غدوة إلى الليل فإن استغفر الله لم يكتب عليه وعن بشير بن عبد الصمد عن الصادق (عليه السلام) المؤمن إذا أذنب أجّله الله سبع ساعات فإن استغفر الله لم يكتب عليه وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه

(١) أصول الكافي (للكليني) في باب من هم بالسيئة، وأمالى ابن الطوسي: ص ١٢.

(٢) الخصال (للصدوق): ج ٢، ص ٤٤، والتوحيد له: ص ٤٢١.

سيئة وإنَّ المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر الله فيغفر له وإنَّ الكافر ينساه من ساعته (وإنما يؤجل) لعلَّ أن يحصل منه الندم ويعترف بالتقصير فيثوب إلى الحق ويخلص في الطاعة بإرجاع الحقوق إلى ذويها سواء في ذلك حق الله وحق الناس فإذا مضت المدة ولم ينتبه من السكرة سجلت عليه السيئة وفي هذا قال رسول الله ﷺ ما أقلَّ حياء العبد^(١).

ومما يساعد على هذا الامتنان ما روي من أنَّ الله تعالى لو علم أن عبداً ينب إليه آخر الدهر لمدَّ في عمره إلى ذلك الوقت^(٢).

وعلى هذا الإمهال والتأجيل يحمل الحديث من صلَّى ليلة إحدى وعشرين من رجب ستَّ ركعات بالحمد مرة وسورة الكوثر عشر مرات وقل هو الله أحد عشر مرات يأمر الله الملائكة الكرام الكاتبين أن لا يكتبوا عليه سيئة إلى سنة ويكتبون له الحسنات إلى أن يحول عليه الحول^(٣).

والحديث الثاني أنه تعالت آلاؤه يأمر الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن محبي أهل البيت وشيعتهم ثلاثة أيام من يوم

(١) أمالي ابن الطوسي: ص ١٢٩.

(٢) شرح الصحيفة (للسيد علي خان): ص ٣٤٦، روضة ٣٧.

(٣) الإقبال (لابن طاووس): ص ١٥٨ في عمل ليلة ٢١ رجب.

الغدير ولا يكتبون شيئاً من خطاياهم كرامة لمحمد وعلي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين^(١).

والحديث الثالث أنّ الله تعالى يأمر الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق كلهم ثلاثة أيام من يوم التاسع من ربيع الأول كرامة لمحمد ووصيه صلى الله عليهم وعلى آبائهم أجمعين^(٢).

فإن الحمل في هذه الأخبار على التأجيل لعل أن تحصل التوبة من العبد أوفق بالامتثال وبه يحصل الجمع بينها وبين أخبار الوعيد المقطوع صدورها الدالة على استحقاق العقاب بمجرد مخالفة التكاليف الواقعية الواجبة والمحرمّة.

نعم ربما يسأل عن فائدة هذا التأجيل مع أنّ التوبة في ما بعد المدة المفروضة للإمهال كما تفيد رفع العقاب تفيده حتى لو سجّلت السيئة عليه عند حدوثها ثم حصلت التوبة وثاب إلى الحق فإذا لا فائدة في هذا التأجيل (ويجاب) بأنّ فائدته إبقاء صحيفة العبد بيضاء تكريماً له من تسويدها بالخزي بخلاف ما لو سجّلت المعصية عليه وثبت تمرّده على جلال قدس المولى سبحانه فإنّ هذا مما يوجب سخط الملائكة الواقفين على عصيانه ومما لا

(١) الإقبال: ص ٦٧٩ في فضل الغدير.

(٢) المحتضر: ص ٥١ (للحسن بن سليمان الحلي) ومصباح الأنوار (للشيخ هاشم بن محمد) من علماء القرن السادس.

إشكال فيه أنّ بقاء الصحيفة بيضاء موجب لمزيد عناية المولى تعالى به خصوصاً لو نظر العبد بعين البصيرة إلى صحيفة حسناته فرآها مثبتة عند أول صدورها ويرى صحيفة سيئاته خالية منها فيتجلى له اللطف الربوبي به ويندم على ما فرط في جنبه .

وكم لله سبحانه فيوضات على العبيد لو كانوا يشكرون فقد ورد عن الصادق عليه السلام في تأويل (يا من أظهر الجميل وستر القبيح) أنه ما من مؤمن إلا وله مثال في العرش فإذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوهما فعل مثاله مثل فعله فيراه الملائكة فيصلّون ويستغفرون له وإذا اشتغل العبد بمعصية أرحى الله تقدّست نعمه على مثاله سترًا لئلا تطلع الملائكة عليه^(١) على أنّا نقرأ كل ليلة من شهر رمضان في دعاء الافتتاح «تحبب إليّ فأتبغض إليك وتتودد إليّ فلا أقبل منك كأن لي التطول عليك فلم يمنعك ذلك من الرحمة بي والإحسان إليّ» .

وبالجملة ما ذكرناه في الجمع بين الأخبار لا محيد عنه إذ لا كلفة فيه وهو أصح من حمل أخبار رفع القلم على ما لو قصد العبد المعصية من دون أن تتحقق في الخارج فإنّ مجرد قصد المعصية لا عقاب عليه إلا بناءً على حرمة التجريّ الغير ثابتة

(١) مفتاح الفلاح (للشيخ البهائي): ص ١٥٦ إيران في شرح أدعية نافلة العصر .

بالأحاديث الكثيرة ومنها قول أبي جعفر الباقر (عليه السلام) : لو كانت النيات من أهل الفسوق يؤخذ بها لأخذ كل من نوى الزنا بالزنا ومن نوى السرقة بالسرقة ومن نوى القتل بالقتل ولكن الله عدل حكيم ليس الجور من شأنه يثيب على نيات الخير أهلها ولا يؤاخذ أهل الفسوق بنياتهم حتى يفعلوها^(١).

(وأما الحديث النبوي) إذا تقاتل المسلمان فالقاتل والمقتول في النار قيل له يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول فقال (عليه السلام) لأنه أراد قتل صاحبه (لا صحة) له لأنّ راويه أبو بكره أخ زياد لأمه افتعله لأجل إرجاع الأحنف بن قيس عن نصرة أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الجمل وقد حصل غرضه برجوع الأحنف^(٢).

وأما حمل أخبار رفع القلم ونظائرها على العفو المطلق فلا يساعد عليه الاعتبار إذ فيه مع المنافاة لأخبار الوعيد على مخالفة التكاليف أن إبراز العفو للمكلفين يستلزم الجرأة على مخالفة الأحكام الإلهية وهو قبيح عقلاً.

(١) قرب الإسناد (لعبد الله الحميري): ص ٣٣ وعن الوسائل: ج ١، ص ٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ج ٢، ص ٤٩٥، كتاب الفتن والبخاري في الصحيح: ج ١، ص ١١، عن الحسن البصري عن الأحنف عن أبي بكره وفي عمدة القارئ شرح البخاري: ج ١، ص ٢٤٥، أنكر ابن معين والدارقطني سماع الحسن من أبي بكره ولا من جابر بن عبدالله ولا من أبي هريرة.

نعم قد يقال بأن المصلحة إذا اقتضت إظهار العفو فلا قبح فيه وإن فرض اطلاع من لم يبالي بالعصيان لأن علمهم بالعفو إنما حصل بسبب تقصير الرواة المتحملين لهذا الحديث وأمثاله فأذاعوه وكان عليهم أن لا يظهروه إلا لمن يوثق به من أصحابهم والأئمة عليهم السلام إنما أوقفوا أصحابهم على هذا العفو للوثوق بأنهم لم يتجرأوا على مخالفة المولى الحكيم ولكن طهارة نفوس هؤلاء أولاً وحسن ظنهم بالناس ثانياً فتح لهم باب الإذاعة فأظهروا مثل هذا العفو لغيرهم واتخذوه الجاهلون المقصرون وسيلة لعمل القبائح وجوزوا على الشارع المقدس الترخيص في المعاصي تعالى عن ذلك قدس الشريعة.

وهذا الرأي فائل لا يسع المصادقة عليه لمجرد ظهور اللفظ في ذلك مع مصادمته لأخبار الوعيد على المخالفة ولو تنازلنا إلى تسليمه فلا يشمل العفو في «الأيام الثلاثة» الاعتداء على حقوق الناس الخاصة والمشاركة بينهم وبين الله تعالى كالزكاة والخمس وغيرهما فإن الإقلاع عنها لا يحصل إلا بإرجاع الحقوق إلى أهلها أو الاقتصاص من الفاعل أو بالرضا لمن تعدي عليه ولا يصح العفو من المولى الحكيم عنه لأن التعدي لم يكن على جلال قدسه وإنما هو جرأة على المؤمن أو المعاهد المحترم دمه وماله وعرضه نعم في الحقوق الراجعة إليه جل شأنه فقط يمكن فيها العفو تفضلاً منه وحناناً على عبيده بعد صدورها منهم.

وما ورد من الأدلة عَلَى تكفير الذنب بالحج وبجملة من الواجبات والمستحبات وبزيارة سيد الشهداء والأئمة المعصومين (عليهم السلام) والبكاء عليهم فيختص بالحقوق الراجعة إلى الله سبحانه فقط والوجه فيه أن مخالفة التكاليف والطغيان عَلَى حقوق الله سبحانه ليس من قبيل العلة التامة لاستحقاق العقاب عَلَى نحو لا يتخلف المعلول عن علته التامة وإلا لانسد باب الشفاعة والتوبة وإنما ذلك عَلَى نحو الاقتضاء بمعنى أن التمرّد عَلَى المولى سبحانه بطبعه يستوجب العقاب لو لم يصادفه مانع يمنع تأثيره وأما إذا صادفه مثل التوبة والشفاعة وأمثالهما أو تفضل المولى الجليل عزّ شأنه فلا يؤثر فتكون هذه الأمور التي أوعده الله بالعفو عَلَى فعلها موجبة لرفع العقاب عَلَى المخالفة وليس هو من الإحباط الذي لا نقول به فإنه عبارة عن تبديل الحسنة بالسيئة والسيئة بالحسنة وليس كذلك هنا وهذا لا ينافي الآية المباركة ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧﴾ فإن بعد ثبوت الشفاعة وغيرها من موانع العقاب يكون المراد منها أن الذنب بمقتضى طبعه يوجب ورود النار وهو أمر محتم وبعد أن ثبتت في الشريعة تلك الموانع فبعد تحققها لا يكون ذلك المقتضى مؤثراً.

وعلى هذا الأساس يظهر لنا معنى قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خُلُودًا فِيهَا﴾ فإن القاتل لو وفق للممات عَلَى ولاية الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) بسبب صدور بعض

أفعال الخير منه يحشر تحت لوائهم وقد دلت الأحاديث المتواترة عَلَى شفاعتهم لمن مات عَلَى ولايتهم والتزامهم ﷺ بإرضاء المظلومين فَإِنَّ الإمام ﷺ يقول: ومن كان للناس عَلَى شيعتنا من الحق مشينا إليهم فأرضيناهم وما زلنا نزيدهم حتى نرضيهم^(١) فيكون معنى الآية الكريمة أَنَّ قتل المؤمن إذا كان عن عمد له اقتضاء التأثير بالخلود بالنار لكنه ما لم يصادفه المانع مثل الشفاعة وإرضاء المظلومين وإسقاط حقوقهم لأجل الأئمة المعصومين ﷺ المتوقف كله عَلَى الموت عَلَى ولايتهم ﷺ.

ولكن وردت الأحاديث بأنَّ قاتل المؤمن عمداً لا يتوفق للتوبة أبداً^(٢) وقد استدلل الشيخ المفيد في الفصول المختارة بآيات عَلَى أَنَّ جملة من أهل العناد لا يتوفقون للإيمان ولو تنزلت عليهم الملائكة وكلمهم الموتى^(٣) فإذا لا يغترَّ العبد فيتعدى عَلَى حقوق المولى الجليل عزَّ شأنه أو يتعدى عَلَى العباد وهو يقرأ عن أهل البيت ﷺ أن أصغر الذنوب يحول حائلاً عند الممات^(٤) فلا

(١) معالم الزلفى (للسيد هاشم البحراني): ص ١٧٨.

(٢) الوسائل: ج ٣، ص ٤٦٠ عين الدولة عن الكافي ومن لا يحضره الفقيه (للصدوق).

(٣) شرح الأربعين (للمجلسي): ص ١٣٣.

(٤) إرشاد القلوب (للديلمى).

يتوفق للممات عَلَى ولايتهم (عليه السلام) الظالم للعباد المجترح للسيئات
ومن لا تكون عاقبته حسنة عند الموت يكون من الخاسرين
الهالكين ومن ذا الذي يؤمن العبد المقترف للآثام من وخامة
العاقبة أعاذنا الله من الطغيان عَلَى المولى ومخلوقه .

ومما استعرضه الإمام زين العابدين في أدعيته ولاية أئمة
الدين من آل الرسول التي هي أوطد أركان الهدى وأوثق عرى
الإيمان وبها طهارة المولد وشرف المحتد والعصمة من الضلالة
وأداء أجر الرسالة وتهذيب الجامعة والسير عَلَى المحجة وكبح
جماح النفوس الشريرة وترويضها بالأخلاق الفاضلة فقال (عليه السلام) في
دعاء يوم الأضحى والجمعة :

اللهم إِنَّ هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع أمانك في
الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها وأنت المقدر
لذلك لا يغالب أمرك ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك كيف شئت
وأنى شئت وأنت أعلم به غير متهم عَلَى خلقك ولا لإرادتك حتى
عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك
مبدلاً وكتابك منبوذاً وفرائضك محرّفة عن جهات إشراعتك .

(وقال (عليه السلام) في دعائه في ذكر آل محمد (عليهم السلام):

اللهم يا من خصّ محمداً وآله بالكرامة وحباهم بالرسالة
وخصصهم بالوسيلة وجعلهم ورثة الأنبياء وختم بهم الأوصياء

والأئمة وعلمهم علم ما كان وعلم ما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم .

وقال ﷺ في دعاء يوم عرفة : ربِّ صلِّ على أطايب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك وجعلتهم خزنة علمك وحفظة دينك وخلفاءك في أرضك وحججك على عبادك وطهرتهم من الرجس والدنس بإرادتك وجعلتهم الوسيلة إليك والمسلِك إلى جنتك إلى أن قال :

اللهم إنك أيَّدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علماً لعبادك ومناراً في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك وجعلته الذريعة إلى رضوانك وافترضت طاعته وحذَّرت معصيته وأمرت بامتثال أمره والانتهاء عند نهيه وألا يتقدمه متقدم ولا يتأخر عنه متأخر فهو عصمة اللائذين وكهف المؤمنين وعروة المتمسكين وبهاء العاملين . (ثم قال ﷺ):

(وصلِّ اللهم على أوليائهم المعترفين بمقامهم، المتَّبعين منهجهم، المقتفين آثارهم، المستمسكين بعروتهم، المتمسكين بولايتهم، المؤتمين بإمامتهم، المسلمين لأمرهم، المجتهدين في طاعتهم، المنتظرين إمامهم، المادِّين إليهم أعينهم).

وبالجملة ولاية الأئمة ﷺ أول العبادات وأولاها بالالتزام وأحقّها بالاعتناق ففي أحاديثهم : لم ينادَ بشيء من الأحكام الإلهية كما نودي بالولاية فإنَّ الله تعالى فرض لأربع من أصول العبادات

حدوداً ووقتاً للالتزام بها أوقاتاً^(١) فالمریض یصلي جالساً ویفطر شهر رمضان ومن لا مال له لا زكاة علیه ولا حج وأما الولاية فوجوبها مطلق والالتزام بها غیر محدود فهي لازمة للصحيح والمریض وذی المال ومن لا مال له^(٢) ولكن الناس جهلوا أمر ولی الله تعالى وحادوا عن سنن الحق وغمرتهم أمواج الطغیان فاستخفوا بالأصل الخامس وفاتهم اشتراط تلك الأصول الأربعة بالولاية التي هي خاتمة الأعمال والحافطة لجميع الفروض والسنن^(٣).

ومهما اجتهد العبد في الطاعة وحافظ على أوامر المولى ونواهيه فلا یقرّبه ذلك منه ما لم یعترف بإمامة من أوجب الله طاعتهم وعرفّ رسوله الكريم ﷺ أسماءهم وجاهر في الوصية بهم في مواطن عديدة حتى ساء ما شاهده من أمته من الميل عنهم والخط من قدرهم فقال ﷺ كما في حديث زين العابدين (عليه السلام) ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا وإذا ذكر عندهم آل محمد اشمأزت قلوبهم والذي نفس محمد بيده لو أنّ عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبل الله منه ذلك حتى یلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي (عليهم السلام)^(٤).

(١) المحكم والمتشابه (للسيد المرتضى): ص ٨٧.

(٢) الخصال (للصدوق): ج ١، ص ١٣٣.

(٣) المستدرک (للنوري): ج ١، ص ٥.

(٤) بشارة المصطفى (لشيعه المرتضى): ص ٩٨ وص ١٦١.

وسائل عن حب أهل البيت هل
 هيهات ممزوج بلحمي ودمي
 حيدرة والحسنان بعده
 وجعفر الصادق وابن جعفر
 أعني الرضا ثم ابنه محمد
 الحسن التالي ويتلو تلوه
 فإنهم أئمتي وسادتي
 أئمة أكرم بهم أئمة
 هم حجج الله على عباده
 هم في النهار صُومٌ لربهم
 قوم أتى في هل أتى مديحهم
 قوم لهم فضل ومجد باذخ
 ما صدق الناس ولا تصدقوا
 لولا رسول الله وهو جدّهم
 ومصرع الطف فلا أذكره
 يرى الفرات ابن البتول طامياً
 حسبك يا هذا وحسب من بغى
 يا أهل بيت المصطفى يا عدتي
 أنتم إلى الله غداً وسيلتي
 وليُّكم في الخلد حيٌّ خالد

أقر إعلاناً به أم أجدو
 حبهم وهو الهدى والرشد
 ثم علي وابن محمد
 موسى ويتلوه علي السيد
 ثم علي وابن المسدد
 محمد بن الحسن المفتقد
 وإن لحاني معشر وفندوا
 أسماؤهم مسرودة تطرد
 وهم إليه منهج ومقصد
 وفي الدياجي رُغّع وسُجّد
 ما شكّ في ذلك إلا ملحد
 يعرفه المشرك والموحد
 ما نسكوا وأفطروا وعيّدوا
 يا حبّذا الوالد ثم الولد
 ففي الحشا منه لهيب موقد
 يلقي الردى وابن الدعي يرد
 عليهم يوم المعاد «الصمد»
 ومن على حبهم أعتد
 وكيف أخشى وبكم أعتصد
 والضد في نار لظى يخلد

محمد (والأوصياء)^(١) بعده أفضل الله خلقاً في ما أجد
هم أسسوا قواعد الدين لنا وهم بنو أركانه وشيدوا
ومن يخن أحمد في (عترته)^(٢) فخصمه يوم المعاد (أحمد)
هذا اعتقادي فالزموه تفلحوا هذا طريقي فاسلكوه تهتدوا^(٣)

(١) في الأصل (الخلفاء) والمثبت ما أعتقده.

(٢) في الأصل (أصحابه) واعتقادنا سجلناه.

(٣) هذا من قصيدة طويلة ليحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الحصكفي ترجمه ابن الجوزي في المنتظم: ج ١٠، ص ١٨٣ وابن خلكان في الوفيات وابن كثير في البداية: ج ١٢، ص ٢٣٨ في حوادث سنة (٥٥٣) ونسبوه إلى الغلو في التشيع وهذا عجيب فإنه يصرح في آخر القصيدة بأنه يرى مذهب الشافعي وكأن المنشئ هذه القصيدة التي أثبت فيها ما لأهل البيت (عليهم السلام) من كرامة ومنزلة في الأولى والآخرة وبه نطقت آثار الفريقين اللهم إلا أن تكون تصريحاته المعربة عن تسننه وشافعيته جرت تقية وأغرب من ذلك كله إهمال ابن خلكان القصيدة مع أنه ذكر له شعراً كثيراً ولد بطنزه سنة (٤٦٠) وتوفي بميا فارقين سنة (٥٥٣) والحصكفي نسبة إلى حصن كيفا والقاعدة تقتضي في النسبة حصني إلا أن ابن خلكان قال عند النسبة إلى اثنين يأخذون من مجموعهما اسماً واحداً فيقولون حصكفي كما قالوا في عبد شمس وعبدالدار عبشمي وعبدري.

دليل الصحيفة

لا يرتاب من له ذوق بأساليب الكلام وقرائن الأحوال في كون الأدعية المعروفة بالصحيفة الكاملة من إنشاء زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام لما اشتملت عليه من أنوار حقائق المعرفة وثمار حدائق الحكمة وفيها عبقة من كلام النبوة وقبس من نور مشكاة الإمامة فهي كالصحف الإلهية ولبلاغتها تسجد سحرة الكلام وتذعن بالمعجزة عن مباراتها مداره الأعلام وقد حكى ابن شهر آشوب أن بعض العلماء بالبصرة ذكرت عنده الصحيفة الكاملة فقال خذوا عني حتى أملي عليكم مثلها فأخذ القلم وأطرق برأسه فما رفعه حتى مات^(١) ولعمري لقد رام شططاً فنال سخطاً وأنى للبليغ المفوه مباراة الوحي الإلهي ومساجلة من يستمد من اللوح المحفوظ وقد جعله المولى جلّ شأنه مناراً للضال من عباده ودليلاً يسلك به إلى الرضوان مؤيداً بروح منه

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٤١.

تعالى ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (١) ولذلك سمّاها الأعلام وجهابذة القدماء (زبور آل محمد وإنجيل أهل البيت) (٢).

ويحدّث السيّد نعمة الله الجزائري أنّ الغزالي وغيره لم يتباعدوا عن هذه التسمية بعد الإذعان بأنّ هذه الأدعية لا تصدر إلّا من المقرّبين (٣) ويظهر من العلامة الألوسي المفسر الإيمان بها فإنه قال لا مانع من التوسّل بمن تحقّق له جاه عند ربّه تعالى لكن لم يسمع في الأدعية المأثورة عنه (عليه السلام) ومن أهل بيته كالسجادة (عليه السلام) التوسّل بحرمة أحد من الخلق وجاهه (٤).

وإنكار النقشبندي صحة الصحيفة لأنّ أهل السنّة لا يروونها وفيها ما يدلّ على اقترافهم المعاصي ولا يلتئم مع قواعد الرافضة (متفكك البرهان) لعدم الملازمة بين عدم رواية أهل السنّة لشيء ووقوعه في الخارج وكذا العكس لأنّ كثيراً ممّا له واقع في

(١) سورة الإسراء: ٨٨.

(٢) معالم العلماء (لابن شهر آشوب): ص ١١٢ وتعليقة الداماد على الصحيفة بهامش شرحها (للسيد نعمة الله الجزائري) وتعليقة الفيض عليها ملحقة به وإجازة المجلسي الأولى: ص ١٥٣ من إجازات البحار وص ١٥٧.

(٣) شرح الصحيفة (للجزائري): ص ٣.

(٤) رسالة رد النقشبندي على الألوسي: ص ٣، وص ١٠. ملحقة بكتابه صلح الإخوان.

الخارج ولا ينصّون عليه وسيأتي التنبيه على رفع مشكلة الاستغفار .

وعلى كل فقد تواتر نقل الصحيفة الكاملة عن سيد الساجدين عليه السلام حتى أصبحت كالقرآن الكريم^(١) . ويحدّث المجلسي الأول المولى محمد تقي المتوفى سنة (١٠٧) أنّ أسانيدھا ترتقي إلى ستة وخمسين ألفاً وإن كان ما ذكرته يرتقي إلى ستمائة إسناد عالي^(٢) ومن هنا أذعن بنسبتها إلى الإمام السجاد عليه السلام شيخ الطائفة صاحب الجواهر (قده) فاستدلّ في مبحث مشروعية الجمعة على كون صلاة الجمعة من مختصات مقامهم عليهم السلام المغتصب فمع غيبتهم لا تشرع الجمعة فإن زين العابدين عليه السلام يقول في دعائه يوم الأضحى والجمعة من الصحيفة الكاملة المعلوم كونها منه عليه السلام (اللهم إنّ هذا المقام لخلفائك وأصفياك ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها وأنت المقدر لذلك (إلى أن قال) حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين يرون حكمك مبدلاً (إلى أن قال) العن أعداءهم من الأولين والآخرين ومن رضي بفعالهم وأشياهم لعناً وبيلاً).

(١) تأسيس الشيعة: ص ٢٨٤ (للسيد حسن الصدر).

(٢) إجازات البحار: ج ٢٦، ص ١٤٩ وفي ص ١٤٥ قال أسانيدھا ترتقي إلى الآلاف.

فتواتر الصحيفة الكاملة مغنٍ عن ذكر إسنادها إلا أنني أجد القارئ في حاجة إلى معرفة العلماء الذين تناقلوا روايتها واهتمامهم في التحفظ على إجازتها فإليه نرفع ما عثرنا عليه من ذلك وهذه الطريق الكثيرة كلها تنتهي إلى يحيى بن زيد الشهيد عن أبيه عن زين العابدين (عليه السلام)، وهناك إجازة في روايتها عن محمد بن زيد الشهيد عن أبيه عن الإمام السجاد (عليه السلام) وأخرى في روايتها عن الإمام أبي عبدالله الصادق (عليه السلام).

«أما روايتها عن محمد بن زيد»^(١) فيرويها الأمير ماجد بن الأمير جمال الدين محمد الحسيني الدشتكي عند إجازته للمولى (شفيع) التي يقول فيها وبعد فإنّ الصحيفة الكاملة المعروفة من بين صحف الإسلام بإنجيل أهل البيت وزبور آل محمد المنسوبة إلى الإمام المؤيد بالعصمة ثم استطرد أوصاف الإمام (عليه السلام) وأوصاف (محمد شفيع) وقال: وأجزت له أن يرويها عني بطرقي إلى الإمام وهي متشعبة الفنون والضروب إلى أن قال نذكر منها طريقاً تتشوق إلى ذكره النفوس وتتضوّع بنشره الصحائف والطوروس فأقول إني أرويها:

عن والدي السيد السند العلامة الثقة الحجة الجامع بين الحكمين جمال الدين محمد بن عبدالحسين الدشتكي بن السيد

(١) هذه الإجازة في إجازات البحار: ج ٢٦، ص ١٥٧ مؤرخة سنة (١٢٠٧هـ).

معز الدين (محمد) بن السيد الفاضل المحقق المدقق نظام الدين (أحمد) صاحب التصنيفات الفائقة والتعليقات الرائقة^(١) عن أبيه معز الدين (إبراهيم) عن أبيه (سلام الله) عن أبيه عمادالدين (مسعود) عن أبيه (صدر الدين)^(٢) عن أبيه غياث الدين (منصور) عن أبيه صدر الدين (محمد) عن أبيه (إبراهيم) عن أبيه (محمد) عن أبيه (إسحاق) عن أبيه (علي) عن أبيه (عربشاه) عن أبيه (عميري)^(٣) عن أبيه (الحسن) عن أبيه (الحسين) عن أبيه «علي»^(٤) عن أبيه «محمد» عن أبيه «جعفر» عن أبيه «أحمد»^(٥)

(١) في خاتمة المستدرك (للنوري): ج ٣، ص ٣٤٠ عن رياض العلماء أن نظام الدين الجد الثالث للسيد علي خان فإنه ابن نظام الدين ميرزا أحمد بن محمد بن معصوم بن السيد نظام الدين أحمد الخ وبعده نقل عن السيد علي خان حديثاً مسلسلاً بالآباء وفيه كون معصوم صفة لجده محمد.

(٢) في خاتمة المستدرك: ص ٣٤٠ عن الرياض أن صدر الدين اسمه محمد الشيرازي.

(٣) في الرياض أن عربشاه بن أميرانه بن أميري بن الحسن الخ وفي خاتمة مستدرك الوسائل: ص ٣٤٠ نقلاً عن السيد علي خان أن عربشاه بن أميران به ابن اميري بن الحسن الخ.

(٤) في الرياض قال علي بن زيد الأغم بن علي بن محمد بن علي أبي الحسن نقيب نصيبين بن جعفر بن أحمد الخ.

(٥) في إجازة الأمير صدر الدين محمد بن الأمير غياث الدين منصور الحسيني الشيرازي الدشتكي للسيد علي بن القاسم الحسيني اليزدي الموجودة في =

عن أبيه «جعفر» عن أبيه «محمد» عن أبيه «زيد» عن أبيه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه وعلى آبائه التحية والسلام بتاريخ سنة (١٢٨٧).

وأما الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) فيرويهما الشيخ الجليل محمد بن أحمد بن نعمه الله بن خاتون العاملي قال في إجازته للسيد ظهير الدين ميرزا إبراهيم بن الحسين الحسيني الهمداني: أروي عن والدي المحقق المدقق الزاهد العابد الشيخ شهاب الدين أحمد وجدي الفاضل العلامة الفهامة فقيه أهل البيت الشيخ نعمه الله بن علي بن خاتون عن الإمام الأجل الأفضل خلاصة المجتهدين وعمدة الفقهاء والمحدثين الشيخ نور الدين (علي بن عبد العالي) عن شيخه الفاضل الشيخ زين الدين أبي الحسن (علي بن هلال الجزائري) عن الشيخ الفاضل الزاهد شهاب الدين (أحمد بن فهد الحلي) عن الجليل المعظم (علي بن الحميد) النيلي عن المولى الأجل الأعلم الأعمل فقيه أهل البيت في زمانه شمس الدين (محمد بن مكّي) السعيد الشهيد عن السيد تاج الدين

= إجازات البحار: ص ٨٠ قال إنّ جدي أحمد السكين صاحب الإمام الرضا (عليه السلام) من لدن كان بالمدينة إلى أن أُشخص إلى خراسان عشر سنين فأخذ منه العلم وإجازته (عليه السلام) عندي فأحمد يروي عن الإمام الرضا عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهذا الإسناد المعنعن بالآباء مما أنفرد به وحدي وقد خصّني الله بذلك.

(الحسن بن معية) عن السيد (علي) بن السيد غياث الدين (عبد الكريم) بن طاووس عن (محمد بن محمد الحمدائي) القزويني عن الشيخ الإمام الحافظ «علي بن عبيدالله»^(١) المدعو (حسكا) عن الشيخ الإمام الجليل «ورام بن أبي فراس» المالكي الأشتري عن الإمام الأجل «عبدالله» بن جعفر الدوريسي^(٢) عن السيد الإمام ضياء الدين أبي الرضا «فضل الله» بن علي الحسيني الراوندي عن (مكي بن أحمد المخلطي) عن أبي نصر محمد بن علي بن الحسين بن شجيل بن الصفار عن أبي الحسن (مهلهل) بن عبد العزيز بن عبدالعزيز بن عبدالله الخوارزمي عن أبيه عن أبي جعفر (أحمد) بن الفياض بن منصور بن زياد البابي عن (علي) بن حماد بن العلا عن (عمير بن المتوكل) البلخي عن أبيه

(١) في إجازة صاحب المعالم الكبيرة المذكورة في إجازات البحار: ص ١٠٣ الإمام الحافظ منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيدالله بن الحسن المدعو حسكا بن الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن بابويه وفي خاتمة المستدرک: ص ٤٦٥ من مؤلفات الشيخ منتجب الدين الفهرست الذي جمع فيه أسماء علمائنا من عصر الشيخ الطوسي إلى عصره فهو بمنزلة التذييل لفهرست الشيخ الطوسي.

(٢) في خاتمة المستدرک: ص ٤٧٨ ترجمة الدوريسي وفي ص ٣٢٤ نسب الراوندي وفي ص ٤٩٥ رواية الراوندي عن المخلطي عن أبي علي بن غانم العصمي.

محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(١). ويحدث المفيد أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي عن أبيه عن محمد بن محمد - المفيد - عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد عن أبيه عن محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة قال سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) أن يعلمني دعاء أدعو به في المهمات فأخرج إليّ أوراقاً من صحيفة عتيقة فقال انتسخ ما فيها فهو دعاء جدي علي ابن الحسين زين العابدين (عليه السلام) للمهمات فكتبت ذلك على وجهه فما كربني شيء قط إلا دعوت به ففرّج الله همّي^(٢) ولعلّ هذه الصحيفة العتيقة هي المعروفة عندهم بالصحيفة الكاملة.

وأما الرواية عن يحيى بن زيد الشهيد فالطرق إليها كثيرة كما عرفت في نص المجلسي الأول وجلّها ينتهي إلى الشريف الجليل بهاء الشرف نجم الدين أبي الحسن محمد بن الحسن بن أحمد ابن علي بن محمد بن عمر بن يحيى النسابة ابن أحمد المحدث ابن عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين (عليه السلام)^(٣). وهو المذكور في أول نسخ الصحيفة

(١) إجازات البحار: ص ١٢٢.

(٢) أمالي ابن الطوسي: ص ٩.

(٣) خاتمة المستدرک: ص ٤٨٣.

الكاملة المتداولة وجملة أخرى منها تنتهي إلى عمير بن المتوكل المذكور في سند الصحيفة ويرويها عن السيد بهاء الشرف بلا واسطة جماعة منهم:

الشريف العريضي المذكور في الإجازات وهو أبو الحسن مجد الدين علي بن الحسن بن إبراهيم بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن عيسى بن محمد بن عيسى بن علي العريضي ابن الإمام أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام ^(١).

ومنهم جعفر بن علي المشهدي وعنه يرويها ولده محمد المشهدي صاحب المزار المسمى في بحار الأنوار «بالمزار الكبير» ^(٢). ومنهم الشيخ أبو البقاء هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الحلبي الربعي وكان حياً في شهر ربيع الأول سنة (٥٧٣) ^(٣) ومنهم الفقيه جعفر بن أبي الفضل بن شعرة الجامعاني ^(٤).

ومنهم الشريف أبو الفتح محمد بن محمد بن الجعفرية من

(١) إجازة صاحب المعالم الكبيرة في إجازات البحار: ص ١٠٥.

(٢) إجازة محمد باقر الخراساني في إجازات البحار: ص ١٥٦ وخاتمة المستدرك: ص ٤٧٩.

(٣) خاتمة المستدرك: ص ٤٧٩.

(٤) إجازة صاحب المعالم الكبيرة في إجازات البحار: ص ١٠٨.

مشايخ ابن المشهدي صاحب المزار ويحدث عن عماد الدين الطبري صاحب بشارة المصطفى^(١). ومنهم الشيخ سالم بن قباويه والشيخ عربي بن مسافر العبادي^(٢) ومنهم ابن السكون الحلي من أجلاء علماء الإمامية الثقات^(٣) ووصفه ياقوت بحسن الفهم وجودة العقل والشعر وتصحيح الكتب^(٤) وقال السيوطي كان متديناً مصلحاً بالليل تفقه على مذهب الشيعة وبرع فيه ودرسه سافر إلى مدينة الرسول ﷺ وكتب لأمرها وقدم الشام ومات في حدود سنة (٦٠٦) (٥).

ومنهم عميد الرؤساء هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب الحلي اللغوي الإمام الفقيه الجامع^(٦) الضابط البارع^(٧) وقال ياقوت كان أديباً فاضلاً نحويّاً لغويّاً شاعراً شيخ

(١) خاتمة المستدرک: ص ٤٧٩.

(٢) إجازة صاحب المعالم.

(٣) خاتمة المستدرک: ص ٤٨٣.

(٤) معجم الأدباء: ج ١٥، ص ٧٥.

(٥) بغية الوعاة: ص ٣٥٢.

(٦) خاتمة المستدرک: ص ٤٨٢ وتجدر روايته عن بهاء الشرف في إجازات الشهيد الثاني وصاحب المعالم والمجلسي الأول وشرح الصحيفة (للسيد علي خان).

(٧) إجازة صاحب المعالم.

وقته ومتصدر بلده أخذ عنه أهل تلك البلاد الأدب وأخذ هو عن ابن العصار أبي الحسن علي بن عبد الرحيم وله نظم ونثر وسمع المقامات من ابن النقور مات سنة (٦١٠)^(١) وكان الوزير ابن العلقمي يعده من الأخيار الصلحاء المتعبدين ومن أبناء الكتاب المعروفين صاحب أبي محمد عبدالله بن أحمد بن الخشاب وأبي الحسن عبدالرحيم الرقي السلمي قال وآخر قراءتي عليه سنة (٦٠٩) وفيها مات بعد أن تجاوز الثمانين^(٢).

ويرويهما الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن العباس النجاشي المتوفى سنة (٤٥٠) عن الحسين بن عبيدالله (الغضائري) المتوفى سنة (٤١١) عن ابن أخي طاهر عن محمد بن المطهر عن أبيه عن عمير بن المتوكل عن أبيه عن يحيى بن زيد الشهيد عليه السلام^(٣) وذكر النجاشي في رجاله ص ٤٧ أنّ ابن أخي طاهر هو الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ومثله ساق النسب الشيخ الطوسي في رجاله في باب من لم يرو عنهم ثم قال روى عن ابن أخي طاهر التلعكبري وسمع سنة ثلاثمائة وسبع وعشرين إلى سنة خمس وخمسين.

(١) معجم الأدباء: ج ١٩، ص ٢٦٤ وبغية الوعاة: ص ٤٠٧.

(٢) رياض العلماء (لميرزا عبدالله المعروف بالأفندي) تلميذ المجلسي الثاني.

(٣) رجال النجاشي: ص ٣٠١.

ولتضعيف ابن الغضائري إياه وتوقف النجاشي فيه جعله العلامة في القسم الثاني من الخلاصة وضعفه المجلسي في الوجيزة ولكن الوحيد البهبهاني في التعليقة وثقه مستنداً في ذلك إلى ترحم الصدوق عليه وإكثاره الرواية عنه ولأنه شيخ إجازة الصدوق والتلعكبري مع أن الشيخ المفيد أكثر من الرواية عنه في (الإرشاد) كما أكثر من الرواية عنه ابن الشيخ الطوسي في الأمالي ولأجل ذلك وثقه الحجة المحقق الشيخ عبدالله المامقاني في (تنقيح المقال): ج ١، ص ٣٠٩. ووردت ترجمته في لسان الميزان لابن حجر: ج ٢، ص ٢٥٢، وقد أخطأ في عداد آبائه بإدخال لفظ (زيد) بين الحسين وبين علي بن الحسين (عليه السلام) لأن علماءنا لم يعدوا في آبائه (زيد الشهيد) كما لم يذكره الخطيب في ترجمته وقد ذمه كما هي عادته وعادة أمثاله من الطعن في رجال الشيعة خصوصاً إذا رووا حديثاً في فضل أهل البيت (عليهم السلام) وقد روى هذا العلوي في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) (علي خير البشر فمن أبى فقد كفر) وترجمه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٧، ص ٤٢١، وكلاهما ذكر أنه يعرف بابن أخي طاهر وقال الخطيب هو مدني الأصل سكن بغداد في مربعة الخرسى صاحب كتاب النسب مات يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة (٣٥٨).

ويروي الصحيفة الكاملة شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن

الحسن الطوسي المتوفى سنة (٤٦٠) من طريقين الأول عن جماعة عن التلعكبري عن أبي الحسن المعروف بابن أخي طاهر عن محمد بن المطهر عن أبيه عن عمير بن المتوكل عن أبيه عن يحيى بن زيد الشهيد الخ.

الطريق الثاني عن أحمد بن عبدون المعروف (بابن الحاشر) عن أبي بكر الدوري عن ابن أخي طاهر أبي محمد عن محمد بن المطهر عن عمير بن المتوكل عن أبيه عن يحيى بن زيد الشهيد الخ^(١) ويوجد للشيخ الطوسي طريق ثالث على بعض هوامش نسخ الصحيفة وصورته أخبرنا الشيخ الأجلّ السعيد الإمام أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي أدام الله تأييده في شهر سنة (٥١١) قال أخبرنا الحسين بن عبيدالله الغضائري قال حدثنا أبو المفضل محمد بن عبد المطلب الشيباني في شهر سنة (٣٨٥) قال حدثنا الشريف أبو عبدالله جعفر بن محمد بن جعفر ابن الحسن عن عبدالله بن عمر بن خطاب الزيات في سنة (٢٦٥) عن علي بن النعمان الأعلم عن عمير بن المتوكل عن أبيه عن يحيى بن زيد الشهيد إلى آخر السند^(٢).

ويرويه عن الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي أبو

(١) فهرست الشيخ الطوسي: ص ١٧١ طبع النجف (المطبعة الحيدرية).

(٢) شرح الصحيفة (للسيد علي خان): ص ٣.

الصمصام^(١) وهو ذوالفقار بن محمد بن معبد بن الحسن بن أبي جعفر أحمد الملقب بحميدان أمير اليمامة ابن إسماعيل قتيل القرامطة ابن يوسف بن محمد بن يوسف الأخضر ابن موسى الجون ابن عبدالله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط (عليه السلام) يروي عن علم الهدى السيد المرتضى أيضاً قال الشيخ منتجب الدين صادفته وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة ووصفه في عمدة الطالب بالفقيه العالم المتكلم الضريع^(٢).

ويرويها السعيد شمس الفقهاء زين الملة الشهيد الأول محمد ابن مكي الشامي المستشهد في دمشق بفتوى ابن قاضي الجماعة وغيره سنة (٧٨٦هـ) عن السيد السعيد تاج الدين أبي عبدالله محمد بن معية^(٣) عن والده السيد مجد الدين أبي جعفر القاسم

(١) إجازة صاحب المعالم الكبيرة في إجازات البحار: ج ٢٦، ص ١٠٦.

(٢) خاتمة المستدرک علی الوسائل: ص ٤٩٥.

(٣) في خاتمة المستدرک: ص ٤٣٩ هو أبو عبدالله محمد بن السيد جلال الدين أبي جعفر القاسم بن الحسين بن القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن المحسن بن الحسين بن محمد بن الحسين القصيري بن أبي الطيب محمد بن الحسين القيومي ابن أبي القاسم علي بن أبي عبدالله الحسين الخطيب بالكوفة ابن أبي القاسم علي المعروف بابن معية بن الحسن بن الحسن بن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الغمر ابن الحسن المثنى بن الإمام المجتبی الحسن السبط (عليه السلام) توفي كما في مجموعة الشهيد ثامن ربيع الآخر سنة (٧٧٦) بالحملة وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) =

ابن الحسن بن معية عن الشيخ أبي جعفر محمد بن شهر آشوب المازندراني صاحب المناقب المتوفى سنة (٥٨٨) عن السيد أبي الصمصام ذي الفقار ابن محمد بن معبد الحسيني عن الشيخ أبي جعفر الطوسي إلى آخر سنده^(١).

ويرويهما الشهيد الأول عن السيد تاج الدين أبي عبدالله بن معية عن السيد كمال الدين محمد عن السيد رضي الدين الآوي الحسيني المتوفى سنة (٦٥٤)^(٢) عن الإمام الوزير نصير الدين

= وقد أجاز له مراراً كما أجاز له لولده محمد وأبي القاسم وعلي سنة (٧٧٦) قبل موته وخطّه بذلك عند الشهيد.

(١) إجازات البحار: ج ٢٦، ص ٨٩.

(٢) في خاتمة المستدرک: ص ٤٤٤، هو السيد الجليل صاحب المقامات العالية رضي الدين محمد بن محمد بن محمد بن زيد بن الداعي بن زيد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن علي بن أبي محمد الحسن النقيب الرئيس ابن علي بن محمد بن علي المعروف بالجزري الذي قتله الرشيد ابن أبي محمد الحسن الأفطس صاحب راية محمد بن عبدالله حين خرج بالمدينة ابن أبي الحسن علي الأصغر ابن الإمام السجاد عليه السلام ويعرف المترجم (بالآوي) كان مصاحباً للسيد رضي الدين علي بن طاووس ويحكي في مهج الدعوات عنه مكاشفات عند توجههما من الحلة إلى الغريّ لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام كما أن العلامة الحلي يروي في منهاج الصلاح عن والده عنه نوعاً من الاستخارة يرويه عن صاحب الأمر عليه السلام توفي ليلة الجمعة رابع صفر سنة (٦٥٤) وله الرواية عن رضي الدين علي بن طاووس وعن والده فخر الدين محمد عن والده رضي الدين محمد =

محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة (٦٧٢) عن والده عن السيد أبي الرضا فضل الله الحسيني^(١) عن السيد أبي الصمصام ذي الفقار عن الشيخ أبي جعفر الطوسي إلى آخر سنده^(٢).

ويرويهما الشهيد الأول عن رضي الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى المزدي المتوفى سنة (٧٥٧) بالغري عن الشيخ محمد بن صالح عن السيد فخار.

وأيضاً عن الشيخ محمد بن صالح عن محمد بن محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلبي كلاهما أي السيد فخار وابن نما عن ابن إدريس عن أبي علي بن الطوسي إلى آخر سنده. «ويرويهما» الشهيد الأول عن فخر المحققين ابن العلامة وعن عميد الدين عبد المطلب الأعرجي وعن السيد تاج الدين بن معية وعن السيد الأجل أحمد بن زهرة الحلبي وعن السيد الكبير مهنا ابن سنان المدني وعن الشيخ العلامة قطب الدين محمد الرازي

= عن والده زيد عن والده الداعي بن زيد بن علي بن الحسين عن السيد المرتضى والشيخ الطوسي.

(١) هو أبو الرضا فضل الله بن علي بن عبيد الله بن محمد بن أبي الفضل عبيد الله ابن الحسن بن علي بن محمد السيلق بن جعفر ابن الحسن المثنى ابن الإمام المجتبي الحسن (عليه السلام) تلميذ أبي علي ابن الشيخ أبي جعفر الطوسي له فقه القرآن والنوادر وشرح الشهاب أطراه السمعاني في الأنساب كثيراً.

(٢) إجازة صاحب المعالم الكبيرة في إجازات البحار: ص ١٠٦.

وعن الشيخ الأفاضل رضي الدين علي بن أحمد بن يحيى المزيدي جميعاً عن الشيخ الأكمل علي بن أحمد بن طراد الحلبي^(١) عن الشيخ الأعظم العلامة الحسن بن سديد الدين يوسف بن المطهر الحلبي عن أبيه «عن» شيخ المحققين أبي القاسم جعفر بن سعيد الحلبي «وعن» السيد بن الجليلين رضي الدين علي وجمال الدين أحمد ابني طاووس «وعن» الوزير نصير الدين الطوسي «وعن» مفيد الدين محمد بن جهم الحلبي جميعاً عن السيد فخار بن معد الموسوي وابن نما الحلبي عن عميد الرؤساء هبة الله عن السيد بهاء الشرف المذكور في أول سند الصحيفة^(٢). (ويرويهما) الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن نور الدين علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي بن صالح بن مشرف الجبعي العاملي المعروف والده بابن الحجة^(٣) عن الإمام الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الميسري^(٤) عن الشيخ محمد بن داود المؤذن العاملي الجزيني ابن عم الشهيد الأول عن الشيخ الجليل ضياء الدين علي بن الشهيد الأول عن والده شمس الدين محمد بن مكّي إلى آخر سنده.

(١) في خاتمة المستدرك: ص ٤٤٣ توفي كما في مجموعة الشهيد يوم الجمعة أول رجب سنة (٧٦٢).

(٢) إجازات البحار: ص ١٤٦ وص ١٤٧.

(٣) ولد سنة (٩١١) واستشهد بالقسطنطينية سنة (٩٨٣).

(٤) في خاتمة المستدرك: ص ٤٣١ توفي ليلة الأربعاء ٢٦ جمادي الأولى سنة (٩٣٨) ودفن بجبل صديق النبي.

ويروي الميسي عن ابن المؤذن عن السيد علي بن محمد بن دقماق^(١) عن الشيخ محمد بن شجاع القطان الأنصاري الحلبي صاحب معالم الدين في فقه آل ياسين عن المحقق أبي عبدالله المقداد بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الأسدي الحلبي الغروي صاحب التنقيح وكنز العرفان عن الشهيد الأول^(٢) عن السيد النسابة تاج الدين بن معية إلى آخر الطريقين المتقدمين في رواية الشهيد عنه^(٣). وكتب الشهيد الثاني على الصحيفة التي بخطه المستنسخة على نسخة الشهيد الأول التي كتبها على نسخة سديد الدين علي بن أحمد الحلبي^(٤) وهذا نصّه: يقول زين الدين بن علي إني أروي الصحيفة عن شيخنا الأجل علي بن عبدالعالي الميسي أدام الله أيامه بحق روايته عن شيخه الصالح شمس الدين محمد بن محمد بن داود الشهير بابن المؤذن

(١) في الرياض معرب طخماق مؤلف نزهة العشاق في الأدب.

(٢) خاتمة المستدرک: ص ٣٤١.

(٣) إجازة الشهيد الثاني الكبيرة في إجازات البحار: ص ٨٣.

(٤) هو ابن طراد المطاربادي وفي حديث ٤ من أربعين الشهيد الأول روايته عنه في ٦ ربيع الآخر سنة (٧٥٤) بالحلة وفي خاتمة المستدرک: ص ٤٤٣ عن مجموعة الشهيد توفي ابن طراد أول رجب سنة (٧٦٢) وفي لؤلؤة البحرين: ص ١٣٧ في أكثر النسخ طراد بالدال المهملة وفي بعضها بالزاء المعجمة.

عن الشيخ الصالح ضياء الدين (علي) نجل الشيخ الإمام الأعلم الأكمل خاتمة المجتهدين وآية الله في العالمين شمس الدين (محمد بن مكّي) قدّس الله نفسه وطيّب رmse عن (والده) المذكور بحق روايته عن عدة من مشايخه وهم السيد الإمام الأعظم المرتضى ذو المجدين «عبدالمطلب» الأعرج والشيخ الإمام الأعلم فخر الملة والدين (محمد) ابن الإمام الفاضل العلامة زين الدين (علي بن الحسن بن أحمد بن طراد) المطاربادي والشيخ الفقيه العلامة رضي الدين أبو الحسن (علي ابن أحمد) المزيدي والسيد تاج الدين بن معية جميعاً عن الشيخ أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر عن والده.

وبالإسناد عن الشهيد عن السيد تاج الدين النسابة عن صفّي الدين فخار بن معد عن الشيخ محمد بن محمد بن هارون المعروف بابن الكمال عن أبي طالب حمزة بن شهريار إلى آخر سنده. «وأرويهما» بالطريق إلى الشهيد محمد بن مكّي عن السيد تاج الدين المذكور عن السيد نجم الدين محمد بن محمد بن السيد رضي الدين الآوي الحسيني عن جلال الدين محمد بن محمد الكوفي عن خواجه نصير الدين الطوسي عن والده عن السيد أبي الرضا فضل الله بن علي الحسيني عن السيد أبي الصمصام بسنده كتب بتاريخ ٧ شعبان سنة (٩٣٠)^(١).

وكتب سديد الدين علي بن أحمد بن طراد المطاربادي الحلبي على صحيفته ما نصّه نقلت هذه الصحيفة من خط علي بن السكون وتتبع إعرابها حسب الجهد إلا ما زاغ عنه البصر وذلك في ذي الحجة سنة (٦٤٣) وبلغت مقابلتها مرة ثانية بخط السعيد محمد بن إدريس الحلبي بحسب ما وصل إليه الجهد في ذي القعدة سنة (٦٥٤)^(١) وكان عليها خط عميد الرؤساء عبدالله بن حامد بن أحمد بن علي بن أيوب ونصّه قرأ علي السيد الأجل الأوحّد النقيب العالم جلال الدين عماد الإسلام أبو جعفر القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن معية أدام الله علوه قراءة صحيحة مهذّبة ورويتها له عن السيد بهاء الشرف أبي الحسن محمد بن الحسن بن أحمد عن رجاله المسمين في باطن هذه الورقة وأبحثه روايته لها عني حسبما وقفت عليه وحددته له حرّر في ربيع الآخر سنة (٦٠٣)^(٢). وفي آخر صحيفة الشيخ محمد بن علي الجبعي جد الشيخ البهائي ما صورته قرأ علي هذه الصحيفة الكاملة من أدعية مولانا وسيدنا زين العابدين علي ابن الإمام السبط الشهيد أبي عبدالله الحسين ابن إمام المتقين أبي الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام): المولى المعظم والفاضل المكرم مفخر الفضلاء وخلاصة الأجلاء شمس الدنيا والدين «محمد»

(١) إجازات البحار: ص ٨٢.

(٢) إجازات البحار: ص ٤٤.

ابن الشيخ العلامة أبي الفضائل زين الدنيا والدين شرف الإسلام والمسلمين (علي) ابن الشيخ بدر الدين (حسن) الشهير بالجبعي^(١) رفع الله درجاتهم في أعلا عليين وحشرهم مع النبيين قراءة مهذبة صحيحة مرضية محررة ألفاظها مبينة معانيها بنسخها المنقولة وتأويلاتها المقبولة وكنت مستفيداً منه أعظم الله أجره أكثر من إفادتي له . وأجزت له أدام الله أيامه أن يروي ذلك عني فإني رويتها قراءة على السيد الجليل النقيب أبي العباس تاج الدين (عبد الحميد) ابن السيد جمال الدين (أحمد) بن علي الهاشمي ورواها لي عن الشيخ الأجل عز الدين شيخ السالكين (حسن بن سليمان الحلبي) رفع الله درجته بإسناده المتصل إلى سيدنا ومولانا زين العابدين عليه أفضل الصلاة والسلام . ورويتها أيضاً بحق الإجازة عن الشيخ الجليل بهاء الدين أبي القاسم علي ولد الإمام العالم المحقق خاتم المجتهدين أبي عبد الله شمس الدين (محمد بن مكّي) عن والده المذكور بطريقه المتصل إلى الإمام المذكور آنفاً فليرو ذلك لمن يشاء وأحب فإنّه أهل لذلك حرره علي بن محمد بن علي في ٤ شعبان سنة (٨٥١) (٢) .

(ويروي الصحيفة الكاملة) السيد محيي الدين بن زهرة عن شيخه

(١) محمد هو جد الحسين والد البهائي وترتيب آباء البهائي هكذا الشيخ البهائي

محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن حسن الجبعي .

(٢) إجازات البحار : ص ٤٥ .

محمد بن شهر آشوب عن محمد بن أبي القاسم عن أبي علي عن والده الشيخ الطوسي عن الحسين بن عبيد الله الغضائري عن أبي الفضل الشيباني إلى آخر ما في سند الصحيفة^(١). (ويرويه المحقق الثاني الشيخ علي بن عبد العالي الكركي ففي إجازته للقاضي صفى الدين عيسى المؤرخة سنة (٩٣٧) في أصفهان وهي كبيرة قال بعد ذكر مشايخه الذين يروي عنهم: ومما أرويه بخصوصه كتاب الصحيفة الكاملة للإمام الهمام السجاد زين العابدين ذي الثغفات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين (ونهج البلاغة) من كلام مولى الثقلين أمير المؤمنين وسيد الوصيين أبي الحسن المرتضى علي بن أبي طالب جمع الأجل الأوحّد السعيد الطاهر رضي الدين أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي^(٢) .

(١) إجازات البحار: ص ٤٥.

(٢) إجازات البحار: ص ٦٧ وفي ص ٦٦ ذكر روايته للقوائد السبع العلويات في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة وفي ص ٦٩ ذكر أنه أجاز لدرويش محمد الأصفهاني جد المجلسي الأول المولى محمد تقى من قبل أمه رواية دعاء الصباح المنسوب لأمير المؤمنين (عليه السلام) ودعاء السمات وفي خاتمة مستدرک الوسائل: ص ٤٤٧ قال شارح القوائد السبع العلويات لابن أبي الحديد المسمى شرحه بغرر الدلائل قرأت هذه القوائد على شيخى الإمام العالم الفقيه شمس الدين أبي محمد محفوظ بن وشاح قدس الله روحه بداره بالحلة في صفر سنة =

وفي إجازة صاحب المعالم الكبيرة المذكورة في إجازات البحار: ص ١٠٦ أن والده الشهيد الثاني ذكر له طرق الشهيد الأول في روايته للصحيفة الكاملة ثم ذكر تلك الطرق وذكر طريق رواية الشيخ نجم الدين جعفر بن نما لها. (ويرويه) المولى محمد باقر بن محمد مؤمن السبزواري بطرقه الكثيرة كما في إجازته للمولى محمد شفيع المؤرخة في سنة (١٠٨٥) (ويرويه) المجلسي الأول) محمد تقي بطرقه كما في إجازته للمولى محمد صادق الكرباسي الأصفهاني المؤرخة سنة (١٠٦٨)^(١) (ويرويه) السيد علي خان شارح الصحيفة^(٢) عن جعفر بن كمال الدين البحراني عن حسام الدين الحلبي عن الشيخ البهائي محمد عن والده حسين بن عبدالصمد عن شيخه السيد حسين بن جعفر بن الأعرج الحسيني الكركي والشيخ زين الدين علي بن عبدالله الميسي عن الإمام السعيد محمد بن محمد ابن داود الشهير بابن المؤذن الجزيني عن ضياء الدين علي ابن الإمام السعيد شمس الدين الشهيد محمد بن مكّي عن النسابة

= (٦٨٠) ورواها لي عن المحقق نجم الدين جعفر بن سعيد عن ناظمها وراقم علمها.

(١) إجازات البحار: ص ١٥٤ وص ١٥٦.

(٢) في خاتمة المستدرك (للتوري): ج ٣، ص ٣٤٠ ذكر تمام نسبه إلى الإمام السجاد عليه السلام.

تاج الدين محمد بن القاسم بن معية الحسيني عن السيد كمال الدين محمد بن رضي الدين الآوي الحسيني عن الخواجه نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن عن السيد أبي الرضا فضل الله الراوندي عن السيد أبي الصمصام عن شيخ الطائفة الطوسي بطرقه^(١). (ويرويها) السيد الجليل الأمير محمد الحسيني ابن السيد الأمير محمد صالح الخاتون آبادي سبط المجلسي الثاني المولى محمد باقر صاحب البحار عن جده المجلسي عن أبيه المولى محمد تقي بطرقه المنتهية إلى الشهيد الأول. (ويرويها) السيد عبد الباقي ابن السيد محمد حسين ابن السيد محمد صالح المتوفى سنة (١٢٠٧) عن والده عن جده لأمه المجلسي الثاني صاحب البحار عن أبيه عن الشيخ البهائي بطرقه المنتهية إلى الشهيد الأول. (ويرويها) الحجة المحقق شيخ الشريعة الإصفهاني عن السيد مهدي القزويني عن عمه السيد باقر القزويني عن خاله السيد محمد مهدي بحر العلوم عن الوحيد البهبهاني عن أبيه محمد أكمل عن المجلسي صاحب البحار عن أبيه عن الشيخ البهائي بطرقه المنتهية إلى الشهيد الأول.

(ويرويها) الفقيه الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهة عن أبيه

(١) شرح الصحيفة (للسيد علي خان): ص ٣.

كاشف الغطاء عن الوحيد البهبهاني بطرقه المنتهية إلى الشهيد الأول^(١).

(ويرويها) الشريف الجليل السيد محمد شفيع ابن السيد علي أكبر عن مشايخه المذكورين في إجازته لولديه وهي أكبر من لؤلؤة البحرين طبعت في إيران عنوانها «الروضة البهية في الطرق الشفيعية» وينتهي طريقه إلى الشهيد الأول. (ويرويها) الشريف أبو محمد الحسن بن صدر الدين الكاظمي بأسانيد كثيرة المنتهية إلى القطب الراوندي عن أبي نصر المغاري عن أبي منصور محمد بن أبي نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن عبدالعزيز العكبري المذكور في سند الصحيفة الكاملة.

عَلَى هذا نقتصر في ذكر أسانيد الصحيفة الكاملة المعروفة بزبور آل محمد وإنجيل أهل البيت إذ الإتيان عَلَى جميع الطرق يطول به الكتاب ومن يقرأ إجازات العلماء الأعلام يتجلى له اهتمامهم بالطرق الموصلة إليها وفي ذلك يقول السيد الداماد في تعليقه عَلَى الصحيفة عند قوله «فأخرجت له دعاء» لكل من أشياخنا طريق في روايتها بإسناد متصل إلى المعصوم كما في رواية سائر المتواترات ولاهتمامهم بها أكثر من الشروح

(١) كتاب الإجازة بالوراثه في القرون الثلاثة (للحجة الشيخ آغا بزرك الطهراني).

والحواشي عليها وقد ضبط شيخنا الحجة المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني منها ستة وأربعين .

تنبيه

لقد وقع الخلاف في المقصود بلفظ (حدثنا) الواقع في أول الصحيفة فالذي عليه الشيخ البهائي أنه ابن السكون وبالغ المحقق الداماد في إنكاره وادّعى أنه عميد الرؤساء ولا ثمرة مهمة في تشخيص القائل وما ذكره من الترجيح غير معلوم وابن السكون وعميد الرؤساء كلاهما في طبقة واحدة ومن تلامذة ابن العصار اللغوي ويرويان الصحيفة عن السيد بهاء الشرف المذكور في أول سند الصحيفة وذكر المحدث النوري في خاتمة المستدرک: ص ٤٨٣ أن إسناد هذه الصحيفة ينتهي إلى شيخنا شمس الملة والدين الشهيد الأول محمد بن مكي الدمشقي أعلا الله مقامه .

مشكلة استغفار المعصوم

لقد اتفقت الإمامية الاثنا عشرية على عصمة الأنبياء والأئمة الطاهرين عن كل ذنب وأنه لم يصدر منهم شيء من المعاصي صغيراً كان أو كبيراً لا قبل النبوة والإمامة ولا بعدهما ولكن أوقعهم في الحيرة ما يقرأونه في أدعيتهم عليه السلام من الاعتراف بالتقصير والخروج عن الطاعة كقول زين العابدين عليه السلام: اللهم يحجبني عن مسألتك خلال ثلاث ويحدوني عليها خلة واحدة يحجبني أمر أمرت به فأبطأت عنه ونهي نهيت عنه فأسرعت إليه ونعمة أنعمت بها عليّ فقصّرت في شكرها^(١). ويقول أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام في سجدة الشكر من صلاة الليل: ربّ عصيتك بلساني ولو شئت وعزّتك لأخرستني وعصيتك ببصري ولو شئت وعزّتك لأكمهتني وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزّتك لأصممتني وعصيتك بيدي ولو شئت وعزّتك لكنعتني وعصيتك

(١) الصحيفة الكاملة الدعاء ١٢ وهو اعترافه بالتقصير.

بفرجي ولو شئت وعزّتك لأعقمتني وعصيتك برجلي ولو شئت وعزّتك لجذمتني وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها عليّ ولم يكن هذا جزاؤك مني^(١).

وحيث إنّ البرهنة الصادقة أثبتت طهارة سفراء الله والأمناء على شرائعه عن كل رجاسة ونزّهتهم عما يوصم مقامهم الأسمى ولا يلائم منصبتهم التدنس بأدنى شية تلم بهم وتشين ذكركم وتسقط محلّهم لأنّ الموصوم بالمعاصي بعيد عن تسنم عرض الإمامة غير لائق للسفارة العظمى لعدم ائتمان الحائد عن سنن الحق المتمرد على قدس المولى سبحانه، على تنفيذ قانون الإصلاح الذي شرع لحفظ النظام واكتساح الظلم وإقامة العدل بين الرعية ورد عادية المرجفين والذكر الحكيم يصارح بقوله ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. وقد اتّخذ العلماء طرقاً لحلّ هذه المشكلة لا يخلو جلّها من نقاش غير ما تنبّه له السعيد علي بن عيسى الإربلي المتوفى سنة (٦٨٧) وتلقاه من بعده بالقبول وحاصله أنّ الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام أوقاتهم مشغولة بالله تعالى وقلوبهم مملوءة به وخواطرهم متعلقة بالمبدأ الأعلى جلّ شأنه فهم في المراقبة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) «اعبد ربّك كأنّك تراه فإن لم تره فإنه يراك» فهذه الذوات القدسية في جميع الآفات

(١) كشف الغمة (للإربلي): ص ٢٥٤.

متوجهة إلى المولى تعالى ومقبلون بكلّيتهم عليه فلا يرون أحداً في الوجود إلا النور الأقدس عزّ شأنه فكانوا يعدون اشتغالهم بالأكل والشرب وغيرها من المباحات خطأ عن تلك المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة ويرونه ذنباً وتقصيراً عما يراد منهم وإلى هذا وقعت الإشارة في كلامهم عليه السلام «حسنات الأبرار سيئات المقربين»^(١).

وهذا الحل أنجع في رفع الغائلة مما أورده المجلسي في البحار ج ٧، ص ٢٣٢ من الأجوبة وأشار إلى جملة منها الشريف السيد علي خان في شرح الصحيفة عند شرح دعائه عليه السلام في طلب التوبة والاعتراف بالتقصير مع أنه والشيخ البهائي في شرح الأربعين ص ١١٠ في الحديث ٢٢ صوبا الإربلي في ما تنبّه له ثم إنّ الإربلي حكى في كشف الغمة أنّ الوزير مؤيد الدين القمي وزير الناصر العباسي سأل الشريف النقيب رضي الدين علي بن طاووس عما يقوله أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام من الدعاء المتقدّم: ربّ عصيتك بلساني الخ فأجابه السيّد بأنّ الغرض تعليم الناس وبعد أن فكّر السيد في صدور هذا القول منه في سجدة الشكر من صلاة الليل فأين من يحضر لديه في ذلك الوقت ليكون تعليماً له، لم يعبأ به ولما اجتمع السيد بالوزير السعيد محمد بن

(١) كشف الغمة: ص ٢٥٥.

العلقمي وسأله عن هذا الاستغفار الصادر من الإمام الكاظم (عليه السلام) أخبره بسؤال مؤيد الدين القمي وجوابه له وما عرض له من رده وأنه التفت إلى جهة أخرى وهي أنّ الغاية من هذا الاستغفار التواضع مع المولى تعالى ولكنه كسابقه في بعده عن حل المشكلة إذ لا يعقل صدور مثله عن إمام منزّه عن العيب لأنّه من الكذب الذي لا يستباح حتى للوصي المعصوم (عليه السلام) فالأصوب في حلّها ما أشار إليه الإربلي وتلقاه من بعده بالقبول.

وقد اقتفى أثره في ذلك البيضاوي في شرح المصابيح فقال في شرح قوله (عليه السلام) (ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) الغين لغة الغيم وغان على كذا أي غطاه عليه قال أبو عبيدة في معنى الحديث أي يتغشى قلبي ما يلبسه وقد بلغنا عن الأصمعي أنه سئل عن معنى الحديث فقال للسائل عن قلب من تروي فقال عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لو كان قلب غيره لكنت أفسره لك قال القاضي والله در الأصمعي في انتهاج منهج الأدب وإجلاله القلب الذي جعله الله موقع وحيه ومنزل تنزيله وهو مشرب سد عن أهل اللسان موارد وفتح لأهل السلوك مسالكه وأحق من يعرف أو يعبر عنه مشايخ الصوفية الذين بارك الحق أسرارهم ووضع الذكر عنهم أوزارهم ونحن بالنور المقتبس من مشكاتهم نقول: لما كان قلب النبي (صلى الله عليه وآله) أتم القلوب صفاء وأكثرها ضياءً وأعرفها عرفاناً وكان (صلى الله عليه وآله) معيناً مع ذلك لتشريع الملة وتأسيس

السنة ميسراً غير معسر لم يكن له بد من النزول إلى الرخص والالتفات إلى حظوظ النفس مع ما كان ممتحناً به من أحكام البشرية فكان إذا تعاطى شيئاً من ذلك أسرع كدورة ما إلى القلب لكمال دقته وفرط نورانيته فإنّ الشيء كلما كان أرق وأصفى كان ورود المكدرات عليه أبين وأهدى وكان ﷺ إذا أحسّ بشيء من ذلك عدّه على النفس ذنباً فاستغفر منه اهـ. قال الشيخ البهائي (قده) بعد إirاده وللشيخ العارف كمال الدين عبد الرزاق الكاشي^(١) في هذا المقام كلام جيد جداً منعنا عن ذكره خوف التطويل. وقال العيني قيل الوجه في استغفاره ﷺ وهو معصوم أنّ اشتغاله بالنظر في مصالح الأمة ومحاربة الأعداء وتأليف المؤلفة شاغل له عن عظيم مقامه من حضوره مع الله عزّ وجل وفراغه مما سواه فيراه ذنباً بالنسبة إليه وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال فهو نزول عن عالي درجته فيستغفر لذلك وقيل كان دائماً في الترقّي في الأحوال فإذا رأى ما قبلها دونه استغفر منه كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقرّبين^(٢).

(١) هو أبو الغنائم عبدالرزاق بن جمال الدين الكاشي المتوفى سنة (٧٣٠).

(٢) عمدة القاري: ج ١٠، ص ٥٢١ وأشار إليه ابن أبي الملك في شرح مشارق الأزهار: ج ١، ص ١٨٦.

رسالة الحقوق

انكفأ الإمام السجاد عليه السلام إلى المدينة بحرم النبوة ومخدرات الإمامة وقد شاهد مآسي تستلين لها الجلامد وتزلزل هضب الرواسي وتنفطر لها السماء شاهد نجوم الأرض من آل عبد المطلب على وجه الصعيد مقطّعي الأوصال تسفي عليهم الريح بوغاء الثرى ويبصر ربّات الحجال بين أنّة وحنة ونشيج وعبرة وقد أهدت بهم قساوة زجر وخشونة شمر والناس في فرح الظفر ولا ناصر لهم على كبح عادية المرجفين .

اعتزل زين العابدين عليه السلام الناس وجلس في بيته يذرف الدمع على ما انتابهم من تلك الكوارث وما جرى على ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله من الفوادم لكنه وهو طبيب الإسلام وحياة العالم ونظام الوجود لم يقتنع بهذا وهو يبصر الأمة متفككة الأخلاق مترددة في الطغيان والأمرء لا يهتمهم إلا نوادي الطرب ومجالس الغناء والناس على دين ملوكهم ولا زاجر لهم عما يسخط الرب جلّ شأنه وتيار الضلال الجارف قد أحاط بهم فلم يسع

الإمام (عليه السلام) إلا انتشال أمة جدّه الأقدس (عليه السلام) من مهاوي الهلكة وإرشادها إلى الصراط السوي وحيث إنّ حراجة الوقت حجبته عن رقي الأعواد لإفاضة العظات البالغة اتّخذ لونا آخر من البيان وهو الدعاء تارة والوعظ أخرى كيلا يلحقه حيف من أمراء الوقت ومن تلك النصائح الشافية تعريف الأمة ما يلزمهم من الحقوق المشروعة في حقهم ومن يتدبر هذه الرسالة بإمعان يتجلى له أصول الشريعة الحافظة للعباد الكافلة لمن يفقهها بسلامة الدين والدنيا.

وهذه الرسالة رواها الشيخ الجليل الصدوق المتوفى سنة (٣٨١) في الخصال ج ٢، ص ١٢٦ عن علي بن أحمد بن موسى عن محمد بن أبي عبدالله الكوفي عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري عن حيران بن داهر عن أحمد بن علي بن سليمان الجبلي عن أبيه عن محمد بن علي عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي قال هذه رسالة علي بن الحسين (عليه السلام) إلى أصحابه الخ.

ورواها في الأمالي: ص ٢٢١ مجلس ٥٩ عن علي بن أحمد ابن موسى عن محمد بن جعفر الكوفي الأسدي عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن عبدالله بن أحمد عن إسماعيل بن الفضل عن ثابت بن دينار الثمالي عن سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال حقّ نفسك الخ.

ورواها في من لا يحضره الفقيه : ص ٢٣٣ عن إسماعيل بن الفضل عن ثابت بن دينار عن علي بن الحسين عليه السلام قال حق الله الأكبر الخ .

والطريق إلى إسماعيل بن الفضل كما في مشيخة الفقيه المذكورة في خاتمة مستدرک الوسائل ص ٥٧٥ ج ٣ هو نفس الأمالي والسند صحيح عند المحدث النوري فإن الأول علي بن أحمد بن موسى الدقاق من مشايخ الصدوق الذين يكثر النقل عنهم مع الترحم عليهم والثاني محمد بن جعفر من وكلاء صاحب العصر عجل الله فرجه الذين رأوه ووقفوا على معجزاته والثالث محمد البرمكي عند النجاشي ثقة مستقيم والرابع عبدالله ابن أحمد بن نهيك ثقة صدوق والخامس إسماعيل بن الفضل هو ابن يعقوب بن الفضل بن عبدالله بن الحرث بن نوفل بن الحرث ابن عبدالمطلب ثقة جليل القدر وكفاه فخراً قول الصادق هو كهل من كهولنا وسيد من ساداتنا وأما أبو حمزة الثمالي فهو من الأوتاد والأثبت .

هذا حال السند المذكور في الأمالي والفقيه وأما سند الخصال فالأول هو الدقاق من مشايخ الصدوق والثاني هو محمد ابن جعفر بن عون الأسدي كما جزم به المجلسي وحققه المامقاني في رجاله ج ٢ ، ص ٦١ قسم ثانٍ بترجمته والثالث جعفر بن محمد بن مالك الفزاري وثقه الشيخ الطوسي في رجاله في

باب من لم يرو عنهم وعليه اعتمد المامقاني (قدس سره) والرابع والخامس والسادس لم يعنونوا في الرجال والسابع هو محمد بن القاسم بن الفضيل ذكره النوري في بيان مشيخة الصدوق ص ٦٦٤ من الخاتمة ووثقه وكيف كان فلا يضر جهالة أولئك بعد أن رويت رسالة الحقوق في الأمالي والفقيه بسند الأمالي خالية من المقدمة المذكورة في رواية الخصال نذكر ما في الخصال ونشير إلى الخلاف إن كان بينه وبين الأمالي وما بين قوسين فمن تحف العقول لمؤلفه الشيخ الجليل أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني الحلبي .

قال أبو حمزة هذه رسالة علي بن الحسين (عليه السلام) إلى بعض أصحابه (اعلم) رحمك الله أن الله تعالى عليك حقوقاً محيطية بك في كل حركة تحركتها وسكنة سكنتها أو حال حلتها أو منزلة نزلتها أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت فيها فأكبر حقوق الله تبارك وتعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقّه الذي هو أصل الحقوق ثم ما أوجب الله عزّ وجل لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك فجعل عزّ وجل للسانك عليك حقاً ولسمعك عليك حقاً ولبصرك عليك حقاً وليدك عليك حقاً ولرجلك عليك حقاً ولبطنك عليك حقاً ولفرجك عليك حقاً فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال ثم جعل عزّ وجل لأفعالك عليك حقوقاً فجعل لصلاتك عليك حقاً ولصومك عليك حقاً ولصدقتك عليك حقاً ولهديك

عليك حقاً ولأفعالك عليك حقوقاً ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك.

فأوجبها عليك حقوق أئمتك ثم حقوق رعيّتك ثم حقوق رحمك فهذه حقوق يتشعّب منها حقوق فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان ثم حقّ رعيّتك بالعلم فإنّ الجاهل رعية العالم ثم حق رعيّتك بالملك من الأزواج وما ملكت الأيمان وحقوق رعيّتك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة وأوجبها عليك حق أمك ثم أبيك ثم حق ولدك ثم أخيك ثم الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى ثم حقّ مولاك المنعم عليك ثم مولاك الجارية نعمته عليك ثم حق ذوي المعروف لديك ثم حق مؤذّنك في الصلاة ثم حقّ إمامك في صلاتك ثم حقّ جليّسك ثم حق جارك ثم حق صاحبك ثم حق شريكك ثم حق مالك ثم حق غريمك الذي تطالبه ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدّعي عليك ثم حقّ خصمك الذي تدّعي عليه ثم حق مستشيرك ثم حقّ المشير عليك ثم حق مستنصحك ثم حق الناصح لك ثم حق من هو أكبر منك ثم حق من هو أصغر منك ثم حق سائلك ثم حق من سألته ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل (أو مسرة بقول أو فعل) عن تعمّد منه أو غير تعمّد ثم حقّ أهل ملّتك عليك ثم حق أهل ذمّتك ثم الحقوق الجارية بقدر علل الإخوان وتعرف الأسباب

فطوبى لمن أعانته الله عَلَى ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه لذلك وسدّده.

(١) فأما حقّ الله الأكبر عليك فأن تعبدته لا تشرك به شيئاً فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك عَلَى نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة (ويحفظ لك ما تحب منها).

(٢) وأما حقّ نفسك عليك فأن تستعملها بطاعة الله عزّ وجل (فتؤدي إلى لسانك حقّه وإلى سمعك حقّه وإلى بصرك حقّه وإلى يدك حقّها وإلى رجلك حقّها وإلى بطنك حقّه وإلى فرجك حقّه وتستعين بالله عَلَى ذلك).

(٣) وأما حق اللسان فأكرامه عن الخنا وتعويدته الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها والبر بالناس وحسن القول فيهم (وحمله على الأدب وإجمامه إلّا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا وإعفاؤه من الفضول القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدها وبعد شاهد العقل والدليل عليه وتزيين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه ولا حول ولا قوّة إلا بالله).

(٤) وأما حقّ السمع فتزويجه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحل سماعه (وتزويجه أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلّا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيراً أو تكسب به خلقاً كريماً فإنه باب الكلام إلى القلب يؤدي إلى ضروب المعاني عَلَى ما فيها من خير أو شر ولا قوّة إلا بالله).

(٥) وأما حقّ البصر فأن تغضّه عمّا لا يحلّ وتعتبر بالنظر إليه (وترك ابتذاله إلّا لموضع عبرة تستقبل به بصرًا أو تستفيد به علمًا فإنّ البصر باب الاعتبار).

(٦) وحقّ يدك أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك (فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل ومن الناس اللائمة في العاجل ولا تقبضها عما افترض الله عليها ولا توقرها عن كثير ممّا لا يحلّ لها وبسطها إلى كثير مما ليس عليها فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل وجب لها حسن الثواب من الله في الآجل).

(٧) وحقّ رجلك أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ لك ففيهما تقف على الصراط فانظر أن لا يزلّا بك فتردى في النار.

(٨) وحقّ بطنك أن لا تجعله وعاءً للحرام ولا تزيد على الشبع (وأن تقتصد له في الحلال ولا تخرجه من حدّ التقوى إلى حدّ التهوين وذهاب المروة فإنّ الشبع المنتهي بصاحبه عن كل برّ وكرم مكسلة ومثبطة ومقطعة والري المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة مذهبة للمروة).

(٩) وحقّ فرجك أن تحصنه عن الزنا وتحفظه عن أن ينظر إليه (والاستعانة عليه بغض البصر فإنّه من أعوان الأعوان وضبطه إذا هم بالجوع والظمأ وبكثرة ذكر الموت والتهديد لنفسك بالله والتخويف لها به).

(١٠) وحقّ الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلى الله تعالى فإذا علمت ذلك قمت مقام الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المسكين المتضرّع المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها (مع الإطراق وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والرغبة إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت بها خطيئتك واستهلكتها ذنوبك).

(١١) وحقّ الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك وفرار إليه من ذنوبك وبه قبول توبتك وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك^(١).

(١٢) وحق الصوم أن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك (وهكذا جاء في الحديث الصوم جنة من النار فإن سكنت أطرافك في حجبها رجوت أن تكون محجوباً وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها وترفع جنابات الحجاب فتطلع إلى ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة والقوة الخارجة عن حدّ التقية لله لم تأمن أن تخرق الحجاب وتخرج منه).

(١٣) وحق الصدقة أن تعلم أنها ذخرك عند ربك عزّ وجل

(١) لم يذكره في النجف.

ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها^(١) فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سرّاً أوثق بما استودعته علانية وتعلم أنها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا وتدفع عنك النار في الآخرة (ثم لم تمتن بها على أحد لأنّها لك فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى ما مننت بها عليه لأنّ في ذلك دليلاً على أنّك لم ترد نفسك بها ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحد).

(١٤) وحق الهدي أن تريد به الله عزّ وجل ولا تريد به خلقه ولا تريد به إلا التعرض لرحمة الله (ونجاة روحك يوم تلقاه)^(٢).

(١٥) وحق السلطان أن تعلم أنك جعلت له فتنة وأنه مبتلى فيك بما جعله الله عزّ وجل له عليك من السلطان وأنّ عليك أن لا تتعرض لسخطه فتلقني بيدك إلى التهلكة وتكون شريكاً له في ما يأتي إليك من سوء.

(١) السر في عدم الإشهاد عليها يوم الدين ما ورد من أنّ الصدقة أول ما تقع في يد الله تبارك وتعالى قبل أن تقع في يد السائل وأنّ الله تعالى يريها لصاحبها وأنه تعالى جعل لكل شيء خلقه خازناً يخزنه إلا الصدقة فإنه سبحانه يليها بنفسه ويخزنها لصاحبها وإذا كان الله سبحانه هو الخازن لها فلا يحتاج صاحبها إلى الإشهاد عليها.

(٢) ما بين قوسين من الأمالي والفقيه.

(١٦) وحق سائسك بالتعلم التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والإقبال عليه وأن لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ولا تحدث في مجلسه أحداً ولا تغتاب عنده أحداً وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس عدوه ولا تعادي له ولياً فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه الله عز وجل لا للناس .

(١٧) وحق سائسك بالملك أن تطيعه ولا تعصيه إلا في ما يسخط الله عز وجل فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

(١٨) وحق رعيّتك بالسلطان أن تعلم أنهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوّتك فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم وتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة وتشكر الله على ما آتاك من القوة عليهم .

(١٩) وحق رعيّتك بالعلم أن تعلم أنّ الله عز وجل إنما جعلك قيماً لهم في ما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقاً على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهائه ويسقط من القلوب محلّك .

(٢٠) وحق الزوجة أن تعلم أن الله عزّ وجل جعلها لك سكناً وأنساً وتعلم أن ذلك نعمة من الله تعالى عليك فتكرمها وترفق بها وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها لأنّها أسيرك وتطعمها وتكسوها فإذا جهلت عفوت عنها .

(٢١) وحق مملوكك أن تعلم أنّه حق ربك وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك^(١) لم تملكه لأنك صنعته دون الله تعالى ولا خلقت شيئاً من جوارحه ولا أخرجت له رزقاً ولكن الله عزّ وجل كفاك ذلك ثم سخره لك ائتمنك عليه واستودعك إياه ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه فأحسن إليه كما أحسن الله إليك وإن كرهته استبدلت به ولم تعذب خلق الله عزّ وجل .

(٢٢) وحقّ أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً ووقتك بجميع جوارحها ولم تبال أن تجوع وتطعمك وتعطش وتسقيك وتعري وتكسوك وتضحى وتظلك وتهجر النوم لأجلك ووقتك الحر والبرد لتكون لها فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله عزّ وجل وتوفيقه .

(٢٣) وحقّ أبيك أن تعلم أنه أصلك وأنه لولاه لم تكن

(١) يشير ﷺ إلى أن المالك والمملوك ينتهيان إلى آدم وحواء فالمملوك قريب من مالكة وهو من لحمه ودمه فالإرفاق به إرفاق بنفسه .

فمهما رأيت في نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوّة إلا بالله^(١).

(٢٤) وحقّ ولدك أن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عزّ وجلّ والمعونة له على طاعته فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه.

(٢٥) وحق أخيك أن تعلم أنه يدك وعزّك وقوتك فلا تتخذه

(١) في أحكام القرآن (لأبي بكر ابن العربي المعافري الأندلسي): ج ٢، ص ٣٥ أن شيخاً قال أبياتاً يعتب فيها على ولده قرأها على النبي ﷺ وهي:

غذوتك مولوداً وقد كنت يافعاً تعل بما أحني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأنني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي إليها مدى ما فيك كنت أومل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل
فلما سمع النبي ﷺ الأبيات قال للولد أنت ومالك لأبيك وفي معاني
الأخبار (للصدوق): ص ٥٠ باب ١٠٣ أن رجلاً لما جاء بأبيه إلى
النبي ﷺ وادّعى أنه أخذ ميراثه من أمه فقال الأب إني أنفقت عليه فقال
النبي ﷺ للرجل أنت ومالك لأبيك.

سَلاحاً عَلَى معصية الله ولا عِدَّة لظلم خلق الله ولا تدع نصرته
عَلَى عَدُوّه والنصيحة له فَإِنْ أَطَاعَ الله وَإِلَّا فليكن الله أَكْرَمَ عَلَيْكَ
منه ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ .

(٢٦) وحقّ مولاك المنعم عليك أن تعلم أنّه أنفق فيك ماله
وأخرجك من ذلّ الرق ووحشته إلى عزّ الحرية وأنسها فأطلقك
من أسر الملكة وفكّ عنك قيود العبودية «وأخرجك من السجن
وملكك في نفسك وفرغك لعبادة ربك وتعلم أنه أولى الخلق بك
في حياتك وموتك»^(١) وأنّ نصرته عليك واجبة بنفسك وما احتاج
إليه منك ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ .

(٢٧) وحقّ مولاك الذي أنعمت عليه أن تعلم أنّ الله عزّ
وجل جعل عتقك له وسيلة إليه وحجاباً لك من النار وأنّ ثوابك
في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك
وفي الآجل الجنة .

(٢٨) وحقّ ذي المعروف عليك أن تشكره وتذكر معروفه
وتكسبه المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله
تعالى فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية ثم إن قدرت

(١) ما بين قوسين من الأمالي ويشير بالولاية في الحياة والممات إلى استحقاق
ميراثه بعد عدم الوارث وإلى صلته في حياته وأوضحه في تحف العقول فإنه
قال (فتعلم أنه أولى الخلق بك بعد أولي رحمك في حياتك وموتك) .

عَلَى مَكَافَاتِهِ يَوْمًا كَافِيَتِهِ (وَالَا كُنْتَ مَرَصِدًا لَهُ مَوْطِنًا نَفْسِكَ عَلَيْهَا).

(٢٩) وَحَقَّ الْمُؤْذَنُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مَذْكُرُكَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ وَدَاعَ لَكَ إِلَى حِظِّكَ وَعَوْنِكَ عَلَى قَضَاءِ فَرَضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ فَاشْكُرْهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرَكَ لِلْمَحْسَنِ إِلَيْكَ (وَإِنْ كُنْتَ فِي بَيْتِكَ نَبْهَكَ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ لَا شَكَّ فِيهَا فَأَحْسِنْ صَحْبَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَيْهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

(٣٠) وَحَقَّ إِمَامُكَ فِي صَلَاتِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ تَقْلُدُ السَّفَارَةَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنْ كَانَ بِهِ نَقْصٌ فَدُونُكَ وَإِنْ كَانَ تَمَامًا فَشَرِيكَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْكَ فَضْلٌ فَوْقَى نَفْسِكَ بِنَفْسِهِ وَصَلَاتِكَ بِصَلَاتِهِ فَتَشْكُرْ لَهُ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ.

(٣١) وَحَقَّ جَلِيسُكَ أَنْ تَلِينَ لَهُ جَانِبَكَ وَتَنْصِفَهُ فِي مَجَارَاةِ اللَّفْظِ وَلَا تَقُومَ مِنْ مَجْلِسِكَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَنْ يَجْلِسُ إِلَيْكَ لَهُ الْقِيَامُ عَنْكَ بَغَيْرِ إِذْنِكَ وَتَنْسَى زَلَاتَهُ وَتَحْفَظُ خَيْرَاتَهُ وَلَا تَسْمَعُهُ إِلَّا خَيْرًا.

(٣٢) وَحَقَّ جَارُكَ حِفْظُهُ غَائِبًا وَإِكْرَامُهُ شَاهِدًا وَنَصْرَتُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا وَلَا تَتَّبِعْ عَوْرَتَهُ فَإِذَا عَلِمْتَ عَلَيْهِ سُوءَ سِتْرَتِهِ عَلَيْهِ وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يَقِيلُ نَصِيحَتَكَ نَصَحَتِهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَلَا تَسْلَمْهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَتَقِيلُ عَثْرَتَهُ وَتَغْفِرُ ذَنْبَهُ وَتَعَاشِرُهُ مَعَاشِرَةَ كَرِيمَةٍ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (وَلَا تَدْخُرْ حِلْمَكَ عَنْهُ إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ وَلَا تَخْرُجْ أَنْ تَكُونَ سَلَمًا لَهُ تَرَدَّدَ عَنْهُ لِسَانُ الشَّتِيمَةِ وَتَبْطُلَ فِيهِ كَيْدُ حَامِلِ النَّصِيحَةِ).

(٣٣) وحقّ الصاحب أن تصحبه بالتفضّل والإنصاف وتكرمه كما يكرمك ولا تدعه يسبقك إلى مكرمة فإن سبق كافيته وتوده كما يودّك وتزجره عما يهّم به من معصية وكن عليه رحمة ولا تكن عليه عذاباً ولا قوّة إلّا بالله.

(٣٤) وحقّ الشريك إن غاب كفيته وإن حضر رعيته ولا تحكم دون حكمه ولا تعمل برأيك دون مناظرته وتحفظ عليه ماله ولا تخونه في ما عزّ أو هان من أمره فإن يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا ولا قوّة إلّا بالله.

(٣٥) وحقّ مالك أن لا تأخذه إلّا من حله ولا تنفقه إلّا في وجهه ولا تؤثر على نفسك من لا يحمذك فاعمل فيه بطاعة ربّك ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة ولا قوّة إلّا بالله.

(٣٦) وحقّ غريمك الذي يطالبك فإن كنت موسراً أعطيته وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول ورددته عن نفسك رداً لطيفاً (ولم تجمع عليه ذهاب ماله وسوء معاملته فإنّ ذلك لؤم).

(٣٧) وحقّ الخليط أن لا تغرّه ولا تغشه ولا تخدعه وتتقي الله تبارك وتعالى في أمره (ولا تكذبه ولا تغفله ولا تعمل في انتقاضه عمل العدو الذي لا يبقى على صاحبه وإن اطمأنّ إليك استقصيت له على نفسك وعلمت أن غبن المسترسل ربا).

(٣٨) وحقّ الخصم المدّعي عليك فإن كان ما يدّعيه عليك

حقاً كنت شاهده على نفسك ولم تظلمه وأوفيته حقه وإن كان ما يدّعيه باطلاً رفقت به ولم تأت في أمره غير الرفق ولم تسخط ربك في أمره ولا قوّة إلا بالله (وناشدته بدينه وكسرت حدّته عنك بذكر الله وألقيت حشو الكلام ولغظه الذي لا يرد عنك عادية عدوك بل تبوء بإثمه وبه يشحذ عليك سيف عداوته لأنّ لفظة السوء تبعث الشر والخير مقمعة للشر).

(٣٩) وحق خصمك الذي تدّعي عليه إن كنت محقاً في دعوتك أجملت مقاولته ولم تجحد حقه (وإن كنت مبطلاً في دعواك اتّقيت الله وتبت إليه وتركت الدعوى)^(١) (فإن للدعوى غلظة في سمع المدّعى عليه وقصدت قصد حجتك بالرفق وأمهل المهلة وأبين البيان وألطف اللطف ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعة بالقليل والقال فتذهب عنك حجّتك ولا يكون لك في ذلك درك).

(٤٠) وحق المستشار إن علمت أنّ له رأياً أشرت عليه (بما تعلم أنك لو كنت مكانه عملت به وذلك ليكن منك في رحمة ولين فإنّ اللين يؤنس الوحشة وإن الغلظ يوحش موضع الأنس)^(٢) وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم (من تثق برأيه وترضى به لنفسك ودلّته عليه فكنت لم تأله خيراً ولم تدخره نصحاً)^(٣).

(١) من الأمالي.

(٢)، (٣) من التحف.

(٤١) وحقّ المشير عليك أن لا تتهمه في ما لا يوافقك من رأيه (إذا أشار عليك فإنما هي الآراء وتصرف الناس فيها واختلافهم فكن عليه في رأيه بالخيار إذا اتّهمت رأيه فأما تهمته فلا تجوز لك إذا كان عندك من يستحق المشاورة ولا تدع شكره على ما أبدى لك من إشخاص رأيه وحسن وجه مشورته) فإن وافقك حمدت الله^(١) (وقبلت ذلك من أخيك بالشكر والإرصاد بالمكافأة في مثلها إن فزع إليك).

(٤٢) وحق المستنصح أن تؤدي إليه النصيحة وليكن مذهبك الرحمة (وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله فإن لكل عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه).

(٤٣) وحقّ الناصح أن تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك فإن أتى بالصواب حمدت الله عزّ وجل وإن لم يوافق رحمته ولم تتهمه وعلمت أنه أخطأ ولم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقاً للتهمة فلا تعبأ بشيء من أمره على حال ولا قوّة إلا بالله.

(٤٤) وحقّ الكبير توقيره لسنة وإجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك وترك مقابله عند الخصام ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدمه ولا تستجهله وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحقّ الإسلام وحرمته.

(١) من الأمالي.

(٤٥) وحقّ الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له (والستر علىّ جرائر حدّاته فإنّه سبب للتوبة والمداراة له وترك مماحكته فإن ذلك أدنى لرشده).

(٤٦) وحقّ السائل إعطاؤه علىّ قدر حاجته (والدعاء له في ما نزل به والمعاونة له علىّ طلبته وإن شككت في صدقه وسبقت إليه التهمة ولم تعزم علىّ ذلك لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدّك عن حظك ويحول بينك وبين التقرب إلى ربّك تركته بستره ورددته ردّاً جميلاً وإن غلبت نفسك في أمره وأعطيته علىّ ما عرض في نفسك منه فإنّ ذلك من عزم الأمور).

(٤٧) وحقّ المسؤول إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله وإن منع فاقبل عذره (وأحسن به الظن واعلم أنّه إن منع فلماله منع وأنّ ليس التشريب في ماله وإن كان ظالماً فإنّ الإنسان لظلوم كفار).

(٤٨) وحقّ من سرّك الله به أن تحمد الله أولاً ثم تشكره (علىّ ذلك بقدره في موضع الجزاء وكافأته علىّ فضل الابتداء وأرصدت له المكافأة إن تعمدها لك وإن لم يكن تعمدها حمدت الله أولاً ثم شكرته وعلمت أنّه منه توحدك بها وأحبت هذا إذ كان سبباً من أسباب نعم الله عليك وترجو له بعد ذلك خيراً فإنّ أسباب النعم بركة حيثما كانت).

(٤٩) وحقّ من ساءك أن تعفو عنه فإن علمت أنّ العفو يضره انتصرت قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلَمَنِ انْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ (٤١) ﴿وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾﴾ (١٢٦) هذا في العمد فإن لم يكن عمد لم تظلمه بتعمد الانتصار منه فتكون قد كافأته في تعمد على خطأ ورفقت به ورددته بالطف ما تقدر عليه).

(٥٠) وحقّ أهل ملّتك إضمار السلامة لهم والرحمة لهم والرفق بمسيئتهم وتآلفهم واستصلاحهم وشكر محسنهم وكفّ الأذى عنهم وتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وأن يكون شيوخهم بمنزلة أبيك وشبابهم بمنزلة إخوتك وعجائزهم بمنزلة أمك والصغار بمنزلة الأولاد (ومن أتاك تعاودته بلطف ورحمة وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه).

(٥١) وحقّ أهل الذمّة أن تقبل منهم ما قبل الله عزّ وجل ولا تظلمهم ما وفوا لله بعهد ولا قوّة إلّا بالله.

هذه رسالة الحقوق التي أفاضها لطف الإمام السجاد عليه السلام على أمة جدّه الأعظم الذي كابد في إنقاذها من مخالب الضلال ومرديات الجاهلية الأولى كل شدة حتى ورد عنه عليه السلام «ما أُوذي نبي كما أُوذيت»^(١) وإني على يقين من أنه عليه السلام أراد بهذه الكلمة

(١) غرر الخصاص (للوطواط): ص ٢٥٨ في باب من قدر فعفا.

الثمينة الإشارة إلى ما كان يتحمله من رجال ونساء ينظر إليهم بعلمه الواسع فيشاهد ما يأتون به من البدع في هذه الملة المقدسة ويرجعون بأمتة القهقري ويؤخرون من قدمه المولى سبحانه ونصبه علماً يستضاء بأنوار تعاليمه القدسية إذاً فكيف حال هذا العالم بما كان ويكون إلى يوم النشور حتى كأنّ الأشياء نصب عينه إقداراً له من منشي كيانه ولتكوّن الأئمة الطاهرين من النور الأحمدى واتحادهم مع الحقيقة المحمدية الممتازة على سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين أودع فيهم «جلّ شأنه» ذلك العلم الشامل لما كان ويكون.

فهو صلوات الله عليه إن جاء إلى المسجد شاهد أولئك الرجال الذين وصفهم سبحانه وتعالى بقوله ﴿أَفَايُن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ ويقرأ في أسرة جبهاتهم ما يسودون به صحائفهم من جرائم وخزايا لا تطفأ شعلتها إلى يوم البعث وإن رجع إلى داره واجه من نساءه من تجر الويلات من بعده فيهلك بسببها خلق كثير فيتنفس الصعداء ويكثر من الاسترجاع ولم يعده التحذير لها بقوله ﷺ: أيتكن صاحبة الجمل الأدب تنبأها كلاب الحوآب^(١) فتستعظم أم سلمة منه هذا التوبيخ وتخاف العقاب الدائم والخلود في لظى مع المشركين وتستفهمه بقولها:

(١) تظهر الجنان بهامش الصواعق المحرقة: ص ١٠٨.

أنا يا رسول الله فيطمئنها بالسعادة الخالدة لخضوعها للأصلح المرضي لرب العالمين والإذعان بموالاته المستحق للخلافة الإلهية بعد انقضاء أمد الرسالة الذي لم يعرفه بحقيقته إلا من أهله للوصاية وسفيره الأقدس ففي الحديث عن النبي ﷺ: يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت وما عرفني إلا الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا^(١).

ومن هنا كان أبو عبد الله الصادق عليه السلام يرشد الشيعة إلى ما يقربهم من المولى سبحانه زلفة فيقول إذا قال أحدكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فليقل علي أمير المؤمنين^(٢) من أجل خضوع أم سلمة

(١) المحتضر: ص ١٦٥ ومختصر البصائر: ص ١٢٥ كلاهما (للحسن بن سليمان الحلبي).

(٢) من عموم الحديث لم يستبعد المجلسي في البحار: ج ١٨، ص ١٦٢ كني كون الشهادة بالولاية من الأجزاء المستحبة في الأذان واستجوده الشيخ يوسف البحراني في (الحقائق) بعد نقل كلامه ولم يستبعد النراقي في المستند: ج ١، ص ٣١٤ القول باستحبابها فيه للتسامح في أدلته وفي شرح نجاة العباد (للسيد إسماعيل النوري) أن المتصفح الروايات في فضائله يقطع بمحبوبة اقتران اسمه والشهادة له بالولاية باسم الله واسم رسوله كلما يذكران لفظاً وكتابة وذكرأً ولا معنى للاستحباب إلا الرجحان الذاتي وفي غنائم الميرزا القمي: ص ١٧٠ القول بالرجحان للتسامح في السنن بدون اعتقاد الجزئية وفي كشف الغطاء بعد المنع من جعله من فصول الأذان قال ومن قصد ذكره عليه السلام لإظهار شأنه أو لمجرد رجحانه أو للرد =

للولحي الربوبي بأنّ علياً خليفة الرسول بلا فصل بشر بها صاحب الدعوة الإلهية (بأنها على خير) ولكنه وضع يده على كتف الزوجة الأخرى وقال ﷺ محذراً لها: إياك أن تكوني صاحبة الجمل (وعلى كل) فرسالة الحقوق التي تلطف بها إمام الأمة ومرشدها الأكبر برنامج وافٍ لصلاح البشر وقد تكفلت جميع شؤون الأمة في حلّها ومرتحلها وما تحتاج إليه في المعاشرة مع الناس والأنظمة العائلية والحركات الاجتماعية فيجب على كل أحد أن يقف أمام هذا القانون الإلهي موقف الحرباء من الشمس الضاحية ليغمره الكمال من جميع نواحيه وتحفّ به السعادة في كل أطواره فهي أثارة من علم يقتص أثرها كل إنسان كامل ويتأثر بما فيها كل من يتحرى في سلوكه مناهج الصلاح ويبتغي الرضوان في مصيره ومن جعله نصب عينه لم يعده جمال الدنيا والفوز في الآخرة ومن استشفها بنظر الإمعان يجد نفسه في مندفع الصالح العام وبمجنب عن كل خطر فكأن سائقاً يسوقه إلى الهدى أو وازعاً يردعه عن الردى ولأمثال هذه قيض الله سبحانه الأئمة المعصومين (عليهم السلام) لينقذوا الناس عن التيه في مسالك العمى والخطب في الضلالة فجاءوا بالكثير الطيب من هذا النوع في خطبهم ومواعظهم وأحاديثهم الشريفة وجوامع الكلم من درر أقوالهم وجمان كلماتهم الإرشادية.

= على المخالفين وإرغام أنوف المعاندين أو لما روي من ذكره مع ذكر رب العالمين وسيد المرسلين أثيب على ذلك.

النصائح

وإليك ما أوقفنا البحث عليه من نصائح الإمام زين العابدين عليه السلام وكلماته الحكمية مما يضاهي هذه الرسالة الثمينة رسالة الحقوق .

قال صلوات الله عليه في الزهد والتقوى والتحذير من سخط الباري ونقمته في ما كتبه إلى أصحابه : بسم الله الرحمن الرحيم : اتّقوا الله واعلموا أنكم إليه ترجعون فتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذّركم الله نفسه ويحك ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه إنّ أجلك أسرع شيء إليك قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك قد أوفيت أجلك وقد قبض الملك روحك وصيرك إلى قبرك وحيداً ترد إليك روحك واقتحم عليك ملكان ناكراً ونكيراً لمساءلتك وشديد امتحانك . ألا وإنّ أول مسألة يسألانك عنها ربّك الذي كنت تعبدّه وعن نبيّك الذي أرسل إليك وعن دينك

الذي كنت تدين به وعن كتابك الذي كنت تتلوه وعن إمامك الذي كنت تتولاه^(١).

وعن عمرك في ما أفنيته وعن مالك من أين اكتسبته وفي ما أنفقته فخذ حذرک وانظر لنفسك وأعدّ الجواب قبل الامتحان والمسألة والاختبار فإنّك مؤمناً عارفاً بدينك متبعاً للصادقين موالياً لأولياء الله لقاءك الله حجتك وأنطق لسانك بالصواب فأحسنّت الجواب وبشّرت بالجنة والرضوان من الله واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودحضت حجتك وعييت عن الجواب وبشّرت بالنار واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية الجحيم (واعلم) يا ابن آدم أن ما وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ويجمع الله به الأولين والآخرين يوم ينفخ في الصور ويبعث فيه القبور ذلك يوم الآفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ذلك يوم لا تقال فيه عشرة ولا تؤخذ من أحد فدية ولا تقبل من أحد معذرة ولا لأحد فيه مستقبل توبة ليس إلاّ الجزاء بالحسنات والجزاء بالسيئات فمن كان من المؤمنين وعمل في الدنيا مثقال ذرة من خير وجده ومن

(١) سيأتي في عنوان تفسير الآيات عند ذكر قوله تعالى ﴿لَتَسْلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ مسألة السؤال في القبر عن الولاية.

كان من المؤمنين وعمل في الدنيا مثقال ذرة من شر وجده .
 فاحذروا أيها الناس من المعاصي ما قد نهاكم الله عنها
 وحذركموها في كتابه الصادق الناطق ولا تأمنوا مكر الله وتدميره
 عند ما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات
 في هذه الدنيا فإن الله يقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ
 الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠١] . فأشعروا
 قلوبكم خوف الله وتذكروا ما وعدكم في مرجعكم إليه من حسن
 ثوابه كما خوَّفكم من شديد عقابه فمن خاف شيئاً حذره ومن حذر
 شيئاً تركه ولا تكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الحياة الدنيا
 ويقول سبحانه : ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ
 يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٤٥] أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ
 بِمُعْجِزِينَ [٤٦] أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ [النحل : ٤٥] .

فاحذروا ما حذركم الله بما فعل بالظلمة في كتابه والله لقد
 وعظكم بغيركم وإن السعيد من وعظ بغيره ولقد أسمعكم الله في
 كتابه ما فعل بالقوم الظالمين أهل القرى قبلكم حيث قال ﴿وَأَنشَأْنَا
 بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ وقال تعالى ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
 يَرْكُضُونَ﴾ [١٢] وقال سبحانه : ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
 وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٣] قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ [١٤] [الأنبياء] .
 فإن قلت أيها الناس إنما عنى الله بهذا أهل الشرك فكيف ذاك
 وهو يقول ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أُنَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبَةً ﴿٤٧﴾ [الأنبياء]. اعلموا عباد الله أنَّ أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين وإنما يحشرون إلى جهنم زمراً وإنما تنصب الموازين وتنشر الدواوين لأهل الإسلام فاتَّقوا الله عباد الله واعلموا أنَّ الله لا يحبُّ زهرة الدنيا لأحد من أوليائه ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها وإنما خلق الدنيا وخلق أهلها ليلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لآخرته وأيم الله لقد ضربت لكم الأمثال وصرفت الآيات لقوم يعقلون. فكونوا أيها المؤمنون من القوم الذين يعقلون ولا قوَّةَ إِلَّا بالله وازهدوا في ما زهدكم الله فيه من عاجل الحياة الدنيا فإنَّ الله يقول وقوله الحق: ﴿إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَرَتْ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَتَدْرَأُ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤] ولا تركنوا إلى الدنيا فإنَّ الله تعالى قال لمحمد ﷺ: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَتَسِكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وما فيها ركوب من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان فإنها دار قلعة ومنزل بلغة ودار عمل فتزودوا من الأعمال الصالحة قبل تفرُّق أيامها وقبل الإذن من الله في خرابها فكأن قد أخرجها الذي عمرها أول

مرّة وابتدأها وهو وليّ ميراثها وأسأل الله لنا ولكم العون على تزود التقوى والزهد في الدنيا جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل هذه الحياة الدنيا الراغبين في آجل ثواب الآخرة فإنما نحن له وبه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١).

(٢) وروى أبو حمزة الثمالي أنّ الإمام السجاد كتب إلى أصحابه: بسم الله الرحمن الرحيم كفانا الله وإياكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين وبطش الجبارين أيها المؤمنون لا يفتنكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا المائلون إليها المفتنون بها المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد غداً واحذروا ما حذركم الله منها وازهدوا في ما زهدكم الله فيه منها ولا تركنوا إلى ما في هذه الأمور ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان والله إنّ لكم مما فيها لدليلاً وتنبهاً من تصريف أيامها وتغيير انقلابها ومثالاتها وتلاعبها بأهلها أنها لترفع الخميل وتضع الشريف وتورد أقواماً إلى النار غداً ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنته. إنّ الأمور الواردة عليكم في كل يوم من ملومات الفتن وحوادث البدع وسنن الجور وبوائق

(١) رواها الكليني في روضة الكافي: ص ١٦٠ ملحقة بتحف العقول والصدوق في الأمالي: ص ٣٠١ مجلس ٧٦ والحسن بن شعبة في تحف العقول: ص ٥٩ والشيخ ورام الحلي في المجموعة: ص ٢٦٥.

الزمان وهيبة السلطان ووسوسة الشيطان لتشط القلوب عن تنبها وتذهلها عن موجود الهدى ومعرفة أهل الحق إلا قليلاً ممن عصم الله فليس يعرف تصرف أيامها وتقلب حالاتها وعاقبة ضرر فتنها إلا من عصم الله ونهج سبيل الرشد وسلك طريق القصد ثم استعان على ذلك بالزهد فكرر الفكر واتعظ بالصبر فازدجر وزهد في عاجل بهجة الدنيا وتجافى عن لذاتها ورغب في دائم نعيم الآخرة وسعى لها سعيها وراقب الموت وشناً الحياة مع القوم الظالمين، نظر إلى ما في الدنيا بعين قرّة^(١) حديدة النظر وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة. فقد لعمرى استبدلتم الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك في ما تستدلّون به على تجنب الغواية وأهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحق فاستعينوا بالله وارجعوا إلى طاعة الله وطاعة من هو أولى بالطاعة ممن اتّبع فأطيع. فالحذر الحذر من قبل الندامة والحسرة والقدوم على الله والوقوف بين يديه وتالله ما صدر قوم عن معصية الله إلا إلى عذابه وما آثر قوم قط الدنيا على الآخرة

(١) في القاموس وتاج العروس يقال قرت قرّة بضم القاف وفتحها وقرورة عينه بردت سروراً وجفّ دمعها ورأت ما كانت متشوقة إليه فهو قرير العين وعينه قريرة وفي الروضة: نيرة.

إِلَّا سَاءَ مَنْقَلِبُهُمْ وَسَاءَ مَصِيرُهُمْ وَمَا الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ إِلَّا الْفَانُ
مُؤْتَلِفَانِ فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ خَافَهُ وَحَثَّهُ الْخَوْفُ عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ
وَإِنَّ أَرْبَابَ الْعِلْمِ وَأَتْبَاعَهُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا اللَّهَ فَعَمَلُوا لَهُ وَرَغَبُوا
إِلَيْهِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ﴿١﴾ فَلَا تَلْتَمِسُوا
شَيْئاً مِمَّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَاشْتَغَلُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِطَاعَةِ
اللَّهِ وَاغْتَنِمُوا أَيَّامَهَا وَاسْعُوا لِمَا فِيهِ نَجَاتُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَإِنَّ
ذَلِكَ أَقْلٌ لِلتَّبَعَةِ وَأَدْنَى مِنَ الْعِذْرِ وَأَرْجَى لِلنَّجَاةِ وَقَدِّمُوا أَمْرَ اللَّهِ
وِطَاعَةَ مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْأُمُورِ كُلِّهَا وَلَا تَقْدُمُوا
الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْكُمْ مِنْ طَاعَةِ الطَّوَاغِيتِ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا بَيْنَ
يَدَيِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ
وَنَحْنُ مَعَكُمْ يَحْكُمُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ سَيِّدٌ حَاكِمٌ غَدًا وَهُوَ مُوقِفُكُمْ
وَمَسَائِلُكُمْ فَأَعِدُّوا لِلْجَوَابِ قَبْلَ الْوُقُوفِ وَالْمَسْأَلَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى
رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَصَدِّقُ كَاذِبًا وَلَا يَكْذِبُ صَادِقًا
وَلَا يَرُدُّ عِذْرَ مُسْتَحِقٍّ وَلَا يَعْذِرُ غَيْرَ مُعْذُورٍ لَهُ الْحُجَّةُ عَلَى خَلْقِهِ
بِالرُّسُلِ وَالْأَوْصِيَاءِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاسْتَقْبِلُوا فِي إِصْلَاحِ
أَنْفُسِكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ وَطَاعَةَ مَنْ تَوَلَّوْنَهُ فِيهَا لَعَلَّ نَادِمًا قَدْ نَدِمَ فِي مَا
فَرَّطَ فِي الْأَمْسِ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَضَيَّعَ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ
وَتَوَبُّوا إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَةِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ .
وَإِيَّاكُمْ صَحْبَةَ الْعَاصِينَ وَمَعُونَةَ الظَّالِمِينَ وَمُحَاوَرَةَ الْفَاسِقِينَ
احْذَرُوا فِتْنَتَهُمْ وَتَبَاعَدُوا مِنْ سَاحَتِهِمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ أَوْلِيَاءَ

الله ودان بغير دين الله واستبدّ بأمره دون وليّ الله كان في نار تلتهب تأكل أبداناً قد غابت عنها أرواحها وغلبت عليها شقوتها (فهم موتى لا يجدون حرّ النار ولو كانوا أحياءً لوجدوا مضض حرّ النار)^(١).

فاعتبروا يا أولي الأبصار واحمدوا الله على ما هداكم واعلموا أنكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته وسيرى الله عملكم ورسوله ثم إليه تحشرون وانتفعوا بالعظة وتأدّبوا بآداب الصالحين^(٢).

(٣) حدّث أبو حمزة الثمالي أنّ علي بن الحسين كان يقول لأصحابه أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً وإنّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم في ما عند الله رغبة وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدّكم خشية لله وإنّ أقربكم من الله أوسعكم خلقاً وإنّ أرضاكم

(١) ما بين قوسين من روضة الكافي وفسّره المجلسي في مرآة العقول: ج ٤، ص ٢٥٣ بأنّ المراد أنهم موتى في دار الدنيا بالغفلة عما يراد منهم فلا يجدون حر نار الحرمان والسخط والخذلان ولو كانوا أحياءً لوجدوا مضض ذلك.

(٢) هذه الرسالة رواها الكليني في روضة الكافي: ص ١٣٨ الحديث الثاني ملحق بتحف العقول وفي هامش مرآة العقول: ج ٤، ص ٢٥٢ والشيخ المفيد في الأمالي: ص ١١٧ ط. النجف (المطبعة الحيدرية) وابن شعبة في تحف العقول: ص ٦٧.

عند الله أسبغكم عَلَى عياله وَإِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَلَى الله أَتْقَاكُمْ لله تعالى^(١).

(٤) وقال ﷺ أَشَدَّ سَاعَاتِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثُ: السَّاعَةُ الَّتِي يَعَايِنُ فِيهَا مَلِكُ الْمَوْتِ وَالسَّاعَةُ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا مِنْ قَبْرِهِ وَالسَّاعَةُ الَّتِي يَقِفُ فِيهَا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ فَإِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ قَالَ إِنْ نَجَوْتَ يَا ابْنَ آدَمَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَأَنْتَ أَنْتَ وَإِلَّا هَلَكْتَ وَإِنْ نَجَوْتَ يَا ابْنَ آدَمَ حِينَ تَوْضَعُ فِي قَبْرِكَ فَأَنْتَ أَنْتَ وَإِلَّا هَلَكْتَ وَإِنْ نَجَوْتَ حِينَ يَحْمِلُ النَّاسُ عَلَى الصَّرَاطِ فَأَنْتَ أَنْتَ وَإِلَّا هَلَكْتَ وَإِنْ نَجَوْتَ حِينَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَأَنْتَ أَنْتَ وَإِلَّا هَلَكْتَ ثُمَّ تَلَا ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) وَقَالَ هُوَ الْقَبْرُ وَإِنْ لَهُمْ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَاللهُ إِنْ الْقَبْرُ لَرَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حَفْرَةٌ مِنْ حَفْرِ النَّارِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ جُلَسَائِهِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ عَلِمَ سَاكِنُ السَّمَاءِ مِنْ سَاكِنِ الْجَنَّةِ وَمَنْ سَاكِنُ النَّارِ فَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَنْتَ وَأَيُّ الدَّارَيْنِ دَارُكَ^(٣).

(١) روضة الكافي: ص ١٥٨ الحديث ٢٤ وتحف العقول: ص ٦٧ ومشكاة الأنوار: ص ٦٩ بدون ذكر القرب من الله والرضا عنده.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠١.

(٣) الخصال (للصدوق): ج ١، ص ٥٩ والغايات له: ص ٩٦ طبع في مجموعة من رسائله عنوانها جامع الأحاديث ورواه في تفسير البرهان: ج ٢، ص ٧٢٥ عن ابن بابويه في تفسير قوله ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

(٥) وقال (عليه السلام) الموت للمؤمن كنز ثياب وسخة وفك أغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأوطأ المراكب وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل من منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب^(١).

(٦) وقال في جواب من سألته عن القيامة: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين وجميع ما خلق في صعيد واحد ونزلت ملائكة السماء الدنيا وأحاطت بهم صفاً ثم ضرب حولهم سرادق من نار ثم نزلت ملائكة السماء الثانية فأحاطوا بالسرادق ثم ضرب حولهم سرادق من نار ثم نزلت ملائكة السماء الثالثة فأحاطوا بالسرادق ثم ضرب حولهم سرادق من نار حتى عدّ ملائكة سبع سموات وسبع سرادقات فصعق الرجل فلما أفاق قيل له يا ابن رسول الله أين علي وشيعته، قال: على كثران المسك يؤتون بالطعام والشراب لا يحزنهم ذلك^(٢).

(٧) وقال (عليه السلام) إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإنّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون ولا تكونوا من أبناء الدنيا إلاّ وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ألاّ إنّ الزاهدين في الدنيا اتّخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء

(١) معاني الأخبار (للصدوق): ص ٢٨٩ باب ١٣٦ ط. الأعلمي بيروت.

(٢) البحار: ج ٣، ص ٢٤٢ عن بشارة المصطفى (لابن جرير الطبري).

طيباً وقرضوا من الدنيا تقريضاً ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ألا إن الله عبداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلّدين وكمن رأى أهل النار في النار معذّبين شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة أما الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون إلى ربّهم يسعون في فكاك رقابهم وأما النهار فحلمااء علماء بررة أتقياء كأنهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها^(١).

(٨) كان ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ يحدث الناس عن يوم القيامة ومما قال إذا كان ذلك اليوم بعث الله الناس من حفرهم غرلاً جرذاً مردأً يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة المحشر فيركب بعضهم بعضاً للازدحام عليها فيمنعون من المضى فتشتد أنفاسهم ويكثر عرقهم وتضيق بهم أمورهم ويشتد ضجيجهم وترتفع أصواتهم وهذا أول هول من أهوال القيامة فيأمر الله تعالى ملكاً من الملائكة ينادي يا معشر الخلائق أنصتوا

(١) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ١٣٧ باب ذم الدنيا والزهد فيها ورواه في تحف العقول: ص ٦٨ باختلاف يسير.

واستمعوا منادي الجبار جلّ وعلا فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم
فتنكسر عندئذ أصواتهم وتخضع أبصارهم وتضطرب فرائصهم
وتفرع قلوبهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى
الداعي ويقول الكافر هذا يوم عسير . فيشرف الله العدل الحكيم
ويقول أنا الله لا إله إلا أنا الحكيم العدل أحكم بينكم بعدلي
وقسطي لا يظلم اليوم عندي أحد اليوم آخذ للضعيف من القوي
بحقه ولصاحب المظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات وأثيب
على الهبات فتلازموا أيها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من
ظلمكم بها في الدنيا وأنا شاهد لكم بها عليها وكفى بي شهيداً .
فيتعارفون ويتلازمون فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمة أو حق إلا
لزمه بها فيمكثون ما شاء الله فيشتد حالهم ويكثر عرقهم وترتفع
أصواتهم بضجيج شديد فيتمنون المخلص بترك مظالمهم لأهلها .
فينادي منادٍ من عند الله تعالى يسمع آخرهم كما يسمع أولهم يا
معشر الخلائق أنصتوا إلى الله تبارك وتعالى واسمعوا إن الله يقول
أنا الوهاب إن أحببتم أن تواهبوا فتواهبوا وإن لم تواهبوا أخذت
لكم بمظالمكم فيفرحون بذلك لشدة جهدهم وضيق مسلكهم
وتراحمهم فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أن يتخلصوا مما هم فيه
ويبقى بعضهم يقولون يا رب مظالمنا أعظم من أن نهبها .

فعندها ينادي منادٍ من تلقاء العرش أين رضوان خازن جنان
الفردوس فيأمره الله تعالى أن يظهر من الفردوس قصراً من فضة

بما فيه من الخدم والفرش والأواني فينادي منادٍ من قِبَل الله تعالى يا معشر الخلائق ارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى هذا القصر فإذا رأوه يتمناه كل واحد منهم فينادي منادٍ يا معشر الخلائق هذا لكل من عفا عن مؤمن فعندها يعفون إلاّ القليل منهم . فيقول الله سبحانه اليوم لا يجوز إلى جنتي ظالم ولا لأحد من المسلمين عنده مظلمة حتى تؤخذ منه عند الحساب أيها الخلائق استعدّوا للحساب فيجوزون العقبة حتى ينتهوا إلى العرصة وقد نشرت الدواوين ونصبت الموازين وأحضر النبيون والشهداء (وهم الأئمة عليهم السلام) يشهد كل إمام على أهل عالمه بأنه قد قام فيهم بأمر الله ودعاهم إلى سبيل الله تعالى .

فقام رجل وقال يا ابن رسول الله إذا كان للمؤمن على الكافر مظلمة فأَي شيء يأخذ منه وهو من أهل النار فقال علي بن الحسين عليه السلام يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافر فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره قال فإن كان للمسلم على المسلم مظلمة فما يأخذ منه فقال عليه السلام يؤخذ من حسنات الظالم ويدفع للمظلوم وإن لم يكن له حسنات يؤخذ من سيئات المظلوم ويحط على الظالم^(١) .

وإذا صار أهل الجنان إلى منازلهم واتكى كل منهم على

(١) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ٦٥ في باب العفو .

أريكته وحفت بهم الخدم وتهذلت عليهم الثمار وجرت من تحتهم الأنهار وبسطت لهم الزرابي ووصفت لهم النمارق وأتتهم الخدم بما شاءت لهم شهواتهم أتاهاهم المنادي من قبل الله تعالى أوليائي وأهل طاعتي هل أنبئكم بخير مما أنتم عليه فيقولون ربنا وأي شيء خير مما نحن فيه فيقول سبحانه رضائي عنكم ومحبي لكم خير وأعظم مما أنتم فيه فيقولون ربنا رضاك ومحبتك خير لنا وأطيب لأنفسنا وهو قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

من هذا الحديث المبارك يتجلى لطف المولى جل شأنه على العباد المتمردين على قدسه ومنه نعرف تحننه علينا في الآخرة والأولى فكما أفاض نعمة الإيجاد بعد العدم وميّرنا عن المخلوقات بما أودعه من العقل وتواتر نعمه ظاهرة وباطنة ولم يمنعنا من لذائذ الدنيا ولم يهتكنا أمام المخلوق من عباده بما اطلع عليه من سوء سرائرنا وما اقترفناه من الموبقات والتعدي على حقوقه بل أجزل العطية وأسبغ النعمة فكذلك لم يرض في الآخرة لهذه الأبدان الرقيقة والأجسام الشفافة أن توسم بلهب النيران فرغب أرباب الحقوق المغتصبة على الهبات ووعد جزيل

(١) البحار: ج ٣، ص ٣٣١ عن تفسير العياشي.

الثواب عَلَى الإبراء تتميماً لنعمه وتكريماً لعبيده ولَمَّا شاهد التعنت من بعض المظلومين بعدم الإعفاء أراهم مظاهر الجزاء عَلَى الإحسان عياناً لتشتاقه نفوسهم وتتطلبه قلوبهم كل ذلك مِنْهُ منه جَلَّ شأنه وقد ورد في بعض الأحاديث طلب النبي ﷺ من المولى تعالى أن يكون حساب أُمَّتِهِ عَلَى يده لئلا تَطَّلِع الأُمَم فأجابه سبحانه وتعالى إذا أبت نفسك إشهارهم عَلَى رؤوس المَلَأ فأنا أولى بالستر عليهم وأنا المتولي لحسابهم وهل بعد هذا اللطف نفقه هذه الفيوضات الربوبية فنثوب إلى الحق ونقلع عن الآثام ونحفظ حرمة العباد ولا نفضحهم بإذاعة الأسرار وقد قال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ وليس السر فيه إلا أن كشف العوار يوقع النفرة بين الناس ويؤول إلى التباغض ويفت في عضد الاجتماع ويفك عرى الوئام ويختل النظام ولهذا حَرَّمَ سبحانه (الغيبة) التي هي ذكر الشخص بما يكره (والنميمة) وهي السعاية بين الاثنين بنقل قول السوء من كل منهما للآخر وهكذا ما يجري مجراهما من المحرّمات المنافية لحرمة المؤمن الملقحة للعداوة بينهم المقلقة للسلام وفي الحديث عنه ﷺ لو تكاشفتُم لما تدافتم^(١).

(١) الصدوق في الأمالي: ص ٢٦٧ مجلس ٦٨ وعيون الأخبار: ص ٢١٦ =

ومرادُه أنَّ كشف السرائر ووقوف الناس عليها يوجب النفرة والاستثقال حتى من تشييعه ودفنه إشاعة الفاحشة كما تستوجب تلك الأمور تضاد الإرادة الإلهية المستتبعة لرأفة المولى تعالى ولطفه وكرامته للفتن والشُرور ونشوب الإحن فالمرتكب لها محارب لله غادر لحقوق الناس بتلك المغبات الوخيمة وللتحفظ عن هذه الشائنة لم يكتفِ المولى سبحانه بالوعيد الأخروي حتى أضاف إليه العقاب الدنيوي وهو الحدّ إن كان قذفاً بالزنا واللواط والسحق والتعزير إن كان القذف بغير ذلك فقال تعالى ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ثم نبّه جلّ شأنه على شيء دقيق فقال ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما تكنّه الضمائر من المحبة لإشاعة الفاحشة وإظهار ما يريد الله ستره ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما يترتب على ذلك من الخطر والفساد.

فالنهي عن إشاعة الفاحشة عام يتوجه إلى الرواة المذيعين لها وإلى الآخذين برواياتهم من دون تثبت في النقل خصوصاً إذا كان المنشأ في الإذاعة الأغراض الدنيوية والشهوات النفسانية وهذا جهل وطغيان فإنّ المولى الجليل القابض على أزمة العباد القادر على الانتقام منهم عند التمرد على قدسه ومخالفة أمره ونهيه يصفح عنهم ويتلطف عليهم بفيض برّه وإحسانه ويخصّهم بالخير

كله ويشيهم بالثواب الجزيل تجاه عمل ضئيل ويصفح عن المآثم الكبيرة طيلة عمر العبد إن صدرت التوبة من صميم الخاطر والندم عَلَى ما فرط في جنب الله تعالى والعزم عَلَى أن لا يعود إلى مثله اللهم إلا أن يغتصب العبد حقوق الناس فالتوبة عنه إما بإرضائهم أو إرجاعها إليهم .

وكما أنه جلّ شأنه يحب للمؤمن النعيم الخالد عطاءً غير مجذوذ يودّ له بقاء الحرمة بين الناس وإسدال الستر عَلَى عثراته .

(٩) وكان ﷺ يقول إنّ علامة الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة تركهم كل خليط وخليل ورفضهم كل صاحب لا يريد ما يريدونه ألا وإنّ العامل لثواب الآخرة هو الزاهد في عاجل زهرة الدنيا الآخذ للموت أهبطه الحادث عَلَى العمل قبل فناء الأجل ونزول ما لا بد من لقائه وتقديم الحذر قبل الحين فإنّ الله عزّ وجل يقول ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ ﴾ فلينزلن أحدكم نفسه في هذه الدنيا كمنزلة المكرور إلى الدنيا النادم عَلَى ما فرط فيها من العمل الصالح ليوم فاقتة .

واعلموا عباد الله أن من خاف البيات تجافى عن الوسادة وامتنع عن الرقاد وأمسك عن الطعام والشراب من خوف سلطان الدنيا فكيف ويحك يا ابن آدم من خوف بيات سلطان ربّ العزّة

وأخذه الأليم وبياته لأهل المعاصي والذنوب مع طوارق المنايا بالليل والنهار فذلك البيات الذي ليس منه منجى ولا دونه ملتجى ولا منه مهرب فخافوا الله أيها المؤمنون من البيات خوف أهل اليقين وأهل التقوى فإن الله يقول: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾ [إبراهيم: ١٤] فاحذروا زهرة الدنيا وغرورها وشروورها وتذكروا ضرر عاقبتها فإن زيتها فتنة وحبها خطيئة.

واعلم ويحك يا ابن آدم أن قسوة البطنة وفطرة الميله وسكر الشبع وغرة الملك مما يثبط ويبطئ عن العمل وينسي الذكر ويلهي عن اقتراب الأجل حتى كأن في المبتلى بحب الدنيا خبل من سكر الشراب وأن العاقل الخائف من الله العالم ليمرنن نفسه ويعودها الجوع حتى ما تشاق إلى الشبع وكذلك تضرم الخيل لسبق الرهان.

فاتّقوا الله عباد الله تقوى مؤمل ثوابه وخائف عقابه فقد أعذر الله تعالى وأنذر وشوّق وخوّف فلا أنتم إلى ما شوقكم إليه من كريم ثوابه تشتاقون فتعملون ولا أنتم مما خوفكم به من شديد عقابه وأليم عذابه ترهبون فتتكلون وقد أنبأكم الله كتابه أنه من: ﴿يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُونَ﴾ [٩٤] [الأنبياء: ٩٤] ثم ضرب لكم الأمثال في كتابه وصرف الآيات لتحذروا عاجل زهرة الحياة الدنيا فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ
وَمَا أَعْلَمُ إِلَّا كَثِيرًا مِنْكُمْ قَدْ أَنْهَكْتُمْ عَوَاقِبَ الْمَعَاصِي فَمَا حَذَرَهَا
وَأَضْرَتِ بَدِينَهُ فَمَا مَقَّتْهَا أَمَا تَسْمَعُونَ النِّدَاءَ مِنَ اللَّهِ بِعَيْبِهَا
وَتَصْغِيرِهَا حَيْثُ قَالَ: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَدُّهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿إِلَى أَنْ قَالَ ﴿سَابِقُوا إِلَى
مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾
[الحديد: ٢٠ - ٢١]، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ
مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا
اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الحشر: ١٨ - ١٩].

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَتَفَكَّرُوا وَاعْمَلُوا لِمَا خَلَقْتُمْ لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ
يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرَكْكُمْ سُدًى وَبَعَثَ إِلَيْكُمْ رَسُولَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ
كِتَابَهُ فِيهِ حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ وَحُجُجُهُ وَأَمْثَالُهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَقَدْ احْتَجَّ
عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ فَقَالَ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾
[البلد: ٨ - ٩] فَهَذِهِ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّهُ لَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَكْلَانِ إِلَّا عَلَيْهِ^(١).

(١٠) قَالَ أَبُو خَالِدٍ الْكَابَلِيُّ سَمِعْتُ زَيْنَ الْعَابِدِينَ يَقُولُ
الذُّنُوبُ الَّتِي تَغْيِرُ النِّعَمَ الْبَغْيَ عَلَى النَّاسِ وَالزُّوَالُ عَنْ الْعَادَةِ فِي

الخير واصطناع المعروف وكفران النعم وترك الشكر قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

والذنوب التي تورث الندم قتل النفس التي حرم الله قال الله تعالى في قصة قابيل حين قتل أخاه هابيل فعجز عن دفنه ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، وترك صلة القرابة حتى يستغنوا وترك الصلاة حتى يخرج وقتها وترك الوصية وردّ المظالم ومنع الزكاة حتى يحضر الموت وينغلق اللسان، (والذنوب) التي تنزل النقم عصيان العارف بالبغي والتطاول على الناس والاستهزاء بهم والسخرية منهم (والذنوب) التي تدفع القسم إظهار الافتقار والنوم عن العتمة وعن صلاة الغداة واستحقار النعم وشكوى المعبود، (والذنوب) التي تهتك العصم شرب الخمر واللعب بالقمار وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح وذكر عيوب الناس ومجالسة أهل الريب، (والذنوب) التي تنزل البلاء ترك إغاثة الملهوف وترك معاونة المظلوم وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (والذنوب) التي تدل الأعداء المجاهرة بالظلم وإعلان الفجور وإباحة المحظور وعصيان الأخيار والاتباع للأشرار، (والذنوب) التي تعجل الفناء قطيعة الرحم واليمين الفاجرة والأقوال الكاذبة والزنا وسدّ طرق المسلمين وادّعاء الإمامة بغير حق (والذنوب) التي تقطع الرجاء اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله والثقة بغير الله والتكذيب بوعده الله،

(والذنوب) التي تظلم الهواء السحر والكهانة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر وعقوق الوالدين، (والذنوب) التي تكشف الغطاء الاستدانة بغير نيّة الأداء والإسراف في النفقة على الباطل والبخل على الأهل والولد وذوي الأرحام وسوء الخلق وقلة الصبر واستعمال الضجر والاستهانة بأهل الدين، (والذنوب) التي تردّ الدعاء سوء النيّة وخبت السريرة والنفاق مع الإخوان وترك التصديق بالإجابة وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها وترك التقرب إلى الله عزّ وجلّ بالبرّ والصدقة واستعمال البذاء والفحش في القول، (والذنوب) التي تحبس غيث السماء جور الحكّام في القضاء وشهادة الزور وكتمان الشهادة ومنع الزكاة والقرض والماعون وقساوة القلوب على أهل الفقر والفاقة وظلم اليتيم والأرملة وانتهاز السائل وردّه بالليل^(١).

(١١) عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال قال علي بن الحسين إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإنّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا إلّا أن تكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ألا وإنّ الزاهدين في الدنيا اتّخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً وقرضوا من الدنيا تقريضاً ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرّمات ومن

(١) معاني الأخبار (للصدوق): ص ٧٨، باب ١٢٦، ح ٣.

زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ألا إنَّ الله عبادة كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلّدين وكمن رأى أهل النار في النار معذبين شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة أمّا الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى ربهم يسعون في فكاك رقابهم وأما النهار فحلمااء علماء بررة أتقياء كأنهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى - وما بالقوم من مرض - أم خولطوا، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها^(١).

والمراد من قرضهم الدنيا الإشارة إلى إقلاعهم عن هذه الدنيا الذميمة بانسلاخ أنفسهم عن الشهوات حتى صاروا كالقداح.

(١٢) سئل (عليه السلام) عن الزهد فقال الزهد عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا ألا وإنَّ الزهد في آية من كتاب الله قوله ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(٢).

(١٣) سئل (عليه السلام) أيّ الأعمال أفضل عند الله تعالى فقال ما من

(١) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ١٣٧ في ذم الدنيا حديث ١٥.

(٢) أصول الكافي في باب ذم الدنيا بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ١٣٤

عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا وإنّ لذلك شعباً كثيرة وإنّ للمعاصي شعباً فأول ما عصي الله به الكبر وهو معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين والحسد وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله فتشعب من ذلك حبّ النساء وحبّ الدنيا وحبّ الرياسة وحبّ الراحة وحبّ الكلام وحبّ العلو وحب الثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حبّ الدنيا فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حبّ الدنيا رأس كل خطيئة والدنيا دنيا بلاغ ودنيا ملعونة^(١).

والمراد من العلماء بقريظة ذكر الأنبياء هم الأوصياء وتقسيمه الدنيا دفعاً لتوهم كل ما فيها من المذموم مع أنّ فيها ما يحصل به مرضاة الرب تعالى ويبلغ به إلى الآخرة وتدفع به الضرورة والكفاف والمراد من لعن ما فيها البعد من الرحمات الإلهية ونيل السعادة.

(١٤) وقال ﷺ المنافق ينهى ولا ينتهي ويأمر ولا يأتي إذا قام إلى الصلاة اعترض وإذا ركع ربض وإذا سجد نقر يمسي وهمّه العشاء ولم يصم ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر والمؤمن خلط علمه بحلمه يجلس ليعلم وينصت ليسلم لا يحدث بالأمانة

(١) أصول الكافي على هامش مرآة العقول: ج ٢، ص ١٣٦ في باب ذم الدنيا وللحديث تنمة تركناها.

للاصدقاء ولا يكتُم الشهادة للأعداء ولا يعمل شيئاً من الحقّ رياءً ولا يتركه حياءً إن زكي خاف ما يقولون ويستغفر الله لما لا يعلمون ولا يضرّه جهل من جهله^(١).

(١٥) أتى رجل إلى زين العابدين (عليه السلام) يشكو حاله فقال (عليه السلام) مسكين ابن آدم تجري عليه في كل يوم ثلاث مصائب لا يعتبر بواحدة منها ولو اعتبر لهانت عليه المصائب الأولى اليوم الذي ينقص من عمره وإن ناله نقصان في ماله اغتمّ والدرهم يخلف عنه والعمر لا يرده شيء الثانية أنه يستوفي رزقه فإن كان حلالاً حوسب عليه وإن كان حراماً عوقب عليه الثالثة أعظم منهما فإنه ما من يوم يمشي فيه إلاّ وقد دنا من الآخرة مرحلة ولا يدري أعلى الجنة يرد أم على النار وأكبر ما يكون فيه اليوم الذي يخرج فيه من بطن أمه^(٢).

(١٦) قال (عليه السلام) إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتماوت في منطقته وتخاضع في حركاته فرويداً لا يغرنكم فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيّته ومهانتة وجبن قلبه فنصب الدين فخاً لها فهو لا يزال يختل الناس

(١) تحف العقول: ص ٦٧ ورواه الصدوق في الأمالي: ص ٢٩٥ مجلس ٧٤

بتقديم وتأخير مع زيادة.

(٢) الاختصاص (للشيخ المفيد) مخطوط.

بظاهرة فإن تمكّن من حرام اقتحمه وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرّنكم فإن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من يتأبى عن الحرام وإن كثر ويحمل على نفسه شواء قبيحة فيأتي منها محرماً.

فإذا رأيتموه كذلك فرويداً لا يغرّنكم حتى تنظروا عقدة عقله فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرّنكم حتى تنظروا أيكون هواه على عقله أم يكون عقله على هواه وكيف محبته للرياسة الباطلة وزهده فيها فإنّ في الناس من يترك الدنيا للدنيا ويرى أنّ لذة الرياسة الباطلة أفضل من رياسة الأموال والنعم المباحة المحللة فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسة حتى إذا قيل له اتّق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وبئس المهاد فهو يخطب خطب عشواء يقوده أول باطله إلى أبعد غايات الخسارة ويمدّ به بعد طلبه لما لا يقدر في طغيانه فهو يحلّ ما حرّم الله ويحرّم ما أحلّ الله لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له الرياسة التي قد شقي من أجلها فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً أليماً.

ولكن الرجل كل الرجل الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله وقواه

مبذولة في قضاء الله يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد مع العزّ في الباطل ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفذ وأنّ كثير ما يلحقه من سرّائها إن اتّبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال فذلك الرجل تمسكوا به واقتدوا بسنّته وإلى ربّكم توسّلوا به فإنه لا ترد له دعوة ولا يخيب في طلبه^(١).

(١٧) كتب الإمام السجاد (عليه السلام) إلى محمد بن مسلم الزهري^(٢)

(١) مجموعة الأمير ورام: ص ٣٠٦ واحتجاج الطبرسي: ص ١٧٥ النجف وتفسير الإمام العسكري: ص ١٩.

(٢) في البداية (لابن كثير): ج ٩، ص ٣٤٠ ولد محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري سنة (٥٨) وكان قصيراً قليل اللحية له شعرات طوال خفيف العارضين وفي ترجمته من وفيات الأعيان (لابن خلكان) كان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير وجده عبيدالله مع المشركين يوم بدر ولم يزل هو مع عبدالمك بن مروان وهشام بن عبدالمك واستقضاه يزيد بن عبدالمك وفي البداية جعله هشام معلّم أولاده وفي تهذيب التهذيب: ج ٩، ص ٤٤٩ لابن حجر أمره هشام أن يملي على أولاده أحاديث فأملى عليهم أربعمئة حديث. والقارئ الفطن خبير بأن من يتقلّب في دنيا بني مروان لا يكون في ما أملاه من هذه الأحاديث شيء في فضل علي وولده الأطهرين (عليه السلام) لأنّه لا يروق لهم ذلك وهو على نهجهم وسيرتهم ويتطلب دنياهم ومن هنا أطراه علماء العامة ورفعوه فوق مستوى العلم والفضيلة ويحكي ابن حجر تعجّبه من =

= كثرة ما نشره من العلم وإنني لا أشك في انحراف الرجل عن أمير المؤمنين وأبنائه عليه السلام يشهد له ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج ١، ص ٣٧١ عن جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبة قال شهدت الزهري وعروة بن الزبير في مسجد النبي صلى الله عليه وآله يذكران علياً عليه السلام ونالا منه فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فجاء حتى وقف عليهما فقال أما أنت يا عروة فإن أبي حاكم أباك فحكم لأبي علي أبيك وأما أنت يا زهري فلو كنت بمكة لأريتك بيت أبيك وقال السيد ابن طاووس في (التحرير الطاووسي) بترجمة عبدالله بن العباس أنّ سفيان بن سعيد والزهري عدوان متهمان وقد ذكرت في بعض كتبي شيئاً يتعلق بحالهما وقال أبو علي الحائري في منتهى المقال بترجمته لا ريب في عداوته ونصبه لأmir المؤمنين.

وفي رجال الشيخ الطوسي والعلامة وابن داود والسيد مصطفى النفريشي أنه عدو وفي كشف الغمّة: ص ٢٠٧ والتهذيب (للشيخ الطوسي): ج ٢، ص ٤٣٥ كان عاملاً لبني أمية فعاقب رجلاً مات في عقوبته فهرب لوجهه وتوحش ولكن الإمام زين العابدين أمره بإرسال الدية إلى أهل المقتول ولا يئأس من رحمة الله ومن جميع ما تقدّم جزم شيخنا الحجة الشيخ عبدالله المامقاني في تنقيح المقال بتلون الرجل وعدم استقامة رأيه وما وجد في الصحيفة الخامسة: ص ٢٨٩ من دعاء الإمام السجاد له بالرزق والخلاص إمّا لأنه طلب ذلك منه وهم عليه السلام لا يردّون متوقعاً أو تاب وندم على ما فرط وسيأتي حديثه في ما شاهده من الإمام في عرفات ولعلّ تفضل الإمام السجاد عليه بتلك الكرامات مما هداه إلى الحق ورواياته في الفقه كثيرة فإذا لم يتب مع قراءته لهذا الكتاب الصادر من إمام الأمة وللمعاجز التي =

كفانا الله وإيّاك من الفتن ورحمك من النار فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك فقد أثقلتك نعم الله بما صحّ من بدنك وأطال من عمرك وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابه وفقهك فيه من دينه وعرفك من سنّة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) وفرض عليك في كل نعمة أنعم بها عليك وفي كل حجة احتجّ بها عليك الفرض في ما ابتلى شكرك في ذلك وأبدى فيه فضله عليك فقال تعالى: ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فانظر أيّ رجل تكون غداً إذا أوقفت بين يدي الله فسألك عن نعمته عليك كيف رعيته وعن حجته عليك كيف قضيتها ولا تحسبن الله قابلاً منك بالتعذير ولا راضياً منك بالتقصير هيهات هيهات ليس كذلك أخذ الله على العلماء في كتابه إذ قال تعالى: ﴿لَتَبْلِيَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] واعلم أنّ أدنى ما

= شاهدها من السجاد فهو ملعون ومع ذلك فقد أدرجه العلامة الحلي وابن داود في قسم الضعفاء ولم يقيم له وزناً الشيخ محمد طه نجف حيث لم يذكره في إقتان المقال توفي كما في وفيات الأعيان (لابن خلكان) لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة (١٢٤) في بيته (بنعف) وهي قرية في آخر عمل الحجاز وأول عمل فلسطين ودفن في ضيعته (أدامى) خلف (شغب وبدا) وهما واديان أو قريتان وفي معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٧٧ دفن في ضيعة خلف وادي القرى تسمى شغب.

كتمت وأخفت ما احتملت أن آنست وحشة الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك منه حين دنوت وإجابتك له حين دعيت فما أخوفني أن تبوء غداً بإثمك مع الخونة وأن تسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة أخذت ما ليس لك ممن أعطاك ودنوت ممن لا يردّ على أحد حقاً ولم تردّ باطلاً حين أدناك وأحببت من حادّ الله أوليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم وسلماً إلى ضلالتهم داعياً إلى غيهم سالكاً سبيلهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم فلا يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلاّ دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك وما أيسر ما عمروا لك فكيف ما خرّبوا عليك .

فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً فما أخوفني أن تكون كما قال الله تعالى في كتابه : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف: ١٦٩] إنك لست في دار مقام أنت في دار قد آذنت بالرحيل فما بقاء المرء بعد قرنائه طوبى لمن كان في الدنيا على وجل يا بؤس لمن يموت وتبقى ذنوبه من بعده .

احذر فقد نُبِّئت وبادر فقد أُجِّلَت إنك تعامل من لا يجهل

وإن الذي يحفظ عليك لا يغفل تجهّز فقد دنا منك سفر بعيد وداو
ذنبك فقد دخله سقم شديد.

ولا تحسب أنني أردت توبيخك وتعنيفك وتعيرك لكنني
أردت أن ينعش الله ما فات من رأيك ويرد عليك ما عذب من
دينك وذكرت قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] أغفلت ذكر من مضى من أسنانك
وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب، انظر هل ابتلوا بمثل ما
ابتليت أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه أم هل ترى ذكرت
خيراً علموه وعملت شيئاً جهلوه بل حظيت بمثل ما حلّ من
حالك في صدور العامة وكلفهم بك إذ صاروا يقتدون برأيك
ويعملون بأمرك إن أحللت أحلّوه وإن حرّمت حرّموه وليس ذلك
عندك ولكن أظهرهم عليك رغبتهم في ما لديك ذهاب علمائهم
وغلبة الجهل عليك وعليهم وحبّ الرياسة وطلب الدنيا منك
ومنهم.

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة وما الناس فيه من
البلاء والفتنة قد ابتليتهم وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا
فتاقت نفوسهم إلى أن يبلغوا من العلم أو يدركوا به مثل الذي
أدركت فوقعوا منك في بحر لا يدرك عمقه وفي بلاء لا يقدر
قدره فالله لنا ولك وهو المستعان.

أما بعد فأعرض عن كل ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسماهم لاصقة بطونهم بظهورهم ليس بينهم وبين الله حجاب ولا تفتنهم الدنيا ولا يفتنون بها رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ مع كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فكيف يسلم الحدث في سنّه الجاهل في علمه المأفون في رأيه المدخول في عقله .

إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَلَىٰ مِنَ الْمَعُولِ وَعِنْدَ مِنَ الْمُسْتَعْتَبِ نَشْكُو إِلَى اللَّهِ بَشْنًا وَمَا نَرَىٰ فِيكَ وَنَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ مَصِيبَتَنَا بِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ شُكْرِكَ لِمَنْ غَذَاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا وَكَيْفَ إِعْظَامِكَ لِمَنْ جَعَلَكَ بَدِينَهُ فِي النَّاسِ جَمِيلًا وَكَيْفَ صِيَانَتِكَ لِكَسُوةٍ مِنْ جَعَلَكَ بِكُسُوتِهِ فِي النَّاسِ سَتِيرًا وَكَيْفَ قُرْبِكَ أَوْ بَعْدِكَ مِمَّنْ أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ قَرِيبًا ذَلِيلًا .

ما لك لا تنتبه من نعستك وتستقيل من عثرتك فتقول والله ما قمت لله مقاماً واحداً أحيت به له ديناً أو أمتّ له باطلاً فهذا شكرك لمن استحملك ، ما أخوفني أن تكون كما قال الله تعالى في كتابه : ﴿ أَصَاغُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] ما استحملك كتابه واستودعك علمه فأضعتها فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام^(١) .

(١) تحف العقول : ص ٦٦ .

(١٨) روى الإمام الباقر (عليه السلام) أنّ الزهري محمد بن مسلم بن شهاب دخل على زين العابدين (عليه السلام) كئيباً حزيناً فقال له ما بالك مغموماً قال يا ابن رسول الله مما امتحنت به من حساد نعمي والطامعين فيّ وممن أرجوه وممن أحسنت إليه فيخلف ظني فقال علي بن الحسين (عليه السلام) احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك قال الزهري إني أحسن إليهم بما يبدر من كلامي فقال (عليه السلام) هيهات هيهات إياك أن تعجب بذلك وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره فليس كل من تسمعه شراً يمكنك أن توسعه عذراً.

يا زهري من لم يكن عقله من أكمل ما فيه كان هلاكه من أيسر ما فيه يا زهري عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك فكبيرهم بمنزلة والدك وتربك منهم بمنزلة أخيك فأَيّ هؤلاء تحب أن تظلم وأَيّ هؤلاء تحب أن تدعو عليه وأَيّ هؤلاء تحب أن تهتك ستره وإن عرض لك إبليس لعنه الله بأنّ لك فضلاً على أحد من أهل القبلة فانظر إن كان أكبر منك فقل قد سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني وإن كان أصغر منك فقل قد سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير مني وإن كان تربك فقل أنا على يقين من ذنبي وفي شكّ من أمره فما لي أدع يقيني لشكي وإن رأيت المسلمين يعظمونك ويوقرونك ويبجلونك فقل هذا فضل أخذوا به وإن رأيت منهم جفاءً وانقباضاً فقل هذا لذنوب

أحدثته فإنك إذا فعلت ذلك سهّل الله عليك عيشك وكثر أصدقاؤك وقلّ أعداؤك وفرحت بما يكون من برّهم ولم تأسف على ما يكون من جفائهم.

واعلم أنّ أكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فائضاً وكان عنهم مستغنياً متعقفاً وأكرم الناس عليهم من كان مستعقفاً عنهم وإن كان إليهم محتاجاً فإنما أهل الدنيا يتعقبون الأموال فمن لم يزدحمهم في ما يتعقبونه كرم عليهم ومن لم يزاحمهم ومكنهم من بعضها كان أعز وأكرم^(١).

(١٩) روى سفيان بن عيينة عن الزهري قال سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول من لم يتعزّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات والله ما الدنيا والآخرة إلاّ ككفتي ميزان فأيهما رجح ذهب بالأخرى ثم تلا قوله عزّ وجل ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ﴿٣﴾ فإذا قامت القيامة خفضت بأعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة.

ثم أقبل على رجل من جلسائه وقال له اتّق الله وأجمل في الطلب ولا تطلب ما لم يخلق فإنّ من طلب ما لم يخلق تقطعت نفسه حسرات ولم ينل ما طلب ثم قال وكيف ينال ما لم يخلق فقال الرجل وكيف يطلب ما لم يخلق فقال من طلب الغنى

(١) احتجاج الطبرسي : ص ١٧٤ .

والأموال والسعة في الدنيا فإنما يطلب ذلك للراحة والراحة لم تخلق في الدنيا ولا لأهل الدنيا إنما خلقت الراحة في الجنة ولأهل الجنة والتعب والنصب خلقا في الدنيا ولأهل الدنيا وما أُعطي أحد منها حقّه إلا أُعطي من الحرص مثليه ومن أصاب من الدنيا أكثر كان فيها أشدّ فقراً لأنه يفتقر إلى الناس في حفظ أمواله ويفتقر إلى كل آلة من آلات الدنيا فليس في غنى الدنيا راحة ولكن الشيطان يوسوس إلى ابن آدم أنّ له في جمع ذلك المال راحة وإنما يسوقه إلى التعب في الدنيا والحساب عليه في الآخرة.

ثمّ قال (عليه السلام) كلا ما تعب أولياء الله في الدنيا للدنيا بل تعبوا في الدنيا للآخرة ألا ومن اهتمّ لرزقه كتب عليه خطيئة كذلك قال المسيح (عليه السلام) للحواريين إنما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان^(١).

(٢٠) كان في بني إسرائيل رجل نباش فأرسل إليه جاره فقال له أحب أن تقضي حاجتي إليك قال النباش قضيتها فأخرج كفتين وقال له تأخذهما عن طيب مني وإذا دفنت فلا تنبش قبري فامتنع النباش من أخذهما وما زال به حتى أخذهما فلما مات الرجل ودفن قال النباش لقد دفن هذا وما علمه بأني أخذت كفنه فجاء

(١) الخصال (للصدوق): ج ١، باب الاثنين، ص ٣٣.

إلى قبره ليأخذ كفنه فسمع صوتاً هائلاً أفزعته فرجع إلى داره وأخذ يتلطف بولده بإحراق جثته إذا مات ثم يذرى في الريح فلما مات النباش وصنع به أولاده كما أراد وأخذ عليهم العهود وذروه في الريح قال الله تعالى للبر وللبحر اجمعا ما فيكما من رماد هذا، فإذا الرجل قائم يسمع صوتاً ما حملك على ذلك حتى أوصيت به ولدك فقال الرجل حملني وعزتك وجلالك الخوف منك فقال الله سبحانه وتعالى إني سأرضي عنك خصومك وقد آمنت خوفك وغفرت لك^(١).

(٢١) عن أبي حمزة الثمالي قال علي بن الحسين عليه السلام إن رجلاً ركب البحر بأهله فكسرت بهم السفينة فلم ينج من كان فيها إلا امرأة الرجل فإنها نجت على لوحة من ألواحها حتى التجأت إلى جزيرة من الجزائر وكان فيها رجل يقطع الطريق ولم يدع الله محرماً إلا انتهكه ولما شاهد المرأة اضطرها إلى الفاحشة فأخذت ترتعد قال لها مم خوفك قالت فرقاً من هذا وأشارت إلى السماء قال لها وهل صنعت من هذا شيئاً قالت لا (وعزته) فقال الرجل أنت تفزعين منه هذا الفزع ولم تصنعي شيئاً من هذا وقد استكرهتك فأنا والله أولى بالخوف منه وأحق منك بالندم على ما فرطت وقام عنها مستقيلاً مما اقترفه من الإثم وبيننا يمشي إذ

(١) الأُمالي: ص ١٩٧ مجلس ٥٣، ح ٣.

صادفه راهب وحميت عليهما الشمس فخجل الرجل من ربه تعالى أن يدعو مع ما كان عليه من الطغيان فدعا الراهب وأمن الرجل على دعائه فأرسل الله سبحانه غمامة أظلتهما من الشمس ولما افترقا تبعت السحابة ذلك الرجل فقال له الراهب أنت خير مني وقد استجاب الله لك وسأله عن قصته فأخبره بما جرى له مع المرأة فقال لقد غفر الله لك ما مضى فكيف تكون في ما تستقبل^(١).

(٢٢) قال (عليه السلام) صلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قيد رمح وأقبل على الناس بوجهه فقال والله لقد أدركنا أقواماً كانوا يبيتون لربهم سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وركبهم كأن زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يمد الشجر كأن القوم باتوا غافلين ثم قام (عليه السلام) وما رأي ضاحكاً حتى قبض^(٢).

(٢٣) قال (عليه السلام) ليس لك أن تقعد مع من شئت فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ

(١) أصول الكافي باب الخوف والرجاء، ص ٣٦٨ ط الأعلمي، ح ٨.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ٥٧ (لأبي الفضل علي الطبرسي) المتوفى أوائل القرن السابع.

الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨] وليس لك أن تتكلم بما شئت فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُفُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] ولأن رسول الله ﷺ قال رحم الله عبداً قال خيراً فغنى أو صمت فسلم وليس لك أن تسمع ما شئت فإن الله تعالى يقول: ﴿إِن السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] ^(١).

(٢٤) كان ﷺ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] يقول سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه فشكر تعالى معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً كما جعل علم العالمين أنهم لا يدركونه إيماناً علماً منه أنه قد وسع العباد فلا يجاوزون ذلك ^(٢).

(٢٥) قال ﷺ شيعتنا أمّا الجنة فلن تفوتكم سريعاً كان أو بطيئاً ولكن تنافسوا في الدرجات واعلموا أنّ أرفعكم درجات وأحسنكم قصوراً ودوراً وأبنية أحسنكم إيجاباً بإيجاب المؤمنين وأكثركم مواساة لفقرائهم إنّ الله ليقرب الواحد منكم إلى الجنة

(١) تفسير البرهان (للسيد هاشم البحراني): ج ١، ص ٣٢٢، ح ٣ في تفسير سورة الأنعام.

(٢) تحف العقول: ص ٦٨.

بكلمة طيبة يكلم أخاه المؤمن الفقير بأكثر من مسيرة مائة ألف عام بقدمه وإن كان من المعذبين بالنار فلا تحتقروا الإحسان إلى إخوانكم فسوف ينفعكم حيث لا يقوم مقام غيره^(١).

(٢٦) قال (عليه السلام) ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من جحد إماماً من الله أو ادّعى إماماً من غير الله أو زعم أن فلان وفلان نصيباً في الإسلام^(٢).

(٢٧) قال (عليه السلام) من بات شعباناً وبحضرته مؤمن جائع طاور قال الله تبارك وتعالى ملائكتي اشهدوا على هذا العبد أنني أمرته فعصاني وأطاع غيري فوكلته إلى عمله وعزّتي وجلالي لا غفرت له أبداً^(٣) ولما سمع أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) قوله ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شعباناً وجاره جائع قالوا هلكنّا فعرفّهم صلوات الله عليه بأنّ الله تعالى يقنع باليسير من الهدية حسبما يتمكن عليه من فضل الطعام والورق والتمر إلى غيرها مما يطفئ غضب الربّ جلّ شأنه.

(٢٨) قال (عليه السلام) من كان عنده فضل ثوب فعلم أن بحضرته مؤمن يحتاج إليه فلم يدفعه إليه أكبه الله على منخريه في النار^(٤).

(١) تفسير البرهان: ج ١، ص ٤٤.

(٢) تفسير البرهان: ج ١، ص ١٨١.

(٣) محاسن البرقي: ج ١، ص ٩٧ وعقاب الأعمال: ص ٣٠.

(٤) المحاسن وعقاب الأعمال.

وهذا الخبر وإن كان ظاهره التحريم إلا أنه بمعونة غيره من الأخبار يحمل على الكراهة الشديدة ويراد من الدخول في النار الكناية عن عدم توفيقه للممات على ولاية أهل البيت عليهم السلام فلا تغفر ذنوبه التي استحق بها النار وأما من لم يكن عليه ذنب سوى تركه إعانة المؤمن بالثوب يكون التعبير عن دخوله النار لبيان أن هذه الإساءة توجب عدم التأهل للاعتراف بإمامة آل الرسول عليهم السلام ومن مات غير مقرّ بها لا ينفعه كل عمل ويستحقّ الخلود في النار.

(٢٩) قال عليه السلام بينا أمير المؤمنين ذات يوم يعبئ أصحابه للحرب إذ أتاه شيخ عليه هيئة السفر فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام وقال إني أتيتك من ناحية الشام وأنا شيخ كبير وقد سمعت فيك من الفضل ما لا أحصيه وإني أظنك ستغتال فعلمني مما علمك الله تعالى فقال أمير المؤمنين نعم يا شيخ من اعتدل يوماه فهو مغبون ومن كثرت همته في الدنيا كثرت حسرته عند فراقها ومن كان غده شراً من يومه فمحروم ومن لم يبال ما يرى في آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى ومن كان في نقص فالموت خير له.

يا شيخ إنّ الدنيا خضرة حلوة ولها أهل وإن الآخرة لها أهل ظلفت أنفسهم عن مفارقة أهل الدنيا لا يتنافسون في الدنيا ولا يفرحون بغضارتها ولا يحزنون لبؤسها يا شيخ من خاف البيات

قلّ نومه ما أسرع الليالي والأيام في عمر العبد فاخزن لسانك وعدّ كلامك ولا تقل إلا بخير .

يا شيخ ارضَ للناس ما ترضى لنفسك وأتِ إلى الناس ما تحب أن يؤتى إليك، ثم أقبل على أصحابه وقال أيها الناس أما ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى فبين صريع مبتلى وبين عائد ومعود وآخر بنفسه يجود وآخر لا يرجى وآخر مسجى وطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وعلى أثر الماضي يصير الباقي .

فقال له زيد بن صوحان العبدي^(١) يا أمير المؤمنين أي

(١) كان زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجاس بن صبرة بن الحدرجان العبدي يكنى أبا سلمان لشدة حبه لسلمان الفارسي وهو أكبر من أخيه صعصعة أدرك من حياة النبي ﷺ سنة واحدة وهو مسلم ولم تكن له صحبة وخالف في ذلك ابن الكلبي وأما أخوه صعصعة فله إدراك فقط وكان زيد سيّداً في قومه مطاعاً في عشيرته على دين وثيق ومحبة للنبي ﷺ وأمير المؤمنين أكيدة وقد مدحه النبي ﷺ وعرف أصحابه أنه من أهل الصلاح والفوز بنعيم الجنان قبل أن يجتمع به وذلك لما رجع من غزوة بني المصطلق سمع منه أصحابه يقول (جندب وما جندب والأقطع الحبر زيد) فسئل عن معناه فقال أما جندب فيضرب ضربة يكون أمة واحدة وزيد رجل من أمّتي تدخل الجنة يده قبل بدنه (وتحقق قول النبي ﷺ) في جندب ابن كعب الغامدي وذلك لمّا ولي الوليد بن عقبة الكوفة أيام عثمان رأى جندب ساحراً يلعب بين يديه يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيقوم ويرد=

= إليه رأسه فصاح الناس سبحان الله إنَّ هذا يحيي الموتى فغضب جندب من هذه الفعلة التي نهى الشرع عنها وخاف على ضعفاء الأمة من التردّي في هوة الضلال فاشتمل على سيفه وعندما رأى الساحر يلعب ضرب عنقه وقال إن كان صادقاً فليحي نفسه فغضب الوليد وقال أشهرت سيفاً في الإسلام لولا ما سمعت من النبي ﷺ فيك لضربت عنقك وأمر به فسجن في (جبل الدخان) وجاء ابن أخيه إلى السجن وأخرج عمه جندباً وقال:

أفي مضرب السحار يضرب جندباً وتقتل أصحاب النبي الأوائل فإن يك ظني بابن سلمى ورهطه هو الحق يطلق جندباً أو نقاتل ويقال إنَّ السجن لما وقف على خبره أطلقه فأمر به الوليد فصلب ولما قدم المدينة جندب وأعلم عثمان بذلك كتب إلى الوليد بالكف عنه وعن السجن فأطلق قبل قتله وكان اسم السجن سيان أو دينار واسم الساحر بستانى أو أبو بستانى وقال سعد اللغوي في الفصوص اسمه بطرونا .

(وأما زيد) فقد تحقّق فيه قول النبي ﷺ يوم جلّولاء وهو يوم القادسية فإنّ فيه قطعت يده وفي يوم الجمل قال لأمير المؤمنين ما أراني إلاّ مقتولاً قال ﷺ وما علمك بذلك يا أبا سلمان قال رأيت يدي نزلت من السماء تستشيلني فقتله قاضي البصرة عمرو بن يثربي الضبي وقيل كعب بن شور وقد قتل قبله ثلاثة أخاه سيحان بن صوحان وعلباء بن الهيثم وهند بن عمرو المرادي وجرح صعصعة بن صوحان وابن يثربي هو القائل:

أنا لمن أنكرني ابن يثربي قاتل علباء وهند الجملي
وابن لصوحان على دين علي

فصمد إليه عمار بن ياسر فقتله وقيل أتاها سهم غرب فقتله ولما ارتث زيد وقف عليه أمير المؤمنين ﷺ وقال له لقد كنت يا زيد خفيف المؤونة =

= عظيم المعونة فرفع إليه رأسه وقال وأنت جزاك الله خيراً فوالله ما علمتك إلا بالله عليمًا وفي أم الكتاب لعلياً حكيماً وأن الله لفي صدرك لعظيم والله ما قاتلت معك على جهالة ولكني سمعت أم سلمة تقول قال رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فكرهت والله أن أخذك فيخذلني الله ثم التفت إلى أصحابه وقال ادفنوني بثيابي ولا تغسلوا عني دماً فإني محاجّ مخاصم فمات هناك ودفن في محلّه ولما بلغ عائشة موته ترحّمت عليه واسترجعت وكانت معه راية عبد القيس وكتبت إليه عائشة إذا أتاك كتابي فالزم بيتك وخذل الناس عن علي بن أبي طالب حتى يأتيك أمري .

فكتب إليها اما بعد: إنك أمرت بأمر وأمرنا بغيره فركبت ما أمرنا به وأمرتنا أن نركب ما أمرت به أمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة . ولما سيره عثمان إلى الشام في من سيّره من رجالات الكوفة كالأشتر وكميل بن زياد وجرى بينه وبين معاوية كلام قال فيه إن كنا ظالمين فتتوب إلى الله تعالى وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية فأذن له بالرجوع إلى الكوفة وأوصى سعيد بن العاص بالكف عنه .

(ومسجده) ومسجد أخيه صعصعة بالكوفة بالقرب من مسجد السهلة من المساجد المباركة يقصدها أهل الصلاح وحدث محمد بن المشهدي في مزاره بالإسناد إلى علي بن إبراهيم القمي عن أبيه قال حججت بيت الله الحرام فوردنا الكوفة فدخلنا مسجد السهلة فإذا نحن بشخص راكع وساجد وساق الحديث إلى أن قال فخرج من المسجد فدخل مسجداً صغيراً بين يدي السهلة فصلى فيه ركعتين بسكينة ووقار ثم بسط كفيه وقال إلهي قد مدّ إليك الخاطيء المذنب إلى آخره فقلنا له بم يعرف هذا =

سلطان أغلب وأقوى قال ﷺ الهوى قال فأى ذلّ أذلّ قال ﷺ
الحرص على الدنيا قال فأى فقر أشدّ قال ﷺ الكفر بعد الإيمان
قال فأى دعوة أضلّ قال ﷺ الداعي بما لا يكون قال فأى عمل
أفضل قال ﷺ التقوى قال فأى عمل أنجح قال طلب ما عند الله
قال فأى صاحب أشر قال ﷺ المزين لك معصية الله قال فأى
الخلق أشقى قال ﷺ من باع دينه بدنياه غيره قال فأى الخلق أقوى
قال ﷺ الحليم قال فأى الخلق أشح قال ﷺ من أخذ من غير
حله فجعله في غير حقه قال فأى الناس أكيس قال ﷺ من أبصر
رشدته من غيّه قال فمن أحلم الناس قال ﷺ الذي لا يغضب قال
فأى الناس أثبت رأياً قال ﷺ من لم يغرّه الناس من نفسه ولم
تغرّه الدنيا بتشوفها قال فأى الناس أحقّ قال ﷺ المغتر بالدنيا
وهو يرى ما فيها من تقلّب أحوالها قال فأى الناس أشدّ حسرة
قال ﷺ الذي حرم الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين،

= المسجد قال هو مسجد زيد بن صوحان صاحب علي بن أبي طالب وهذا
دعاؤه وتهجده ثم غاب عنا فلم نره فقال لي صاحبي إنه الخضر ﷺ .

نقلنا هذه الترجمة من الاستيعاب بهامش الإصابة: ج ١، ص ٥٥٩
وص ٢١٨ والإصابة: ج ١، ص ٥٨٢ قسم ثالث وتاريخ بغداد: ج ٨،
ص ٤٣٦ وتجريد أسماء الصحابة: ج ١، ص ٢١٤ والخصائص
(للسيوطي): ج ٢، ص ١٣٩ ومعارف ابن قتيبة ورجال الكشي: ص ٤٤
ورجال المامقاني ومزار ابن المشهدي وتاريخ الطبري: ج ٥، ص ٩٠ .

قال فأَيُّ الخلق أعمى قال (عليه السلام) الذي عمل لغير الله تعالى يطلب بعمله الثواب من عند الله قال فأَيُّ القنوع أفضل قال (عليه السلام) القانع بما أعطاه الله قال فأَيُّ المصائب أشد قال (عليه السلام) المصيبة بالدين قال فأَيُّ الأعمال أحب إلى الله قال (عليه السلام) انتظار الفرج قال فأَيُّ الناس خير عند الله قال (عليه السلام) أخوفهم له وأعملهم بالتقوى وأزهدهم في الدنيا قال فأَيُّ الكلام أفضل عند الله قال (عليه السلام) كثرة ذكره والتضرع إليه ودعاؤه قال فأَيُّ القول أصدق قال (عليه السلام) شهادة أن لا إله إلا الله قال فأَيُّ الأعمال أعظم عند الله قال (عليه السلام) التسليم والورع قال فأَيُّ الناس أكرم قال (عليه السلام) من صدق في المواطن .

ثم أقبل (عليه السلام) على الشيخ وقال يا شيخ إن الله عز وجل خلق خلقاً وضيق الدنيا عليهم نظراً لهم فزهدهم فيها وفي حطامها فرغبوا في دار السلام الذي دعاهم إليه وصبروا على ضيق المعيشة وصبروا على المكروه واشتاقوا إلى ما عند الله من الكرامة وبذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله وكانت خاتمة أعمالهم الشهادة فلقوا الله وهو عنهم راضٍ وعلموا أن الموت سبيل لمن مضى وبقي فتزودوا لآخرتهم غير الذهب والفضة ولبسوا الخشن وصبروا على أدنى القوت وقدموا الفضل وأحبوا في الله وأبغضوا في الله عز وجل أولئك المصابيح وأهل النعم في الآخرة والسلام .

فقال الشيخ فأين أذهب وأدع الجنة وأراها وأرى أهلها معك

جهزني بقوة أتقوى بها على عدوك فأعطاه أمير المؤمنين سلاحاً وحمله وكان في الحرب بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام يضرب قدماً وأمير المؤمنين يتعجب مما يصنع فلما اشتدت الحرب أقدم فرسه حتى قتل وتبعه رجل من أصحاب أمير المؤمنين فوجده صريعاً فأخبر أمير المؤمنين ولما انقضت الحرب جيء بدابته وسلاحه إلى أمير المؤمنين فصلّى عليه وقال هذا والله السعيد حقاً فترحموا على أخيك^(١).

(٣٠) قال عليه السلام أوحى الله إلى موسى عليه السلام حبيبي إلى خلقي وحبّ خلقي إليّ قال يا ربّ كيف أفعل قال ذكّرهم آلائي ونعمائي ليحبوني فلا تردّ أبقاً عن بابي أو ضالاً عن فنائي أفضل لك من عبادة مائة سنة بصيام نهارها وقيام ليلها قال موسى عليه السلام ومن هذا العبد الأبق منك قال المتمرد قال فمن الضال عن فنائك قال الجاهل بإمام زمانه تعرّفه والغائب عنه بعدما عرفه الجاهل بشريعة دينه تعرّفه شريعته وما يعبد به ربه تعالى ويتوصل به إلى مرضاته^(٢).

(٣١) وقال عليه السلام أيّما أحب إليك صديق كلما رآك أعطاك بكرة دنائير أو صديق كلما رآك نصرك لمصيدة من مصائد الشيطان

(١) أمالي ابن الشيخ الطوسي: ص ٢٧٧.

(٢) البحار: ج ١، ص ٧١ عن تفسير العسكري.

وعرّفك ما تبطل به كيدهم وتخرق شبكتهم وتقطع حبالهم فقال بل صديق كلما رأي علمني كيف أخزي الشيطان عن نفسي فأدفع عني بلاءه قال (عليه السلام) فأَيُّهما أحبّ إليك استنقاذك أسيراً مسكيناً من أيدي الكافرين أو استنقاذك أسيراً مسكيناً من أيدي الناصبين فقال يا ابن رسول الله سل الله أن يوفّقني للصواب في الجواب فقال (عليه السلام) اللهم وّقّه فقال الرجل بل استنقاذي المسكين الأسير من أيدي الناصبين فإنه توفير الجنة عليه وإنقاذه من النار وذلك توفير الروح عليه في الدنيا ودفع الظلم عنه فيها والله يعوض هذا المظلوم بأضعاف ما لحقه من الظلم وينتقم من الظالم بما هو عادل بحكمه فقال (عليه السلام) وفقت لله أبوك أخذته من جوف صدري لم تخرم ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرفاً^(١).

(٣٢) حدّث القاسم بن عوف قال كنت آتي علي بن الحسين مرة ومحمد بن الحنفية مرة فقال لي علي بن الحسين إياك أن تأتي أهل العراق فتخبرهم أنا استودعناك علماً فإنّا والله ما فعلنا ذلك وإياك أن تتراأس بنا فيضعك الله وإياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً واعلم أنّك تكون ذنباً في الخير خير لك من أن تكون رأساً في الشر واعلم أنّ من يحدث عنا بحديث سألناه يوماً فإن حدّث صدقاً كتبه الله صديقاً وإن حدّث كذباً كتبه الله كذاباً وإياك أن

(١) تفسير الإمام العسكري: ص ١٣٩ ج ١، ص ٧٢.

تشدّ راحلة ترحلها فإنما ههنا تطلب العلم حتى يمضي لكم بعد موتي سبع حجج ثم يبعث الله لكم غلاماً من ولد فاطمة عليها السلام تنبت الحكمة في صدره كما ينبت الطل الزرع.

قال ولما مضى علي بن الحسين حسبنا الأيام والجمع والشهور والسنين فما زاد يوماً ولا نقص حتى تكلم محمد بن علي بن الحسين عليه السلام باقر العلم ^(١).

(٣٣) قال عليه السلام إني أكره أن أعبد الله ولا غرض لي إلا ثوابه فأكون كالعبد الطامع إن طمع عمل وإلا لم يعمل وأكره أن أعبد له لخوف عذابه فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل فقليل له فلما تعبدته قال عليه السلام لما هو أهله بأياديهِ وإنعامه ^(٢).

لفظ الكراهة ظاهر في صحة العبادة إذا وقعت بلحاظ الثواب والعقاب غير أنّ أرقى العبادة إذا كانت له سبحانه وتعالى لأنّه المتلطف بأنواع الكرامة مع التماذي في الطغيان والقول ببطلان العبادة إذا قصد بها الثواب والعقاب من جهة منافاتها للإخلاص المطلوب من العبد باطل لأنّ مراتب الناس مختلفة ويتعذر منهم العبادة بهذا المعنى فإنّ هذه المرتبة لا تتحقق إلا من أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين كما قال عليه السلام عبدتك لا خوفاً من

(١) رجال الكشي: ص ٨٢ في ترجمة القاسم بن عوف.

(٢) تفسير الإمام العسكري: ص ١٣٢.

نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك ولا شك في أن قصد المتعبد الجنة والخوف من النار لا ينافي الإخلاص لأنه لو لم يعرف الله القاهر القادر الحاكم بالعدل لا يخافه ولا يرجوه فقصدتهما من شؤون الإخلاص له على أنه ورد الأمر بالدعاء خوفاً وطمعاً فقال ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ وقد ورد في أدعية الأئمة الدعاء ليزلفهم مع أهل الجنان ويبعدهم عن أهل النار وذكر المجلسي في المرأة: ج ٢، ص ١٠١ أن أمير المؤمنين قال في بعض أوقافه هذا ما أوصى به عبدالله عليّ ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار ومما يشهد لصحة مثل هذه النية ما ورد عن الصادق كما في الكافي بهامش المرأة: ج ٢، ص ١٠٠ باب العبادة قال (عليه السلام) العباد ثلاثة قوم عبدوا الله خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله لطلب الثواب فتلك عبادة الأجراء وقوم عبدوا الله حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة ومن هذا الحديث الصحيح وغيره أفتى العلماء الأعلام بصحة عبادة من نوى بها الثواب أو الخوف من النار.

(٣٤) سأله رجال من قريش كيف الدعوة إلى الدين فقال (عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم) أدعوك إلى الله تعالى وإلى دينه وجماعه أمران أحدهما معرفة الله والآخر العمل برضوانه وإن معرفة الله أن يعرف بالوحدانية والرفقة والرحمة والعلم والقدرة والعلو على كل شيء وأنه النافع الضار القاهر لكل شيء الذي لا

تدرّكه الأبصار وهو اللطيف الخبير وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ ما جاء به هو الحق من عند الله تعالى وما سواه ما هو الباطل فإذا أجابوا إلى ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين^(١).

(٣٥) وقال له رجل إني مبتلى بالنساء فأزني يوماً وأصوم يوماً فيكون ذا كفارة لذا فقال ﷺ ليس شيء أحبّ إلى الله من أن يُطاع ولا تزني ولا تصوم^(٢).

(٣٦) وكان ﷺ واقفاً بعرفات ومعه الزهري فقال له كم تقدّر ههنا من الناس قال الزهري أقدر أربعة آلاف كلهم حجاج قصدوا الله بأموالهم ويدعونه بضجيج أصواتهم فقال ﷺ يا زهري ما أكثر الضجيج وأقلّ الحجيج فقال الزهري أهؤلاء قليل فعندها أمره الإمام ﷺ أن يدنو منه فلما دنا منه مسح بيده المباركة على وجهه وقال له انظر فعندها قال الزهري أرى هؤلاء كلهم قردة إلا القليل ثم استدناه ﷺ ومسح بيده الشريفة على وجهه فرأى أولئك خنازير ثم مسح على وجهه فإذا هم دواب إلا النفر اليسير من الناس فقال له بأبي أنت وأمي أدهشتني آياتك وحيرتني عجائبك قال ﷺ يا زهري ما الحجيج من هؤلاء إلاّ النفر اليسير من ذلك الجمع الغفير ثم قال إنّ من والى موالينا وهجر معادينا ووطن

(١) الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٣، ص ٣٧٣ والتهذيب (للطوسي): ج ٢، ص ٤٧.

(٢) الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٣، ص ٥١٨ باب الزاني.

نفسه عَلَى طاعتنا ثم حضر الموقف مسلماً إلى الحجر الأسود ما قلّده الله من أماناتنا ووفيا بما ألزمه من عهودنا فذلك هو الحاج والباقون هم من قد رأيتهم.

يا زهري حدثني أبي عن جدي رسول الله أنه قال ليس الحاج المنافقين المعادين لآل محمد وعلي ومحبيهما الموالين لشانئهما، وإنما الحاج المؤمنون المخلصون الموالون لمحمد وعلي ومحبيهما المعادون لشانئهما هؤلاء المؤمنون الموالين لنا المعادين لأعدائنا تسطع أنوارهم في عرصات القيامة عَلَى قدر مولاتهم لنا فمنهم من يسطع نوره مسيرة ألف سنة ومنهم من يسطع ثلاثمائة ألف سنة وهو جميع مسافة تلك العرصات ومنهم من يسطع نوره بين ذلك يزيد وينقص عَلَى قدر مراتبهم في مولاتنا ومعاداة أعدائنا يعرفهم أهل العرصات من المسلمين والكافرين بأنّهم الموالون المتولون والمتبرئون.

يقال لكل واحد منهم يا ولي الله انظر في هذه العرصات إلى كل من أسدى إليك في الدنيا معروفاً أو نفس عنك كربة أو أغاثك إذ كنت ملهوفاً وكفّ عنك عدواً وأحسن إليك في معاملته فأنت شفيعه فإن كان من المؤمنين المحققين زيد بشاعته في نعم الله عليه وإن كان من المقصّرين كفي تقصيره بشفاعته وإن كان من الكافرين خفّف من عذابه بقدر إحسانه إليه.

وكأنني بشيعتنا هؤلاء يطيطرون في تلك العرصات كالبنزاة

والصقور فينقضون على من أحسن إليهم في الدنيا ويلتقطونهم من شدائد العرصات^(١).

(٣٧) وقال ﷺ: اتقوا المحرمات كلها واعلموا أن غيبتكم لأخيكم المؤمن من شيعة آل محمد ﷺ أعظم في التحريم من الميتة قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ وإن الدم أخف في التحريم عليكم أكله من أن يشي أحدكم بأخيه المؤمن من شيعة آل محمد إلى سلطان جائر فإنه يهلك نفسه وأخاه المؤمن والسلطان الذي وشى به إليه وإن لحم الخنزير أخف تحريماً من تعظيمكم من صغر الله وتسميتهم بأسمائنا أهل البيت وتلقيبهم بألقابنا وقد سماهم الله بأسماء الفاسقين ولقبهم بألقاب الفاجرين وإن ما أهل به لغير الله أخف تحريماً عليكم من أن تعتقدوا نكاحاً أو صلاة جماعة مع أعدائنا الغاصبين لحقوقنا إذا لم يكن عليكم منهم تقية قال الله تعالى: فمن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه من اضطره اللهو إلى تناول شيء من هذه المحرمات وهو معتقد لطاعة الله إذا زالت التقية فلا إثم عليه وكذلك من اضطر إلى الوقعة في بعض المؤمنين ليدفع عنه أو عن نفسه بذلك الهلاك من الكافرين الناصبين ومن سماهم بالأسماء الشريفة خوفاً على نفسه

(١) تفسير العسكري: ص ٢٥٦ على هامش كنز العرفان.

وقبل أحكامهم تقية فلا إثم عليه^(١).

(٣٨) قال (عليه السلام): قال رسول الله (ﷺ): في الجنة ثلاث درجات وفي الآخرة ثلاث دركات فأعلا درجات الجنة لمن أحبنا بقلبه ونصرنا بلسانه ويدرجه الثانية لمن أحبنا بقلبه ونصرنا بلسانه والدرجة الثالثة لمن أحبنا بقلبه وفي أسفل الدرك من النار من أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه وفي الدرك الثانية من النار من أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه وفي الدرك الثالثة من النار من أبغضنا بقلبه^(٢).

(٣٩) عن أبي حمزة الثمالي قال علي بن الحسين (عليه السلام) لأصحابه أوصيكم إخواني بالدار الآخرة ولا أوصيكم بدار الدنيا فإنكم عليها حريصون وبها متمسكون أما بلغكم ما قال عيسى بن مريم (عليه السلام) للحواريين فإنه قال: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقال أيكم يبني على موج البحر داراً تلكم دار الدنيا فلا تتخذوها قراراً^(٣).

(٤٠) حدث الثمالي أن علي بن الحسين (عليه السلام) كان يقول يا ابن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همك وما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً

(١) البحار: ج ٧، ص ٣٣١، في باب من كتم شيئاً من فضائلهم.

(٢) المحاسن (للبرقي): ج ١، ص ١٥٣.

(٣) أمالي المفيد: ص ٢٦.

إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله فأعدّ جواباً^(١).

(٤١) قال ﷺ : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ليقم أهل الفضل فيقوم ناس قبل الحساب فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيسألونهم إلى أين يقولون إلى الجنة فإذا سألوهم عما استحقوا به ذلك يقولون كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا صبرنا وإذا أُسيء إلينا غفرنا فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادي منادٍ ليقم أهل الصبر فيقوم ناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة ويسألونهم مثل ذلك فيقولون صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معصية الله عزّ وجلّ فيقولون لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادي منادٍ ليقم جيران الله عزّ وجل في داره فيقوم ناس يقال لهم انطلقوا إلى الجنة فيسألونهم الملائكة عما استحقوا به ذلك وما مجاورتهم لله عزّ وجل فيقولون كنا نتزاور في الله ونتجالس في الله ونتبازل في الله فيقولون ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين^(٢).

وهؤلاء الذين يؤمر بهم إلى الجنة قبل الحساب لا بد أن

(١) أمالي المفيد: ص ٦٤، ومشكاة الأنوار: ص ٦٦، وتحف العقول: ص ٦٧.

(٢) حلية الأولياء (لأبي نعيم): ج ٣، ص ١٥٩، وتاريخ يعقوبي: ج ٣، ص ٤٦ النجف، وأصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ١٢١.

يكونوا منزهين عن الآثام ليكون إتحافهم بهذه الكرامة تعظيماً لهم لما فعلوه من الخلق الجميل.

(٤٢) كان (عليه السلام) يقول التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنا بذا كتاب الله وراء ظهره إلا أن يتقي تقاة قيل وما تقاته قال: يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغى^(١).

(٤٣) حدث ثوير بن فاختة قال: سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يقول: إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا نعم الأخ أنت لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير قد أعطاك الله عز وجل مثلي ما سألت له وأثنى عليك مثلي ما أثنت عليه ولك الفضل عليه وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء ويدعو عليه قالوا له بئس الأخ أنت لأخيك كف أيها المستر على ذنوبه وعورته واربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عليك واعلم أن الله أعلم بعبده منك^(٢).

وهذا القول من الملائكة كناية عن الدعاء له والترحم عليه والحمل على مخاطبتهم لهذا الشخص في الآخرة بعيد لأن ظاهر الخبر أن يحمل على الدعاء إما تنشيط الداعي لأخيه بظهر الغيب

(١) حلية الأولياء: ج ٣، ص ١٤٠.

(٢) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ٤٦٤، في باب الدعاء للمؤمن بظهر الغيب.

على المواظبة في هذا العمل لما فيه من فائدة كبرى تعود عليه وإما ردع له عن ذكر أخيه بسوء.

(٤٤) سئل عليه السلام أيما أفضل السكوت أم الكلام فقال عليه السلام : لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل قيل فكيف ذاك يا ابن رسول الله فقال إن الله سبحانه لم يبعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت إنما بعثهم بالكلام ولا استحققت الجنة بالسكوت ولا استوجب ولاية الله بالسكوت ولا تُوقيت النار بالسكوت ولا تُجنب سخط الله بالسكوت إنما ذلك كله بالكلام وما كنت لأعدل القمر بالشمس وإنك تصف فضل السكوت على الكلام ولست تصف فضل الكلام على السكوت^(١).

(٤٥) قال له رجل إن فلاناً ينسبك إلى الضلال والإبداع فقال عليه السلام : ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت كلامه إلينا ولا رعيت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه إن الموت يعمننا والبعث محشرنا ويوم القيامة موعدنا والله يحكم فينا إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار واعلم أن من أكثر عيوب الناس شهد عليه الإكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه^(٢).

(٤٦) قال أبو عبد الله عليه السلام قال علي بن الحسين عليه السلام : أما

(١) الاحتجاج (للطبرسي) : ص ١٧٢ ، ط . النجف .

(٢) احتجاج الطبرسي : ص ١٧٢ ، ومشكاة الأنوار : ص ٢٩١ .

علمت أنه إذا كان عشية عرفة برز الله في ملائكته إلى سماء الدنيا ثم يقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً أرسلت إليهم رسولاً من وراء وراء فسألوني ودعوني أشهدكم أنه حق عليّ أن أجيبهم اليوم قد شفعت محسنهم في مسيئهم وقد تقبلت من محسنهم فأفيضوا مغفوراً لكم ثم يأمر ملكين فيقومان بالمأزمين^(١) هذا من هذا الجانب وهذا من هذا الجانب فيقولان اللهم سلم سلم فلا تكاد ترى من صريع ولا كسير^(٢).

وظهور المولى الجليل عبارة عن فيض الطاقة الرحمانية وإتحافه العباد المنقادين إلى أوامره بالكرامة التي لا انقضاء لها وتعبير الإمام (عليه السلام) «بلا تكاد» دالٌّ على أن دعاء الملكين بالسلامة لهؤلاء الحاج من باب الاقتضاء فإنه ربما يصادمه القضاء المحتوم بكون بعضهم صريعاً أو كسيراً فيكون كالعقيدة والصدقة والدعاء إلى أمثالها مما هو له اقتضاء التأثير في دفع البلاء أو جلب السراء ما لم يعارضه ما هو أقوى منه في نزول الشر أو دفع الخير.

وتجلّي الرب سبحانه وتعالى لأهل عرفة كتجليه جل شأنه

(١) في تاج العروس: ج ٨، ص ١٨٦: المأزمان مضيق بين جمع وعرفة وموضع آخر بين مكة ومنى.

(٢) محاسن البرقي: ج ١، ص ٦٥.

لزوار الحسين عليه السلام ليلة الجمعة فقد روى ابن قولويه عن صفوان الجمال قال لي أبو عبد الله عليه السلام وهو في الحيرة: هل لك في قبر الحسين عليه السلام قلت: وتزوره جعلت فداك، قال: وكيف لا أزوره والله يزوره كل ليلة جمعة يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأوصياء ومحمد أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء قلت: جعلت فداك فتزوره ليلة الجمعة تدرك زيارة الرب، قال: نعم يا صفوان الزم ذلك يكتب لك زيارة قبر الحسين وذلك تفضيل^(١) ولا إشكال في أن المراد من زيارة الرب تعالى إنزال الفيوضات الإلهية على زواره وغمرهم بالرحمة والغفران.

(٤٧) عمار الدهني قال: سمعت علي بن الحسين يقول إن الله تعالى يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور ويقول الله لعبد من عباده يوم القيامة أشكرت فلاناً فيقول بل شكرتك يا رب فيقول الله سبحانه لم تشكرني إن لم تشكره ثم قال: أشكركم الله أشكركم للناس^(٢).

ولا ينافيه ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام لا يحمد حامد إلاّ ربه لأن هذا الشكر للناس الذين صدر منهم الإحسان مما أمر به المولى تعالى فيكون شكرهم امتثالاً لأمره جل شأنه وهو في

(١) كامل الزيارة: ص ١١٣، باب ٣٨.

(٢) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ١١٦، باب الشكر.

الحقيقة شكر له تعالى على أن شكر المخلوق الصادر منه الجميل مما يوجب الألفة ويحكم رابطة التضامن والمودة فيتكرر العطف فيما بينهم ولا شك في محبوبة كل ما يوجب الاجتماع ويبقي المودة ومن هنا أمر الله تعالى نبيه الأقدس (عليه السلام) بالدعاء لمن أتاه بالزكاة فقال سبحانه ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ .

(٤٨) أبو حمزة الثمالي قال علي بن الحسين (عليه السلام) : إذا جمع الله الأولين والآخرين نادى منادٍ يسمع الناس فيقول أين المتحابون في الله فيقوم عنق من الناس فيقال لهم اذهبوا إلى الجنة بغير حساب فتلقاهم الملائكة ويسألونهم عن العمل الذي جازوا به إلى الجنة فيقولون نحن المتحابون في الله فيقولون وأي شيء كانت أعمالكم فيقولون: كنا نحُب في الله ونبغض في الله فيقولون لهم: نعم أجر العاملين^(١).

(٤٩) أبو حمزة الثمالي قال علي بن الحسين (عليه السلام) : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في آخر خطبته: طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته وصلحت سريرته وحسنت علانيته وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وأنصف الناس من نفسه^(٢).

(١) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ١٣٣، باب الحب والبغض في الله ومشكاة الأنوار: ص ٩١.

(٢) أصول الكافي بهامش المرأة: ج ٢، ص ١٤٨، باب الإنصاف والعدل.

(٥٠) الزهري قال علي بن الحسين عليه السلام: رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس ومن لم يرجُ الناس في شيء وردَّ أمره إلى الله تعالى في جميع أموره استجاب الله له في كل شيء^(١).

(٥١) حدث الوصافي عن علي بن الحسين أنه قال: من سره أن يمد الله في عمره وأن يبسط له في رزقه فليصل رحمه فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق تقول يا رب صل من وصلني واقطع من قطعني فالرجل ليرى بسبيل خير إذ أتته الرحم التي قطعها فتتهوي به إلى أسفل قعر في النار^(٢).

لم يكن للرحم حقيقة شرعية ليرجع إليها عند الشك وقد اختلفوا في ما يدل عليه اللفظ على أقوال:

(الأول) وهو المشهور بين علمائنا إطلاقه على المعروفين بالنسب ذهب إليه الشيخ الطوسي في الخلاف والمبسوط وابن إدريس في السرائر والمحقق الحلي في الشرائع والنافع والعلامة الحلي في التحرير والقواعد وولده فخر المحققين في الإيضاح والشهيد الأول في اللمعة والقواعد: ص ٢١٣، والشهيد الثاني

(١) أصول الكافي بهامش المرأة: ج ٢، ص ١٥٠، باب الاستغناء عن الناس ومشكاة الأنوار: ص ١١٦.

(٢) أصول الكافي على هامش مرآة العقول: ج ٢، ص ١٥٦ باب صلة الرحم.

في الروضة والمسالك والمحقق الكركي في جامع المقاصد والسيد مير علي في الرياض والكرباسي في منهاج الهداية والشيخ المحقق في الجواهر ذكروا ذلك في مسألة الوصية للقربة وذهب إليه الألوسي المفسر في روح المعاني: ج ٢٦، ص ٧٠، عند قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ وفي نيل الأوطار للشوكاني: ج ٦، ص ٢٣، في الوقف على الأقارب قال عند الشافعية القربة كل من اجتمع في النسب سواء قرب أو بعد مسلماً كان أو كافراً غنياً أو فقيراً ذكراً أو أنثى وارثاً أو غير وارث محرماً أو غير محرم وبه قال أحمد مع إخراج الكافر وفي تيسير الوصول لابن الديبع: ج ٣، ص ١٦٣، قال الأرحام هم الأقارب وكل من يجمع بينك وبينه نسب وفي كفاية الطالب في الفقه المالكي: ج ٢، ص ٣٢١، الرحم كل قرابة بنسب من جهة الأبوة والأمومة وفي حاشية العدوي عليها الرحم كل قرابة وإن بعد وارثاً أم لا يحرم نكاحه أم لا وقال الأفهسي إذا كثرت فالمراد من صلتها هو الأقرب ومن يحرم نكاحه.

(فالرحم) عندهم عبارة عما يفهمه أهل العرف من إطلاق اللفظ فيدخل في الأرحام والأقارب الأصول والفروع والحواشي من قبل الأب والأم مقابلة للأجانب ولا يدخل فيهم المتصل بالسبب وإن شمله عبارة القاموس لأن الرحم في الأصل كما في

«مفردات الراغب» هو رحم المرأة واستعير للقربة لكونهم خارجين من رحم واحد فالمتصل بالسبب خارج عنهم.

(الثاني) من يتقرب إليه بآخر أب وأم في الإسلام دون الكفر نص عليه الشيخ الطوسي في الوصية المبهمة وحكى عن المقنعة للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان وفي نيل الأوطار للشوكاني: ج ٦، ص ٢٣، عن أبي يوسف ومحمد اختصاص القربة بمن جمعهم أب منذ الهجرة سواء من قبل الأم أو الأب.

(الثالث) عن ابن الجنيد من الإمامية اختصاصه بالمتقربين إليه من جهة الولد أم الوالدين ولم يتجاوز الجد الرابع وفي نيل الأوطار: ج ٦- ص ٢٣، عن أحمد صدق القربة على من جمعه والموصي الأب الرابع إلى أسفل منه.

(الرابع) التخصيص بالوارث دون غيره حكاه النووي في شرحه على صحيح مسلم بهامش إرشاد الساري: ج ٩، ص ٤٤٩، والعيني في عمدة القاري شرح البخاري: ج ٥، ص ٤١٤، قولاً.

(الخامس) التخصيص بالمحرم من ذوي الأرحام دون غيره من بني الأخوال والأعمام اختاره القاضي عياض^(١) وفي بدائع

(١) شرح صحيح مسلم (للنووي) على هامش إرشاد الساري: ج ٩، ص ٤٤٩.

الصنائع لعلاء الدين الحنفي: ج ٧، ص ٣٤٩، إذا أوصى لأرحامه دخل الرحم المحرم والأقرب فالأقرب وهذه القرابة هي التي يجب صلتها ويحرم قطعها وعند أبي يوسف ومحمد يدخل في الرحم المحرم والقريب والبعيد إلى أقصى أب له في الإسلام.

(السادس) في نيل الأوطار: ج ٦، ص ٢٣، اختصاص القرابة عند مالك بالعصبة سواء كان وارثاً أم لا.

(السابع) فيه عند الهادوية اختصاصه بمن ولده أحد أبوي الواقف فيما لو قال وقفت على ذي رحمي.

(الثامن) في المحلى لابن حزم: ج ٩، ص ٣١٤، الأقربون من يجتمع مع الميت في الأب الذي يعرف به نسب ومن جهة أمه كذلك هو من يجتمع مع أمه في الأب الذي يعرف بالنسبة إليه لأن هؤلاء في اللغة أقارب ولا يجوز أن يوقع على غير هؤلاء اسم الأقارب.

(التاسع) حكي القاضي زاده في نتائج الأفكار: ج ٨، ص ٤٧٣، تكملة الفتح القدير لابن همام أن الرحم عند الشافعي تختص بالذي يجمع وإياه الأب الأدنى.

هذه الأقوال التي عثرنا عليها ونحن بعد أن عرفنا عدم الحقيقة الشرعية للرحم فالمرجع أهل العرف ونراهم يقصرون

الرحم على المعروف بنسب وإن كان بعيداً ذكراً أو أنثى نعم قد يكون بعضه أكد من بعض وعلى هذا قال العلامة الحلي في «التحرير» لو أوصى لأقاربه أعطي كل من صدق عليه اسم القريب عرفاً سواء كان وارثاً أو غير وارث ويستوي فيه القريب والبعيد والصغير والكبير والغني والفقير والأنثى والذكر ويدخل فيه القرابة من جهة الأم كالأخوال والإخوة للأم سواء كان الوصي عربياً أو عجمياً اهـ.

واستشكال المجلسي في البحار: ج ١٦، ص ٣١، في إلحاق القبيلة العظيمة كبني هاشم في الأرحام من حيث ترتيب الأثر مبني على ما هو المتفاهم عرفاً من تبادل المرتبة القريبة عند إطلاق اللفظ وأما لو فرض عدم وجود أحد إلا المرتبة العالية جداً يكون لفظ الرحم منطبقاً عليها قطعاً وعلى ما ذكرناه ينزل ما ذكره علي بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٢٢﴾ أنها نزلت في بني أمية لقطعهم رحم بني هاشم.

والصلة المأمور بها لا حقيقة لها شرعية ولا لغوية فتختلف كما في قواعد الشهيد الأول: ص ٢١٤، باختلاف العادات وبُعد المنازل وقربها وتصدق بكل ما تتحقق به وأدناه السلام بنفسه ثم برسوله والدعاء بظهر الغيب والثناء في المحضر وأعظم الصلة ما فيه جلب نفع للنفس ودفع ضرر عنها والواجب من صلة الأرحام

ما يخرج به عن القطعية المحرمة بل قيل إنها من الكبائر وغيره مستحب اهـ.

وقال المجلسي في مرآة العقول: ج ٢، ص ١٥٢، لا ريب في حسن صلة الأرحام ولزومها في الجملة ولها درجات متفاوتة وأدناها الكلام والسلام وترك المهاجرة ويختلف ذلك باختلاف القدرة عليها والحاجة إليها فمن الصلة ما يجب ومنها ما يستحب والفرق بينهما مشكل والاحتياط ظاهر والتمييز بين مراتب الصلة والقطع في غاية الإشكال والاحتياط طريق النجاة اهـ.

وحكى النووي في شرح صحيح مسلم: ج ٩، ص ٤٤٨، عن القاضي عياض أن للصلة درجات متفاوتة تختلف باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب ومنها مستحب وأدناها ترك المهاجرة ولو بالسلم.

وقال الألوسي في تفسيره روح المعاني: ج ٢٦، ص ٧٠، الصلة نوع من الإحسان ولا فرق فيه بين المال والمكاتب والزيرة والقطيعة ضد الإحسان ولا ينبغي التوقف في كون القطع كبيرة وتوقف الرافعي والنووي فيه عجيب بعد الاتفاق المحكى في تفسير القرطبي ويتحقق العذر الرافع لحرمة القطع بالنسبة إلى المال بتقديم الأجنبي المحتاج وفي الزيارة بالحضور في الجماعة وفي المراسلة بعدم وجدان من يثق به لأداء ما يرسله معه

والصغيرة تعد كبيرة لو فعلت مع الأرحام وإن كانت دون ما لو فعلت مع الأبوين لأن قبح السيئات إضافي كما أن قبح القطع يتفاوت باعتبار الشخص القاطع والمقطوع ومع تسليم التفاوت يكون عقوق الأم أقبح من عقوق الأب والولد الذي يعبأ به أقبح من عقوق الولد الذي لا يعبأ به اهـ.

وحكى في نيل الأوطار: ج ٦، ص ٢٣، عن أبي حنيفة البداية في الصلة بقربة الأب قبل الأم مع فرض دخولهم في القرابة ثم إن الحديث صرح بأن صلة الأرحام تزيد في العمر وحيث إن المقدرات في الأزل والمكتوبات في اللوح المحفوظ لا تتغير بالزيادة والنقصان لاستحالة خلاف معلوماته سبحانه وتعالى وقد سبق العلم بوجود كل ممكن أراد الله تعالى وجوده وبعدم كل ممكن أراد الله تعالى استمراره على حالة العدم الأصلي فكيف يمكن الحكم بزيادة العمل أو نقصانه بسبب من الأسباب واضطربوا في الجواب فيحكي النووي في شرح صحيح مسلم بهامش إرشاد الساري: ج ٩، ص ٤٥٠:

(أولاً) إن المراد من الزيادة البركة في العمر بتوفيق العبد للطاعات وصيانة العمر عن الضياع في غيرها.

(ثانياً) إن المراد منها ظهور الزيادة للملائكة بالكشف لهم عما في اللوح المحفوظ.

(ثالثاً) إن المراد منها الذكر الجميل بعد الموت وذكر العيني في عمدة القاري شرح البخاري: ج ٥، ص ٤١٤، وجوهاً لا ترتفع بها هذه الغائلة.

وملخص ما يقال في هذه المسألة أن كل إنسان تقتضي طبيعته حداً خاصاً يحصل فناؤها بالوصول إليه والزيادة على الحد إنما هي بمقارنتها لبعض الأسباب المحبوبة للمولى سبحانه كما أن النقصان عنه بالمقارنة لما هو مبغوض للمولى تعالى فالقول بأن عمر زيد كان ثلاثين سنة وبصلته لرحمه زاده الله إلى ستين وبقطعه يبتريه الله إلى ثلاث سنين إنما هو بهذه الملاحظة ويستحيل أن يراد منه تقدير المولى سبحانه أولاً ثلاثين وبعد الصلة يقدر له ثانياً ستين لاستلزامه جهل المولى الحكيم بالكائنات تعالى عن ذلك علواً كبيراً وبالجملة إن الله جل شأنه لما علم في الأزل أن هذه الطبيعة المقتضية للانتهاء بثلاثين سنة تقتزن اختياراً بصلة الرحم قدر سبحانه لها الستين من الأزل فالأجل المحتوم هو الستون سنة وهذا لا يتخلف عما علمه الباري تعالى ولا يلزم منه الجبر بعد جعل العبد مختاراً في أفعاله فما صدر من صلة الرحم أو قطعها كان باختياره فالزيادة الحاصلة بالصلة أو بالصدقة أو بقضاء حوائج المؤمنين أو بالدعاء أو بالمواظبة على عمل بعض الطاعات والنقيصة الحاصلة من الأسباب الخاصة إنما تلاحظ بالنسبة إلى الطبيعة المجردة عن مقارنتها بموجبات الزيادة

والنقيصة فقول القائل زاد الله في عمر زيد لأجل كذا أو نقص منه لأجل كذا إنما هو بالنظر إلى طبيعة زيد لولا هذه الطوارئ وإلا فعمر زيد من الأزل محدود بحد خاص يعلمه المولى سبحانه ولا يتخلف عن المعلوم أصلاً وهذا هو الحل الفاصل للمشكلة المعضلة.

ولعل كلام الشهيد الأول في القواعد: ص ٢١٥، ناظر إلى هذا فإنه قال إن الله تعالى كما علم كمية العمر علم ارتباطه بسببه المخصوص وكما علم من زيد دخول الجنة جعله مرتبطاً بأسبابه المخصوصة من إيجاده وخلق العقل له وبعث الأنبياء ونصب الألطاف وحسن الاختيار والعمل بموجب الشرع فالواجب على كل مكلف الإتيان بما أمر به ثم قال وبالجملية جميع ما يحدث في العالم معلوم لله تعالى على ما هو عليه واقع من شرط أو سبب وليس كون الصلة زيادة في العمر إلا كنصب الإيمان سبباً لدخول الجنة والعمل بالصالحات في رفع الدرجة وبالدعاء في تحقيق المدعو به وقد جاء في الحديث لا تملوا من الدعاء فإنكم لا تدرن متى يستجاب لكم وفي هذا سر لطيف ففي كل ذرة من الاجتهاد إمكان سببه لخير علمه الله تعالى كما قال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ والعجب كيف صار الإشكال في صلة الرحم ولم يذكر في جميع التصرفات الحيوانية مع أنه وارد فيها عند من لا يتفطن للمخرج منه.

(٥٢) أبو حمزة قال علي بن الحسين (عليه السلام) : لا تحلفوا إلا بالله ومن حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرضَ ومن حلف له بالله فلم يرضَ فليس من الله^(١).

(٥٣) أبو جعفر الباقر (عليه السلام) قال : كان رجل يقال له أبو مرة استأذن على علي بن الحسين فلما دخل قال (عليه السلام) عليك إذا جئت بابنا فلا تقولن أبو مرة^(٢) وإنما كره الإمام التسمية بهذه الكنية لأنها من كنى إبليس وأراد صلوات الله عليه إرشاده إلى استفهام السبب حتى يوقفه على ما هو المرغوب لله تعالى.

(٥٤) أبو حمزة قال علي بن الحسين (عليه السلام) كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول إنما الدهر ثلاثة أيام أنت فيما بينهن مضى أمس بما فيه فلا يرجع أبداً فإن كنت عملت خيراً لم تحزن لذهابه وفرحت بما استقبلته منه وإن كنت قد فرطت فيه فحسرتك شديدة لذهابه وتفريطك فيه وأنت في يومك الذي أصبحت فيه من غد في غرة ولا تدري لعلك لا تبلغه وإن بلغته لعل حظك فيه في التفريط مثل حظك في الأمل الماضي عنك فيوم من الثلاثة قد مضى أنت فيه مفراط ويوم تنتظره لست أنت منه على يقين من ترك التفريط وإنما هو يومك الذي أصبحت فيه وقد ينبغي لك إن

(١) البحار: ج ٢٤، ص ١٢.

(٢) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٣، ص ٣٣ باب الكنى.

عقلت وفكرت في ما فرطت في الأمس الماضي مما فاتك فيه من حسنات أن لا تكون اكتسبتها ومن سيئات أن لا تكون أقصرت عنها وأنت مع هذا مع استقبال غد على غير ثقة من أن تبلغه وعلى غير يقين من اكتساب حسنة أو مرتدع عن سيئة محيطة فأنت من يومك الذي تستقبل على مثل يومك الذي استدبرت فاعمل عمل رجل ليس يأمل من الأيام إلاّ يومه الذي أصبح فيه وليته فاعمل أو دع والله المعين على ذلك^(١).

(٥٥) عن الرضا عليه السلام قال علي بن الحسين إني لأستحي من ربي أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدينار والدرهم فإذا كان يوم القيامة قيل لي لو كانت الجنة لك لكنت بها أبخل وأبخل وأبخل^(٢).

(٥٦) علي بن هاشم بن البريد عن أبيه قال جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب فسأله عن أخرى مثلها فقال عليه السلام له: مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمّا تعملوا بما علمتم فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلاّ كفرًا ولم يزد من الله إلاّ بعداً^(٣).

(١) الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ٤٢٤، باب محاسبة العمل ح ١.

(٢) مصادقة الإخوان (للصدوق): ص ٣٤ طبع طهران.

(٣) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ١، ص ٣٠ باب استعمال العلم.

رتب صلوات الله عليه عدم العمل على طبق العلم الازدياد في الجحود والعناد مع أن هذه المسائل إن كانت من فروع الشريعة لا يكون تاركها في زيادة من الجحود فإن الفاسق إذا ترك العمل ببعض ما علمه من أحكام الشريعة يجب عليه الفحص عما جهله من الأحكام الأخر وإن كان عاصياً بالنسبة إلى ما عرفه ولا يكون تركه العمل عذراً في ترك التعلم ويجب على العالم إرشاده إلى الطريق المهيئ وإيقافه على الحقيقة خصوصاً مع استرشاده لئلا تكون له الحجة على ذلك العالم.

فقول الإمام (عليه السلام) في الحديث (لا تطلبوا علم ما لا تعلمون الخ) ينبغي أن ينزل على كون السائل من أهل الخلاف وقد وضع لديه بسؤاله الأول المستحق للخلافة الكبرى فإذا لم يعمل بما علمه من أهم مسائل الدين الحنيف لا ينفعه تعلم باقي الأحكام لأن الإذعان بالخلافة الإلهية أساس الشريعة وكل عمل هباء إذا لم يقترن باعتقاد الإمامة ولعل احتفاف الحال ببعض الموانع حرج على الإمام التبسط في توضيح الأمر.

(٥٧) قال (عليه السلام) أبشروا شيعتنا بالثواب الأعظم والجزاء الأوفر فإن الله تعالى أوحى لموسى (عليه السلام) حبيني إلى خلقي وحبب خلقي إليّ قال كيف أفعل قال تعالى ذكرهم آلائي ونعمائي فلأن ترد أبقاً عن بابي أو ضالاً عن فنائي أفضل لك من عبادة مائة سنة صائماً نهارها قائماً ليلها فقال موسى (عليه السلام) : ومن هذا العبد الأبق منك

قال تعالى: العاصي المتمرد، قال: ومن الضال عن فنائك، قال تعالى: الجاهل بإمام زمانه يعرفه الغائب عنه بعدما عرفه الجاهل بشريعة دينه يعرفه شريعته ويعبد به ربه ويتوصل إلى مرضاته^(١).

(٥٨) قال ﷺ نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين وسادة المؤمنين وقادة الغر المحجلين وموالي المؤمنين ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء وبنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ولولا ذلك لم يُعبد الله فليل كيف ينتفع الناس بالغائب المستور قال ﷺ كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب^(٢).

(٥٩) الزهري قال ﷺ مما أوصى به الخضر موسى ﷺ لا تعين أحداً بذنب وإن أحب الأمور إلى الله ثلاثة: القصد في الجد والعفو في المقدرة والرفق بعباد الله وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله تعالى به يوم القيامة ورأس الحكمة مخافة الله.

(٦٠) الباقر ﷺ قال علي بن الحسين ﷺ إن الله أخفى أربعة

(١) لآلئ الأخبار (للتويسركاني): ص ٢١٤، الباب الخامس فضل التعليم.

(٢) أمالي الصدوق: ص ١١٢، مجلس ٣٤، ح ١٥.

في أربعة أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئاً من طاعته
 فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم وأخفى سخطه في معصيته فلا
 تستصغرن شيئاً من معصيته فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا
 تعلم وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئاً من دعائه فربما
 وافق إجابته وأنت لا تعلم وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن
 عبداً من عبيد الله فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.

(٦١) الباقر قال علي بن الحسين (عليه السلام) أربع من كن فيه كمل
 إسلامه ومَحَصَّت عنه ذنوبه ولقي ربه وهو عنه راضٍ: من وفى لله
 عزَّ وجل بما يجعل على نفسه للناس وصدق لسانه مع الناس
 واستحى من كل قبيح عند الله وعند الناس وحسن خلقه مع أهله.

(٦٢) الزهري قال علي بن الحسين (عليه السلام) إن للعبد أربعة أعين
 عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه وعينان يبصر بهما أمر آخرته فإذا
 أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما
 الغيب وأمر آخرته وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه.

(٦٣) الرضا (عليه السلام) عن آبائه حدث علي بن الحسين (عليه السلام) عن
 جده أربعة لا يشبعن من أربعة الأرض من المطر والعين من النظر
 والأنثى من الذكر والعالم من العلم^(١).

(١) إلى هنا من الخصال: ج ١، ص ٥٤ و ٩٨ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١١٤.

(٦٤) قال علي بن الحسين في الحديث عن جده عليه السلام النوم على أربعة أوجه الأنبياء تنام على أقفيتهم مستلقية وأعينها لا تنام متوقعة وحي الله تعالى والمؤمن ينام على يمينه مستقبل القبلة والملوك وأبناؤها تنام على شمائلها ليستمرئوا ما يأكلون وإبليس وإخوانه وكل مجنون وذو عاهة ينام على وجهه منبطحاً^(١).

والنوم مستقبل القبلة كهيئة الميت عند وضعه في القبر وردت به أحاديث كثيرة نقلها العلامة الجليل ميرزا حسين النوري في (دار السلام) ج ٢، ص ٣٣، وفي ص ٣٥ ذكر أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والإمام الهادي عليهما السلام وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن قال ولم أجد في أخبار المعصومين عليهم السلام ما يدل على استقبال القبلة بالوجه والرجلين كهيئة المحتضر ولكن الغزالي في إحياء العلوم ذكره ولم نستوضح طريقه.

(٦٥) أبو حمزة الثمالي صليت مع علي بن الحسين عليهما السلام الفجر بالمدينة يوم الجمعة فلما فرغ من صلاته نهض إلى منزله وأنا معه فدعا مولاة له تسمى سكينه فقال لها لا يعبر على بابي سائل إلا أطمعته فإن اليوم يوم جمعة قلت له ليس كل من يسأل مستحقاً قال عليه السلام يا ثابت أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه ونرده فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله

(١) الخصال (للصدوق) ص ١٢٥، ج ١.

أطعموهم أطعموهم إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيتصدق منه ويأكل منه هو وعياله وإن سائلاً مؤمناً صوماً مستحقاً له عند الله منزلة وكان مجتازاً غريباً على باب يعقوب عشية جمعة عند أوان إفطاره يهتف على بابه أطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم يهتف بذلك على بابه مراراً وهم يسمعون قد جهلوا حقه ولم يصدقوا قوله فلما يئس أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وشكى جوعه إلى الله عز وجل وبات طاوياً وأصبح صائماً جائعاً صابراً حامداً لله تعالى وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم فأوحى الله إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة لقد أذلت يا يعقوب عبدي ذلة استجرت بها غضبي واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبتي وبلوأي عليك وعلى ولدك يا يعقوب إن أحب أنبيائي إلي وأكرمهم علي من رحم مساكين عبادي وقربهم إليهم وأطعمهم وكان لهم مأوى وملجأ يا يعقوب أما رحمت (ذميال) عبدي المجتهد في عبادته القانع باليسير من ظاهر الدنيا عشاء أمس لما اعترى ببابك عند أوان إفطاره وهتف بكم أطعموا السائل الغريب المجتاز القانع فلم تطعموه شيئاً فاسترجع واستعبر وشكى ما به إلي وبات طاوياً حامداً لي وأصبح لي صائماً وأنت يا يعقوب وولدك شباع وأصبحت عندكم فضلة من طعامكم أوما علمت يا يعقوب أن العقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منها إلى

أعدائي وذلك حسن النظر مني لأوليائي واستدراج مني لأعدائي
أما وعزتي لأنزلن بك بلوأي ولأجعلنك وولداً غرضاً لمصائبي
ولأؤذينك بعقوبي فاستعدوا لبلوأي وارضوا بقضائي واصبروا
للمصائب.

فقلت لعلي بن الحسين عليه السلام جعلت فداك متى رأى يوسف عليه السلام
الرؤيا فقال في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآل يعقوب
شباعاً وبات فيها ذاميال طاوياً جائعاً^(١).

وهذا الحق الذي عبر عنه الإمام عليه السلام ينقسم إلى واجب عيني
وكفائي ومستحب مؤكد وغير مؤكد حسب اختلاف الموارد من
إشراف الجائع على الموت وخوف هلاكه وانحصار سد الرmq به
وعدمها وفضل الجائع من حيث العلم والتقوى والسيادة وكثرة
الطعام والفضل منه وعدم ذلك إلى غيره مما تختلف الأحكام فيه
باختلاف العناوين.

(٦٦) قال عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما يكون
وأجوع ما يكون وأعطش ما يكون فمن كسى مؤمناً في دار الدنيا
كساه الله من حلل الجنة ومن أطعم مؤمناً في دار الدنيا أطعمه الله
من ثمار الجنة ومن سقى مؤمناً في دار الدنيا شربة سقاه الله من
الرحيق المختوم.

(١) دار السلام (للنوري): ج ٢، ص ١٤١، عن تفسير العياشي.

(٦٧) قال (عليه السلام) إذا أراد الله بعبد خيراً أخذ فيه بعقول الرجال حتى ينفذ أمره فيهم ثم يرد إليهم عقولهم ألا ترى إلى الرجل يقول فعلت كذا وكذا وليس معي عقلي .

(٦٨) مر الإمام السجاد (عليه السلام) على رجل يدعو الله أن يرزقه الصبر فقال له : لا تقل هذا وسل الله العافية والشكر على العافية فإن الشكر على العافية خير من الصبر على البلاء .

(٦٩) قال (عليه السلام) إن العبد المؤمن ليطلب الإمارة والتجارة فإذا أشرف من ذلك على ما يهوى بعث الله إليه ملكاً يصده عن أمر لو دخل فيه لاستحق النار فينزل الملك ويصده عن ذلك الأمر بلطف الله تعالى ويصبح العبد يقول لقد دهاني من دهاني فعل الله به وفعل ما يدري أن الله جلّ وعلا هو الناظر له في ذلك ولو تركه وذلك الشيء لدخل النار .

(٧٠) قال (عليه السلام) مر رسول الله ﷺ على راعي غنم فاستسقاها فقال الرجل أما ما في ضرعها فصبوح الحي وأما ما في آنتهم فغبوقهم فقال (عليه السلام) اللهم كثر ماله وولده ثم مر براعي آخر فاستسقاها فحلب له ما في ضرعها وأكفأ ما في إنائه في إناء رسول الله ﷺ وبعث إليه بشاة وقال هذا ما عندنا وإن أحببت أن نزيدك زدناك فقال رسول الله ﷺ اللهم ارزقه الكفاف فقال له بعض أصحابه يا رسول الله دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نحبه ودعوت للذي

أسعفك بدعاء عامتنا نكرهه فقال النبي ﷺ : إن ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى اللهم ارزق آل محمد الكفاف .

(٧١) قال ﷺ البلاء والفقر أسرع إلى محبيننا من ركض البراذين ومن السيل إلى صمرة وهو منتهاه^(١) ومن قطر السماء إلى الأرض ولولا أن تكونوا كذلك لعلمنا أنكم لستم منا ثم قال بنا يجبر يتيّمكم وبنا يقضى دينكم وتغفر ذنوبكم .

(٧٢) قال ﷺ لأبي حمزة إن تركت الناس لم يتركوك وإن رفضتهم لم يرفضوك قلت وما أصنع جعلت فداك قال ﷺ أعطهم من عرضك^(٢) ليوم فقرك .

(٧٣) قال ﷺ من سعادة المرء أن يكون متجره في بلاده ويكون خلطاؤه صالحين ويكون له ولد يستعين به ومن شقاء المرء أن تكون عنده المرأة يعجب بها وهي تخونه في نفسها .

(٧٤) قال ﷺ من زار أخاه في الله طلباً لإنجاز موعد الله شيعه سبعون ألف ملك وهتف به هاتف من خلفه ألا طبت

(١) لم أجد معنى لصمرة بالصاد المهملة وأما الضاد المعجمة مجرداً عن الهاء بعد الراء ففي معجم البلدان بمادة ضمير أنه طريق في جبل في ديار بني سعد بن زيد مناة وفي القاموس مع التاج ضمير بالضم جبل ببلاد بني قيس لعلياهم وهما ضميران ضمير وضائن . .

(٢) في المغرب العرض غير النقد .

وطابت لك الجنة فإذا صافحه غمرته الرحمة^(١).

(٧٥) سمع (عليه السلام) رجلاً يقول اللهم أغني عن خلقك فقال له لا تقل هذا فإن الناس بالناس ولكن قل اللهم أغني عن شرار خلقك^(٢).

(٧٦) قال أبو حمزة سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يقول كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه^(٣).

(٧٧) رأى إنساناً قد برئ من المرض فقال له يهئك الطهور من الذنوب إن الله قد ذكرك فاذكره وأقالك فاشكره.

(٧٨) قال (عليه السلام) خمس لو رحلتم إليهن الإبل لأنضيتموهن وما قدرتم على مثلهن وهي لا يخاف عبد إلا ذنبه ولا يرجو إلا ربه ولا يستحي الجاهل إذا سئل عما لا يعلم أن يتعلم والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له.

(٧٩) قال (عليه السلام) إن الله يقول يا ابن آدم ارض بما آتيتك تكن من أزهد الناس واعمل بما افترضت عليك تكن من أعبد الناس واجتنب ما حرمت عليك تكن من أورع الناس.

(١) إلى هنا من مشكاة الأنوار: ص ٩٣، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٦٩، ١٨٨.

(٢) تحف العقول: ٦٧.

(٣) أصول الكافي على هامش مرآة العقول: ج ٢، ص ٤٢٨.

(٨٠) قال له رجل إني أحبك في الله حباً شديداً فنكس عليه السلام برأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك أن أُحَبَّ فيك وأنت لي مبغض وقال لذلك الرجل أحبك للذي تحبني فيه .

(٨١) قال عليه السلام ثلاث من كن فيه كان في كنف الله تعالى وأظله يوم القيامة في ظل عرشه وآمنه من الفزع الأكبر من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه ورجل لم يقدم يداً ولا رجلاً حتى يعلم أنه في طاعة الله قدمها أو في معصيته ورجل لم يعب أخاه بعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه وكفى بالمرء شغلاً بعيبه عن عيوب الناس^(١) .

(٨٢) أبو حمزة الثمالي قال علي بن الحسين عليه السلام طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته وصلحت سريره وحسنت علانيته وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وأنصف الناس من نفسه .

(٨٣) عبد الملك بن قدامة عن أبيه كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ لجلسائه أتدرون ما العجز قالوا الله ورسوله أعلم فقال العجز أن يبدر أحدكم بطعام يصنعه لصاحبه فيخلفه ولا يأتيه الثانية أن يصحب الرجل منكم الرجل أو يجالسه يحب أن يعلم من هو ومن أين هو فيفارقه قبل أن يعلم وإن من

(١) إلى هنا من تحف العقول: ص ٦٧ و ٦٨ .

أعجز العجز أن يلقي أحدكم الرجل فيعجبه ولم يسأله عن اسمه ونسبه وموضعه الثالثة أن يدنو الرجل من أهله فيقضي حاجته قبلها فقليل له وكيف ذاك فقال (عليه السلام) يتحرش ويتمكث حتى يأتي ذلك منهما جميعاً.

(٨٤) أبو حمزة الثمالي كان علي بن الحسين يقول من أطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا الله رب العالمين ثم قال من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَرْبَةٍ ﴿١٦﴾ .

(٨٥) الحسين بن موسى بن جعفر عن أبيه (عليه السلام) أن علي بن الحسين يقول كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) على هذا الخلق وكذلك نحن أهل البيت مكفرون لا يشكر معروفنا وخيار المؤمنين مكفرون لا يشكر معروفهم^(١).

والمكفر كمعظم مجحود النعمة مع إحسانه وليس أحد أعظم معروفاً على الخلق من النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) والمؤمنين من جهة

(١) إلى هنا من الوافي: ج ٣، ص ٨٨ باب الإنصاف والعدل و١٠٦، باب تعرف المودة، وص ١٢٠، باب إطعام المؤمن، وص ١٣٣، باب أخذ الميثاق على المؤمن بالبلاء.

إلقاء التعاليم النافعة المقربة من ساحة المعبود سبحانه والتعريف بالمضار المبعدة عنه ولو أدرك الإنسان حقيقة هذه النعمة من المصلحين لعرف أنها لطف منهم ومنة عليهم بانتشالهم من مهاوي الهلكة وإضاءة الطريق لهم الموصل إلى الرضوان.

(٨٦) قال ﷺ من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محتتنا باستئارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه قال الله تعالى أيها العبد الكريم المواسي أنا أولى بالكرم منك اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر وضموا إليه ما يليق بها من سائر النعم^(١).

ولم يرد باليتيم العلوي نسباً وإنما أراد به العلوي مذهباً لأن الشيعة الذين خلقوا من فاضل طينتهم وعجنوا بنور ولايتهم لهم مع الأئمة قرابة خاصة كما جاء الحديث بذلك فكلهم في زمن غيبتهم أيتام لهم فمن تعلم علوم آل الرسول وألقاها على جهلاء شيعتهم ليخرجهم من ظلمة الجهل إلى نور اليقين فقد أنعشهم وأحياهم.

(٨٧) أبو عبد الله الصادق ﷺ قال ذكرت التقية عند علي بن الحسين ﷺ فقال والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله

(١) لآلئ الأخبار (للتويسركاني): ص ٢١٤، الباب الخامس في فضل تعليم العلم.

ولقد آخى رسول الله ﷺ بينهما فما ظنكم بسائر الخلق إن علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت^(١).

واحتمل المجلسي أعلا الله مقامه في هذا الحديث أولاً أن يراد منه أن ما وقف عليه سلمان من مراتب معرفة الله ومعرفة النبي ﷺ والأئمة (عليهم السلام) لم يحتمله أبو ذر لعدم وصوله إلى تلك المرتبة المنكشفة لسلمان ونسبه إلى الكذب والارتداد واستظهر هذا المعنى مما رواه الكشي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أن أبا ذر دخل على سلمان وهو يطبخ قدره وبينما يتحدثان إذ انكفأ القدر ولم يسقط ما فيه فأعاده إلى موضعه ثم انكفأ ثانياً ولم يسقط ما فيه فخرج أبو ذر مدهوشاً مما رآه ولقيه أمير المؤمنين (عليه السلام) فكشف له الغطاء فهدأ قلبه وقال له لو حدثك سلمان بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان إن سلمان باب الله في الأرض من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً وإنه منا أهل البيت.

لأن مكنون العلم عزيز المنال دقيق المدرك صعب الوصول يقصر العلماء الفحول عن الوصول إليه فضلاً عن الضعفاء ولهذا إنما يخاطب الجمهور بظواهر الشرع ومجملاته دون حقائقه

(١) أصول الكافي باب أن حديثهم صعب.

وأسراره لقصور أفهامهم عن إدراكها ولا يسعهم الجمع بين الظاهر والباطن فيظنون تنافيهما فيرتدون .

الثاني مما يحتمله المجلسي في الحديث أن سلمان لو ألقى تلك الأسرار التي وقف عليها إلى أبي ذر وأمره بكتمانها لمات من شدة الصبر ولما استطاع صيانتها فيظهره للناس ولم يكن فيهم من يتحمل ذلك فيحملونه على الارتداد ويقتلونه وعليه يرجع الضمير في قوله (لقتله) إلى أبي ذر يعني يكون ما يظهره سلمان سبباً في قتل أبي ذر^(١) .

(٨٨) قيل لعلي بن الحسين عليه السلام أي الأعمال أفضل قال عليه السلام : الحال المرتحل فقيل له وما ذاك قال : هو فتح القرآن وختمه فإنه كلما جاء بأوله ارتحل بآخره ولقد قال رسول الله ﷺ من أعطاه الله القرآن فرأى أن رجلاً أعطي أفضل مما أعطاه الله فقد صَغُرَ عظيماً وعَظُمَ صغيراً^(٢) .

(٨٩) قال عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل بلق مسرجة ملجمة ذوات أجنحة لا تروث ولا تبول يركبها أولياء الله فتطير بهم في الجنة حيث شاءوا فيقول الذين أسفل منهم يا ربنا ما بلغ

(١) مرآة العقول: ج ١، ص ٣٠٠ .

(٢) الكافي على هامش المرأة: ج ٢، ص ٥٣٠ .

بعبادك إلى هذه الكرامة فيقول الله جل جلاله : إنهم كانوا يقومون الليل ولا ينامون ويصومون النهار ولا يأكلون ويجاهدون العدو ولا يجبنون ويتصدقون ولا ييخلون^(١).

لا بدع في فعل القدرة الإلهية وتصرفه في الأشياء حسبما يقتضيه الصلاح وقد أودع سبحانه وتعالى النار في الحجر الصلد والصوت في الشجرة وألان الحديد لداود (عليه السلام) بحيث كان في يده كالشمع يتصرف فيه كما يريد وقد أفاض لطفه وآلاءه على جعفر ابن أبي طالب وقمر بني هاشم فعوضهما عن يديهما المقطوعتين في سبيل نصره الحق بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنان إلى حيث شاءا ولا يستغربه إلا من يعيش عن إبطار بدائع الكون ودقائق الفطرة وقد ختم على قلبه.

(٩٠) أبو حمزة الثمالي قال علي بن الحسين ما من خطوة أحب إلى الله تعالى من خطوتين خطوة يسد بها المؤمن صفاً في سبيل الله وخطوة إلى ذي رحم قاطع وما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعتين جرعة غيظ يردها بحلم وجرعة مصيبة يردها بصبر وما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرتين قطرة دم في سبيل الله وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها عبد إلا الله عز وجل^(٢).

(١) أمالي الصدوق: ص ١٧٥، مجلس ٤٨.

(٢) الخصال: ج ١، ص ٢٦.

(٩١) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام كان علي بن الحسين عليه السلام يقول ما أبالي إذا قلت هذه الكلمات إن اجتمع عليّ الإنس والجن وهي بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله اللهم إليك أسلمت نفسي وإليك وجهت وجهي وإليك فوضت أمري فاحفظني بحفظ الإيمان من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي وادفع عني بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ^(١).

(٩٢) قال عليه السلام للدابة على صاحبها ست خصال يبدأ بعلفها إذا نزل ويعرض عليها الماء إذا مر به ولا يضربها إلا على حق ولا يحملها إلا ما تطيق ولا يكلفها من السير إلا طاقتها ولا يقف عليها فواقاً ^(٢).

(٩٣) قال حمران كان علي بن الحسين عليه السلام يقول لا تحتقر اللؤلؤة النفيسة أن تجلبها من الكبا ^(٣) الخسيصة فإن أبي حدثني قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول إن الكلمة من الحكمة لتلجج ^(٤) في صدر المنافق فيلقفها ^(٥).

(١) أمالي ابن الطوسي: ص ١٣٠.

(٢) نوادر الراوندي ملحق بالفصول العشرة (للمفيد): ص ١٤.

(٣) الكبا هو الكناسة.

(٤) لجلج في صدره تردد.

(٥) البحار: ج ١، ص ٩٥، باب من يجوز أخذ العلم منه.

(٩٤) أبو حمزة الثمالي قال كان علي بن الحسين إذا طعم قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وأيدنا وآوانا وأنعم وأفضل والحمد لله الذي يطعم ولا يطعم^(١).

(٩٥) قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) إن علي بن الحسين (عليه السلام) قال أحق الناس بالاجتهاد والورع والعمل بما عند الله وبرضاه الأنبياء وأتباعهم^(٢).

(٩٦) قال (عليه السلام) يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين ترك التقية وتضييع حقوق الإخوان.

(٩٧) قال (عليه السلام) إن كان الأبوان عظم حقهما على أولادهما لإحسانهما إليهم فأحسن «محمد وعلي» صلوات الله عليهما وعلى أبنائهما إلى هذه الأمة أجل وأعظم فهما أحق بأن يكونا أبويهم.

(٩٨) قال (عليه السلام) سأل موسى بن عمران ربه تعالى من أهلك الذين تظلمهم بظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك فأوحى سبحانه إليه: الطاهرة قلوبهم والتربة أيديهم الذين يذكرون جلالتي والذين يكتفون بطاعتي كما يكتفي الصبي الصغير باللبن والذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسور إلى أوكارها والذين يغضبون لمحارمي إذا استحلت مثل النمر إذا حرد.

(١) من لا يحضره الفقيه: ص ٣٠٧، باب الأكل في آية الذهب.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١، ص ١٤.

(٩٩) حدث ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال ألا أخبركم بما يكون به خير الدنيا والآخرة قالوا: بلى، فقال: قولوا إذا كربتم واغتمتم لا إله إلا الله ربنا لا نشرك بك شيئاً ثم ادعوا بما بدا لكم.

(١٠٠) قال ﷺ من أحبنا لا لدنيا يصيبها منا وعادى عدونا لا لشحناء كانت بينه وبينه أتى يوم القيامة مع محمد وعلي وإبراهيم ﷺ.

(١٠١) مر موسى بن عمران برجل رافع يده إلى السماء يدعو الله تعالى فبات سبعة أيام ثم رجع إليه فرآه رافعاً يده إلى السماء فقال موسى ﷺ يا رب هذا عبدك رافع يده إليك يسألك حاجته ويسألك المغفرة منذ سبعة أيام لا تستجيب له فأوحى الله إليه يا موسى لو دعاني حتى تسقط يداه وينقطع لسانه ما استجبت له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به.

وبمعونة الأخبار الكثيرة المتواترة الدالة على أن العبد لو سجد حتى ينقطع عنقه لم يقبل الله منه إلا بمعرفة الحق وهو ولاية الذين نصبهم الله تعالى أدلاء إلى شرعه القويم يتجلى لنا المراد من ذلك الباب الذي أمر الجليل عز شأنه به وهو الإيمان بالحجج الذين نصبهم للعباد هادين ومرشدين.

(١٠٢) قال ﷺ إذا هم أحدكم بأمر حج أو عمرة أو بيع أو

شراء أو عتق فليتطهر ويقل اللهم إن كان ما عزمت عليه خيراً في ديني وخيراً في دنيائي وآخرتي وعاجل أمري وآجله فيسره لي رب اعزم على رشدي وإن كرهت ذلك وأبته نفسي^(١).

(١٠٣) أبو حمزة قال علي بن الحسين (عليه السلام) لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج إن الله أوحى إلى دانيال إن أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم وإن أحب عبيدي إليّ التقي الطالب للثواب الجزيل الملازم للعلماء التابع للحكماء القائل عن الحكماء.

(١٠٤) حدث أبو الحسن الرضا (عليه السلام) أن علي بن الحسين (عليه السلام) يقول قال الله تعالى يا ابن آدم بمشيئتي كنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي أديت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي جعلتك سميعاً بصيراً قوياً ما أصابك من حسنة فمن الله تعالى وما أصابك من سيئة فمن نفسك وذلك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون وإنني قد نظمت كل شيء تريد صدق الله تعالى.

(١٠٥) قال (عليه السلام) من ثبت على مولاتنا في غيبة (قائمتنا) أعطاه

(١) إلى هنا من المحاسن (للبرقي): ج ١، ص ١٦، ٣٢، ١٦٥، ٢٢٤، وج ٢، ص ٦٠٠.

الله أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأحد وقال ﷺ طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا أولئك منا ونحن منهم رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة فطوبى لهم ثم طوبى لهم هم والله معنا في درجتنا يوم القيامة^(١).

(١٠٦) جابر الأنصاري عن أبي جعفر ﷺ كان علي بن الحسين ﷺ يأمر بإخراج النساء عند ولادة المرأة ويقول لا تكن المرأة أول ناظر إلى عورته^(٢).

(١٠٧) الشريف عبد العظيم الحسيني عن علي بن جعفر عن أخيه موسى ﷺ عن أبيه أن علي بن الحسين ﷺ كان يقول ليس لك أن تقعد مع من شئت لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] وليس لك أن تتكلم بما شئت لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال رسول الله ﷺ رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو صمت فسلم وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾^(٣).

(١) الأحاديث الثلاثة من الوافي (للفيض): ج ١، ص ٤٢، ثواب التعلم: وج ٢، ص ١١٥، أسباب الفعل، وص ١٠٦، فضل العبادة.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ص ٣٥٣.

(٣) البحار: ج ١، ص ١٠١.

(١٠٨) عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال علي بن الحسين (عليه السلام)

أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين (عليه السلام) حتى تسيل على خده
بؤاه الله بها في الجنة غرقاً يسكنها أحقاباً وأيما مؤمن دمعت عيناه
على خديه في ما مسّنا من الأذى من عدونا في الدنيا بؤاه الله
منزل وصدق وأيما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل
على خديه من مضاضة ما أؤذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى
وآمنه يوم القيامة من سخط النار^(١).

وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على البكاء على (قتيل
العبرة) وعلى ما أصابهم أجمع وأكثر الأئمة من بيان الأجور
المرتبة على الدمعة المفاضة لأجلهم والغرض ليس إلا أن الدمعة
لا تفاض إلا عند تأثر النفس مما أصابها أو أصاب من تمت به
بنحو من أسباب الصلة ولا شك أننا نرى النفس عند تأثرها بذلك
تكون متأثرة بشيء آخر وهو العدا والبغض لكل من أوقع بها
الفواحش والآلام أو بمن تمت به فالأئمة حيث إنهم أعرف الناس
بمقتضيات الأحوال والملابسات التي تؤكد دعوتهم كانوا يتحرون
التوصل إلى أغراضهم بكل صورة ومن تلك الوسائل التي توجب
انحراف الأمة عن أعداء الله وأعداء رسوله (صلى الله عليه وآله) أمرهم بالبكاء
على مصاب الحسين أو على ما نالهم أجمع من الأذى لعلمهم

باستلزام البكاء تذكر تلك القساوة الجارية عليهم وتذكرها يوجب ابتعاد الأمة عمن أورد تلك الفوادح ومن هنا كان أبو عبد الله الحسين عليه السلام يقول (أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر)^(١). فالمؤمن حيث يمت للحسين عليه السلام بالولاء والمشايعة كان بكاؤه منبعثاً عن احتدام قلبه وتأثر نفسه بتصور ما جرى على شهيد العدل والإصلاح من الأضرار والأخطار التي تستلين لها الجلامد ويشدد هذا التأثير عند تناهي تلك الفوادح ومن المقطوع به أن الملتفت إلى ما جرى على محبوبه من الآلام يتنفر عمن أوردتها عليه ويغضه بغضاً شديداً.

فهذا نحو من أنحاء الوسائل والخطط التي استعملها الأئمة لتنفير الناس عن أولئك المتسنمين عرش النبوة بلا حنكة وجدارة.

ولم يقتصروا في الحث على البكاء فقط بل رغبوا شيعتهم على التباكي فيقول الصادق عليه السلام من تباكى فله الجنة^(٢).

ومعلوم أن التباكي إنما يتصور فيمن تتعسر عليه الدمة لكنه لم يفقد التأثير لأجل المصاب كما يشاهد في كثيرين فالتأثر النفساني بتصور ما ورد على المحبوب من الآلام والفوادح

(١) كامل الزيارة: ص ١٠٨.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٨٦، مجلس ٢٩.

موجود في المتباكي كالباعي ويستلزم قهراً النفرة عمن أورد ذلك العدوان وإن حديث أبي ذر الغفاري عن النبي (صلى الله عليه وآله) إذا استطاع أحدكم أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليستشعر قلبه الحزن وليتباك فإن القلب القاسي بعيد من الله (١) . . .

يدلنا على أن التباكي منبعث عن حزن القلب وتأثر النفس بالبكاء لكن في باب الرهبة من الله سبحانه يكون الحزن والتأثر لأجل تصور ما يترتب على مخالفة المولى سبحانه من الخزي في الآخرة فيتباعد عنه ويأتي بكل ما يقربه منه جل شأنه وفي باب تذكر مصاب آل الرسول يستوجب بغض من ناوهم وأوقع بهم وأساء إليهم .

فالباعي والمتباكي مشتركان في احتراق القلب وتأثر النفس لأجل تصور ما ورد من الظلم على أهل البيت ومشاركان في لازمه وهو النفرة والتباعد عن كل من دفعهم عن مقامهم غاية الأمر الباعي رقيق الدمعة والمتباكي تتعسر عليه ومن لا يفقه مغازي كلام المعصوم (عليه السلام) يحكم بالرياء على المتباكي وبعد ما أوضحناه من السر الدقيق الذي لاحظته الأئمة (عليهم السلام) تتجلى لك قيمة البلاغة والبلغاء .

(١٠٩) أبو حمزة الثمالي قال علي بن الحسين (عليه السلام) من قضى لأخيه حاجة قضى الله له مائة حاجة ومن نفس عن أخيه كربة

(١) اللؤلؤ والمرجان (للنوري): ص ٤٧ ، ومجموعة الشيخ ورام: ص ٢٧٢ .

نَفْسُ الله عنه كربه يوم القيامة بالغاً ما بلغت ومن أعانه على ظالم له أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الأقدام ومن سعى له في حاجة حتى قضاها له فسرَّ بقضائها كان كإدخال السرور على رسول الله ﷺ ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ومن كساه من عري كساه الله من إستبرق وحرير ومن كساه من غير عري لم يزل في ضمان الله ما دام على المكسي من الثوب سلك ومن كفاه بما أهمه أخدمه الله الولدان ومن حمله على راحلة بعثه الله يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة يباهي به الملائكة ومن كفنه عند موته فكأنما كساه من يوم ولدته أمه إلى يوم يموت ومن زوجه زوجة يأنس بها ويسكن إليها أنسه الله في قبره بصورة أحب أهله إليه ومن عاده في مرضه حفته الملائكة تدعو له حتى ينصرف وتقول طبت وطابت لك الجنة والله لقضاء حاجته أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام^(١).

(١١٠) أبو حمزة الثمالي قال علي بن الحسين عليه السلام عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة^(٢).

وهذا المعنى ورد على لسان النبي ﷺ فإنه قال عجباً كل

(١) ثواب الأعمال: ص ٨١.

(٢) أصول الكافي على هامش مرآة العقول: ج ٢، ص ٣١٥، باب الفخر والكبر وأمالى الطوسي: ص ٦٠، ومحاسن البرقي: ج ١، ص ٢٤٢.

العجب للمختال الفخور وإنما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به^(١). وقال أمير المؤمنين ما لابن آدم والفخر أوله نطفة وآخره جيفة ولا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه^(٢) وفي حديث آخر أنه قال: عجت لابن آدم أوله نطفة وآخره جيفة وهو قائم بينهما وعاء للغائط ثم يتكبر^(٣) وقال أبو جعفر الجواد (عليه السلام) عجباً للمختال الفخور إنما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به^(٤).

وهذا المعنى الذي تلطف به حكماء الأمة من أبناء الرسول (صلى الله عليه وآله) استشهد به مطرف بن عبد الله حين رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في جبة خز فقال له يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال المهلب: أما تعرفني قال له: ومن أنت قال: أنا المهلب، قال: نعم أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت فيما بين هذا وهذا تحمل العذرة^(٥) فنظم بعضهم هذا^(٦):

(١) مرآة العقول: ج ٢، ص ٣١٥.

(٢) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢٥٠.

(٣) علل الشرائع: ج ١، ص ١٠١.

(٤) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ٣١٥.

(٥) إحياء العلوم (للغزالي): ج ٣، ص ٢٩١، في ذم الكبر وغرر الخصائص

(للوطواط): ص ٤٥ باب التكبر.

(٦) غرر الخصائص: ص ٤٥.

عجبت من معجب بصورته وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن طلعه يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونخوته ما بين جنبيه يحمل العذرة
ومن الغريب العجيب أن الشيخ الجليل ورام الحلي يذكر في
مجموعته المعروفة (بتنبية الخواطر): ص ١٤٥ ، باب التكبر هذه
القصة مع المهلب ولم يشر إلى ما أرشدنا إليه النبي وخلفاؤه
عليهم الصلاة والسلام من وصف أول الإنسان ووسطه وآخره
وتهون هذه الغرابة عندما نرى كتابه مشحوناً بأخبار الحسن
البصري وأشباهه ممن حاد عن سنن الحق وعشي عن نور اليقين
وما أدري كيف رضي هذا الجليل العظيم بالاكْتفاء بمواعظ هؤلاء
مع أنّ ما تضمنته جوامع الشيعة من أخبار الأئمة في الإرشاد
والهداية وتهذيب النفوس والحث على ما فيه التضامن والاجتماع
غير عزيز .

وعلى كل فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح هذه الفقرة من كلام سيد
الوصيين عليه السلام شعراً يتضمن معناها ولم يذكر اسم القائل وهو ^(١) :
ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر
يصبح ما يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
ولكن المبرد نسبته إلى أبي العتاهية إسماعيل بن القاسم وأشار

(١) شرح النهج : ج ٤ ، ص ٤٩٦ .

إلى أنه مأخوذ من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وذكر ما في النهج^(١) ووجدت البيتين في ديوان أبي العتاهية من جملة أبيات أولها:

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبر
الخير مما ليس يخفى هو الـ معروف والشر هو المنكر
الموعد الموت وما بعده الحشر فذاك الموعد الأكبر
لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يذخر
عجبت للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يقبر
ثم البيتين وبعدهما:

وأصبح الأمر إلى غيره في كل ما يقضى وما يقدر
(١١١) أبو حمزة الثمالي قال علي بن الحسين (عليه السلام) إن لسان
ابن آدم يشرف على جوارحه كل صباح فيقول كيف أصبحتم
فيقولون بخير إن تركتنا ثم يقولون الله الله فينا ويناشدون ويقولون
إنما نثاب ونعاقب بك^(٢).

وحيث إن الجوارح لا لسان لها فتتطرق بالجواب كان نسبة

(١) الكامل: ج ٢، ص ١٠.

(٢) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ١٢٥، باب الصمت وحفظ
اللسان: ح ١٣، والخصال: ج ١، ص ٦، وعقاب الأعمال: ص ٢٢.

الكلام إليها من باب الاستعارة وسماء بعض العلماء (الكلام بلسان الحال) ولم يتوقف الحجة النوري في جواز هذا النحو من الكلام لخروجه عن الكذب مع القرائن المقتضية له وعليه حمل السيد المرتضى في المسائل الطرابلسية قوله تعالى ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾^(١).

وكلمات المفسرين لم تبتعد عن هذا الرأي فيقول الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٢، ص ٣٧٨، قيل إنه ظهر من النملة إمارة الرجوع إلى بيتها خوفاً من جنود سليمان عليه السلام فأعلم به أنها تحرزت فعبر عن ذلك بالقول مجازاً كما قيل:

امتلاً الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني
ولم يكن قول من الحوض ويقولون عيناك تشهد بسهرك
يريدون به إمارة السهر الظاهر في العين وفي مجمع البيان: ج ٧، ص ٢١٥، صيدا وجوامع الجامع: ص ٣٢٩ لمّا صاحت بصوت خلقه الله لها وكان مفهوماً لسليمان عليه السلام عبر عنه بالقول، وقال البيضاوي في تفسيره: ج ٢، ص ١٩٥: إن النملة صاحت فتنبه ما بحضرتها من النمل وتبعها فشبّه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فلذلك أجروا مجراهم وفي الكشف: ج ٣، ص ١٣٧: لمّا جعلها قائلة والنمل مقولاً لهم كما يكون في أولي

(١) اللؤلؤ والمرجان للنوري: ص ١٣٩

العقول أجرى خطابهم مجرى خطابهم وفي روح المعاني للألوسي: ج ١٩، ص ١٧٦، هذا الكلام خارج مخرج الاستعارة التمثيلية لأنها بصياحها نبهت ما بحضرتها من النمل فشبّه ذلك بمخاطبة العقلاء فجعلت قائلة والنمل مقولاً له .

ويحتمل البضاوي كما هو صريح الكتاب المجيد أنها نطقت بهذا القول لأنه لا يمتنع أن يخلق الله تعالى فيها العقل والنطق، وابن قتيبة في مشكل القرآن يقول لمّا لم تصوّت كان قولها سرّاً وإلى هذا يشير العماني بقوله :

ويفهم قول الحكل لو أن ذرة تساود أخرى لم يفته سوادها والحكل صغار النمل والسواد السرار^(١)

والشواهد على النقل بلسان الحال كثيرة في النثر والنظم فمن الأول قوله تعالى في حم السجدة ١١ : ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِمَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ قال الطيبي يمكن أن تكون الاستعارة تخيلية بأن يجعل الحال كالإنسان الذي يتكلم في الدلالة ويتخيل له النطق الذي هو لازم المشبه به ويمكن أن تكون تمثيلية بتشبيه حالتها مع فاطرهما في الإيجاد والتكوين بالسلطان النافذ أمره المطاع قوله^(٢) .

(١) القرطبي: ج ٢، ص ٥٦ .

(٢) طراز المجالس (للخفاجي): ص ٤٣ .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا أصبح ابن آدم كانت الأعضاء كلها تشكو اللسان وتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك إن استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوججنا^(١).

وقال ﷺ: إذا وضع الميت في القبر قال له ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أنا بيت الدود أنا بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة ما غرك بي إذ كنت تمر بي مراراً فإن كان الميت صالحاً أجيب عنه أنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر إذاً أتحول عليه خضراء ويعود جسده نوراً وتصعد روحه إلى الله تعالى^(٢).

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: ما من موضع من قبر إلا وهو ينطق كل يوم ثلاث مرات أنا بيت الدود أنا بيت البلى أنا بيت التراب فإذا دخله المؤمن قال له مرحباً وأهلاً أما والله لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني فيفسح له مد البصر ويفتح له باب يرى مقعده من الجنة^(٣). ويقول السجاد عليه السلام في دعاء الصباح من أدعية الصحيفة (وهذا يوم جديد وهو علينا شاهد عتيد) وفي الحديث عن الصادق عليه السلام ما

(١) تيسير الوصول (لابن الديبع): ج ٤، ص ٢٧٥.

(٢) إحياء العلوم: ج ٤، ص ٤٢٣، وفي تخريج الإحياء بهامشه روى الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والطبراني في مسند الشاميين والحاكم في الكنى.

(٣) البحار: ج ٣، ص ١٦٦.

من يوم يأتي على ابن آدم إلا قال ذلك اليوم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل فيّ خيراً واعمل فيّ خيراً أشهد لك يوم القيامة فإنك لن تراني بعدها أبداً^(١).

فإن اليوم لمّا كان ظرفاً لمباشرة الفعل كان حضور ذلك اليوم وما صدر فيه من الأعمال في علم الله بمنزلة الشهادة بين يديه.

ويروي أبو الفتوح الرازي أنّ سائلاً كان يسأل الناس على عهد الحسين (عليه السلام) فقال (عليه السلام) أتدرون ما يقول إنه يقول أنا رسول الله إليكم إذا أعطيتموني أخذته منكم ورجعت وإلا رجعت صفر الكف^(٢) ونسبة هذا القول إلى السائل على لسان الحال وإلاّ فالسائل إنما يطلب الإعانة.

وأما ما ورد في ذلك من النظم فما رواه أبو الحسن علي الهادي (عليه السلام) لما استنشدته المتوكل العباسي شعراً فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم	غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم	وأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا	أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سيل بهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتل

(١) شرح الصحيفة (للسيد علي خان): ص ١٠٧.

(٢) اللؤلؤ والمرجان: ص ١٣٩.

قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا^(١)

وقال وهب بن منبه كانت هذه الأبيات مكتوبة بالقلم المسند على قصر غمدان لسيف بن ذي يزن فترجمت إلى العربية^(٢) ومن هذا النوع ما في أنوار الربيع للسيد علي خان: ص ٨٩ باب الاستعارة قول صرد:

قوم إذا حيا الضيوف جفانهم ردت عليهم ألسن النيران
وقال المسوس:

دعنتني إلى وصلها جهرة ولم تدرِ أني لها أعشق
فقمت وللسقم من مفرقي إلى قدمي ألسن تنطق
وفي مجمع البيان: ج ١، ص ٤٨ (قد قالت الأنساع للبطن الحقي) والنسع حبل عريض يشد به الرحل والجمع أنساع.
وذكر ابن حجة الحموي في خزانة الأدب: ص ٤٨ أن أبا نؤاس قال:

بحَّ صوت المال مما منك يشكو ويصح
وكيف يصح تصويت المال وشكواه من الإمساك لولا
الاستعارة المصححة له وفي أحكام القرآن للجصاص: ج ١،

(١) شرح المقامات (للشريشي): ج ١، ص ١٩٥.

(٢) المستظرف: ج ٢، ص ٢٦٣، باب ٨٣.

ص ٣٨٩ قال الشاعر:

إن القبور تنكح الأيامى النسوة الأرامل اليتامى
وفي شرح المقامات للشريشي: ج ٢، ص ٢٢٣، قال أبو
الفضل الدارمي:

شيبة أنغصت علي شبابي فتعمدت نتفها غير وإن
قلت ماذا هذا لعمر التصابي لشبابي أجل عند الحسان
فأجابت جرى من الرسم للسـ لطان أخذ البراء مثل الجاني
فلإن ازددت في الجفاء فلا تنكر قدومي عليك مع إخواني
ومن أمثال العرب قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من
يدقني ولم يتركني وهذا الحجر ورائي وقيل للشحم أين تذهب
قال أسوي العوج^(١) وإن من أرق الاستعارات وألطفها قول أمير
المؤمنين (عليه السلام) الدنيا من أمسى فيها على جناح أمن أصبح فيها على
قوادم خوف فالاستعارة الأولى وهي لفظ الجناح رشحت الثانية
وهي لفظ القوادم مع زيادة المطابقة بين الأمن والخوف والصبح
والمساء قال ابن حجة الحموي بعد ذلك وناهيك بالبلاغة
الهاشمية (وباب المدينة) وما أحلى قول بعض العرب جعلنا
رماحنا أرشية الموت فاستقين بها أرواح العدا^(٢).

(١) طراز المجالس: ص ٤٠ و ٤٣.

(٢) خزانة الأدب: ص ٤٩.

الكلمات القصار

إن من لوازم الإمامة توجيه النفوس إلى جهة الأحد الصمد وتطهيرها من درن الخلق الذميم والتعريف بما يراد من الإنسان في الدين والدنيا وقد اتخذ الإمام السجاد عليه السلام في كلماته القصار التي أجراها مجرى الحكمة العالية طريقاً مهيعاً لتليين شراسة الطباع وتنوير القلوب بالموعظة الحسنة لتنجذب إلى صقع القداسة وترتفع إلى الملاء الأعلى طاهرة من دنس الرذائل وإليك ما وجدناه من حكميات الإمامة في تضاعيف الجوامع :

(١) قال عليه السلام الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين .

(٢) من كرمته عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

(٣) أعظم الناس خطراً من لم يرَ للدنيا خطراً لنفسه .

(٤) لا يقل عمل مع تقوى فكيف يقل ما يتقبل .

(٥) اتقوا الكذب الصغير والكبير في كل جد وهزل فإن

الرجل إذا كذب في الصغير اجتراً على الكبير .

(٦) كفى بنصر الله لك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك .

(٧) الخير كله صيانة الإنسان نفسه .

(٨) كمال دين المسلم تركه الكلام في ما لا يعنيه وقلة مرأته وحلمه وصبره وحسن خلقه .

(٩) لا يزال ابن آدم بخير ما كان له واعظ من نفسه والمحاسبة من همه والخوف شعاره والحذر دثاره .

(١٠) أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله .

(١١) إجابة دعاء المؤمن في ثلاث: إما أن يدخر له أو يعجل له أو يدفع عنه بلاء يصيبه .

(١٢) كم من مفتون بحسن القول فيه .

(١٣) كم من مغرور بحسن الستر عليه .

(١٤) كم من مستدرج بالإحسان إليه^(١) .

(١) في القاموس استدراج الله العبد أنه كلما جدد خطيئة جدد سبحانه له نعمة وأنساه الاستغفار وفي روح المعاني: ج ٩، ص ١٢٦، عند قوله تعالى: ﴿سَتَذَرُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ معناه فتح النعيم عليهم فيأمنون بلذات الدنيا وما أعطوا فيها فينسون الموت ويتمادون في الطغيان فيأخذهم سبحانه على حين غفلة =

(١٥) يا سوأته لمن غلبت آحاده عشراته فإن السيئة بواحدة والحسنة بعشرة.

(١٦) إن الله ليبغض البخيل السائل الملحف.

(١٧) من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار والتوسع على قدر السعة وإنصاف الناس من نفسه وابتداؤهم بالسلام.

(١٨) رب مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً يأكل ويشرب وهو لا يدري لعله قد سبقت له من الله سخطة يستحق بها نار جهنم.

(١٩) ثلاث منجيات للمؤمن: كف لسانه عن الناس باغتيالهم واشتغاله بنفسه بما ينفعه لآخرته ودنياه وطول البكاء على خطيئته.

(٢٠) نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة والمحبة عبادة.

(٢١) ما من شيء أحب إلى الله بعد معرفة نفسه من عفة البطن والفرج.

(٢٢) ما من شيء أحب إلى الله من أن يُسأل.

= وغرة وفي أصول الكافي باب الاستدراج عن الصادق عليه السلام: إن الله إذا أراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة حتى يذكر الاستغفار وإذا أراد به شراً وتمادى به أتبعه نعمة لينسى الاستغفار وهو قوله تعالى: ﴿سَتَذَرُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالنعمة عند المعاصي.

(٢٣) افعل الخير إلى كل من طلبه منك فإن يكن أهله فقد أصبت موضعه وإن لم يكن أهله كنت أنت أهله.

(٢٤) إن شتمك رجل وتحول عن يمينك إلى يسارك واعتذر فاقبل عذره.

(٢٥) مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح.

(٢٦) آداب العلماء زيادة في العقل.

(٢٧) من كمال العقل كف الأذى فإن فيه راحة للبدن أجلاً وعاجلاً.

(٢٨) إرشاد المستشار قضاء لحق النعمة.

(٢٩) سبحة من جعل الاعتراف بالنعمة حمداً له.

(٣٠) سبحة من جعل الاعتراف بالعجز عن الشكر شكراً له.

(٣١) لا كرم إلا بالتقوى.

(٣٢) لا عبادة إلا بتفقه.

(٣٣) لا حسب لقرشي ولا عربي إلا بالتواضع^(١).

(٣٤) من عتب على الزمان طالت معتبه.

(١) إلى هنا من تحف العقول (للحسن بن علي بن شعبة): ص ٦٧، والآخر ذكره في الكافي: باب الطاعة والتقوى.

(٣٥) ما استغنى أحد عن الناس إلا افتقر الناس إليه .

(٣٦) الكريم يبتهج بفضلته والثلثم يفتخر بملكه .

(٣٧) استحي من الله لقربه منك .

(٣٨) لا تعادين أحداً وإن ظننت أنه لا يضرّك . . .

(٣٩) ولا تزهدن في صداقة أحد وإن ظننت أنه لا ينفعك

فإنك لا تدري متى ترجو صديقك ومتى تخاف عدوك .

(٤٠) خف الله لقدرته عليك .

(٤١) من اتكل على حسن اختيار الله عزّ وجل له لم يتمنّ

غير الحال التي اختارها الله له .

(٤٢) لا يعتذر إليك أحد إلا قبلت عذره وإن علمت أنه كاذب .

(٤٣) ليقلّ عيب الناس على لسانك^(١) .

(٤٤) لا تمتنع من ترك القبيح وإن كنت قد عرفت به .

(٤٥) لا تزهد في مراجعة الجهل وإن شهرت بخلافه .

(٤٦) إياك والابتهاج بالذنب فإنه أعظم من ركوبه .

(٤٧) من رمى الناس بما هم فيه رموه بما ليس فيه ومن لم

يعرف داءه أفسده دواؤه .

(١) إلى هنا من الدرّة الباهرة بواسطة البحار: ج ١٧، ص ١٥٥ .

- (٤٨) استعن على الكلام بالسكوت فإن للقول حالات تضر.
- (٤٩) إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار.
- (٥٠) كف الأذى رفض البذى.
- (٥١) خير مفاتيح الأمور الصدق وخير خواتيمها الوفاء.
- (٥٢) الشرف في التواضع والغنى في القناعة.
- (٥٣) كل عين ساهرة يوم القيامة إلا عين سهرت في سبيل الله وغضت عن محارم الله وفاضت من خشية الله^(١).
- (٥٤) شهادة أن لا إله إلا الله في الفطرة.
- (٥٥) صلاة الفريضة هي الملة.
- (٥٦) طاعة الله هي العصمة.
- (٥٧) لا يهلك مؤمن بين ثلاث خصال: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وشفاعة محمد (صلى الله عليه وآله) وسعة رحمة الله عز وجل.
- (٥٨) من مأمنه يوتى الحذر.
- (٥٩) إذا تكلفت عناء الناس كنت أغواهم.
- (٦٠) ترك طلب الحوائج إلى الناس هو الغنى الحاضر.

(١) إلى هنا من أعلام الدين بواسطة البحار: ج ١٧، ص ١٦٠.

(٦١) عجبت ممن يحتمي من الطعام لمضرته ولا يحتمي عن الذنب لمضرته .

(٦٢) إذا صليت فصلّ صلاة مودع .

(٦٣) لكل شيء فاكهة وفاكهة السمع الكلام الحسن .

(٦٤) اللجاجة مقرونة بالجهالة .

(٦٥) الحمية مقرونة بالبلية .

(٦٦) سبب الرفعة التواضع .

(٦٧) إياك ومعاداة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم .

(٦٨) الحسود لا ينال شرفاً والحقود يموت كمدأ .

(٦٩) اللئيم يأكل ماله الأعداء والذي خبت لا يخرج إلا نكدأ .

(٧٠) كثرة النصح تدعو إلى التهمة .

(٧١) اللبيب يكتفي بوحى الحديث وينبو البيان عن قلب الجاهل .

(٧٢) لا ينتفع البليغ بالقول مع سوء الاستماع^(١) .

(١) إلى هنا من نزهة الناظر: ص ٣٢، (للحسين بن محمد الحلواني) من أعلام القرن الخامس .

(٧٣) لا يقدس الله أمة فيها بربط يقعقع وناية تفجع^(١)

(٧٤) أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة وإن قلّ.

(٧٥) لو اجتمع أهل السماوات والأرض على أن يصفوا الله بعظمته لم يقدرُوا.

(٧٦) لا يوصف الله تعالى بالمحدودية عظم الله ربنا عن الصفة وكيف يوصف بمحدودية من لا يحد ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير.

(٧٧) الصبر والرضا عن الله تعالى رأس طاعة الله ومن صبر أو رضي عن الله في ما أحب أو كره لم يقض الله في ما أحب أو كره إلا ما هو خير له.

(٧٨) من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس وفي رواية من أعبد الناس.

(٧٩) ما أحب أن لي حمر النعم بذل نفسي.

(٨٠) ما تجرعت جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها.

(١) الوسائل: ج ٢، ص ٥٦٦، عين الدولة: باب ١٢٨، استعمال الملاهي من كتاب التجارة والبربط كما في المعرب للجواليقي من ملاهي العجم شبه بصدر البط والصدر بالفارسية «بر» فقليل بربط وبهذا فسر ابن خلكان في الوفيات: ج ٢، ص ٤٠٠، إيران بترجمة يعقوب الماجشون.

(٨١) إني أكره للرجل أن يعافى في الدنيا فلا يصيبه شيء من المصائب.

(٨٢) من اهتم بمواقيت الصلاة لم تستكمل له لذة الدنيا.

(٨٣) لا تردوا سائلاً.

(٨٤) ضمنت على ربي أنه لا يسأل أحد من غير حاجة إلا اضطرته المسألة إلى أن يسأل يوماً من حاجة.

(٨٥) لينفق الرجل بالقصد وبلغة الكفاف ويقدم الفضل منه لآخرته فإن ذلك أبقى للنعمة وأقرب إلى المزيد من الله تعالى وأنفع في العاقبة.

(٨٦) من المنجيات القصد في الغنى والفقر.

(٨٧) ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دم في سبيل الله.

(٨٨) الأسير إذا أسلم حقن دمه وصار فيئاً.

(٨٩) من اعتدي عليه في صدقة ماله فقاتل وقتل فهو شهيد^(١)

(٩٠) ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.

(١) إلى هنا من الوافي: ج ١، ص ٦٧، ٨٩، ٩٠، وج ٣، ص ٥٥، ٦٣، ٦٤، ٨٣، ١٣٤، ١٥٢، وج ٥، ص ٦، ٢٦٢، وج ٦، ص ٥٧، ٥٩، ٦٩، ٧٠، وج ٩، ص ٩، ٢٣، ٣٢، وج ١٠، ص ٥٨.

(٩١) أحب السبيل إلى الله جرعتان جرعة غيظ يردّها بحلم وجرعة مصيبة يردّها بصبر.

(٩٢) من رد عن قوم مسلمين عادية نار أو ماء وجبت له الجنة.

(٩٣) من كسا مؤمناً كساه الله من الثياب الخضر ولا يزال في ضمان الله ما دام عليه سلك.

(٩٤) إني أحب المداومة على العمل وإن قلّ.

(٩٥) إني لأحب أن أقدم على ربي تعالى وعملي مستوٍ.

(٩٦) لو مات ما بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون معي القرآن.

(٩٧) الدعاء بعدما ينزل البلاء لا ينتفع به.

(٩٨) آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها.

(٩٩) ما يوضع في ميزان العبد أفضل من حسن الخلق^(١)

(١٠٠) لا تنم قبل طلوع الشمس فإن الله يقسم أرزاق العباد في ذلك الوقت ويجريها على أيدينا^(٢).

(١) إلى هنا من الكافي بهامش مرآة العقول: ج ٢، ص ١٠٠، ١١٦، ١٢١،

١٢٢، ١٦٦، ١٨٩، ٢٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، وج ٣، ص ٢٦٩.

(٢) تفسير البرهان: ج ٢، ص ٧٧٥، عن الاختصاص.

(١٠١) عليكم بأداء الأمانة فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً لو أن قاتل أبي الحسين بن علي عليه السلام ائتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه^(١).

(١٠٢) بادروا إلى رياض الجنة فقليل له وما رياض الجنة قال حَلَقُ الذُّكْر^(٢).

(١٠٣) وددت أني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض ساعدي وهما النزق وقلة الكتمان.

(١٠٤) إذا التاجران صدقا وبراً بورك لهما وإذا كذبا وخانا لم يبارك لهما.

(١٠٥) تسعة أعشار الرزق في التجارة والباقي في الغنم^(٣).

(١٠٦) إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله^(٤).

(١٠٧) أفضل الاجتهاد عفة البطن والفرج.

(١٠٨) يعجبني الرجل إذا أدرك حلمه عند غضبه.

(١٠٩) إن شتمك الرجل وهو عن يمينك ثم تحول إلى

(١) أمالي الصدوق: ص ١٤٨، مجلس ٤٣.

(٢) أمالي الصدوق: ص ١٢٨، مجلس ٥٨.

(٣) الثلاثة في الخصال: ج ١، ص ٢٤، و ٥٩.

(٤) دار السلام (للنوري): ج ٢، ص ١٤٠.

يسارك واعتذر فاقبل منه .

(١١٠) النجدة الإقدام على الكريهة والصبر عند النائية والذب عن الإخوان .

(١١١) استتمام المعروف أفضل من ابتدائه .

(١١٢) من سعادة المرء أن يكون متجره في بلاده .

(١١٣) من شقاء المرء أن تكون عنده امرأة يعجب بها وهي تخونه في نفسها .

(١١٤) ما من عبد مؤمن تنزل به بلية فيصبر ثلاثاً لا يشكو إلى أحد إلا كشف الله عنه^(١) .

(١١٥) إن الله تعالى يوحى إلى الحفظة الكرام لا تكتبوا على عبدي المؤمن عند ضجره شيئاً .

(١١٦) غريبتان كلمة حكمة من سفيه فاقبلوها وكلمة سفه من حكيم فاغفروها فإنه لا حكيم إلا ذو عثرة وتجربة .

(١١٧) العجب كل العجب لمن شك في الله وهو يرى الخلق .

(١) إلى هنا من مشكاة الأنوار (للطبرسي) المتوفى في أوائل القرن السابع : ص ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ .

(١١٨) العجب كل العجب لمن أنكر الموت وهو يموت في كل يوم وليلة .

(١١٩) العجب كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى .

(١٢٠) العجب كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء^(١) .

(١٢١) أفضل الأعمال بعد معرفة الله ورسوله بغض الدنيا ولذلك شعب كثيرة .

(١٢٢) الإنسان إذا لبس الثوب اللين طغا ومن أحب حلاوة الإيمان فليلبس الصوف .

(١٢٣) إن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار سبعين ألف عتيق من النار كل قد استوجب النار فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه .

(١٢٤) من قرأ إنا أنزلناه عند فطوره وسحوره كان فيما بينهما كالمتشحط بدمه في سبيل الله .

(١٢٥) من أراد أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فليقل عند الإفطار يا عظيم يا عظيم أنت إلهي لا إله لي غيرك اغفر لي

(١) إلى هنا من أمالي ابن الشيخ الطوسي : ص ١٦ ، ٢٤ ، ٦٠ .

الذنب العظيم فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلاّ العظيم.

(١٢٦) إن الله تعالى وكلّ بالأسعار ملكاً يدبرها فلن يغلو من قلة ولن يرخص من كثرة.

(١٢٧) من كانت الآخرة همه كفاه الله هم الدنيا.

(١٢٨) إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه فإن العفو عن قدرة فضل من الكرم.

(١٢٩) العفو من زكاة الظفر وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة.

(١٣٠) طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلاّ سبحت له إلى الأرضين السابعة.

والتسبيح المنسوب إليها إما بعلاقة تسبيح من حل فيها من الملائكة والجن وهو من المجاز المشهور أو المراد منه الخضوع والانقياد لفاطرها ومختزن الخواص في طبائعها. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ومن هنا قيل إن تسبيح الحصاة في كف النبي ﷺ ليس بإعجاز وإنما الإعجاز في إسماعه الصحابة.

(١٣١) اثنان يصلحان جوف الإنسان: الرمان والماء الفاتر واثنان يفسدانه: الجبن والقديد.

(١٣٢) ضمن عليّ ربي تعالى أن الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرب تعالى .

(١٣٣) قضاء حاجة الإخوان أحب إلى الله تعالى من صيام شهرين متتابعين واعتكافهما في المسجد الحرام .

(١٣٤) من حمل أخاه المؤمن بعثه الله يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة يباهي به الملائكة .

(١٣٥) كان ﷺ إذا رأى الجنازة قال الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم يعني الهالك .

(١٣٦) أرضاكم الله تعالى أوسعكم على عياله ومن كبر الله تعالى عند المساء مائة تكبيرة كان كمن أعتق مائة نسمة .

(١٣٧) من الدعوات التي لا ترد دعاء السائل لمن أعطاه .

(١٣٨) لا تردوا سائلاً فلعل من يسأل كان محققاً فينزل بأهل البيت ما نزل بيعقوب .

(١٣٩) معطي الصدقة إذا قبل يده عندما يدفع الصدقة إلى الفقير وقعت في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل .

(١٤٠) المتهمجدون بالليل أحسن الناس وجهاً لأنهم خلوا بالله تعالى فكساهم نوراً .

(١٤١) من عاد مؤمناً في مرضه حفته الملائكة ودعت له حتى

ينصرف تقول له طبت وطابت لك الجنة^(١).

(١٤٢) تسبيحة بمكة أفضل من خراج العراقيين ينفق في سبيل الله .

(١٤٣) من ختم القرآن بمكة لم يمت حتى يرى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويرى منزله في الجنة^(٢).

(١٤٤) حجوا واعتمروا تصح أبدانكم وتتسع أرزاقكم وتكفون مؤنة عيالكم.

(١٤٥) الحاج مغفور له وموجب له الجنة ومستأنف به العمل ومحفوظ في أهله وماله^(٣).

(١٤٦) سمع (عليه السلام) رجلاً يسأل الناس يوم عرفه فقال له ويحك أغير الله تسأل في هذا المقام إنه ليرجى ما في بطون الحبالى أن يكون سعيداً.

(١٤٧) استبشروا بالحاج إذا قدموا وصافحوهم وعظموهم تشاركوهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب.

(١) إلى هنا من لآلئ الأخبار (للتويسركاني): ص ٢١، ٢٩، ٧٨، ٨١، ١٥٦، ١٧٧، ٢١١، ٢٤٠، ٢٥٥، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٩٣.

(٢) الفقيه: ص ١٥٩.

(٣) الكافي فضل الحج والعمرة.

(١٤٨) الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة^(١).

(١٤٩) من حسن إسلام المرء تركه الكلام في ما لا يعنيه.

(١٥٠) ما اختلج عرق ولا صدع مؤمن قط إلا بذنبه وما يعفو الله عنه أكثر.

(١٥١) إذا برئ المريض قولوا له ليهنئك الطهر من الذنوب فاستأنف العمل^(٢).

(١٥٢) إن الله تعالى وكل ملائكة بالدعاء للصائمين.

(١٥٣) ثلاثة أُعطيت للنبيين: العطر والأزواج والسواك.

(١٥٤) لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور^(٣).

لأن في الغرف المطلّة على الشارع مظنة المغازلة مع الأجانب المؤدية إلى الوقوع في ما لا يحمد عقباه ويشهد له ما يتحدث عنه إسحاق بن أحمد بن نهيك قال: شاهدت رجلاً في طريق مكة وعديلة في المحمل جارية عصب عينيها وكشف الغطاء عن وجهها فقيل له في ذلك فكان جوابه: إنما أخاف عليها من

(١) الفقيه: ص ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩.

(٢) الثلاثة من أمالي المفيد: ص ٢١.

(٣) الثلاثة من نوادر الراوندي: ص ٤، ٤٩، ٥٤.

عينها لا من عيون الناس إليها^(١). ومما لا ينكر أنّ تعلمها الكتابة يعينها على المراسلة مع من تهوى وتحب وأما تعلم سورة النور فلما فيها من التعاليم القدسية من الزجر عن التبرج وغض البصر وإبداء الزينة إلى غيرها وحيث إنها تحتاج إلى ما يصلح شأنها وربما لا يكون من يقوم بالكفاية أمر الشارع بتعلمها الغزل لأنها الحرفة المتداولة بين نوع النساء.

(١٥٥) من تزوج لله تعالى ولصلة الرحم توجه الله تاج الملك^(٢).

(١٥٦) الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولا تصيب الذاكر لله تعالى.

(١٥٧) ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلاّ نقص من عقله مثل ما دخله.

(١٥٨) كان (عليه السلام) إذا ضحك قال اللهم لا تمقتني.

(١٥٩) ليس شيء في الدنيا أعون من الإحسان إلى الإخوان.

(١٦٠) بئس الأخ، أخ يركاك غنياً ويقطعك فقيراً.

(١) عيون الأخبار (لابن قتيبة): ج ٤، ص ٨٧.

(٢) التذكرة (للعلامة الحلي) المقدمة الخامسة من النكاح.

- (١٦١) اعرف المودة من قلب أخيك بما له من قلبك^(١) .
- (١٦٢) ويل امه فاسقاً من لا يزال مमारياً ويل امه فاجراً من لا يزال مخاصماً ويل امه آثماً من كثر كلامه في غير ذات الله^(٢) .
- (١٦٣) تسحروا لو بجرع من الماء فإن لله تعالى ملائكة يصلّون على المتسحرين بالأسحار والمستغفرين^(٣) .
- (١٦٤) إياك وما تعتذر منه^(٤) .
- (١٦٥) ضلّ من ليس له حكيم يرشده .
- (١٦٦) ذلّ من ليس له سفیه يعضده .
- (١٦٧) من رضي بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل .
- (١٦٨) أربع فيهن الذل: البنت ولو مريم والدين ولو درهم والغربة ولو ليلة والسؤال ولو أين الطريق^(٥) .
- (١٦٩) من كتم علمه أحداً أو أخذ عليه أجراً لم ينتفع به أبداً .

(١) إلى هنا من لواقع الأنوار (للشعراني): ص ٢٨ .

(٢) روضة الكافي: ص ٢٧٣، ملحقة بتحفة العقول .

(٣) أمالي ابن الشيخ الطوسي: ص ٣١٧ .

(٤) كشف الغمة للإربلي: ص ١٠٨ .

(٥) الثلاثة من الفصول المهمة (لابن الصباغ): ص ٢١٣ .

(١٧٠) فقد الأحبة غربة .

(١٧١) الجسد إذا لم يمرض أشر ولا خير في جسد إذا أشر .

(١٧٢) العبادة إن كانت رهبة فعبادة العبيد وإن كانت رغبة فعبادة التجار وإن كانت شكراً فعبادة الأحرار .

(١٧٣) أهل الفضل الذين يدخلون الجنة إذا أُسيء إليهم حلموا وإذا ظلموا صبروا .

(١٧٤) جيران الله في داره الذين يتزاورون في الله ويتجالسون في الله ويبذلون مالهم في الله تعالى .

(١٧٥) من ضحك ضحكة مج من العلم مجة^(١) .

(١٧٦) ليس من العصبية حب الرجل قومه .

(١٧٧) من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم ويرى شرارهم خيراً من خيار قوم آخرين^(٢) .

(١٧٨) قال الله تعالى إذا عصاني من خلقي من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني^(٣) .

(١) إلى هنا من حلية الأولياء: ج٣، ص ١٤٠ .

(٢) الكافي على هامش مرآة العقول: ج٢، ص ٢٩٢ .

(٣) البحار: ج١٦، باب الذنوب .

(١٧٩) كلکم سیصیر حديثاً فمن استطاع أن یصیر حديثاً
حسناً فلیفعل^(١) وهذا المعنى نظمہ ابن درید في المقصورة فقال :
وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى
وقال الشيخ محمد رضا النحوي في تخميسه للمقصورة: ص
: ٥٢

یقضی الفتی نجباً ویأوی لحدہ ویذكر الناس جميعاً عہدہ
ینشر کل ذمہ أو حمده وإنما المرء حديث بعده
فكن حديثاً حسناً لمن وعى^(٢)
(١٨٠) إياکم وصحبة العاصین ومعونة الظالمین^(٣) .
(١٨١) الرزق الحلال قوت المصطفین^(٤) .

(١٨٢) للمسرف ثلاث علامات : يأکل ما ليس له ویلبس ما
ليس له ویشتري ما ليس له^(٥) .

(١) تاریخ الیعقوبي : ج ٣ ، ص ٤٧ .
(٢) طبع التخمیس في مطبعة الفلاح ببغداد سنة (١٣٤٤هـ) وللعلامة الجلیل
الشیخ محمد رضا الشیبی تخمیس بعضها مخطوط ولم یصل فیہ إلى هذا
البيت .
(٣) الوسائل : ج ٢ ، ص ٥٤٨ باب تحریم معونة الظالمین .
(٤) البحار : ج ٢٥ ، ص ٥ .
(٥) من لا یحضره الفقیه : ص ٢٧٠ .

(١٨٣) أخذ الناس ثلاثة من ثلاثة الصبر عن أيوب والشكر عن نوح والحسد عن بني يعقوب.

(١٨٤) لمحسننا كفلان من الأجر ولمسيئنا ضعفان من الذنوب^(١).

(١٨٥) من عبد الله فوق عبادته آتاه الله فوق كفايته وأمانيه.

(١٨٦) أحق الناس بالاجتهاد والورع والعمل بما عند الله وبرضاه الأنبياء وأتباعهم.

(١٨٧) لا تقولوا رمضان وقولوا شهر رمضان.

(١٨٨) لا تقولوا صرت إلى الخلاء وقولوا كما قال الله تعالى ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ أو جاء أحد منكم من الغائط.

(١٨٩) لا يقولن أحدكم أنطلق أهريق الماء فيكذب ولكن يقول أنطلق أبول.

(١٩٠) أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن^(٢).

(١٩١) حدثوا الناس بما يعرفونه ولا تحمّلوهم ما لا يطيقون فتغروهم بنا^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا: ص ٢٠٩، و ٣٤٦.

(٢) مصادقة الإخوان: ص ٣٢.

(٣) البحار: ج ١، ص ٨٩.

(١٩٢) لا يصطحب اثنان على غير طاعة الله إلا أوشكا أن يفترقا على غير طاعة الله .

(١٩٣) لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلمه إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلمه .

(١٩٤) إذا ذبح الحاج كان فداءه من النار .

(١٩٥) من خلف حاجاً في أهله وماله كان له كأجره حتى كأنه يستلم الأحجار .

(١٩٦) لا يدخل الجنة إلا من خلص من آدم^(١) يريد به طهارة المولد وفي أحاديث كثيرة مروية في المحاسن للبرقي أن الجنة طاهرة مطهرة لا يدخلها إلا من طابت ولادته ولعل المراد من طيب الولادة في هذه الأخبار الإيمان بولاية الخلفاء المعصومين من آل الرسول ﷺ لا المقابلة لولد الزنا .

(١٩٧) ما من نهر في شرق الأرض وغربها أعظم بركة من الفرات فإن الله تعالى يرسل ملكاً كل ليلة معه ثلاثة مثاقيل من مسك الجنة فيطرحه فيه^(٢) .

(١٩٨) يا معشر قريش إنكم تحبون الماشية فأقلوا منها فإنكم

(١) المحاسن (للبرقي): ج ١، ص ٦٧، ٧٠، ٣٩١ .

(٢) الكافي على هامش مرآة العقول: ج ٤، ص ٨٩، فضل ماء الفرات .

بأرض يقلّ فيها المطر واحرثوا فإن الحرث مبارك^(١).

(١٩٩) مهما تبهمت البهائم فلم تبهم عن أربعة: معرفتها بالرب ومعرفتها بالموت ومعرفتها بالذكر من الأنثى ومعرفتها بالمرعى الخصب^(٢).

(٢٠٠) ما ينقم الناس منا نحن والله شجرة النبوة وبيت الرحمة ومعدن الحكمة ومختلف الملائكة^(٣) وعندنا علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب وأنساب العرب ومولد الإسلام^(٤).

(٢٠١) الخضاب يجلو البصر وينبت الشعر ويطيب الريح ويسكن الزوجة^(٥).

(٢٠٢) الصوم في الشتاء هو الغنيمة الباردة. هذا ما وسعني الوقوف عليه من نصائح إمام الأمة وإرشاداته البليغة وعظاته القيمة لو عمل الناس بها لرفعتهم إلى المقام الأسمى من الفضيلة وتحلوا بالملكات الحميدة واجتنبوا فساد الأخلاق وزكت ضمائرهم عن درن القبائح وبها تتحكم روابط الاجتماع وترسخ

(١) كنز العمال: ج ٢، ص ١٩٩.

(٢) الخصال: ج ١، ص ١٢٥، وعنه البحار: ج ١٤، ص ٦٦٤.

(٣) أصول الكافي على هامش مرآة العقول: ج ١، ص ١٥٧.

(٤) بصائر الدرجات (للصفار): ص ٧٤.

(٥) الكافي على هامش مرآة العقول: ج ٤، ص ١١١.

وشائج الائتلاف ولكن أين من يفقه هذه المغازي الدقيقة ويسير
على ضوء الدرر اللماعة فيفوز بالسعادة الأبدية والحياة الخالدة.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا
هَضْمًا﴾ (١١٢).

أدب الإمام

كما أن من واجب الإمامة بث الأحكام ونشر الأخلاق والنصائح التي تأخذ بالإنسان إلى أرقى مرتبة يبصر منها طريق السلوك مع الله تعالى ومع العباد لتكمل له الحياة الخالدة دنيا وآخرة، كان من واجبها تعريف الأمة بمواقف الأئمة من الفضائل ومبوأهم من الكمالات الصورية والمعنوية فإنه أدعى للخضوع لهم والاقتصاص لآثارهم التي بها سلوك لاحب السنن واتخاذ مهيع الطريق وذلك بالقول تارة كما جاء عنهم سلام الله عليهم في بيان مراتبهم القدسية وبالفعل أخرى كالخطب - العلوية - والتضرعات السجادية والأدعية الصادرة منهم المشتمل كل منها على بدائع العلوم وأساليب من البيان الوافي بأنحاء البلاغة والفصاحة فالمستشف لفصول الصحيفة المباركة السجادية وشعر الإمام العالي الذي أبرزه بصورة المناجاة يجد فيه من صنوف البلاغة ما لا يشك في أن منشأه أعظم رجل عنا له وجه الفصاحة وخضعت له رقاب المفلقين مع أنه عليه السلام لم يتعد خطة العظة البالغة

والحكمة الناجعة تبعاً منه صلوات الله عليه للقرآن الكريم في بيان الحكم والأحكام في أبدع عبارة والإشارة بذكر الآيات الآفاقية والأنفسية بأبلغ إشارة إلماعاً إلى أن صاحبها لم يفته أي مآثرة من المآثر ولا عداه شيء من المناقب فالإمام زين العابدين (عليه السلام) الأوحدي في نفسياته وصفاته مزج النظم بالنثر في أبرع صورة وصاغ الجمل الذهبية في بوتقة الفضيلة كما شاءت له القدسية والبلاغة.

وقد دلنا على مناجاته الأولى المؤرخ أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ) فإنه رواها عن الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الله المقري عن سفيان بن عيينة عن الزهري أنه سمع علي بن الحسين زين العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه تعالى ويقول يا نفس حتى م إلى الدنيا سكونك إلى آخر ما سيأتي^(١).

ورواها الشيخ إبراهيم الكفعمي من علمائنا الأعلام في كتابه البلد الأمين^(٢) وذكر سندها العلامة الحلي في إجازته الكبيرة لبني زهرة الموجودة في: ص ٢١، من البحار ج ٢٦ كتاب الإجازات ونص ما أورده قوله: ومن ذلك الندبة لمولانا زين العابدين علي

(١) البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٠٩.

(٢) الصحيفة الرابعة (للنوري): ص ٢٩.

ابن الحسين عليه السلام رواها الحسن بن الدرربي عن نجم الدين عبد الله ابن جعفر الدوريسي عن ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن علي الحسيني الراوندي بقاشان عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن المقرئ النيسابوري عن الحسن بن يعقوب بن أحمد النيسابوري عن الحاكم أبي القاسم عبد الله بن عبيد الله الحسكاني عن أبي القاسم علي بن محمد العمري عن أبي جعفر محمد بن بابويه عن أبي محمد القاسم بن محمد الاسترآبادي عن عبد الملك بن إبراهيم وعلي بن محمد بن سنان عن أبي يحيى ابن عبد الله بن زيد المقرئ عن سفيان بن عيينة عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحاسب نفسه ويناجي ربه ويقول يا نفس حتى م إلى الدنيا سكونك وإلى عمارتها ركونك الخ، وابن شهر آشوب في المناقب: ج ٢، ص ٢٥٣، أشار إليها بقوله وكفاك في زهده عليه السلام الصحيفة الكاملة والندب المروية عنه عليه السلام منها ما رواه الزهري يا نفس حتى م إلى الحياة سكونك وذكر من كلامه إلى آخر الأبيات الثلاثة الأولى والمجلسي في البحار اقتصر على هذه القطعة حاكياً لها عن المناقب مع أنه نقل إجازة العلامة الكبيرة لبني زهرة وفيها السند المذكور في الإجازة وهذا الإهمال منه أعلا الله مقامه عجيب.

كما أن القارئ الكريم حينما تمر عليه إشارات ابن شهر آشوب إلى هذه الندب الثلاثة الدالة على وقوفه عليها بتمامها

يستغرب منه هذا الإجمال وهو يعرف أن حاجة من يقتفي آثار أهل البيت (عليه السلام) ماسة إلى تعرف دعوة ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى ما فيه حياة العباد الخالدة ونصائحه الكافلة برفعهم إلى مستوى الفضيلة وتطهير نفوسهم من درن الأخلاق الذميمة ومعلوم أن الغاية المتوخاة لإمام الأمة (عليه السلام) لا تحصل من هذه الإشارات مع ما في الاختصار من إسدال الحجاب على موقف الإمامة من البلاغة والفصاحة ولكن الغرابة ترتفع عندما يقرأ ما يتحدث به الحجة النوري في خاتمة المستدرک على الوسائل: ج ٣، ص ٤٧٤، عن الصراط المستقيم للشيخ الجليل علي بن يونس البياضي العاملي فإنه يقول اختصر الحسين بن جبير وهو من مشاهير علمائنا الأعلام كتاب المناقب لابن شهر آشوب وسماه (نخب المناقب لآل أبي طالب) بحجة أن المناقب طويلة البحث وقد يمل القارئ منه فيفوته ما فيه من أسرار أهل البيت (عليه السلام) ولطائف معارفهم وما منحهم المولى سبحانه من المواهب التي لم يحوها نبي أو رسول ومن أراد الإسناد ومعرفة الرجال فعليه بمراجعة كتاب ابن شهر آشوب ومن هنا يعتقد الحجة النوري أن المناقب الدائر بين الناس هو المختصر من الأصل الذي أتعب ابن شهر آشوب نفسه في جمعه وأحى ليليه في تبويبه وأيد رأيه بما روي عن بعض الأصحاب أنه وزن جزءاً من المناقب فبلغ تسعة أرطال ثم قال النوري يروي الحسين بن جبير عن شهر آشوب بواسطة

واحدة فما ذكره المجلسي والحر العاملي من عثورهما على كتاب ابن شهر آشوب لا يخلو من مسامحة لأن ما أودعاه في كتابهما يوافق المختصر المتداول بين الناس .

الأولى

نقلنا نص المناجاة عن ابن كثير الدمشقي والصحيفة الرابعة للنوري قال عليه السلام يا نفس حتى م إلى الدنيا سكونك، وإلى عمارتها ركونك، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارته الأرض من آلافك، ومن فجعت به من إخوانك، ونقل إلى الثرى من أقرانك .

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوالٍ دوائر
خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم وساقتهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها وضمّتهم تحت التراب الحفائر
كم خرمت أيدي المنون، من قرون بعد قرون، وكم غيرت
الأرض ببلائها، وغابت في ترابها، ممن عاشت من صنوف .
وشيعتهم إلى الأرماس :

وأنت على الدنيا مكب منافس لخطابها فيها حريص مكاثر
على خطر تمسي وتصبح لاهياً أتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وإن امرأً يسعى لدنياه جاهداً ويذهل عن أخراه لا شك خاسر

فحتى م على الدنيا إقبالك . وبشهواتها اشتغالك . وقد
وخطك القتير . ووافاك النذير . وأنت عما يراد بك ساهٍ . وبلذة
يومك لاهٍ (وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات . وعانيت ما حل
بهم من المصيبات):

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى عن اللهو واللذات للمرء زاجر
أبعد اقتراب الأربعين تربص وشيب قذال منذ ذلك ذاعر
كأنك معني بما هو ضائر لنفسك عمداً أو عن الرشد حائر
انظر إلى الأمم الماضية . والقرون الفانية . والملوك العاتية .
كيف انتسفتهم الأيام . فأفناهم الحمام . فامحت من الدنيا
آثارهم . وبقيت فيها أخبارهم :

وأضحوا رميماً في التراب وأقفرت مجالس منهم عطلت ومقاصر
وحلوا بدار لا تزاور بينهم وأنى لسكان القبور التزاور
فما أن ترى إلا قبوراً ثووا بها مسطحة تسفي عليها الأعاصر
كم من ذي متعة وسلطان ، وجنود وأعوان ، تمكن من دنياه ،
ونال فيها ما تمناه ، وبنى فيها القصور والدساكر ، وجمع فيها
الأموال والذخائر ، وملح السراري والحرائر .

فما صرفت كف المنية إذ أتت مبادرة تهوي إليه الذخائر
ولا دفعت أهل الحصون التي بنى وحف بها أنهارها والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة ولا طمعت في الذب عنه العساكر

أتاه من الله ما لا يرد، ونزل به من قضائه ما لا يصد، فتعالى
الله الملك الجبار المتكبر العزيز القهار، قاصم الجبارين، ومبيد
المتكبرين، الذي ذل لعزه كل سلطان، وباد بقوته كل ديان.

مليك عزيز لا يرد قضاؤه حكيم عليم نافذ الأمر قاهر
عنى كل ذي عز لعزة وجهه فكم من عزيز للمهيمن صاغر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت لعزة ذي العرش الملوك الجبابر
فالبدار البدار، والحدار الحذار، من الدنيا ومكائدها، وما
نصبت لك من مصائدها، وتحلت لك من زينتها، وأظهرت لك
من بهجتها، وأبرزت لك من شهواتها، وأخفت عنك من قواتها
وهلكاتها.

وفي دون ما عاينت من فجعاتها إلى دفعها داع وبالزهد آمر
فجدّ ولا تغفل وكن متيقظاً فعمّا قليل يترك الدار عامر
فشمر ولا تفتر فعمرك زائل وأنت إلى دار الإقامة صائر
ولا تطلب الدنيا فإن نعيمها وإن نلت منها غبة لك ضائر
فهل يحرص عليها لبيب، أو يسرّ بها أريب، وهو على ثقة
من فنائها وغير طامع في بقائها، أم كيف تنام عين من يخشى
البيات، وتسكن نفس من توقع في جميع أموره الممات.

ألا لا ولكننا نغر نفوسنا وتشغلنا اللذات عما نحاذر
وكيف يلذ العيش من هو موقن بموقف عدل يوم تبلى السرائر

كأننا نرى أن لا نشور وأننا سدى ما لنا بعد الممات مصادر
وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها، ويتمتع به من
بهجتها، مع صنوف عجائبها وقوارع فجائعها، وكثرة عذابه في
مصابها وفي طلبها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها:

أما قد نرى في كل يوم وليلة يروح علينا صرفها ويباكر
تعاورنا آفاتنا وهمومها وكم قد ترى يبقى لها المتعاور
فلا هو مغبوط بدنياه آمن ولا هو عن تطلابها النفس قاصر
كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها، وصرعت من مكب
عليها، فلم تنعشه من عثرته ولم تنقذه من صرعته، ولم تشفه من
ألمه، ولم تبره من سقمه، ولم تخلصه من وصمه.

بلى أوردته بعد عز ومنعة موارد سوء ما لهن مصادر
فلما رأى أن لا نجاة وأنه هو الموت لا ينجيه منه التحاذر
تندم إذ لم تغن عنه ندامة عليه وأبكته الذنوب الكبائر
بكى على ما أسلف من خطاياها، وتحسر على ما خلف من
دنياء، واستغفر حيث لا ينفعه الاستغفار، ولا ينجيه الاعتذار،
عند هول المنية ونزول البلية:

أحاطت به أحزانه وهمومه وأبلس لما أعجزته المعاذر
فليس له من كربة الموت فارج وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت خوف المنية نفسه ترددها منه الله والحناجر

هنالك خف عواده، وأسلمه أهله وأولاده، وارتفعت الرنة
والعويل ويئسوا من براء العليل، فغمضوا بأيديهم عينيه، ومدوا
عند خروج روحه رجلية، وتخلّى عنه الصديق، والصاحب
الشفيق.

فكم موجد يبكي عليه تفجعاً ومستنجد صبراً وما هو صابر
ومسترجع داعٍ له الله مخلصاً يعدد منه كل ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته وعما قليل للذي صار صائر
فشقت جيوبها نساؤه، ولطمت خدودها إماؤه، وأعول لفقده
جيرانه وتورع لرزيته إخوانه، ثم أقبلوا على جهازه، وشمروا
لإبرازه، كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى، ولا الحبيب المبدى:
وظل أحب القوم كان بقربه يحث على تجهيزه ويبادر
وشمر من قد أحضروه لغسله ووجه لما فاض للقبر حافر
وكفن في ثوبين واجتمعت له مشيعة إخوانه والعشائر
فلو رأيت الأصغر من أولاده، وقد غلب الحزن فؤاده،
فغشي من الجزع عليه وخضبت الدموع عينيه، وهو يندب أباه،
ويقول يا ويلاه وا حرباه:

لعاينت من قبح المنية منظراً يهال لمرآه ويرتاع ناظر
أكابر أولاد يهيج اكتئابهم إذا ما تناساه البنون الأصاغر
وربة نسوان عليه جوازع مدامعها فوق الخدود غوازر

ثم خرج من سعة قصره، إلى ضيق قبره، فلما استقر في اللحد، وهبى عليه اللبن، احتوشته أعماله وأحاطت به خطاياه، وضاق ذرعاً بما رآه ثم حثوا بأيديهم عليه التراب، وأكثروا البكاء عليه والانتحاب، ثم وقفوا ساعة عليه، وأيسوا من النظر إليه، وتركوه رهناً بما كسب وطلب:

فولوا عليه معولين وكلهم لمثل الذي لاقى أخوه محاذر
كشأ رتاع آمنين بدا لها بمديته بادي الذراعين حاسر
فريعت ولم ترتع قليلاً وأجفلت فلما نأى عنها الذي هو جازر
عادت إلى مرعاها، ونسيت ما في أختها دهاها، أفبأفعال
الأنعام اقتدينا، أم على عادتها جرينا، عد إلى ذكر المنقول إلى دار
البلى، واعتبر بموضعه تحت الثرى، المدفوع إلى هول ما ترى.

ثوى مفرداً في لحدّه وتوزعت موارِيثه أولاده والأصاهر
وأحنوا على أمواله يقسمونها فلا حامد منهم عليها وشاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ويا آمناً من أن تدور الدوائر
كيف أمنت هذه الحالة، وأنت صائر إليها لا محالة، أم كيف
ضيعت حياتك وهي مطيتك إلى مماتك، أم كيف تشبع من
طعامك وأنت منتظر حمامك، أم كيف تهنأ بالشهوات، وهي
مطية الآفات:

ولم تتزود للرحيل وقد دنا وأنت على حال وشيك مسافر

فيا لهف نفسي كم أُسّوف توبتي وعمري فانٍ والردى لي ناظر
وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت يجازي عليه عادل الحكم قادر
فكم ترفع بآخرتك دنياك، وتركب غيك وهواك، أراك ضعيف
اليقين يا مؤثر الدنيا على الدين، أبهذا أمرك الرحمن، أم على
هذا نزل القرآن أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب، وشر
المآب، أما تذكر حال من جمع وثمر ورفع البناء وزخرف وعمر،
أما صار جمعهم بوراً، ومساكنهم قبوراً:

تخرب ما يبقى وتعمر فانياً فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
وهل لك إن وافاك حتفك بغتة ولم تكتسب خيراً لدى الله عاذر
أترضى بأن تفني الحياة وتنقضي ودينك منقوص ومالك وافر
فبك يا إلهنا نستجير، يا عليم يا خبير، من نؤمل لفكاك رقابنا
غيرك ومن نرجو لغفران ذنوبنا سواك، وأنت المتفضل المنان
القائم الديان العائد علينا بالإحسان، بعد الإساءة منا والعصيان يا
ذا العزة والسلطان، والقوة والبرهان وأجرنا من عذابك الأليم
واجعلنا من سكان دار النعيم برحمتك يا أرحم الراحمين .

الثانية

روى السعيد علي بن عيسى الإربلي في كشف الغمة: ص
٢٠٤، والشريف الجليل السيد محسن الأمين العاملي في
الصحيفة الخامسة: ص ٢٩٦، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة

قال: كان علي بن الحسين إذا تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ قال اللهم ارفعني في أعلا درجات هذه الندبة وأعني بعزم الإرادة وهبني حسن المستعتب من نفسي وخذني منها حتى تتجرد خواطر الدنيا عن قلبي من برد خشيتي منك وارزقني قلباً ولساناً يتجاريان في ذم الدنيا وحسن التجافي منها حتى لا أقول إلا صدقاً وأرني مصاديق إجابتك بحسن توفيقك حتى أكون في كل حال حيث أردت.

فقد قرعت بي باب فضلك فاقة بحد سنان نال قلبي فتوقها وحتى متى أصف محن الدنيا ومقام الصديقين وأنتحل عزماً من إرادة مقيم بمدرجة الخطايا أشتكي ذل ملكة الدنيا وسوء أحكامها علي وقد رأيت وسمعت لو كنت أسمع في أداة فهم أو أنظر بنور يقظة:

وكيلاً ألاقي نكبة وفجيعة وكأس مرارات ذعافاً أذوقها وحتى متى أتعلل بالأمني وأسكن إلى الغرور وأعبد نفسي للدنيا على غضاضة سوء الاعتداد من ملكاتها وأنا أعرض لنكبات الدهر علي أتربص اشتمال البقاء وقوارع الموت يختلف حكمي في نفسي ويعتدل في الدنيا:

وهن المنايا أي واد سلكنه عليها طريقي أو علي طريقها وحتى متى تعدني الأيام فتخلف وأتتمنها فتخون لا تحدث

جدة إلاّ بخلوق جدة ولا تجمع شمالاً إلاّ بتفريق شمل حتى كأنها
غيرى محجة ضنّاء تغار على الإلفة وتحسد أهل النعم :

فقد أذنتني بانقطاع وفرقة وأومض لي من كل أفق بروقها
ومن أقطع عذراً من مغذ سيراً يسكن إلى معرس غفلة بأدواء
بنوة الدنيا ومرارة العيش وطيب نسيم الغرور وقد أمرت تلك
الحلاوة على القرون الخالية وحال دون ذلك النسيم هبوات
وحسرات وكانت حركات فسكنت وذهب كل عالم لما فيه :

فما عيشة إلاّ تزيد مرارة ولا ضيقة إلاّ ويزداد ضيقها
فكيف يرقاً دمع ليبب أو يهدأ طرف متوسم على سوء أحكام
الدنيا وما تفجأ به أهلها من تصرف الحالات وسكون الحركات
وكيف يسكن إليها من يعرفها وهي تفجع الآباء بالأبناء وتلهي
الأبناء عن الآباء تعدمهم أشجان قلوبهم وتسلبهم قرة عيونهم .

وترمي قساوات القلوب بأسهم وجمر فراق لا يبوخ حريقها
وكم عاقل أفنت فلم تبك شجوه ولا بد أن تفنى سريعاً لحوقها
فانظر بعين قلبك إلى مصارع أهل البذخ وتأمل معاقل الملوك
ومصانع الجبارين وكيف عركتهم الدنيا بكلاكل الفناء وجاهرتهم
بالمنكرات وسحبت عليهم أذيال البوار وطحنتهم طحن الرحي
للحب واستودعتهم هوج الرياح تسحب عليهم أذيالها فوق
مصارعهم في فلوات الأرض :

فتلك مغانيهم وهذي قبورهم توارثها أعصارها وقبورها
أيها المجتهد في آثار من مضى قبلك من الأمم السالفة توقف
وتفهم وانظر أي عز ملك أو نعيم أنس أو بشاشة إلف إلا نغصت
أهله قرة أعينهم وفرقتهم أيدي المنون وألحقتهم بتجافيف التراب
فأضحوا في فجوات قبورهم يتقلبون وفي بطون الهلكات عظاماً
ورفاتاً وصلصالاً في الأرض هامدون:

وآليت لا تبقي الليالي بشاشة ولا جدة إلا سريعاً خلقوها
وفي مطالع أهل البرزخ وخمود تلك الرقدة وطول تلك
الإقامة طفئت مصابيح النظر واضمحلت غوامض الفكر وذم
الغفول أهل العقول وكم بقيت متلذذاً في طوامس تلك الغرفات
فنوّهت بأسماء الملوك وهتفت بالجبارين ودعوت الأطباء
والحكماء وناديت معادن الرسالة والأنبياء أتململ تململ السليم
وأبكي بكاء الحزين وأنادي ولات حين مناص:

سوى أنهم كانوا فبانوا وأنني على جدد قصد سريعاً لحوقها
وتذكرت مراتب الفهم وغضاضة فطن العقول بتذكر قلب
جريح فصدعت الدنيا عما التذ بنواظر فكرها من سوء الغفلة ومن
عجب كيف يسكن إليها من يعرفها وقد استذهلت عقله بسكونها
وتزين المعاذير وخسأت أبصارهم عن عيب التدبير وكلما تراءت
الآيات ونشرها من طي الدهر عن القرون الخالية الماضية
وحالهم ومآبهم وكيف كانوا وما الدنيا وغرور الأيام:

وهل هي إلا لوعة من ورائها جوى قاتل أو حتف نفس يسوقها
وقد أغرق في ذم الدنيا الأدلاء على طرق النجاة من كل عالم
فبكت العيون شجن القلوب فيها دماً ثم درست تلك المعالم
فتكرت الآثار وجعلت في برهة من محن الدنيا وتفرقت ورثة
الحكمة وبقيت فرداً كقرن الأعضب وحيداً أقول فلا أجد سميعاً
وأتوجع فلا أجد مشتكى :

وإن أبكهم أحرص وكيف تجلدي وفي القلب مني لوعة لا أطيقتها
وحتى متى أتذكر حلاوة مذاق الدنيا وعذوبة مشارب أيامها
وأقتفي آثار المريدين وأتنسم أرواح الماضين مع سبقهم إلى الغل
والفساد وتخلفي عنهم في فضالة طرق الدنيا منقطعاً من الأخلاء
فراذني جليل الخطب لفقدهم جوى وخانني الصبر حتى كأني أول
ممتحن أتذكر معارف الدنيا وفراق الأحبة :

فلورجعت تلك الليالي كعهدها رأت أهلها في صورة لا تروقها
فمن أخص بمعاتبتي ومن أرشد بنبذتي ومن أبكي ومن أدع
أشجواً بهلكة الأموات أم بسوء خلف الأحياء وكلُّ يبعث حزني
ويستأثر بعبرتي ومن يسعدني فأبكي وقد سلبت القلوب لبها ورق
الدمع وحق للداء أن يذوب على طول مجانبه الأطباء وكيف بهم
وقد خالفوا الأمرين وسبقهم زمان الهادين ووكلوا إلى أنفسهم
يتنسكون في الضلالات في دياجير الظلمات .

حيارى وليل القوم داجِ نجومه طوامس لا تجري بطيء خفوقها
وقد انتحلت طوائف من هذه الأمة مفارقة أئمة الدين
والشجرة النبوية إخلاص الديانة وأخذوا أنفسهم في مخائل
الرهبانية وتغالوا في العلوم ووصفوا الإسلام بأحسن صفاته
وتحلوا بأحسن السنة حتى إذا طال عليهم الأمد وبعدت عليهم
الشقة وامتحنوا بمحن الصادقين رجعوا على أعقابهم ناكسين عن
سبيل الهدى وعلم النجاة يتفسحون تحت أعباء الديانة تفسح
حاشية الإبل تحت أوراق البزل.

ولا يحرز سبق الرزاح وإن جرت ولا يبلغ الغايات إلاّ سبوقها
وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن
فتأولوه بآرائهم واتهموا مآثر الخبر مما استحسنا يقتحمون في
أغمار الشبهات ودياجير الظلمات بغير قبس نور من الكتاب ولا
أثرة علم من مظان العلم بتحذير مبطين زعموا أنهم على الرشد
من غيهم وإلى من يفزع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام الملة
ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى
يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ فمن
الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكمة إلاّ أهل الكتاب
وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على
عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة هل تعرفونهم أو
تجدونهم إلاّ من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين

أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وبرّأهم من الآفات
وافترض مودتهم في الكتاب .

هم العروة الوثقى وهم معدن التقى وخير حبال العالمين وثيقها
وهذه الندبة الجليلة أشار إليها ابن شهر آشوب في المناقب :
ج ٢ ، ص ٢٥٣ إيران بقوله : ومنها ما عن الصادق عليه السلام حتى متى
تعدني الدنيا فتخلف وأتتمنها فتخون وأستنصحها فتغش لا تحدث
جديدة إلى قوله :

فقد أذنتني بانقطاع وفرقة وأومض لي من كل أفق بروقها
وفي هذا دلالة على ما يحدث به النوري في خاتمة المستدرک
من أن المناقب المتداولة بين الناس مختصر من المناقب الكبيرة
لابن شهر آشوب وإلاّ فمن البعيد جداً عدم وقوف ابن شهر
آشوب على تمامها والذي يشهد له أن المناقب المتداولة لم تذكر
من النذب الثلاث إلا الإشارة إليها فهذا الالتزام يوافق مراعاة
الاختصار .

الثالثة

لقد جمع المجلسي في البحار : ج ١٧ ، الكثير من نصائح
النبي صلى الله عليه وآله وخلفائه المعصومين ولكن المحدث الجليل ميرزا حسين
النوري استدرک ما فاته وطبع مع الجزء السابع عشر من البحار

طبع الكبني وكان في ذلك المناجاة الثالثة لمولانا زين العابدين (عليه السلام) قال أعلا الله مقامه في ص ٢٧٥ :

ندبة أخرى - حدث شاكر بن غنيمه بن أبي الفضل عن عبد الجبار الهاشمي قال سمعت هذه الندبة من أبي بشر بن أبي طالب الكندي عن أبي عيينة عن الزهري قال كان علي بن الحسين (عليه السلام) يناجي ربه تعالى ويقول :

قلّ لمن قلّ عزاءؤه، وطال بكاؤه، ودام عناؤه، وبان صبره، وتقسم فكره، والتبس عليه أمره، من فقد الأولاد، ومفارقة الآباء والأجداد، والامتعاظ بشماتة الحساد، ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد :

تعزّ فكلّ للمنية ذائق وكل ابن انثى للحياة مفارق
فعمر الفتى للحادثات دريئة تناهبه ساعاتها والدقائق
كذا نتفاني واحد بعد واحد وتطرقنا بالحادثات الطوارق
فحسن الأعمال، وجمل الأفعال، وقصّر الآمال الطوال،
فما عن سبيل المنية مذهب ولا عن الحمام مهرب، ولا إلى قصد
النجاة مطلب، فيا أيها الإنسان المستحفظ على الزمان، والدهر
الخوان، ما لك والخلود إلى دار الأحزان، والسكون إلى دار
الهوان، وقد نطق القرآن بالبيان الواضح في سورة الرحمن ﴿كُلُّ
مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ .

وفيم وحتى م الشكاية والردى جموح لآجال البرية لاحق
فكل ابن أنثى هالك وابن هالك لمن ضمنته غربها والمشارك
فلا بد من إدراك ما هو كائن ولا بد من إتيان ما هو سابق
فالشباب للهرم، والصحة والسقم، والوجود والعدم، وكل
حي لا شك مخترم بذلك جرى القلم، على صفحة اللوح في
القدم، فما هذا التلهف والندم، وقد خلت من قبلكم الأمم:

أترجو نجاة من حياة سقيمة وسهم المنايا للخليقة راشق
سرورك موصول بفقدان لذة ومن دون ما تهواه تأتي العوائق
وحبك للدنيا غرور وباطل وفي ضمنها للراغبين البوائق
أفي الحياة طمع، أم إلى الخلود نزع. أم لما فات مرتجع،
ورحى المنون دائرة وأفراسها غائرة، وسطواتها قاهرة، فقرب
الزاد ليوم المعاد، ولا تتوَّظ على غير مهاد، وتعمد للصواب،
وحقق الجواب، فلكل أجل كتاب: ﴿يَمَحُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ
وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩):

فسوف تلاقي حاكماً ليس عنده سوى العدل لا يخفى عليه المنافق
يميز أفعال العباد بلطفه وتظهر منه عند ذاك الحقائق
فمن حسنت أفعاله فهو فائز ومن قبحت أفعاله فهو زاهق
أين السلف الماضون، والأهلون والأقربون، والأولون
والآخرون والأنبياء المرسلون، طحتهم والله المنون، وتوالت

عليهم السنون وفقدتهم العيون . وإنا إليهم صائرون . فإننا لله وإنا إليه راجعون .

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا فإننا على آثارهم نتلاحق
فكن عالماً أن سوف تدرك من مضى ولو عصمتك الراسيات الشواهد
فما هذه دار المقامة فاعلمن ولو عمر الإنسان ما ذرَّ شارق
أين من شق الأنهار . وغرس الأشجار . وعمر الديار ألم تمح
منهم الآثار . وتحل بهم دار البوار . فأحسن الجوار فلك اليوم
بالقوم اعتبار . فإنما الدنيا متاع والآخرة دار القرار :

تخرمهم ريب المنون فلم تكن لتنفعهم جناتهم والحدائق
ولا حملتهم حين ولوا بجمعهم نجائبهم والصفانات السوابق
وراحوا عن الأموال صفراً وخلفوا ديارهم بالرغم منهم وفارقوا
أين من بنى القصور والدساكر . وهزم الجيوش والعساكر .
وجمع الأموال والذخائر . وحاز الآثام والجرائر . أين الملوك
والفراعنة والأكاسرة والغساسنة . أين العمال والدهاقنة . أين ذوو
النواحي والرساتيق . والأعلام والمناجيق . والعهود والمواثيق .

كأن لم يكونوا أهل عز ومنعة ولا رفعت أعلامهم والمناجق
ولا سكنوا تلك القصور التي بنوا ولا أخذت منهم بعهد موثق
وصاروا قبوراً دارسات وأصبحت منازلهم تسفي عليها الخوافق
ما هذه الحيرة والسبيل واضح . والمشير ناصح . والصواب

لائح . عقلت فأغفلت . وعرفت فأنكرت . وعلمت فأهملت . هو الداء الذي عز دواؤه والمرض الذي لا يرجى شفاؤه . والأمل الذي لا يدرك انتهاؤه . أفأمنت الأيام وطول الأسقام . ونزول الحمام والله يدعو إلى دار السلام .

لقد شقيت نفس تتابع غيها وتصدف عن إرشادها وتفارق وتأمل ما لا يستطيع بحمله وتعصيك إن خالفتها وتشاقي وتصغي إلى قول الغوي وتنثني وتعرض عن تصديق من هو صادق فيا عاقلاً راحلاً . ولبيباً جاهلاً . ومتيقظاً غافلاً . أترفح بنعيم زائل وسرور حائل . ورفيق خاذل . فيا أيها المفتون بعمله ، الغافل عن حلول أجله والخائض في بحار زلله . ما هذا التقصير . وقد وخطك القتير ووافاك النذير وإلى الله المصير :

طلابك أمراً لا يتم سروره وجهدك باستصحاب من لا يوافق وأنت كمن يبني بناءً وغيره يعاجله في هدمه ويسابق وتنسج آمالاً طوالاً بعيدة وتعلم أن الدهر للنسج خارق لبئست الطريقة لمن ليس له الحقيقة . ولا يرجع إلى خليفة . إلى كم تكدح ولا تقنع وتجمع ولا تشبع . وتوفر لما تجمع . وهو لغيرك مودع ما ذا الرأي العازب . والرشد الغائب . والأمل الكاذب . ستنقل عن القصور وربات الخدور . والجدل والسرور . إلى ضيق القبور . ومن دار الفناء إلى دار الحبور . كل نفس ذائقة

الموت وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور:

فعالك هذي غرة وجهالة وتحسب يا ذا الجهل أنك حاذق
تظن بجهل منك أنك راتق وجهلك بالعقبى لدينك فاتق
توحيك من هذا أدل دلالة وأوضح برهاناً بأنك مائق

عجباً لغافل عن صلاحه . مبادر إلى لذاته وأفراحه . والموت
طريده في مسائه وصباحه . فيا قليل التحصيل . ويا كثير التعطيل .
ويا ذا الأمل الطويل ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل .
بناؤك للخراب . ومالك للذهاب وأجلك إلى اقتراب :

وأنت على الدنيا حريص مكاثر كأنك منها بالسلامة واثق
تحدثك الأطماع أنك للبقا خلقت وأنّ الدهر خل موافق
كأنك لم تبصر أناساً ترادفت عليهم بأسباب المنون اللواحق

هذه حالة من لا يدوم سروره . ولا تتم أموره . ولا يفك
أسيره أتفرح بمالك ونفسك . وولدك وعرسك . وعن قليل تصير
إلى رمسك . وأنت بين طي ونشر . وغنى وفقر . ووفاء وغدر فيا
من القليل لا يرضيه . والكثير لا يغنيه . اعمل ما شئت إنك ملاقيه
يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه :

سيقفر بيت كنت فرحاً لأهله ويهجر مثواك الصديق المصادق
وينساك من صافيته وألفته ويجفوك ذو الود الصحيح الموافق

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة وميت ومولود وقالٍ ووامق
أفّ لدنيا لا يرقى سليمها. ولا يصح سقيمها. ولا تندمل
كلومها. وعودها كاذبة. وسهامها صائبة. وآمالها خائبة. لا تقيم
على حال. ولا تمتع بوصال. ولا تسرّ بنوال.

وتلك لمن يهوى هواها مليكة تعبده أفعالها والطرائق
يسرّ بها من ليس يعرف غدرها ويسعى إلى تطلابها ويسابق
إذا عدلت جارت على أثر عدلها فمكروهة أفعالها والخلائق
فيا ذا السطوة والقدرة. والمعجب بالكثرة. ما هذه الحيرة
والفترة لك في من مضى عبرة. وليودن الغافلون عما إليه
يصيرون. إذا تحققت الظنون. وظهر السر المكنون. وتندمون
حين لا تقالون ثم إنكم بعد ذلك لميتون.

سيندم فعال على سوء فعله ويزداد منه عند ذاك التشاهق
إذا عاينوا من ذي الجلال اقتداره وذو قوة من كان قدماً يداق
هنالك تتلو كل نفس كتابها فيطفو ذو عدل ويرسب فاسق
إلى كم ذا التشاغل بالتجارة والأرباح. إلى كم ذا التهور
بالسرور والأفراح. وحتام التغرير بالسلامة في مراكب النياح. من
ذا الذي سألته الدهر فسلم. ومن ذا الذي تاجر الزمان فغنم.
ومن ذا الذي استرحم الأيام فرحم. اعتمادك على الصحة
والسلامة خرق. والاغترار بعواقب الأمور خلق فدونك وحزم

الأمور. واليتقظ ليوم النشور. وطول اللبث في صفحات القبور
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور:

فمن صاحب الأيام سبعين حجة فلذاتها لا شك منه طواق
فعقبى حلاوات الزمان مريرة وإن عذبت حيناً فحيناً خوابق
ومن طرقتة الحادثات بويلها فلا بد أن تأتیه فيها الصواعق
فما هذه الطمأنينة وأنت مزعج. وما هذا الولوج وأنت
مخرج. جمعك إلى تفريق. ووفرك إلى تمزيق. وسعتك إلى
ضيّق. فيا أيها المفتون والطامع بما لا يكون. أفحسبتم أنما
خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون.

ستندم عند الموت شر ندامة إذا ضم أعضاك الثرى والمطابق
وعاينت أعلام المنية والردى ووافاك ما تبيض منه المفارق
وصرت رهيناً في ضريحك مفرداً وباعدك الجار القريب الملاصق
إلى متى تواصل بالذنوب وأوقاتك محدودة. وأفعالك
مشهودة. أفتعول على الاعتذار. وتهمل الإعذار والإنذار وأنت
مقيم على الإصرار ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا
يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾.

إذا نصب الميزان للفصل والقضا وأبلس محجاج وأخرس ناطق
وأججت النيران واشتد غيظها إذا افتتحت أبوابها والمغالق
وقطعت الأسباب من كل ظالم يقيم على إصراره وينافق

فقدّم التوبة. واغسل الحوبة. فلا بد أن تبلغ بك النوبة.
وحسّن العمل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل. فكل غائب
قادم. وكل غريب عازم. وكل مفرط نادم. فاعمل للخلاص.
قبل القصاص. والأخذ بالنواص:

فإنك مأخوذ بما قد جنيته وإنك مطلوب بما أنت سارق
وذنبك إن أبغضته فمعانق ومالك إن أحببته فمفارق
فقارب وسدّد واتقِ الله وحده ولا تستقلّ الزاد فالموت طارق
واتقوا الله يوم ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون. وإلى هذه المناجاة أشار ابن شهر آشوب
في المناقب: ج ٢، ص ٢٥٣، بقوله ومنها ما روى ابن عيينة:
أين السلف الماضون والأهل والأقربون والأنبياء والمرسلون
طحنتهم والله المنون وتوالت عليهم السنون وفقدتهم العيون وإنا
إليهم صائرون وإنا إليهم راجعون:

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا فإننا على آثارهم نتلاحق
فكن عالماً أن سوف تدرك من مضى ولو عصمتك الراسيات الشواهد
فما هذه دار المقامة فاعلمن ولو عمر الإنسان ما ذر شارق
وقد أوقفناك في أول الفصل من هذه المناجيات الثلاث على
ما ارتآه المحدث ميرزا حسين النوري في خاتمة المستدرك من أن
المناقب المطبوع المتداول مختصر من مناقب ابن شهر آشوب

أولاً لما ذكره الشيخ علي بن يونس العاملي في كتابه الصراط المستقيم من اختصار الحسين بن جبير له وثانياً أنّ هذه الإشارة من ابن شهر آشوب تفيدنا وقوفه على هذه المناجيات الثلاث ويبعد جداً إثباته لها بهذا الاختصار المخل مع اشتمالها على نصائح كافية ناجعة كافلة لتهديب النفوس وتطهيرها من درن التمرد والطغيان على المولى سبحانه وتعالى .

الرابعة

في مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٥٢، قال طاووس الفقيه^(١) رأيت زين العابدين (عليه السلام) يطوف بالبيت من العشاء إلى

(١) في تهذيب التهذيب (لابن حجر): ج ٥، ص ٨، طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري الجندي بفتح الجيم والنون كانت أمه فارسية وأبوه من النمر بن قاسط وقيل اسمه ذكوان ولقبه طاووس مات بمكة سنة (١٠٦) وذكر روايته عن رجال لا أعرف فيهم المتشيع فمن هذا ثناء العامة عليه وما كتبه ابن كثير في البداية: ج ٩، ص ٢٣٥، في حقه نعرف أنه منحرف عن ولاء علي (عليه السلام) وأبنائه ويشهد له ما في خاتمة المستدرک (للنوري): ص ٣١٩، ج ٣، قال لم يشك أحد في كونه عامي المذهب ففي مجموعة الشيخ ورام أنه دخل على أبي عبد الله الصادق قال له أنت طاووس قال: نعم فقال: طاووس طير مشوم ما نزل بساحة أحد إلا أذنهم بالرحيل وفي البحار عن أعلام الدين أنه كان يقول بالقدر واحتجاج الصادق عليه وفي كتب أصحابنا الإمامية ما يدل على أنه من فقهاء العامة =

السحر ويتعبد فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه وقال إلهي غارت نجوم سماواتك وهجعت عيون أناملك وأبوابك مفتحات للسائلين جئتكَ لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدي محمد ﷺ في عرصات القيامة ثم بكى وقال:

وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك ولا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولكن سولت نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخي عليّ فأنا الآن من عذابك من يستنقذني وبحبل من أعتصم إن أنت قطعت حبلك عني فوا سوأته غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب أما آن لي أن أستحي من ربي ثم أنشأ:

= ففي المعتبر (للمحقق الحلي) عند ذكر آخر وقت فضيلة الظهر وعند ائتمام المسافر بالمقيم وفي ميقات أهل العراق وادي العقيق وفي التذكرة ((للعلامة الحلي) في مسألة من وجد الماء بعد الصلاة ومسألة من أخر العشاء ذكروا رأي طاووس في عداد آراء العامة المخالفين للإمامية، وفي الصحيفة الثالثة (للمولى عبد الله أفندي): ص ٨٧ تصريح بأنه من العامة ومن ذلك كله قال الحجة المامقاني في تنقيح المقال: ج ٢، ص ١٠٧، وهو من زهاد العامة غير ناصب العداوة للأئمة فلا يندرج خبره في الحسن لعدم تشيعه.

أُتحرقني بالنار يا غاية المني فأين رجائي ثم أين محبتي
أتيت بأعمال قباح ردية وما في الوري خلق جنى كجنايتي
ثم قال سبحانه تعصى كأنك لا ترى وتحلم كأنك لم تعص
تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم وأنت يا
سيدي الغني عنهم.

ثم خرَّ إلى الأرض ساجداً فدنوت منه وأخذت رأسه في
حجري وبكيت فسقطت قطرات من دموعي على خده فاستوى
جالساً وقال من الذي شغلني عن ذكر ربي تعالى قلت أنا طاووس
يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفرع ونحن يلزمنا أن نفعل مثل
هذا فإننا عاصون جافون.

أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول
الله ﷺ فالتفت إلي وقال هيهات يا طاووس دع عني حديث أبي
وأمي وجدي خلق الله تعالى الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان
حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيذاً قرشياً أما سمعت
قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٠) والله لا ينفعك غداً إلاّ تقدمة تقدمها من عمل
صالح (١).

الخامسة

يحدث عبد الله بن المبارك أنه كان في بعض السنين يساير الحاج إذ رأى صبيّاً سباعياً أو ثمانياً^(١) يسير في ناحية الحاج بلا زاد ولا راحلة فسلم عليه وقال له: مع من قطعت البر فقال: مع الباري جل شأنه فكبر في عينه كلامه مع ما شاهده من هديه وحسن سمته فسأله عن راحلته وزاده فأجابه بأن زاده تقواه وراحلته رجلاه وقصده إلى مولاه سبحانه وتعالى فازداد بذلك تعجبه وظهر له كبر شأنه وعظيم معزاه فتشوق إلى استكشاف نسبه فقال له: ممن تكون قال: مَطْلَبِي فاستزاده قال هاشمي فاستوضح بيته قال علوي فاطمي وكان هذا الحال يفسر مواهبه الأدبية فسأله عن معرفته بالشعر فلم يتباعد عنه فاستنشد من شعره فقال:

لنحن على الحوض رواده نذود ونسقي وواده
وما فاز من فاز إلا بنا وما خاب من حبا زاده
ومن سرنا نال منا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبنا حقنا فيوم القيامة ميعاده

(١) لم أعرف المراد منه ولكن في تاج العروس: ج ٤، ص ١٤١، عن ابن شميل يقال رباعي لمن بلغ أربعة أشبار وقال الليث الخماسي والخماسية من الوصائف لمن كان طوله خمسة أشبار ولا يقال سداسي ولا سباعي إذا بلغ ستة أو سبعة لأنه رجل.

ثم فارقه ولم يشاهده إلا بالأبطح وإذا هو بغير الحال الذي رآه في الطريق فإنه نظر إليه جالساً وحوله جماعة يسألونه عما أبهم عليهم من الحلال والحرام وما أشكل عليهم من أمر النسأتين فتعرفه فإذا هو زين العابدين (عليه السلام) ومما يروى له صلوات الله عليه قوله :

نحن بنو المصطفى ذوو غصص يجرعها في الأنام كاظمنا
عظيمة في الأنام محنتنا أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا الوري بعيدهم ونحن أعيادنا مآتمنا
والناس في الأمن والسرور وما يأمن طول الزمان خائفنا
وما خصصنا به من الشرف الـ طائل بين الأنام آفتنا
يحكم فينا والحكم لنا جاحدنا حقنا وغاصبنا^(١)

أيام العيد وإن كانت أيام أفراح ومسرات بعود نعم الله تعالى وآلائه وأفضاله على العباد وما يحدث في يوم العيد من الهبات الإلهية بعثتهم من لهب النيران حينما يكثرون من الاستغفار عما اقترفوه من الآثام ويرجعون من الحوبة إلى التوبة وفي هذا يحدث سيد الشهداء (عليه السلام) أصحابه فيقول إن الله تعالى خلق شهر رمضان مضمراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى رضوانه فسبق فيه قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا فالعجب كل العجب من الضاحك

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٥٥، وص ٢٥٦، ط. إيران.

اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويخيب فيه المقصرون وأيم الله لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته^(١)، إلا أن أهل البيت عليه السلام يتذكرون فيه اغتصاب حقهم ونهب فيئهم وإقعادهم في دورهم ممنوعين من نشر الأحكام وتهذيب النفوس وتطهيرها من أرجاس الأطماع وتعريف الأمة جهود جدهم الأعظم عليه السلام في إقامة عروش الدين وكسح الجاهلية الأولى وفي هذا يقول أبو جعفر الباقر عليه السلام: ما من عيد للمسلمين إلا ويتجد فيه لآل محمد حزن لأنهم يرون حقهم في غيرهم^(٢) ويرى العلامة الجليل السيد باقر بن آية الله الحجة السيد محمد الهندي المتوفى سنة (١٣٢٩) مولانا إمام العصر الحجة المنتظر عجل الله فرجه في ما يراه النائم ليلة الغدير وهو كئيب حزين مفكر فيقول له السيد باقر بعد أن وقع عليه يقبل يديه وقدميه ما لي أراك مفكراً مهموماً وهذه أيام فرح وسرور بيوم (الغدير) فأجابه الإمام عليه السلام ذكرت أُمي الزهراء وحزنها وما جرى عليها ثم أنشأ عليه السلام:

لا تراني اتخذت لا وعلاها بعد بيت الأحزان بيت سرور
فانتبه السيد يحفظ البيت ونظم قصيدة على وزنه ورويّه

(١) من لا يحضره الفقيه: ص ١٤٨.

(٢) علل الشرائع (للصدوق): ص ١٣٦، باب ١٢٦.

تتضمن حادثة الغدير وما جرى على أمير المؤمنين والزهراء (عليهما السلام) وضمنها هذا البيت .

لم تخف هذه الظاهرة على شيعة أهل البيت (عليهم السلام) فكانوا يتحفونهم في هذه الأيام بالشعر المذكر باعتداء الفئة الغاشمة وجور الطغاة عليهم والأئمة يقدرون لهم هذا الولاء المستفز للشعور المثير للعواطف لما فيه من التعريف بالظلم المتفاقم من ولادة الأمر فمن ذلك أن المنصور الدوانيقي طلب من الإمام الكاظم (عليه السلام) أن يجلس مكانه للتهنئة في يوم «النوروز» وقبض ما يحمل إليه من الهدايا فقال (عليه السلام) إني فتشت الأخبار عن جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم أجد لهذا العيد أثراً وإنه سنة الفرس ومحاها الإسلام ومعاذ الله أن نحیی ما محاه الإسلام فلم يتباعد المنصور عن الإذعان بقوله غير أن سياسة الجند خرجت عليه القيام به فأقسم عليه بالله العظيم أن يجلس مكانه فلم ير الإمام (عليه السلام) ندحة عن الموافقة فجلس مكانه وأقبلت الأمراء والوزراء ورؤساء الجند يهنونه ويقدمون إليه الهدايا وخادم المنصور يثبت ما يحمل إليه فدخل في آخر الناس شيخ طاعن في السن فسلم عليه واعتذر بعدم وجدانه ما يليق بمقامه غير أبيات قالها جده في الحسين (عليه السلام) فأمره بإنشادها فقال :

عجبت لمصقول علاك فرنده يوم الهياج وقد علاك غبار
ولأسهم نفذتك دون حرائر يدعون جدك والدموع غزار

هلا تغضضت السهام وعاقها عن جسمك الإجلال والإكبار
 ففرح الإمام عليه السلام بهذه الهدية أمام الجمع المغمور بأضاليل
 الخلفاء ومن سار على نهجهم من سماسرة المطامع وفيهم مقاتل
 الذي يقول للمنصور أتحب أن أضع لك في العباس فيطرق
 المنصور برأسه^(١) خجلاً من هذا الإقدام والجرأة على الشريعة
 الناهية عن الكذب الرافع لبهاء الوجه المسود للقلوب المخزي
 يوم الدين فهل مثل هذا وأشباهه يركن إلى حديثه - كلا-.

ابتهج أبو الحسن عليه السلام بهذه الأبيات التي أقرأت من وعائها
 تاريخاً لم يمر مثله منذ أوجد الله تعالى (الزمان) إلى منتهاه
 وعرفت الملاء الحاضر ومن يتعاقبه مغازي المتسنمين عرش
 الخلافة الكبرى بلا حنكة وجدارة ولصداها دوي في مسامع ذلك
 الجمع بنكبة شهيد العدل والصلاح وما جرى على ودائع الرسالة
 في تلك البيداء المقفرة وهن ينظرن إلى مهجة النبي صلى الله عليه وآله وروح
 الإسلام وقد ألمات به الخطوب وطوقه جيش الظلم يريدون
 استئصال شأفة صاحب الدعوة الإلهية فكانت هذه الأبيات كنهضة
 بالسيف في وجه الباطل.

وقال له الإمام الكاظم عليه السلام بارك الله فيك وأمر الخادم أن
 يسأل المنصور ما يصنع «بالمال» فعاد إليه يخبره بأنه كله هبة له

(١) تاريخ بغداد (للخطيب): ج ١٣، ص ١٦٧.

يفعل به ما يشاء فوهبه أبو الحسن موسى (عليه السلام) للشيخ تقديراً لهبته التي أخذت موقعها من النفوس^(١).

وفي هذه الصلة تنشيط لمن شاهد ومن وعى الحديث من الأجيال على النهضة في رثائهم الملم به فيه التذكير بما جرى عليهم من القسوة والاعتداء المستلزم ذلك للتباعد عمن حاد عن خطة الإسلام من الخلفاء ومن يمت إليهم بنزعة.

ولم يزل الأئمة يعرفون الأمة ما فيه حياة أمرهم واغتصاب حقهم ويتحرون الأساليب الناجعة في بيانه بعد أن كانوا مأمورين من جدهم الأقدس (عليه السلام) بترك القيام بالسيف عقيب «حادثة الطف» وكانوا ممنوعين من رقي الأعواد من قبل السلطات الحاكمة ولكن لم يسعهم إهمال الناس تتلاعب بآرائهم المطامع وتجرحهم الأهواء إلى مهوى سحيق لأن فيه اضمحلال مذهب الحق وتفسخ النتائج الوحيدة المرموقة «للمنقذ الأكبر (عليه السلام)» في حروبه ومغازيه.

ومن هنا يمكننا أن نحكم على نهضات العلويين نسباً ومذهباً في سائر الأصقاع بأنها منبعثة عن أمر الأئمة ورضاهم بذلك الجدل الذي أعقب جلاداً وحروباً شعواء وليس في تظاهر الأئمة بالإنكار على أولئك الثائرين ضد سلطان الضلال والتبري من فعل العلويين ما يحط من كرامة الناهضين فإن للتقية مغزى واسعاً أهمه

أن لا ينسب إليهم التدخل في تلك الثورة فينالهم ما لا تحمد عقباه وعلى هذا الغرار يكون الإنكار الصادر من خواص الأئمة عليهم السلام كزرارة ومؤمن الطاق ومحمد بن مسلم وأمثالهم على العلويين لأن مثل هؤلاء الخواص لو ظهر منهم الموافقة للعلويين الثائرين لتوجهت التهمة إلى إمام الحق عليه السلام لمعلومية خضوعهم إلى أوامر حجة الوقت ونواحيه فموافقة أمثالهم تعد في الحقيقة رضى من الإمام فيناله من توقد حقد السلطان ما لا تطفأ شعلته .

والأئمة عليهم السلام وإن علموا بأن لدولة الحق أمداً لم يأت وحكم المتغلبين سائد لكن لم يسعهم إهمال العباد من دون أن يطرق إلى أدمغتهم صوت الحق لتقوم الحجة على من لم يستضى بنور الشريعة وبقي متردداً في حنادس التضليل .

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ .

السادسة

ذكر الألويسي في روح المعاني: ج ٦، ص ١٩٠، عند قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ علم الأسرار والحقيقة ثم قال أشار إلى هذا رئيس العارفين علي زين العابدين حيث قال:

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم في هذا أبو حسن إلى الحسين وأوصى قبله الحسن فرب جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمی یرون أقبح ما یأتونه حسنا
وهذه الأبیات ذكرها الشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف:
ص ٥٠ والشبلنجي في نور الأبصار: ص ١٢٩ ذكر البيت الأول
والرابع والحجة السيد هبة الدين الشهرستاني ذكر في مجلة العلم
السنة الثانية في جزء (٦، ٧، ٨) خمس تشطيرات للبيت الأول
والرابع ولم یصرح بأسماء بعضهم ثم قال وفي بعض النسخ زیادة
عليهما وذكر البيت الثاني وحيث إن التشطير لم يأخذ محله من
المتانة والقوة أعرضنا عن إثباته.

لفت نظر

ذكر ابن شهر آشوب في المناقب: ج ٢، ص ٢٥١، أن الأصمعي قال: كنت أطوف ليلة بالبيت الحرام فإذا شاب ظريف عليه ذؤابتان وهو متعلق بأستار الكعبة ويقول نامت العيون إلى أن قال ثم أنشأ:

(يا من يجيب دعا المضطر في الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم) الخ فاقتفيته فإذا هو زين العابدين عليه السلام وفي ص ٢٦٣ ذكر أن الأصمعي قال: كنت بالبادية وإذا أنا بشاب منغل عن الناس في أطمار رثة وعليه سيماء الهيبة فقلت له: لو شكوت حالك إلى بعض هؤلاء لأصلحوا شأنك فأنشأ: (لباسي للدنيا التجلد والصبر) الخ. فعرفته فإذا هو علي بن الحسين عليه السلام فقلت أبي أن يكون هذا الفرخ إلا من ذلك العش اهـ.

وهذا لا يصح عن الأصمعي لأن السجاد عليه السلام كما في إرشاد المفيد توفي بالمدينة سنة (٩٥) والأصمعي كما في تاريخ بغداد:

ج ١٠، ص ٤١٩، توفي سنة (٢١٦) عن ثمانٍ وثمانين سنة فتكون ولادته سنة (١٢٨) تقريباً بعد شهادة السجاد عليه السلام بثلاث وثلاثين سنة نعم يمكن أن تصح القصة مع الإمام الكاظم عليه السلام فإنه ولد سنة (١٢٨) واستشهد سنة (١٨٣) أو الرضا المولود سنة (١٤٨) والمستشهد سنة (٢٠٣).

أجوبة المسائل

ليست الحاجة ماسة في تعريف موقف أي واحد من أئمة الدين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ولا تعداد موارد ما صدر منهم من المعارف الإلهية والعلوم التي أودعها المهيمن تعالى فيهم بعد أن توجهم بالخلافة الكبرى لأن الثابت في العقيدة كون الإمام المَجْعُول علماً للعباد محل أسرار الأحكام وأميناً على دين التوحيد دين الله الحنيف وأن من الواجب كونه أعلم أفراد الأمة بجميع ما يستدعيه موقفه الشامخ من دقائق آداب الشريعة وأسرار التكوين والأحكام الشافية والأخلاق الفاضلة والمواعظ البالغة والسياسة والتدبير ودفع الشكوك والشبهات وما يلزم السؤال عنه ويقتضي المقام بيانه حتى لا يرتبك في مسألة ولا يفحمه مجادل ويخصمه معاند فيسقط محله ولا يطاع في أمر ونهي فيبقى التشريع مخدجاً وينتقض الغرض من جعله علماً يهتدى به ومناراً يستضاء بأنواره اللامعة وقد اصطفاه الله على الأمة وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء .

فأوضح الله تعالى بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا ﷺ منار

الدين وأبلج لهم سبيل مناهجه وفتح عن باطن ينابيع علمه فمن عرف من أمة محمد (ﷺ) واجب حق إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه لأن الله تعالى نصب الإمام حجة على أهل زمانه ولا ينال ما عند الله إلاّ بجهة أسباب سبيله ولا يقبل الله أعمال العباد إلاّ بمعرفته^(١) فإنه ليس بين الله وبين حجته حجاب ولا لله دون حجته ستر كيف وهم أبواب الله والصراط المستقيم وعيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده^(٢) وإنهم موضع سره ولجأ أمره وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه وبهم أقام انحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائضه^(٣) وهم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه^(٤) هم دعائم الإسلام والخزنة والأبواب ولا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً.

ويقول السجاد (عليه السلام) لرجل شاجره في مسألة من الفقه يا هذا لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرائيل في رحالنا أيكون أعلم بالسنة منا^(٥) وقال (عليه السلام) إن دين الله تعالى لا يصاب بالعقول الناقصة

(١) من كلام الصادق (عليه السلام) في بصائر الدرجات.

(٢) من كلام السجاد (عليه السلام) رواه في تفسير البرهان: ج ١، ص ٣٢.

(٣) نهج البلاغة: ج ١، من الخطبة ٢.

(٤) نهج البلاغة: من الخطبة ١٤٧.

(٥) نزهة المناظر: ص ٣٣.

والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة ولا يصاب إلا بالتسليم فمن سلم لنا سلم ومن اقتدى بنا هدي ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم^(١).

إن القارئ جد عليم بأن الإمام زين العابدين عليه السلام فرع من هذه الدوحة الميمونة المورقة بأثمار العلم وأسرار التكوين غير أن ظروفه الحرجة لم تساعد على نشر المعارف الإلهية وإبراز الكنوز الربوبية من معادنها أكثر مما ورد عنه مما ليس بالنزر لأنه كان في عصر مظلم بالسياسة القاسية عهد غلواء الأمويين وسوقهم الناس إلى أيام الجاهلية وكبسهم على مناجم العلم الصحيح وسيوفهم تنطف من دماء آل محمد عليهم السلام ويصف الأستاذ أحمد أمين العصر الأموي فيقول: لم يكن الحكم الأموي حكماً إسلامياً يستوي فيه بين الناس ويكافأ فيه المحسن عربياً كان أو مولى ويعاقب من أجرم عربياً كان أو مولى ولم تكن الخدمة للرعية على السواء وإنما كان الحكم عربياً والحكام فيه خدمة للعرب على حساب غيرهم وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية^(٢)، ويقول جرجي زيدان يختلف

(١) إكمال الدين: ص ١٨٧.

(٢) ضحى الإسلام: ج ١، ص ١٨٧.

العصر الأموي عن عصر الراشدين اختلافاً كبيراً من أوجه كثيرة، ويعد انتقال الدولة الإسلامية إلى بني أمية انقلاباً عظيماً في تاريخ الإسلام لأنها كانت في زمن الراشدين خلافة دينية فصارت في أيامهم ملكاً عضوداً وكانت شوروية فصارت إرثية وقام معاوية يطلبها وينازع أعمام النبي ﷺ وأبناء عمه عليها والمسلمون يعتقدون حق هؤلاء فيها وأن معاوية طليق لا تحل له الخلافة وأنه لم يعتنق الإسلام إلاّ مكرهاً ولقد كانت العصبية العربية في الجاهلية بين القبائل بسبب الأنساب ولما جاء الإسلام تنوسيت تلك العصبية واجتمع كافة العرب باسم الإسلام وكانت الجامعة الإسلامية شاملة لهم على اختلاف قبائلهم طول أيام الخلفاء الراشدين ولما قبض الأمويون على أزمة الملك استبدوا وحفظوا من مناقب الجاهلية تعصبهم لقبائلهم وإيثار أهلهم على سواهم فجاشت عوامل الحسد في نفوس القبائل كما هو شأن الجاهلية وضاع فضلها في الإسلام^(١).

هكذا ظل الأمويون يعملون في توطيد ما راموه من التعصب للعرب وتمسكوا بعباداتها وظلت خشونة البادية غالبة على حكومتهم وظاهرة في سياستهم وقد انهارت بذلك الأسس التي وطدها (نبي الإسلام ﷺ) ولكن لم يهم (ابن الخيرتين عليه السلام) إلاّ

(١) آداب اللغة العربية: ج ١، ص ١٩٢، طبعة الثالثة (لجرجي زيدان).

استرداد ما أضاعه الأمويون من قوانين الإسلام فجد في نشر أحكام الشريعة بأساليب يخفى على العامة وجه الحكمة فيها وعلم الناس حقيقة العبودية ومناهج الضراعة ووسائل السلوك إلى المولى سبحانه وما يخاف منه ويرجى وأوضح لهم نظم الاجتماع وما به الفوز في الدارين، وربما أوقفهم على الطرق الحكمية بلسان عمته العقيلة (زينب الكبرى عليها السلام) حيث لم يتسنَّ له المصارحة فرقاً من السياسة المسيطرة يومئذ.

يحدث أحمد بن إبراهيم أنه دخل على حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام فكلّمها من وراء حجاب وسألها عمن تأتم بهم فسمتهم له وكان في عدادهم الحجة ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وسمته له فاستفهمها عن وقوفها عليه بالمعاينة أو الإخبار من أبيه الحسن العسكري عليه السلام فقالت إنه خبر من أبي محمد الحسن بن علي كتب به إلى أمه وإذ تعرف مكان الإمام الذي هو المفزع للشيعة ليجتمع به ويقف على أمر دينه لم يستفد منها ما فيه نجعة المرتاد وعرفته بأنه متستر عن الناس وهذا حال يأخذ بضعفاء البصيرة إلى التقهقر ولكن الرجل راسخ اليقين واسع الدراية لم يربكه هذا الإجمال عن معرفة المفزع للشيعة عندما تتابهم الكوارث وتشتبه عليهم الأحكام فكرر السؤال بقوله إلى من تفزع الشيعة فقالت إلى الجدة أم أبي محمد عليها السلام فعظم عليه ذلك حيث لم يسمع بعقد الإمامة للنساء وقال لها تأمريني أن

أقندي بمن وصيته إلى امرأة غير أن ابنة النبوة أنارت له السبيل
 لحل هذه المشكلة بإقامة القياس المحكم صغراه وكبراه ولم
 يختلف فيه اثنان فقالت له اقتداء بالحسين بن علي فإنه أوصى إلى
 أخته (زينب ابنة علي (عليه السلام)) في الظاهر فكان ما يخرج من علم من
 علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) ينسب إليها ستراً على علي بن
 الحسين^(١).

وهذا الحديث يفيدنا بأن ابنة حيدرة ذلك المردى ابن عبد ود
 ومزهق مرحباً وقالع باب خير حتى كانت ضربت لعمر بن عبد
 ود يوم الخندق أفضل أعمال الأمة إلى يوم القيامة^(٢) أو أفضل
 من عبادة الثقلين^(٣) كانت مظهراً من مظاهر الخلافة الكبرى
 ومستودعة لآثار النبوة وحسبها من الجلال والعظمة أن الإرادة
 الإلهية منحتها العلم بالأشياء من دون معلم كما أرشد إليه (عليه السلام)
 إنك عالمة غير معلّمة وفهّمة غير مفهّمة.

وإلى القارئ ما وقفنا عليه من نميره العذب في أسرار
 اللاهوت وأحكام الشريعة وتفسير آيات الكتاب المجيد
 واحتجاجاته.

(١) إكمال الدين (للصدوق): ص ٢٧٥، والغيبة (للشيخ الطوسي): ص ١٤٨.

(٢) المستدرک على الصحيحين (للحاكم النيسابوري): ج ٣، ص ٣٢.

(٣) السيرة الحلبية: ج ٢، ص ٣٤١، في غزوة الخندق.

آيات الكتاب

(الأولى) ما رواه الشيخ الجليل الطبرسي في مجمع البيان: ج ٨، ص ٣٦٠، صيدا عن علي بن الحسين عليه السلام في زواج الرسول ﷺ من زينب بما لا ينافي قدس النبوة وملخصه: لما حدثت وحشة ونفرة بين زينب وبين زوجها زيد بن حارثة أوجبت طلاقه إياها وقبل وقوعه كان النبي ﷺ عالماً بتزويجه من زينب إما بإخبار جبرائيل أو لما أودع الله تعالى فيه من القوة القدسية النورية التي بها كان رسول الله ﷺ والأئمة من عترته عليهم السلام يتمكنون من الحوادث الكونية جمعاء حتى كأن الأشياء حاضرة نصب أعينهم تفضلاً منه سبحانه وتعالى عليهم (لا غاية لكرمه، ولا تنفذ خزائنه).

فلما جاء زيد بن حارثة إلى رسول الله ﷺ ليطلق زوجته لم تسمح نفسه القدسية دون أن يعرفه كراهة شريعته للطلاق كما أنها تنفر من كل ما يسبب الفرقة ويفكك عرى الجامعة ويحيد عن الألفة ونظام الاجتماع العائلي على أنه ﷺ هو المتصرف بتدبير

شؤونه فقال له: (أمسك عليك زوجك) ولم يذكر له ما كان جارياً في القضاء الإلهي من أنها ستكون زوجته مع علمه (عليه السلام) بتحقيق وعد الله تعالى وهذا هو الذي أخفاه ولم يبده لزيد حياءً منه وخشية من الناس أن يقولوا تزوج امرأة ابنه ولكن الله سبحانه أظهره بقوله ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ ولو كان الذي أخفاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) محبته لزينب أو إرادة طلاق زيد إياها لأظهره الله مع وعده جل شأنه أن يبدي ما أخفاه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ فدل ذلك على أنه عوتب على محض قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لزيد (أمسك عليك زوجك) ولم يرد سبحانه بهذا إلا تعريف نبيه المحبوب جواز التزويج من أزواج الأدعياء بحيث يلزم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إظهار هذا الحكم ولا يراعي في ستره وإخفائه قول الناس ولو بصورة وقتية مع العلم بانتشار الحكم الذي به يتلاشى حكم الجاهلية الأولى.

فالآية المباركة واضحة المفاد وليس فيها ما يشين قدس النبوة وشرحها على ما بينه الإمام زين العابدين (عليه السلام) هذا ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ يا رسول الله لزيد بن حارثة وهو الذي ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالهداية إلى الإيمان ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ حين جاءك يطلب فراق زوجته لأجل النفرة والوحشة ولم تخبره بما أوحى إليك من أنها ستكون من أزواجك ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ﴾ كونها من أزواجك لمصلحة رفض بدع الجاهلية وكيف تخفي ﴿مَا اللَّهُ﴾

مُبْدِيهِ ﴿﴾ من الحكم بتزويجك إياها عند وقوع الطلاق وانقضاء العدة وإنما تخفي ذلك حياءً من زيد أن تخبره بأنك ستتزوج زوجته ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ أن يقولوا تزوج حليلة ابنه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ في محل يقتضي أن تخشاه فيه وإن لم يكن هذا منه لعدم ما يوجب الخشية منه والنكته في تعبيره سبحانه وتعالى بهذه العبارة هو الجري على مقتضى المحاورات العادية مما يخشى منه لغط الجاهلين فيقال له إن حق الخشية أن تكون من الله تعالى لا من الناس ولو لم يكن المختشي مقترفاً إثماً لأن الناس لا يضرونه ﴿فَلَمَّا﴾ طلقت زينب و ﴿قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ تحقق وعد الله لنبيه الأعظم من عداها في أزواجه فجاء الأمر الإلهي على لسان الأمين ﷺ ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ لتعرف الأمة بطلان حكم الجاهلية من عدم تزويج بحليلة الأدعياء لما فيه من التضييق على المؤمنين الموحدين فبلطفه وحنانه على عبيده رفع حكم الجاهلية ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ وفارقوهن عن رغبة واختيار.

هذا هو المتحصل من كلام إمام الأمة زين العابدين ﷺ ويتفق مع حكم العقل بنزاهة نبيه الأقدس وعصمته عن كل ما يشين الأخلاق فضلاً عن التهجم على قوانين الشريعة وما ورد من الروايات في نقل هذه القصة لا يمكن المصادقة عليه لاضطرابها في النقل ولمخالفتها لمقام النبوة فالإعراض عنها أجدر.

وهذا الذي تحدث به الإمام السجاد (عليه السلام) رواه جماعة من المفسرين عنه فيقول الخازن في تفسيره: ج ٥، ص ٢١٦، والبغوي في معالم التنزيل بهامشه: ج ٥، ص ٢١٥، وأبو بكر الجصاص في أحكام القرآن: ج ٣، ص ٤٤٤، أصح ما ورد في هذا ما رواه سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويقول الألويسي في تفسيره روح المعاني: ج ٢٢، ص ٢٤، ذهب إلى رواية زين العابدين (عليه السلام) أهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم ثم ذكر عن جماعة في تفسير الآية ما لا يتفق مع قدس الرسالة وقال الأسلم ما ذكرناه عن زين العابدين (عليه السلام) والجمهور اهـ. وفي المواهب اللدنية وشرحها للزرقاني: ج ٥، ص ٢٣٤، هذا التفسير مروى عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعليه أهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء بن زياد القشيري المتوفى سنة (٣٤٤) والقاضي أبي بكر محمد بن العربي وغيرهم واعتمد على رواية علي بن الحسين في تفسير الآية ابن كثير في تفسيره: ج ٣، ص ٤٩١، وفي الشفا للقاضي عياض: ج ٢، ص ١٨١، أصح ما في هذا الباب ما حكاه أهل التفسير عن علي بن الحسين وفي ص ١٨٤، قال الأولى ما ذكرناه عن علي بن الحسين وهو قول ابن عطاء واستحسنه القاضي القشيري وعليه

عول أبو بكر بن فورك اهـ. وعلي بن الحسين في كلام القاضي هو زين العابدين على ما ذكره كل من الشهاب الخفاجي وملا علي القاري في شرحهما على الشفا وشرح الثاني على هامش الأول: ج ٤، ص ٢٦٩ وص ٢٧٠، وص ٢٧٤.

(٢) في تفسير فرات: ص ١٤٨، بالإسناد إلى سعيد بن جبیر قال سألت علي بن الحسين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. قال عليه السلام: هي قرابتنا أهل البيت ورواه عنه الجصاص في أحكام القرآن: ج ٣، ص ٤٧٥، وفي تفسير ابن كثير: ج ٤، ص ١١٢، عن ابن جرير من حديث السدي عن أبي الديلم وذكر ما جرى بين علي بن الحسين والرجل الشامي يوم جيء به أسيراً إلى الشام وقال له الحمد لله الذي قتلكم فقراً علي ابن الحسين عليه الآيات ومنها هذه وقال نحن قرابته لأن أهل البيت أدلاء على الخير ومسالك النجاة يحملون فضيلة الشرف والسؤدد وفضيلة السلام والوئام وفضيلة الصلاح والرشاد فالإحسان إليهم والمودة لهم تكريماً للرسول الأمين ﷺ وشكراً لما أسداه إلى الأمة من بث التعاليم الأخلاقية والقوانين الحافظة لجامعتهم والمهذبة لهم والمنجية من ورطات الجاهلية الأولى فمن واجب تعظيمه وإسداء المعروف إليه احترام ذريته واللفظ بهم والذب عنهم والانضواء تحت رايتهم (فإن المرء يحفظ في ولده).

واحتمال أن يراد من القربى قرب النبي من قریش أو تقرب الأمة إلى الله بالطاعة يردده قول الإمام السجاد (عليه السلام) العارف بمورد النزول لانتهاله من مصدر الوحي الإلهي وفسره (عليه السلام) بهم حين قال له الشامي: الحمد لله الذي استأصلكم فبكى الشامي من الوضع الذي شاهده وثاب إلى الحق واستغفر مما فرط في حق ولي الله^(١) وورد الحديث عن أمير المؤمنين وابنه الحسن في تفسيرها بهم صلوات الله عليهم^(٢).

فدل على معروفة هذا المعنى المتبادر من لفظ القربى بين الناس في ذلك الزمن القريب من عهد النزول (والإشكال) على الآية بأن طلب النبي (ﷺ) الأجر على تبليغ الوحي لا يليق بمقام الأنبياء المقيضين لهداية البشر وتقريبهم من المولى سبحانه زلفة كما صرح أنبياء الله بنفي الأجرة على التبليغ ففي الحكاية عن هود وصالح وشعيب^(٣) ويوسف^(٤) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) وعن نوح ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾ وفي الحكاية عن النبي (ﷺ) ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ

(١) روح المعاني (للألويسي): ج ٢٥، ص ٣١.

(٢) الصواعق المحرقة: ص ١٠١.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٠٩، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٤.

(٥) سورة يونس، الآية: ٢٢.

لَكُمْ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴿١﴾ وقوله ﴿قَدْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ ...

(غير متوجه) فإن التأمل في هذه الآيات يفيد بأن الأجر المنفي هو المال والأنبياء أرقى من أن يأخذوا جعلاً على تبليغ الدعوة الإلهية لأن طهارة نفوسهم وتخليتهم عن عرض الدنيا يأبى لهم تحري طلب المال على التبشير والدعوة إلى دين التوحيد وما يريد الجليل عز شأنه من إظهار العبودية بامتثال أوامره والانزجار عن نواهيهِ وإقامة نظم الاجتماع فيما بينهم على أن في طلب الجعالة من الناس ثقلاً لا تتحملة طباعهم كما عبر عنه سبحانه بقوله ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٣﴾ وقال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٤﴾ .

والأجر المطلوب في آية المودة لم يكن من سنخ المال حتى يثقل على الطباع تحمله لأن المقصود منه موالاة آل الرسول هو من سنخ الدعوة الإلهية فيليق بمقام النبوة الدعوة إليه والتعريف به ومن المناسب جداً لصاحب الرسالة إعلام الأمة بما تستفيد منه

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٧ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠ .

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٨٠ .

(٤) سورة هود، الآية: ٢٩ .

السعادة الخالدة وزلفى الأبد فإذا يكون طلب النبي (ﷺ) من أمته مودة آله الأقربين وهم الأئمة المعصومون لطفاً منه وحناناً عليهم حيث أنار لهم سبيل الخير ودلهم على الطريق اللاحب وهكذا المصلحون يتحرون بمن يريدون إصلاحهم كل وسيلة تأخذ بهم إلى أسمى الغايات .

فالرسول الأقدس (ﷺ) لم يسأل الأمة مالاً عوض تحمله المشاق في سبيل هدايتهم وإنقاذهم من مخالب الضلال والعمى والإرشاد إلى ما فيه حياتهم وجمع شملهم حتى يستشكل بعدم المناسبة لمقام النبوة وإنما طلب منهم ما يعود نفعه إليهم وبه يستوجبون شمول العطف وهو مودة أهل بيته وقرباه أعني علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرية الحسين (عليه السلام) كما رواه العلامة الألوسي عن زاذان من دون أن يتعقب عليه بل أكدته بنقل بيت الكميت الأسدي إذ يقول :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منها تقي ومعرب
ثم قال والله در السيد عمر الهيثي أحد الأقارب المعاصرين
حيث يقول :

بأية آية يأتي يزيد غداة صحائف الأعمال تتلى
وقام رسول رب العرش يتلو وقد صمت جميع الخلق (قل لا) ^(١)

وأي أحد يتخيل طلب النبي ﷺ من الأمة التعويض بالمال عن تلك المتاعب والجهود وهل يقابل ذلك الخطر الإلهي بهذا العرض الزائل وقد عرضت عليه كنوز الأرض فآثر الأخرى الباقية على ما فيه الفناء .

فحبیب الله ﷺ في سيره وأعماله لا يدعو إلا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ولا تنافي آية المودة سيرته ولا سيرة رسل الله من قبله كما لا يعارضها ما في سورة سبأ: ٤٧ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ﴾ الخ ولا ما في الأنعام: ٩٠ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ﴾ لأن الأجر المنفي في هاتين الآيتين المال الذي يشق على الناس بذله ويتنزه عنه من كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى والمطلوب في آية المودة غير المال وهو محبة آلہ الكاشف عن الإذعان بأقوالهم والخضوع لأوامرهم ونواهيهم وهذا من سنخ العبادة والطاعة .

ولعل الآية في سورة سبأ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ تساعد عليه فإن ظاهرها كالتمهيد للجواب عن هذا الإشكال فإن معنى الآية أن ما يطلبه الرسول من الأجر يعود نفعه إلى الأمة وهو ذكرى للعالمين المنصوص عليه بقوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ فمودة قرباه وآله تقرب الأمة من الله تعالى زلفة وهي شرط لصحة الأعمال .

ولو أعرضنا عن ذلك لا تكون الآيتان المنفي فيهما الأجر

معارضتين لآية المودة لأنهما مكيتان وآية المودة مدنية نازلة بعدهما والمدني لا يعارضه المكي بوجه .

ودعوى ابن تيمية وابن كثير الحنبلي عدم الريب في كون آية المودة مكية لأنها من سورة الشورى التي هي كبقية الحواميم مكية وعليه فأين تزويج علي من فاطمة وأين أولادهما^(١) تدلنا على عدم اطلاعه بكلمات المفسرين أو أنه غض النظر عنهما فإنه لم يصرح أحد بأن الآية مكية وكونه تخيل من إطلاق قولهم (الشورى) مكية أنها بتمام آياتها وهذا غير لازم لأن جملة من الآيات المكية في السور المدنية وبالعكس لعدم كون التأليف على حسب النزول .

(٣) روى محمد بن إبراهيم النعماني عن رجاله أن علي بن الحسين (عليه السلام) سئل عن قوله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢) فقال كان رسول الله ﷺ جالساً في المسجد فقال لأصحابه يطلع عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة يسأل عما يعنيه فدخل المسجد من ذلك الباب رجل طويل شبيه برجال مصر فسلم على النبي ﷺ وقال يا رسول الله إني سمعت الله عز وجل يقول ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ما هذا الحبل

(١) منهاج السنة: ج ٢، ص ١١٨، و ٢٥٠، وتفسير ابن كثير: ج ٤، ص ١١٣ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣ .

الذي أمرنا الله سبحانه بالاعتصام به فأطرق رسول الله ﷺ ملياً ثم رفع رأسه وأشار بيده إلى علي عليه السلام وقال هذا حبل الله الذي من تمسك به عصم في دنياه ولم يضل في آخرته فوثب الرجل إلى علي عليه السلام واحتضنه من وراء ظهره وهو يقول اعتصمت بحبل الله وحبل رسوله ثم خرج فقال رجل ممن حضر ألحقه يا رسول الله وأسأله أن يستغفر الله لي قال ﷺ إذا تجده موفقاً فلحقه الرجل وسأله أن يستغفر الله له قال له الرجل أفهمت ما قال رسول الله ﷺ وما قلت له قال: نعم فقال: إن كنت متمسكاً بذلك فغفر الله لك وإلا فلا غفر الله لك^(١).

(٤) عن ثوير بن فاختة أن علي بن الحسين عليه السلام كان يقول في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ تقرب هابيل إلى الله تعالى بأسمن كبش كان في صيانتته وتقرب قابيل بضغث من سنبل فقبل الله تعالى من هابيل ولم يقبل من قابيل فوسوس إبليس لقابيل بأن أولاد هابيل سيفتخرون على أولادك ويقولون بأننا أولاد من قبل الله قربانه وتحكم فيه هذا الخيال حتى حسد قابيل أخاه هابيل وعزم على قتله لئلا يكون منه نسل ولم يدر كيف يصنع فعلمه إبليس أن يضع رأسه بين حجرين ويقتله ففعل ذلك ولم يدر كيف يواريه حتى جاء غرابان واقتتلا ثم حفر

(١) تفسير البرهان (للسيد هاشم البحراني): ج ١، ص ١٨٩.

أحدهما للآخر وواراه وهو ينظر فقام وحفر لها بيل ودفنه وأصبح من النادمين وصار هذا سنة في دفن الموتى ولما سأله آدم (عليه السلام) عن أخيه ها بيل قال قابيل: أرسلتني عليه راعياً؟ ثم جاء إلى مكان القربان فاستبان آدم (عليه السلام) قتل ها بيل فلعن قابيل وأمر بلعنه وبكى على ولده أربعين سنة حتى أوحى الله إليه إني واهب لك ذكراً يكون خلفاً عن ها بيل فولدت له حواء غلاماً زكياً مباركاً وفي اليوم السابع أوحى الله إليه أن سمّه هبة الله^(١).

(٥) قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ اختلفوا في عددها فعن مجاهد أنها اثنان وعشرون درهماً وعن عكرمة أنها أربعون درهماً وعن الصادق أنها ثمانية عشر درهماً وعن علي بن الحسين (عليه السلام) أنها عشرون درهماً^(٢) وروى السيد هاشم البحراني في تفسير البرهان: ج ١، ص ٤٩٥، عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين حديثاً في تفسير سورة يوسف أعرضنا عنه لطوله.

(٦) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ﴾ قال (عليه السلام) من الشهداء المبطلون وأكيل السبع فقال بعض من حضر ما كنت أرى الشهيد إلا من قتل في سبيل الله فقال إذا

(١) تفسير البرهان: ج ١، ص ٢٨٠.

(٢) مجمع البيان: ج ٥، ص ٢٢٠.

الشهداء قليل^(١) وقال ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ على شيعتنا السؤال فإن شئنا أجبنا وإلا أمسكنا وهذا إما لعدم تحمل السائل جواب الإمام أو لحضور المجلس من لا يرغب الإمام في سماعه وإلا فالأئمة مقيضون لإرشاد الضال فإذا رأوا الصلاح في السكوت عن الجواب لئلا تقع الأمة في المشاكل تركوه.

(٧) في سورة الأعراف: ٣٣ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ روى الحسين بن زيد عن عمه عمر بن علي عن أبيه زين العابدين بن الحسين ﷺ أنه كان يشتري كساء الخبز بخمسين ديناراً ويقول قل من حرم زينة الله الآية^(٢) وعلى هذا مشى الأئمة ﷺ فكان الحسن بن أمير المؤمنين إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه وقتل الحسين وعليه جبة خز ولبس الصادق جبة خز وطيلسان خز فإذا قيل لهم في ذلك قرأوا هذه الآية^(٣) ولما رأى سفيان الثوري على أبي عبد الله الصادق ﷺ ثياباً مرتفعة القيمة قال له لم يلبس مثل هذا رسول الله ﷺ فقال ﷺ كان رسول الله في زمان قتر وإن الدنيا بعد ذلك

(١) التهذيب: ج ٢، ص ٥٤.

(٢) مجمع البيان: ج ٤، ص ٤١٣، ورواه الألويسي في روح المعاني: ج ٨، ص ١١١.

(٣) مجمع البيان: ج ٤، ص ٤١٢.

أرخت عزاليها وأحق أهلها بها أبرارها ثم رفع سلام الله عليه الثوب الظاهر وإذا تحته ثوب غليظ فقال يا سفيان هذا لبسته لنفسي وهذا للناس ثم رفع ما على سفيان من الثوب الظاهر وكان غليظاً خشناً وإذا تحته مما يلي جلده ثوب ناعم لين فقال يا سفيان لبست هذا للناس ولبست لنفسك اللين تستره عنهم ولا يستر عن الله تعالى^(١).

(٨) قوله تعالى في هود: ١١٩ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفِينَ﴾ (١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴿﴾ روى سعيد بن المسيب أن علي بن الحسين (عليه السلام) قال عنى بهم أولياء لنا من المؤمنين ولذلك خلقهم من الطينة الطيبة أما تسمع لقول إبراهيم ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ﴾ إيانا عنى بذلك وأوليائه وشيعته وشيعة وصيه ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ عنى بذلك من جحد وصيه ولم يتبعه من أمته وكذلك والله حال هذه الأمة^(٢).

(٩) قوله تعالى في التوبة: ١٠٥ ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ روى محمد بن مسلم عن الصادق (عليه السلام) عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال إني أضمن على ربي تعالى أن الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرب وكان (عليه السلام) إذا أعطى السائل قبل

(١) تفسير الصافي: ص ١٧٣.

(٢) تفسير البرهان: ج ١، ص ٤٩٣.

ما في يده وشمه ثم يضعه في يد السائل ويقول ليس من شيء إلا وكل به ملك إلا الصدقة فإنها تقع في يد الله تعالى^(١).

(١٠) قوله تعالى في البقرة: ١٤٩ ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ﴾ روى محمد بن إبراهيم المعروف بابن أبي زينب بالإسناد إلى علي بن الحسين عليه السلام أنه قال الفقهاء قوم يفقدون من فرشهم فيصبحون بمكة وهو قول الله تعالى ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ الخ وهم أصحاب القائم عليه السلام وفي رواية ابن بابويه عنه عليه السلام عدتهم كعدة أصحاب بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر^(٢).

(١١) قوله تعالى في البقرة: ٢٠٧ ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ عن السجاد عليه السلام المراد من السلم ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وخطوات الشيطان ولاية غيره^(٣).

(١٢) قوله تعالى في الزمر: ٥٦ ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ روى فرات بن إبراهيم الكوفي بالإسناد إلى علي بن الحسين عليه السلام أنه سئل عن المراد بذلك قال جنب الله علي ابن أبي طالب عليه السلام وهو حجة الله على الخلق فإذا كان يوم القيامة أمر الله خزان جهنم أن يدفعوا مفاتيحها إلى علي عليه السلام فيدخل من

(١) تفسير الصافي: ص ٢٢٣، وتفسير البرهان: ج ١، ص ٤٤١، عن العياشي.

(٢) إكمال الدين (للصدوق): ص ٣٦٧، والغيبة (للنعماني): ص ١٧٠.

(٣) تفسير البرهان: ج ١، ص ١٢٩.

يريد وينجي من يريد وذلك أن رسول الله ﷺ قال يا علي من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني يا علي أنت أخي وأنا أخوك يا علي إن لواء الحمد معك يوم القيامة تقدم به قدام أمتي والمؤذنون عن يمينك وشمالك^(١).

(١٣) قوله تعالى في الزخرف: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ روى سعيد ابن المسيب أنه سأل علي بن الحسين عن هذه الآية فقال إن الله تعالى عنى أمة محمد أن يكونوا على دين واحد كفاراً طمعاً في أن يكون لبيوتهم سقفاً من فضة ولو فعل ذلك لحزن المؤمنون وغمهم ذلك ولم يناكحوهم ولم يوارثوهم^(٢) أراد ﷺ التنبيه على عطف المولى سبحانه على المؤمنين ألا يصيبهم غم وضيق من جهة ما يشاهدونه من اجتماع عامة الأمة على الكفر والضلال طمعاً في القلب بنعيم الدنيا فلذلك لم يعط الكافرين الدنيا بتمامها.

(١٤) قوله تعالى في الزمر: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ حدث ثوير بن فاختة قال سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يقول إذا كان يوم القيامة بعث الله

(١) تفسير فرات: ص ١٣٣.

(٢) الوافي: ج ٣، ص ١٣٦.

الناس من حفرهم غرلاً بُهْماً جرداً مرداً في صعيد واحد يسوقهم
النور وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة المحشر فيركب
بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها فيمنعون من المضي فتشتد
أنفاسهم ويكثر عرقهم وتضيق بهم أمورهم ويشتد ضجيجهم
وترتفع أصواتهم وهو أول هول من أهوال القيامة فعندها يشرف
الجبار تبارك وتعالى من فوق العرش ويقول يا معشر الخلائق
أنصتوا واسمعوا منادي الجبار فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم
فتخشع قلوبهم وتضطرب فرائصهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية
الصوت مهطعين إلى الداعي ويقول الكافر هذا يوم عسير فيأتي
النداء من قبل الجبار أنا الله لا إله إلا أنا الحكم الذي لا يجوز
أحكم اليوم بينكم بعدلي وقسطي لا يظلم اليوم عندي أحد آخذ
للضعيف من القوي ولصاحب المظلمة بالقصاص من الحسنات
والسيئات وأثيب على الهبات ولا يجوز هذه العقبة ظالم ولا أحد
عنده مظلمة إلا مظلمة يهبها لصاحبها وأثيبه عليها وآخذ له بها
عند الحساب فتلازموا أيها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من
ظلمكم بها في الدنيا وأنا شاهدكم عليها وكفى بي شهيداً .

فيتعارفون فلا يبقى أحد له مظلمة عند أحد أو حق إلا لزمه
فيمكثون ما شاء الله فيشتد حالهم ويكثر عرقهم وترتفع أصواتهم
ويتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها فيأتي النداء من قبل
الجبار جل جلاله أيها الخلائق أنصتوا لداعي الله واسمعوا إن الله

يقول أنا الوهاب إن أحببتهم تواهبتهم وإلا أخذت بمظالمكم فيفرحون بذلك لشدة جهدهم وضيق مسلكهم فيهب بعضهم مظلمته لبعض رجاء الخلاص مما هم فيه ويبقى بعضهم يقولون مظالمنا أعظم من أن نهبها فعندها يأمر المولى سبحانه رضوان خازن الجنان أن يظهر قصراً من فضة بما فيه ثم يأمرهم جل شأنه أن يرفعوا رؤوسهم وينظروا إلى كرامة الله تعالى فإذا رأوا ذلك القصر تمنى كل منهم أن يكون له فيأتي النداء هذا لكل من عفا عن مؤمن فعندها يعفون إلا القليل فيقول الله لا يجوز إلى جنتي ظالم ثم يدفعون إلى العقبة يكرد بعضهم بعضاً فينتهون إلى العرش وقد نشرت الدواوين وأحضر النبيون والشهداء وهم الأئمة يشهد كل إمام على أهل عالمه أنه قد قام فيهم بأمر الله ودعاهم إلى سبيله .

فقال رجل لعلي بن الحسين إذا كان للمؤمن على الكافر حق فأني شيء يؤخذ منه وهو من أهل النار قال (عليه السلام) يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافر ويعذب الكافر بها مع عذابه فقال الرجل وإن كان للمسلم على المسلم مظلمة فما يؤخذ منه قال (عليه السلام) يؤخذ من حسنات الظالم وتعطى للمظلوم بقدر ما له عليه فقال الرجل وإن لم يكن للظالم حسنات فما يؤخذ منه قال (عليه السلام) إن كان للمظلوم سيئات تزداد على سيئات الظالم بقدر ما له من الحق عليه^(١) .

(١) تفسير البرهان: ج ٢، ص ٩٤٥ عن الكليني .

(١٥) قوله تعالى في المؤمن: ٣٤ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ حدث سعيد بن جبير عن سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال لما حضرت يوسف الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله وأثنى عليه ثم أخبرهم بشدة تنالهم يقتل فيها الرجال وتشق بطون الحبالى وتذبح الأطفال حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوي بن يعقوب وهو رجل أسمر طويل ووصفه لهم بنعته فتمسكوا بذلك ووقعت الغيبة واشتدت المحنة على بني إسرائيل وهم ينتظرون قيام القائم أربعمائة سنة حتى إذا بشروا بولادته ورأوا علامات ظهوره اشتدت البلوى عليهم وحمل عليهم بالخشب والحجارة وطلبوا الفقيه الذي يستريحون إلى أحاديثه فاستتر وراسلوه إنا كنا في الشدة نستريح إلى أحاديثك فامن علينا بظهورك فخرج بهم إلى بعض الصحارى وأخذ يحدثهم بحديث القائم وينعته لهم ويذكر لهم قرب مواعده وبيننا هم على هذا إذ طلع عليهم موسى بن عمران عليه السلام وكان في ذلك الوقت حدث السن في بيت فرعون وقد خرج مظهراً للنزهة فعدل بهم عن الطريق وكانت تحته بغلة وعليه طيلسان خز فعرفه الفقيه بالنعته وانكب عليه يقبل قدميه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيته وقبّل الجماعة قدميه فقال موسى عليه السلام أرجو أن يعجل الله فرجكم.

ثم غاب بعد ذلك وخرج إلى مدينة (مدين) فأقام عند شعيب مدة ثم كانت الغيبة الثانية واشتدت الحالة عليهم أكثر من الأولى إلى نيف وخمسين سنة وراسل المؤمنون ذلك الفقيه فخرج بهم إلى بعض الصحاري وطمنهم بظهور الفرج وطيب نفوسهم بأحاديثه ونصائحه وأعلمهم أن الله تعالى أوحى إليه أنه مفرج عنهم بعد أربعين سنة فحمدوا الله على ذلك فأوحى الله إليه جعلتها ثلاثين لشكرهم وحمدهم فقالوا كل نعمة فمن الله فأوحى إليه إني جعلتها عشرين فقالوا لا يأتي بالخير إلا الله فأوحى إليه إني جعلتها عشراً فقالوا لا يصرف السوء إلا الله فأوحى الله إليه قل لهم لا تبرحوا فقد أذنت في فرجكم .

فبينما هم على هذا إذ طلع عليهم موسى (عليه السلام) راكباً حماراً فأخذ الفقيه يسأله عن اسمه ونسبه وهو عارف به لأجل أن تتبصر الشيعة به قال له ما اسمك قال موسى بن عمران بن فاهث بن لاوي بن يعقوب قال له بماذا جئت قال بالرسالة من عند الله فقام إليه الفقيه وقبل يده وجلس موسى (عليه السلام) معهم وطيب نفوسهم بظهور الفرج ثم فارقهم فكان بين ذلك الوقت وبين الفرج بغرق فرعون أربعون سنة^(١) .

(١٦) قوله تعالى في المزمّل : ٤ ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال (عليه السلام)

معناه بينه تبياناً ولا تنثره نثر البقل ولا تهذه هذ الشعر قفوا عند عجائبه لتحركوا به القلوب ولا يكون هم أحدكم آخر السورة^(١).

(١٧) قوله تعالى في الزمر: ٦٨ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ حدث ثوير بن فاختة أن علي ابن الحسين عليه السلام سئل عن النفختين كم بينهما قال: ما شاء الله قيل له يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه قال أما النفخة الأولى فإن الله تعالى يأمر إسرافيل يهبط إلى الدنيا ومعه الصور وللصور رأس واحد وطرفان فإذا رآته الملائكة هابطاً إلى الأرض علموا أن الله أذن في موت أهل الأرض وأهل السماء فيهبط إسرافيل بحضرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فينفخ فيه فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يسمعه ذو روح إلا صعق ومات ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماء فلا يسمعه ذو روح في السموات إلا صعق ومات إلا إسرافيل فيقول الله له مت فيموت ويمكثون ما شاء الله ثم يأمر الله السماوات فتمور وتبسط الجبال وتبدل الأرض غير الأرض بأن لا يكون فيها نبات ولا جبال كما دحاها أول مرة وينادي الجبار جل جلاله لمن الملك فلا يجيبه أحد إلا هو يقول لله الواحد القهار إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخلق بيدي وأمتهم بمشيئتي

(١) نوارد الراوندي: ص ٣٠ ملحق بالغيبة (للمفيد).

وأحييهم بقدرتي ثم ينفخ في الصور فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات فلا يبقى أحد فيها إلا قام بإذن الله وتحضر الجنة والنار والخلائق للحساب ثم بكى علي بن الحسين (عليه السلام) ^(١).

والنفخة الثانية في الصور لا تستلزم التشبيه لأنه سبحانه وتعالى لم يكن هو المصوت بنفسه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وإنما جل شأنه يودع في الصور صوتاً حسبما تقتضيه مشيئته كما اقتضت إيداع الصوت في الشجرة عند خطابه مع نبيه موسى بن عمران (عليه السلام).

(١٨) قوله تعالى في البقرة: ٢٢ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يحدث الصدوق عن رجاله أن علي بن الحسين كان يقول في معنى هذه الآية أنه سبحانه جعل الأرض ملائمة لطباعكم موافقة لأجسادكم ولم يجعلها شديدة الحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم ولا شديدة الريح فتصدعكم ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وقبور موتاكم ولكنه عز وجل جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم وجعل فيها كثيراً من منافعكم وجعل السماء سقفاً محفوظاً من فوقكم يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم وأنزل من السماء ماءً من على ليبلغ قلل

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٥٨٠، وتفسير البرهان: ج ٢، ص ٩٤٣.

جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم ثم فرقه رذاذاً ووبلاً لا هطلاً فيفسد أرضكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم وأخرج من الأرض رزقاً لكم فلا تجعلوا مع الله أنداداً أشباهاً وأمثالاً وأصناماً لا تعقل ولا تبصر ولا تسمع وأنتم تعلمون أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعم بها عليكم ربكم تعالت آلاؤه ونعمائه^(١).

(١٩) قوله تعالى في القصص: ٨٥ ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ قيل المعاد هو المحل العظيم القدر المألوف له عادة وقيل باشتقاقه من العود واختلفوا هل المراد منه العود إلى الموت أو القيامة أو بيت المقدس وإلى كل ذهب فريق وهو من التخرص على الغيب والمروي عن ابن عباس وغيره أنها مكة لأنه ﷺ لما نزل الجحفة اشتاق إليها فعرفه جبرائيل بالرجوع إليها عند الفتح واستظهر الشيخ الطوسي في التبيان أنه العود إلى الجنة في النشأة الثانية وبه فسرہ الطبرسي في جوامع الجامع وفي تفسير الأصفي للفيض أنه الرجعة وبه جاء حديث أبي خالد عن زين العابدين عليه السلام قال «المعاد» رجعة النبي وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام إليكم^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا (للصدوق): ص ٧٨ باب ١١ في ما جاء عن الرضا عليه السلام في التوحيد.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٤٩٤.

(وحدث الرجعة) من متفرقات الإمامية وقد اتفقت كلمتهم عليها في الجملة حتى أصبحت من ضروريات مذهبهم إيماناً بأحاديث أئمتهم (عليهم السلام) المتواترة معنى المروية في جوامع الثقات من الأعلام ولاشتهارها بينهم نظموها في أشعارهم واحتجوا بها على المخالفين كما أن أعداءهم شنعوا بها عليهم حتى ردوا رواية من لا ذنب له إلاّ الإيمان بالرجعة وطعنوا في جابر الجعفي لأنه يؤمن بالرجعة^(١) وأنهى المجلسي في البحار: ج ١٣، ص ٢٣١، أكثر من خمسين مؤلفاً في الرجعة لعلماء أجلاء أمثال الكليني والمفيد والصدوق والطوسي والمرتضى وابن قولويه وفيه وفي شرح الأربعين: ص ١٣١ أن رجعة النبي وعلي والحسين (عليهم السلام) مما لا إشكال فيه للأخبار الكثيرة الدالة عليها وأما سائر الأئمة فالأخبار وإن كانت متوفرة لكنها لم تبلغ تلك المرتبة إلاّ أن مقتضى التسليم التوقف وعدم الرد والطعن وأما زمان الرجعة وعدد أيامها وخصوصياتها فالأخبار بها مختلفة واللازم التدين بها في الجملة اهـ.

(٢٠) قوله تعالى في التكاثر: ٨ ﴿لَسُّلُنٌ يَوْمِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

اختلفوا في النعيم المسؤول عنه ففي التبيان للشيخ الطوسي روى عن عمر بن الخطاب أنه النورة في الحمام ونقل الألوسي في روح المعاني روايات في المراد منه ففي بعضها أنه الأمن والصحة وفي آخر العافية وفي ثالث أكل خبز البر والنوم في

(١) تهذيب التهذيب (لابن حجر): ج ٣، ص ٤٨.

الظل وشرب ماء الفرات مبرداً وفي رابع كسرة تقوته وماء يرويه
 وثوب يواريه وفي خامس ملاذ المأكول والمشروب وفي سادس
 تخفيف الشرائع وتيسير القرآن قال ويروي جابر الجعفي عن
 الباقر عليه السلام أنه رسول الله ﷺ لأن الله أنعم به على العالم
 فاستنقذهم من الضلالة وروى العياشي من الإمامية أن أبا عبد
 الله عليه السلام قال لأبي حنيفة ما النعيم عندك يا نعمان قال القوت من
 الطعام والماء البارد فقال أبو عبد الله عليه السلام لئن أوقفك الله بين
 يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولن
 وقوفك بين يديه فقال أبو حنيفة فما النعيم قال نحن أهل البيت
 أنعم الله بنا على العباد وبنا ائترفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا
 ألف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً وبنا
 هداهم إلى الإسلام وهو النعمة التي لا تنقطع اهـ.

وتفسير النعيم بولاية أهل البيت عليهم السلام وردت به أخبار كثيرة
 رواها المجلسي في البحار: ج ٧، ص ١٠١، ويحدث زين
 العابدين عليه السلام عن آبائه أن رسول الله ﷺ قال يا علي أول ما يسأل
 عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
 وأنت ولي المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك فمن أقر بذلك
 وكان يعتقد صار إلى النعيم الذي لا زوال له ^(١).

(١) مشكاة الأدب: ج ٢، ص ٩٢، في أحوال السجاد تأليف ميرزا عباس =

والتلقين بالشهادتين والولاية لعلي (عليه السلام) فعله المشرع الأعظم لما دفن فاطمة بنت أسد فروى ابن عباس لما أنزل النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة بنت أسد إلى القبر لقنها وقال يا فاطمة أنا سيد ولد آدم ولا فخر فإن أتاك منكر ونكير وسألاك من ربك فقول الله ربي ومحمد نبيي والإسلام ديني والقرآن كتابي وابني إمامي ووليي ثبتك الله يا فاطمة بالقول الثابت^(١)، وهذا أصح مما روي أنها توقفت عن الإقرار بإمامة ابنها فصاح النبي (صلى الله عليه وآله) ابنك علي لا جعفر ولا عقيل لأن في طريقه محمد بن جمهور العمي الضعيف عند النجاشي والكشي وابن الغضائري والعلامة الحلي.

ويفيدنا هذا الحديث فقهاً بملازمة الشهادة لأمر المؤمنين بالولاية للشهادة لله تعالى بالتوحيد وللنبي (صلى الله عليه وآله) بالرسالة ومحافظة النبي (صلى الله عليه وآله) على الإقرار بالولاية لعلي (عليه السلام) حتى في آخر المراحل وفعله مع والده أمير المؤمنين تعليم للأمة بما فيه سعادتهم وهذا لون من ألوان الدعوة إلى ولاية علي (عليه السلام) على الأمة ولكن أعداءه لم يهضموا ذلك فاختلفوا حديثاً ينص على التلقين بخصوص الشهادة لله بالوحدانية فرووا عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال لقنوا موتاكم

= قليخان الملقب بسبهر بن ميرزا محمد تقي لسان الملك صاحب ناسخ التواريخ وفي تفسير علي بن إبراهيم: ص ٧٣٨ أنه الولاية ولم يسنده إلى الرواية.

شهادة أن لا إله إلا الله^(١) وفي آخر من لقن لا إله إلا الله عند موته دخل الجنة^(٢) وفي ثالث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة^(٣) وفي رابع تهدم الخطايا^(٤) مع أن الاعتراف لنبي الإسلام بالرسالة ملازم للإقرار بالشهادة لله بالوحدانية وإلاّ فما فائدة الإقرار بلا إله إلاّ الله من دون أن تتبعه الشهادة بالرسالة لأن الغاية من التلقين هو التذكير بحقيقة الإسلام في وقت تعرض الشيطان ووسوسته ليبقى العبد على القول الثابت وقد فعله رسول الله مع ولده إبراهيم فإنه لما مات لقنه بقوله قل الله ربي ورسول الله أبي والإسلام ديني^(٥) لتمضي الأمة على الآداب الإلهية فتفوز بالسعادة ويحدث ابن تيمية أن جماعة من التابعين استحَبوا أن يقال للميت عند قبره يا فلان قل لا إله إلاّ الله اشهد أن لا إله إلاّ الله ثلاث مرات وقل ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ

(١) في فتح القدير (لابن همام الحنفي): ج ١، ص ٤٤٦، أخرجه الجماعة إلاّ البخاري عن الخدري وذكر الحديث في بدائع الصنائع: ج ١، ص ٢٩٩، وتأريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣٣٥.

(٢) كنز العمال: ج ٨، ص ٧٨، وكنوز الحقائق على هامش الجامع الصغير: ج ٢، ص ١١٨.

(٣) الجامع الصغير (للسيوطي): ج ٢، ص ١٧٨.

(٤) الإصابة: ج ٢، ص ٤٧٨ بترجمة عروة بن مسعود.

(٥) السيرة الحلبية: ج ٣، ص ٣٤٩.

وروى عبد العزيز الحنبلي أن رسول الله ﷺ أمر أن يقام عند رأس القبر ويقال يا فلان بن فلانة اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنت رضىت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً وإن لم يعرف أمه نسبه إلى حواء فيقول يا فلان بن حواء الخ^(١) والتلقين بعد الموت وهو في القبر نسبه ابن همام إلى الرواية وعمل أهل السنة خلافاً للمعتزلة ثم قال وقيل لا يؤمر به ولا ينهى عنه بل يقول يا فلان يا بن فلان اذكر دينك الذي كنت عليه في دار الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وذكر عبد الرحمن المدعو بشيخ زاده أن الميت إذا وضع في قبره تعود إليه روحه وعقله ويفهم ما يلحق به فيقال له يا فلان بن فلان اذكر دينك الذي كنت عليه وقل رضىت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبهذا قال الشافعي^(٢) وإذا كانت فائدة التلقين التذكير بالعهد الذي كان عليه ليكون على استعداد في الجواب عما ألزم به الإسلام فإذا يكون الاعتراف بالولاية لأمر المؤمنين (عليهم السلام) الثابتة بصريح قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ بعد تفسير الحديث بأن علي بن أبي

(١) نيل الأوطار: ج ٤، ص ٧٧.

(٢) فتح القدير: ج ١، ص ٤٤٦.

(٣) مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر: ج ١، ص ١٧٩.

طالب عليه السلام هو المعني بالآية الكريمة كالشهادة لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ولذا لقن النبي الأعظم عليه السلام فاطمة بنت أسد به ولما وضع أمير المؤمنين فاطمة الزهراء عليها السلام في القبر وسوّاه عليها سألها الملكان وقالوا من ربك قالت الله ربي قالوا ومن نبيك قالت أبي محمد عليه السلام قالوا ومن إمامك قالت هذا القائم على قبري علي عليه السلام.

(٢١) قوله تعالى في مريم: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ﴿٢١﴾ روى الشيخ الطوسي بالإسناد إلى أبي حمزة الثمالي عن زين العابدين أن مريم عليها السلام خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء فوضعت عيسى عليه السلام في موضع قبر الحسين عليه السلام ثم رجعت من ليلتها^(١) وفي هذا تكريم لنبي الله ورسوله إلى البشر عامة داعياً ومبشراً ونذيراً بولادته في أفضل بقعة قدسها الله وطهرها واختارها مضجعاً لوليّه المنحور على مجزرة الشهادة الإلهية فأحب سبحانه وتعالى أن يكون صاحب دعوته ومرشد عباده إلى نهج الحق متبركاً بأزكى البقاع وأقدس تربة أعدت لسيد شباب أهل الجنة وغير عزيز على المولى سبحانه أن يمنح أوليائه المقربين بالإلهام أو بمخاطبة أحد ملائكته للتشرف بهذا المحل الأظهر ثم يطوي له الأرض إذاً فلا غرابة في مجيء مريم عليها السلام من

(١) التهذيب: ج ٢، ص ٢٦، وتفسير البرهان: ج ٢، ص ٦٥٧.

أرض الشام إلى كربلاء ورجوعها إليه في ليلة واحدة.

(ومن حديث كربلاء والكعبة لم تخلق الكعبة لولا كربلاء) وكربلاء نالت بمن فيها العلا
تزهركربلاء لأهل الجنة كالكوكب الدرّي في الدجنة
لقد علت قدراً بمن فيها ثوى (برشة من دمه مطهره)
فذاك بيت أذن الله بأن يرفع قدراً فبه أدّ السنن^(١)

(١) ما بين قوسين من الدرة (للسيد بحر العلوم) والباقي من المقبولة الحسينية
(للحجة آية الله الشيخ هادي آل كاشف الغطاء (قدس سره)).

في فقه الشريعة

لقد عرفت أن الظروف القاسية حرجت على الإمام زين العابدين عليه السلام إظهار نفسه للناس فلم يمكنه التجاهر ببيان أحكام الشريعة ولا يسعه فتح الباب لمن أشكل عليهم أمر الدين والدنيا ولا فصل الخصومات وتهذيب النفوس من درن الأخلاق الذميمة ولذا كانت عمته زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام شريكة الحسين عليه السلام في الدعوة الإلهية هي المرجع للأمة سترأً على (السجاد) من طواغيت زمانه وبذلك أوصاها أبو عبد الله سيد شباب أهل الجنة نعم ظهر في ثنايا العقبات شعاعه الوهاج في فقه الشريعة فأبصرت الأمة به طريقها اللاحب جمعنا للقارئ ما أمكننا الوقوف عليه منه وهو قليل من كثير.

(١) إن الشهيد زيدا سأل أباه زين العابدين عليه السلام عن أن النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء وأمره الله بخمسين صلاة لماذا لم يسأل ربه تعالى التخفيف عن أمته حتى طلب منه موسى بن عمران ذلك فقال عليه السلام : يا بني إن رسول الله ﷺ لا يقترح على ربه

تعالى ولا يراجعه في ما يأمره به فلما سأله موسى (عليه السلام) التخفيف عن أمته أجاب طلبته وصار شفيعاً لأُمته ولم يجز رد شفاعته أخيه موسى (عليه السلام) فلذلك رجع إلى ربه وسأله التخفيف إلى أن ردها إلى خمس صلوات فقال زيد الشهيد يا أبة لِمَ لَمْ يرجع إلى ربه تعالى ويسأله التخفيف وقد طلب منه (عليه السلام) ذلك فقال (عليه السلام) : يا بني أراد رسول الله (ﷺ) أن يحصل لأُمته التخفيف مع أجر خمسين صلاة لقول الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ألا ترى أنه لما هبط إلى الأرض نزل عليه جبرائيل وقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول إنها خمس بخمسين ما يبدل لديّ القول وما أنا بظلام للعييد.

فقال زيد الشهيد يا أبة أليس الله عزّ وجل لا يوصف بمكان قال (عليه السلام) بلى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فقال زيد ما معنى قول موسى (عليه السلام) ارجع إلى ربك فقال (عليه السلام) معناه قول إبراهيم (عليه السلام) ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ومعنى قول موسى (عليه السلام) ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ ومعنى قول الله عزّ وجل ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ يعني حجوا إلى بيت الله .

يا بني الكعبة بيت الله فمن حج بيت الله فقد قصد الله والمساجد بيوت الله ومن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه والمصلي ما دام في صلاته فهو واقف بين يدي الله عزّ وجل وإن لله تعالى بقاعاً في سماواته فمن عرج به إلى بقعة فقد عرج به إلى

الله ألا تسمع قول الله تعالى ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ويقول سبحانه في قضية عيسى عليه السلام ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ويقول عز وجل ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١).

وهذا الحديث أصح مما ورد في مسألة التخفيف فإنه يتفق مع ما نعتقده من سعة علم النبي ﷺ وإحاطته بما كان ويكون إقداراً له من الباري جل شأنه وأن موسى عليه السلام مهما بلغ من الرفعة حتى استحق أن يكلمه الله تعالى لا يبلغ شأو حبيب الله وصفيه والمصطفى من أنبيائه ورسله ولما سأله موسى عليه السلام في المراجعة للتخفيف عن أمته لم يسعه ترك إجابته فتقديراً لشفاعة موسى عليه السلام وتكريماً له استسهل المراجعة وإلا فالرسول الأقدس الواصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى عارف بمقام المولى عز شأنه بما لم يصل إليه نبي مرسل أو ملك مقرب فلا يستطيع المراجعة لولا تلك الشفاعة من نبي الله موسى عليه السلام.

ويفيدنا هذا الحديث فقهاً باحترام الشفيع وإكباره وتقدير سؤاله وامتنال ما يطلبه المؤمن في ما أهمه لأن فيه ربط المحبة وإحكام الموالاة وتأليف القلوب وعقد وثائق صلات التآخي.

(٢) روي عن زين العابدين عليه السلام أن أباه الحسين عليه السلام لما سمع الناس يذكرون السبب في تشريع الأذان وهو رؤيا عبد الله بن زيد

(١) من لا يحضره الفقيه: ص ٣٩.

أخبر بها النبي (ﷺ) فأمر بالأذان غضب سيد الشهداء (عليه السلام) وقال: الوحي ينزل على الرسول ويزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله ابن زيد والأذان وجه دينكم ولقد سمعت أبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول أهبط الله ملكاً عرج برسول الله إلى السماء إلى أن قال وبعث الله ملكاً لم ير في السماء قبل ذلك الوقت ولا بعده فأذن وأقام وذكر كيفية الأذان ثم قال جبرائيل للنبي (ﷺ) يا محمد هكذا أذن للصلاة^(١).

وحكاية الأذان في المعراج جاءت بها رواية محمد بن الحنفية عن أبيه^(٢) وخرجه الطبراني من طريق سالم بن عبد الله بن عمر والدارقطني في الأفراد من حديث أنس^(٣) وأبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار من حديث زياد بن المنذر عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٤) والشيخ الكليني من طريق زرارة والفضيل عن أبي جعفر محمد الباقر (عليه السلام) قال لما أُسري برسول الله (ﷺ) إلى السماء وبلغ البيت المعمور أذن جبرائيل وأقام وتقدم النبي (ﷺ) فصلى

(١) دعائم الإسلام (للنعمان): ج ١، ص ١٧٢ مصر.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٢، ص ١٠٣.

(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية: ج ١، ص ٣٧٩.

(٤) الروض الأنف (للسهيلي): ج ٢، ص ٢٠، وشرح الشفا (للخفاجي): ج ٢،

ص ٣٠٧، والفتاوى الحديثة (لابن حجر): ص ١٥٢.

بالأنبياء والملائكة^(١) ومن طريق منصور بن حازم عن أبي عبد الله الصادق أن جبرائيل هبط بالأذان على النبي وكان رأسه في حجر أمير المؤمنين فأذن وأقام فلما انتبه النبي سأل أمير المؤمنين عما سمعه ووعاه من الأذان فقال: نعم قال علمه بلالاً^(٢).

من هذا يتجلى أن الأذان كبقية الأحكام الموحى بها إلى نبي الإسلام وهو صلوات الله عليه وعلى آله وإن كان مسدداً بالفيض الأقدس ومستغنياً بالإرادة الإلهية عن الاستعانة بأي أحد فقد صدرت منه المشاورة مع أصحابه لأجل أن يعرفهم خطأ الاستبداد بالرأي والتعرف بأن الرجل مهما بلغ الرتبة العالية في الإدراك قد يضل في الرأي فكانت الصحابة تبصر من أشعة أمره بالاستشارة فوائد مهمة إلا أن مشاورته مع أصحابه مقصورة على الأمور العادية وما يتعلق بمصالح الحرب وأما الأحكام الإلهية الشرعية فلا مجال للتشاور فيها^(٣) ومنها الولاية لأمر المؤمنين ﷺ الثابتة بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وغيره لأنها لا تصدر إلا من حكيم عليم بالمصالح الباعثة عليها والمفاسد الموجهة للزجر يوحىها إلى من حباه بالسفارة الكبرى فيبلغها العباد ويرشداهم إلى الطريقة المثلى.

(١) الكافي على هامش مرآة العقول: ج ٣، ص ١٢٠.

(٢) الكافي ومن لا يحضره الفقيه: ص ٥٧.

(٣) أحكام القرآن (لابن العربي): ص ٢٠٥.

والأذان بما أنه نداء للأمة ودعوة للانقياد إلى (الحق) عزّ شأنه وبه التأهب لما هو (معراج المؤمن) لا يعدوه الوحي الإلهي مضافاً إلى وقوف الرسول الأطهر (عليه السلام) عليه ليلة الإسراء التي صلى فيها بالأنبياء والملائكة غير أن تدرج التشريع في الأحكام أرجأ الأمر به إلى ما بعد الهجرة كغيره من الفرض والمندوب والمكروه إن لم نقل به قبل الهجرة كما يدل عليه قوله تعالى في حم السجدة: ٣٣ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) في السيرة الحلبية: ج ٢، ص ١٠٠، نقلاً عن الدر المنثور للسيوطي أنها نزلت بمكة في شأن المؤذنين ووافقه ابن العربي في أحكام القرآن: ج ٢، ص ٢١٣، والألوسي في روح المعاني: ج ٢٤، ص ١٢٢، والشيخ الطوسي في التبيان: ج ٢، ص ٥٤٧، غاية الأمر ذهبوا إلى تأخر حكمه إلى ما بعد الهجرة.

وقد أجمعت الإمامية على كون الأذان مما نزل به الوحي الإلهي كبقية الأحكام^(١) حتى عدوه من ضروريات مذهبهم^(٢) وإليه تنبه الشهاب الخفاجي فقال: الظاهر أن الأذان ثبت بحديث الإسراء ولم يبين زمانه ولم يمكن إعلامه قبل الهجرة فأخر ذلك

(١) مرآة العقول (للمجلسي): ج ٣، ص ١٢٠.

(٢) كتاب الجواهر في الفقه.

حتى يستقر ظهور الدين^(١) ويشهد له حديث أنس بن مالك قال لما تذاكر الناس في ما يعلمون به وقت الصلاة من إشعال النار أو الضرب بالناقوس أمر النبي ﷺ بلائاً أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة^(٢) وإني لم أرتأ هذه الكيفية للأدلة القوية على خلافه إلا أن المماشة مع أحاديثهم دعت إلى تسجيله فالنبي ﷺ لو لم يكن واقفاً على كيفية الأذان لا يسعه الأمر به وذكر الزمخشري والفخر الرازي أن قوله تعالى في المائدة: ٥٨ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ دال على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده^(٣) وقال البيضاوي فيها دلالة على مشروعية الأذان للصلاة^(٤) ونقل العيني عن الداودي أن جبرائيل نزل بالأذان على النبي ﷺ قبل أن يخبره عبد الله وعمر بثمانية أيام^(٥) وعليه فهل يبقى مجال للتشاور في الإعلام بالوقت بحضرة الرسول ﷺ وقد عرف الأذان بالوحي .

(١) شرح الشفاء: ج ٢، ص ٣٠٧، طبع سنة (١٣٢٦).

(٢) صحيح البخاري: ج ١، ص ١٠٠، وصحيح مسلم: ج ١، ص ١٥٠، وسنن البيهقي: ج ١، ص ٣٩٠، وسنن النسائي: ج ١، ص ١٠٢، وعمدة القاري:

ج ٢، ص ٦١٨، عن ابن حبان ومسنده أبي عوانة: ج ١، ص ٣٢٦ عن ابن عمر.

(٣) تفسير الكشاف: ج ١، ص ٣٤٧، وتفسير الرازي: ج ٣، ص ٤٢٣.

(٤) تفسير البيضاوي: ج ١، ص ٣٤٦.

(٥) عمدة القاري شرح البخاري: ج ٢، ص ٦٢٣، والزرقاني على المواهب

اللدنية: ج ١، ص ٣٧٨.

هذا ما وقفنا عليه مما دل على تشريع الأذان كما هو مذهب الإمامية ولكن الطائفة الأخرى من المسلمين خرقوا قدس التشريع بإخراج (الأذان) عن سنن الوحي معتمدين على رؤيا عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري بتلفيق ما يحط من كرامة الإسلام وصاحب الدعوة الإلهية فقالوا إن النبي ﷺ لما دخل المدينة بقي مدة يصلي بلا أذان فشق على المسلمين معرفة الوقت وتشاوروا بحضرة الرسول الأعظم ﷺ في ما يرشدهم إلى أوقات الصلاة فارتأى بعضهم الضرب بالناقوس وآخر النفخ بالشبور بتشديد الموحدة وهو البوق وثالث إشعال النار ورابع رفع الراية وخامس النداء بالشوارع فلم يرغب فيها (نبي التشريع الإلهي) وبقي متحيراً لا يدري ما يصنع إلى أن كشف هذه الكربة منام عبد الله بن زيد فإنه رأى رجلاً يحمل ناقوساً فأراد ابتياعه منه ليضرب به النبي ﷺ في الأوقات فأرشده الرجل إلى الأذان وتعلمه منه ثم قصه على النبي ﷺ ففرح وأمره أن يعلمه بلالاً فلما نادى به بلال خرج (عمر) يجبر رداءه صارخاً إني رأيت كما رأى عبد الله^(١) وتصرح بعض رواياتهم أن عمر وبلالاً سمعا أذان جبرائيل في السماء فسبق عمر

(١) مسند أحمد: ج ٤، ص ٤٢، وصحيح الترمذي بشرح ابن العربي: ج ١، ص ٣٠٥، وموطأ مالك: ج ١، ص ٨٦، وسنن البيهقي: ج ١، ص ٣٩٠، وسنن السجستاني: ج ١، ص ١٣٤، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية: ج ١، ص ٣٧٥، وسيرة ابن هشام ونور اليقين (للخضري): ص ٩٢.

بلاّلاً وأخبر رسول الله بما سمعه فقال ﷺ لبلال سبقك به عمر^(١) وتكلف السيوطي في إخراج القصة عن المنام بأنها مكاشفة تعتري الأولياء وأرباب المشاهدة^(٢) ولا يدري المنجم وجه اختصاص الكشف بعبد الله دون (من كان من ربه قاب قوسين أو أدنى).

هذا كل ما في علبة القوم مما هو ملحق بخرافة الغرائق وأمثالها المنزه عنه جلال النبوة لو لم تكن القصة مدبرة بليل أرادوا من إثبات التشاور في الأحكام الإلهية بحضور من تنزل عليه التوصل إلى تصحيح الشورى في الخلافة الكبرى وحكاية سماع عمر أذان جبرائيل في السماء وتصديق النبي ﷺ إياه مما يهون التصرف في الأحكام بالوضع والرفع ولا يكون من العسير تشريع التراويح التي يقول فيها نعمت البدعة هذه^(٣) ومعلوم أن البدعة ما حدث في الشريعة ولم يسنّه الشارع^(٤) كتحريم المتعتين^(٥) وإحداث الثويب وهو قول المؤذن في صلاة الصبح

(١) شرح ابن العربي على صحيح الترمذي: ص ٣٠٦، والزرقاني على المواهب اللدنية: ج ١، ص ٣٧٩، والروض الأنف: ج ٢، ص ٢١، والسيرة الحلبية: ج ٢، ص ١٠٤.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٢، ص ١٠١.

(٣) صحيح البخاري: ج ١، ص ٣٠٢، باب التراويح.

(٤) عمدة القاري: ج ٥، ص ٣٥٦.

(٥) في مسند أحمد: ج ٣، ص ٣٥٣، عن جابر تمتعنا متعتين على عهد رسول =

الصلاة خير من النوم^(١) وإسقاط حي على خير العمل من الأذان مع أنه ثابت على عهد رسول الله وأبي بكر ولم يعبأ في الإسقاط زيد بن أرقم وابن عمر وأبو أمامة سهل بن حنيف والإمام السجاد يجاهر بثبوتيه في الأذان الأول بعد حي على الفلاح فكان هؤلاء الجماعة يأتون به في أذانهم^(٢) ويتحدث برهان الدين الحلبي أن زين العابدين وابن عمر يأتیان به ولم تتركه الرافضة أيام البويهيين إلى ان تملك السلجوقيون سنة (٤٤٨) فألزموهم بالترك^(٣). ولكن أهل كرخ بغداد بالرغم من إعمال السلطان قوته لم يتطامنوا إلى تركه واستمروا ذعاف الموت في سبيل إقامة هذا الشعار الإلهي وهان عليهم ما يلاقونه من الحرق والنهب والتنكيل بإزاء مظاهر التشيع ومن ذلك ما كتبه على أبواب الدور والأزقة (علي خير البشر) ولا أهمهم إنكار الفرقة المقابلة لهم كما لم يوافقوهم على رواية الحديث (محمد وعلي

= الله الحج والنساء فهنا عنهما عمر فانتبهنا وفي منتخب كنز العمال على هامش مسند أحمد: ج ٦، ص ٤٠٤، عن عمر متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء.

(١) نيل الأوطار: ج ٢، ص ٣٣.

(٢) المحلى (لابن حزم): ج ٣، ص ١٦٠، وسنن البيهقي: ج ١، ص ٤٢٥،

ونيل الأوطار: ج ٢، ص ٣٣.

(٣) السيرة الحلبيه: ج ٢، ص ١٠٥.

خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر) حتى ثارت من جرائه فتنة أدت إلى النهب في الطرقات^(١) كل ذلك بإزاء تركيز اسم أمير المؤمنين صاحب الخلافة الإلهية وأقاموا في جامع «براثا» الذي يسميه ابن كثير الحنبلي معدن الرفض الخطبة يوم الجمعة وذكروا أمير المؤمنين عليه السلام بما وصفه الله تعالى به وأنه محيي الموتى ومكلم الجمجمة ومكلم أهل الكهف وجهروا في الأذان (بحي على خير العمل) فلم يهضم ذلك مقابلوهم وثاروا على القادر العباسي فأرسل الخطيب ابن تمام فأقام الخطبة في جامع (براثا) وقصر من مدح أمير المؤمنين عليه السلام فثار عليه رجال من الشيعة بالآجر حتى كسروا أنفه وأدموا وجهه وخلعوا كتفه وذهبوا إلى داره فنهبوها^(٢) وفي هذا الجامع كان أبو العباس أحمد بن عقدة من أعظم رجال الشيعة يحدث في فضل أهل البيت عليهم السلام فإنه يحفظ ستمائة ألف حديث ثلاثمائة ألف منها في فضائل المعصومين من أبناء النبي صلى الله عليه وآله ويذكر ما ورد عنه عليه السلام في الصحابة^(٣).

(١) المنتظم (لابن الجوزي): ج ٨، ص ١٤٩، حوادث (٤٤٣).

(٢) مرآة الجنان (لليافعي): ج ٣، ص ٣٥، حوادث سنة (٤٢٠).

(٣) تاريخ بغداد (للخطيب): ج ٥، من ص ١٤ إلى ص ٢٣، والبداية (لابن كثير): ج ١١، ص ٣٣٢.

وكانت هذه المظاهرات بمرأى من أكابر الطائفة وأعلام الدين كالمفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي مع نفوذهم وسيطرتهم حتى أصابهم من جرائها نهب دورهم وحرقت كتبهم ولم يسلم المرتضى حتى عبر إلى دار الخلافة^(١) ونفى عميد الجيوش الشيخ المفيد إلى خارج بغداد ولم يرجعه إلا بشفاعه علي بن مزيد الحلبي^(٢) وهرب الشيخ الطوسي إلى مشهد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعد أن أحرقت كتبه ونهب أثاث بيته^(٣) مع أن أحاديث التقية بمرأى من هؤلاء الأعلام أقطاب المذهب لكنهم علموا أن إبقاء المعاندين لهم على ما هم عليه مما يقضي على التشيع ويلزل العقائد عن مراكزها ويذهب كل ما تحمله الأئمة في سبيل

(١) المنتظم (لابن الجوزي): ج ٨، ص ٢٥، سنة (٤١٧).

(٢) في مختصر تاريخ دول الإسلام (للذهبي): ج ١، ص ١٨٦، ذكر نفيه من بغداد وفي كامل ابن الأثير: ج ٩، ص ٧٢، حوادث سنة (٣٩٨) ذكر شفاعه ابن مزيد.

(٣) في البداية: ج ١٢، ص ٦٩، قال نهبت دار أبي جعفر الطوسي وفي ص ٧١، قال كبست العامة داره وأحرقت كتبه ودفاته التي كان يستعملها في ضالته وبدعته ويدعو إليها أهل ملته ونحلته والحمد لله وفي ص ٩٧، قال توفي فقيه الشيعة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي سنة (٤٦٠) في مشهد علي (عليه السلام) وكان مجاوراً فيه حين أحرقت داره بالكرخ وكتبه سنة (٤٤٨) إلى محرم هذه السنة فتوفي ودفن هناك اهـ، فتكون مدة مجاورته في النجف سنتين.

تثبت الدين الحنيف أدراج الأضاليل فرأوا من الصلاح المجاهرة بدعوة الحق حتى لا يعذر الغافل يوم الدين وهذه الناحية هي التي ألزمت حجر بن عدي وعمرو بن الحقم وميثم التمار وكميل بن زياد والفرزدق والكميت ودعبلاً إلى أمثالهم من رجالات الشيعة بالنهضة وخرق التقية وإلاً فالتقية كما تمضي على أهل الكرخ وغيرهم تمضي على أولئك الرجال عمد الإسلام والعمل بالتقية في تلك الأزمان إماتة للمبدأ الصحيح مع أننا لا نقول بطرح أخبار التقية بل لها تخريج آخر.

(٣) روى الفيض في الوافي: ج ٥، ص ٩٩، عن التهذيب عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين عليه السلام قال له يا ثمالي إن الصلاة إذا أقيمت جاء الشيطان إلى قرين الإمام الموكل به فيقول له هل ذكر ربه فإن قال نعم ذهب وإن قال لا ركب على كتفيه وكان هو إمام القوم حتى ينصرفوا فقال أبو حمزة: جعلت فداك أليس يقرأون القرآن قال عليه السلام: بلى ليس حيث تذهب يا ثمالي إنما هو الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.

والمراد من قرين الإمام الملك الموكل به وهذا الحديث رد على المانعين من الجهر بالبسملة وفي ذلك يقول الفخر الرازي ذهب الشيعة إلى أن من السنة الجهر بالتسمية في الصلاة الجهرية والسرية وجمهور الفقهاء يخالفونهم وقد ثبت بالتواتر أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية ومن اقتدى في دينه «بعلي عليه السلام»

فقد اهتدى والدليل عليه قوله (عليه السلام): اللهم أدر الحق مع علي حيث دار^(١).

وكلمة الرازي لم يهضمها الألويسي فيقول في الرد على دعوى التواتر عند الشيعة إن العمل بجميع ما يزعمون تواتره عن علي كفر ثم قال قوله: من اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى فمسلم لكن إذا سلم لنا خبر ما كان عليه علي (عليه السلام) (ودونه مهامه فيح)^(٢) وما أدري أي ذنب اقترفه الشيعة حينما توفرت لديهم الأدلة الصحيحة بتقديم أمير المؤمنين على غيره حتى استحقوا الحكم من الألويسي عليهم بالكفر في دعواهم التواتر عن إمامهم (عليه السلام) ولا يضرهم تهجم الألويسي وغيره بعد أن رسخت أقدامهم على الولاء لسيد الأوصياء (عليه السلام) الذي يقول له رسول الله (ﷺ) يا علي ما عرفك إلا الله وأنا وعلى هذا فلا يزالون ليلهم ونهارهم يجهرون بقول القائل^(٣):

أهوى علياً وإيماني محبته كم مشرك ذمه من سيفه وكفى
إن كنت ويحك لم تسمع مناقبه فاسمعه من (هل أتى) يا ذا الغبي وكفى
وقد أطل الشوكاني البحث في قراءتها في الصلاة وهل أنها
جزء من الفاتحة وهل يجهر بها مطلقاً وهل أنها جزء من كل

(١) مفاتيح الغيب: ج ١، ص ١٠٧.

(٢) روح المعاني: ج ١، ص ٤٩.

(٣) في شذرات الذهب (لابن العماد): ج ٤، ص ١٤٠ سنة (٥٤٥) أن أبا المفاخر الحسن بن الليث الواعظ كان ينشد ببغداد هذين البيتين وهو من الحنابلة.

سورة أو أنها آية مستقلة ثم ذكر عن الخلافات للبيهقي أن آل رسول الله ﷺ أجمعوا على الجهر بها وعلى هذا جماعة من الصحابة والتابعين وتابعيهم^(١) وذهب الشافعي إلى وجوب قراءتها في كل ركعة ولا يجزي غيرها للمنفرد والإمام فمن تركها لم تجزه الركعة ومن غفل عنها وأتم السورة أعاد السورة معها ولا تجزي قراءتها بعد قراءة الحمد لله رب العالمين^(٢) ويحدث ابن رجب الحنبلي أن أبا القاسم ابن منده يذهب إلى الجهر بالبسملة في الصلاة^(٣) وصحح الحاكم والدارقطني حديث ابن عباس كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وصنف الدارقطني كتاباً في الجهر بالبسملة وأبو حنيفة لا يأتي بها في أول كل ركعة ولا بين السورة والفتحة^(٤).

(٤) في التهذيب: ج ١، ص ١٩٤، عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين عليه السلام أتى مسجد الكوفة من المدينة فصلّى فيه أربع ركعات ثم ركب راحلته وأخذ الطريق.

وهذا الموضع المقرون في الشرف بالبيت الحرام ومسجد

(١) نيل الأوطار: ج ٢، ص ١٦٧ إلى ص ١٧١.

(٢) كتاب الأم: ج ١، ص ٩٣.

(٣) طبقات الحنابلة: ج ١، ص ٣٠.

(٤) فتح القدير: ج ١، ص ٣٠٤، وص ٣٠٥.

النبي ﷺ والحائر الأطهر في تخيير المسافر عند أدائه الصلاة بين القصر والإتمام مميز على سائر البقاع مهما عظم خطرهما وحازت محلاً سامياً في النظرات الإلهية فإن أبا البشر آدم (عليه السلام) لم يختط هذه البقعة إلاّ لما كوشف به من أنها حوت من القداسة ما تستوجب به نزول الفيوضات على من أوى إليها مفكراً في بديع الفطرة وعجيب الصنعة وجاء بالمناهج التي سنّها صاحب التشريع سبحانه ولذا قصده الأنبياء المرسلون والأولياء المقربون في أداء وظائف العبودية ومراسيم الطاعة لله تعالى حتى إن النبي الأعظم ﷺ ليلة الإسراء لم يعده المثل أمّام «الحق» جل شأنه في هذه التربة المعدودة من رياض الجنة فأنزله (البراق) إليها بعد الإذن من الجليل تعالت عظمته وتقرب إليه بركعتين^(١) وصارحت آثار أهل البيت بفضل الكفار فقالوا أداء الفريضة فيه يعدل ألف صلاة والنافلة على النصف منها والدعاء فيه غير مردود ويؤجر الجالس بلا عبادة والبركة منه على اثني عشر ميلاً^(٢).

ولم يظهر من أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ولا من المؤرخين الوجه في مطابقة هذه البقعة المتخذة مسجداً للمسلمين للذي

(١) التهذيب (للطوسي): ج ١، ص ١٩٣، وروضة الكافي: ص ٢٣٤، مع تحف العقول.

(٢) التهذيب: ص ١٩٣.

اختطه آدم عليه السلام وحكاية الشيخ إبراهيم القطيفي أن السيد عبد الحميد الحسيني تلميذ فخر المحققين الحلي حكم في شرحه على النافع بكون العراق مفتوحاً عنوة لأن الحسن والحسين عليهما السلام كانا في الجيش^(١) تساعد على أن يكون تخطيط المسجد إما بإشارة حملة الأسرار الإلهي على ذلك أو إشارة من له صلة بأمر المؤمنين عليهم السلام كسلمان وعمار بن ياسر وأمثالهما ممن كان في الجيش الإسلامي ولا يعبأ باحتمال وجود الآثار القديمة فإنها لو كانت لما عدل أبو الهياج عما اختطه سعد أولاً قبل الحريق فأوقف رجلاً ورمى بسهم من الجهات الأربع وأعلم على موقعه وأمر بالبناء وراء ذلك وبنى القصر منفصلاً عن المسجد بينهما نفق ثم عدل سعد عن هذا الذي اختطه أبو الهياج لما نقب بيت المال وأخذ منه وجاء الأمر من عمر بنقل المسجد إلى جنب القصر ففعل سعد وجعل الجامع متصلاً بالقصر^(٢) على أن هذه التحولات لا تتفق أيضاً مع احتمال إشارة حملة الأسرار به فلم تبَقْ إلا الصدفة وهذه نكتة مهمة ضاعت من خزانة التاريخ كما ضاع الكثير من أمثالها.

(٥) روى الكليني بالإسناد إلى العباس بن عيسى قال ضاق

(١) الرسالة الخراجية: ص ١٣٥، ضمن المجموع في الخراج والرضاع.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ١٩١ و ١٩٢.

علي بن الحسين (عليه السلام) فأتى مولى له وقال له أقرضني عشرة آلاف درهم إلى ميسرة فقال إنني أريد وثيقة فأخذ الإمام (عليه السلام) من رداءه هدية وقال له : هذه وثيقة فكأن المولى كره ذلك فغضب (عليه السلام) وقال له أنا أولى بالوفاء أم حاجب بن زرارة فقال المولى أنت أولى بذلك منه ثم قال (عليه السلام) كيف صار حاجب بن زرارة يرهن قوساً وإنما هي خشبة على مائة جمالة وهو كافر فيفي وأنا لا أفي بهدية ردائي فأخذها الرجل منه وأعطاه الدراهم وجعل الهدية في حق فسهل الله تعالى على الإمام فحمل المال إلى الرجل وطالبه بالوثيقة قال الرجل ضيعتها يا ابن رسول الله فقال (عليه السلام) إذاً لا تأخذ المال مني ليس مثلي من يستخف بذمته فأخرج الرجل «الحق» فإذا الهدية فيه فأعطاه علي بن الحسين (عليه السلام) ودفع الإمام إليه الدراهم ورمى بالهدية إلى الأرض^(١).

والقصة التي أشار إليها الإمام أن بني تميم أصابهم قحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون فرأى حاجب بن زرارة وهو سيد بني تميم أن يأتي كسرى ويطلب منه الإذن في المصير إلى بلاده لأن الجذب أضرب بهم فلما قص ذلك على كسرى قال له أنتم معشر

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣، ص ٣٨٨، باب قضاء الدين من كتاب المعيشة والوفاي ج ١٠، ص ٢٤، باب الاستدانة والوسائل ج ٢، ص ٦٢١، ومناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص ٢٣٦.

العرب غدر وحرصاء على الفساد فضمن له أن لا يفعلوا قال كسرى ومن لي بأن تفي قال له أرهناك قوسي بالوفاء بما ضمننت لك ولما جاء بقوسه ضحك من حضر حول الملك وقالوا له بهذا العصا تفي للملك بما ضمننت له قال لهم الملك ما كان ليسلمها لشيء أبداً ثم قبضها منه وأذن للعرب في دخول الريف ولما زال القحط ومات حاجب ارتحل عطار بن حاجب إلى كسرى يطلب القوس فقال له الملك ما أنت بالذي وضعتها فقال نعم ذاك أبي وقد مات ووفى لك بما ضمن فدفعت إليه القوس وكساه^(١).

وفي هذا الحديث والمثل الذي ضربه الإمام عليه السلام دراسة عالية لمن يفقه مغزاه فإن إمام الأمة عليه السلام أراد التعريف بأن طهارة النفس وشرف الإنسانية مقرونان بالصدق والأمانة وإلا فما قيمة القوس حتى تكون رهناً على مراعاة الذمم والعهود لكن عزّ الرجل ومكانته في بني تميم والعرب ألزمه الوفاء بما وعد.

(٦) روى الزهري قال قلت لعلي بن الحسين عليه السلام كنت مع جماعة فتذاكروا الصوم وأجمعوا على أن الواجب منه شهر رمضان فقط فقال زين العابدين عليه السلام ليس كما قلتم الصوم يقع

(١) النقائص بين جرير والفرزدق ج ٢، ص ١٦٥، مصر والعقد الفريد ج ١، ص ١٧٥، وبلوغ الأرب: ج ١، ص ١٢٣، طبعة أولى والمعارف (لابن قتيبة) ص ٢٦٢.

على أربعين وجهاً عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان وأربعة عشر وجهاً صاحبها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر وعشرة منها حرام وثلاثة صوم الإذن وصوم التأديب وصوم الإباحة وصوم السفر والمرض فسأله الزهري أن يفسر له ذلك فقال (عليه السلام) أما الواجب فصوم شهر رمضان وصوم شهرين متتابعين لمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق واجب فإن الله يقول ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ - إلى قوله - ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ وصيام شهرين متتابعين في كفارة المظاهرة لمن لم يجد العتق واجب قال الله تعالى ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين واجب لمن لم يجد الإطعام قال الله تعالى ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ كل ذلك متتابع وليس بمتفرق وصيام أذى حلق الرأس واجب قال الله تعالى فمن كان ﴿بِهِ أَذَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ سُكٍّ﴾ فصاحبها فيها بالخيار فإن شاء صام ثلاثة أيام وصوم دم المتعة لمن لم يجد الهدى قال الله تعالى ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعِمَّةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ وصوم جزاء الصيد واجب قال الله تعالى ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ

ذَلِكَ صِيَامًا ﴿١﴾ أوتدري يا زهري كيف يكون عدل ذلك صياماً قال لا فقال ﷺ يَقُومُ الصَّيْدَ قِيَمَةً ثُمَّ تَفْضُ تِلْكَ الْقِيَمَةَ عَلَى الْبَرِّ ثُمَّ يَكَالُ ذَلِكَ الْبَرَّ صَوَاعاً فَيَصُومُ لِكُلِّ نِصْفِ صَاعٍ يَوْمًا وَصُومَ النَّذْرِ وَاجِبٌ وَصُومُ الْاِعْتِكَافِ وَاجِبٌ «وَأَمَّا الصُّومُ الْحَرَامُ» فَصُومُ يَوْمِ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى وَثَلَاثَةُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَصُومُ يَوْمِ الشُّكِّ أَمَرْنَا بِهِ وَنَهَيْنَا أَنْ يَتَفَرَّدَ الرَّجُلُ بِصِيَامِهِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي شُكِّ فِيهِ النَّاسُ «فَقَالَ الزَّهْرِيُّ» فَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَامَ مِنْ شَعْبَانَ شَيْئاً كَيْفَ يَصْنَعُ قَالَ ﷺ يَنْوِي لَيْلَةَ الشُّكِّ أَنَّهُ صَائِمٌ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنْ كَانَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَجْزَأَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ شَعْبَانَ لَمْ يَضُرَّهُ فَقَالَ الزَّهْرِيُّ كَيْفَ يَجْزِي صُومَ تَطَوُّعٍ عَنْ فَرِيضَةٍ قَالَ ﷺ لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ تَطَوُّعًا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَهْرُ رَمَضَانَ ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْزَأَ عَنْهُ لِأَنَّ الْفَرِيضَةَ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الشَّهْرِ بَعِيْنَهُ وَصُومُ الْوَصَالِ حَرَامٌ وَصُومُ الصَّمْتِ حَرَامٌ وَصُومُ نَذْرِ الْمَعْصِيَةِ حَرَامٌ وَصُومُ الدَّهْرِ حَرَامٌ. وَأَمَّا الصُّومُ الَّذِي صَاحِبُهُ فِيهِ بِالْخِيَارِ فَصُومُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَالْخَمِيسِ وَالْاِثْنَيْنِ وَصُومُ أَيَّامِ الْبَيْضِ وَصُومُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَصُومُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَصُومُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ ^(١) كُلُّ ذَلِكَ صَاحِبُهُ فِيهِ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، «وَأَمَّا

(١) ذكرنا في رسالة عاشوراء في الإسلام فتوى بعض علمائنا الأعلام بحرمته صوم يوم عاشوراء كاملاً للنهي الوارد في الأخبار ويرتئي البعض الآخر حرمة إن جاء به بقصد الورود فلا حظه .

صوم الإذن» فإن المرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها والعبد لا يصوم تطوعاً إلا بإذن سيده والضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن صاحبه قال رسول الله ﷺ من نزل على قوم لا يصوم إلا بإذنهم وأما «صوم التأديب» فالصبي يؤمر بالصوم إذا راهق تأديباً وليس بفرض وكذلك من أفطر لعة في أول النهار ثم عوفي بقية يومه أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً وليس بفرض وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثم دخل مصرأً أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً وليس بفرض (وأما صوم الإباحة) فمن أكل أو شرب ناسياً أو كان غير متعمد فقد أباح الله ذلك وأجزأ عنه صومه (وأما صوم السفر والمرض) فإن العامة اختلفت في ذلك فقال قوم يصوم وقال قوم إن شاء صام وإن شاء أفطر وقال قوم لا يصوم وأما نحن فنقول يفطر في الحالين جميعاً فإن صام في السفر أو في حال المرض فهو عاص وعليه القضاء وذلك لأن الله تعالى يقول ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١).

(٧) روى الكليني في الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣، ص: ٥٢٦ باب من عف عن حرم الناس الحديث ٤٧ عن عمر

(١) تفسير علي بن إبراهيم ص ١٧٢ ، والكافي في باب وجوه الصوم والفتية ص ١٢٧ ، وحلية الأولياء (لأبي نعيم) ج ٣ ، ص: ١٤١ وفي الوافي ج ٧ ، ص ٧ إنما لم يتعرض الإمام للمندوب من السنة من جهة عدم اشتغاره بين العامة والزهري وإن كان خصيصاً بالإمام إلا أنه منهم .

ابن أبي المقدام أن السجاد عليه السلام سئل عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال عليه السلام ما ظهر نكاح امرأة الأب وما بطن الزنا وفي (الفقيه) للصدوق ص: ٢٤٤ سئل علي بن الحسين عليه السلام عن الرجل يقع على أخته قال يضرب بالسيف بالغاً ما بلغت فإن عاش خلد السجن حتى يموت (وظاهره) كفاية الضربة الواحدة أينما وقعت وإن لم تقتل وغيره من الروايات حكم بضرب عنقه وعليه إجماع الفقهاء كما في (الجواهر) وروى ابن همام الحنفي في فتح القدير ج ٤، ص: ١٤٨ عن ابن ماجه من حديث ابن عباس قال رسول الله ﷺ من وقع على ذات محرم منه فاقتلوه قال وفي رواية جابر أنه تضرب عنقه ورواية ابن عباس رواها البيهقي في السنن الكبرى ج ٨، ص: ٢٣٧ قال ابن همام ونقل عن أحمد وإسحاق وأهل الظاهر وابن حزم قصر القتل على من وطئ امرأة أبيه من جهة أن الحد ليس ضرب العنق وأخذ المال وإنما ذلك لازم للكفر فالتعريس بامرأة الأب يكون لازماً للردة فلذلك أمر النبي ﷺ أن تضرب عنقه ويخمس ماله اهـ.

ثم إنه وقع الخلاف بين أبي حنيفة وغيره في من عقد على إحدى محارمه كأمه وابنته وأخته وعمته وخالته عالماً بالتحريم متعمداً ففي فتح القدير لابن همام ج ٤، ص: ١٤٧ وبدائع الصنائع ج ٧، ص: ٣٥ لعلاء الدين القاساني الحنفي ومجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر ج ١، ص: ٦٠٣ لعبد الرحمن المدعو

بشيخ زاده الحنفي وشرح الدر المختار للحصكفي الحنفي ج ٢، ص: ٢٥٣ خالفه الحسن ومالك والشافعي وأبو ثور وأبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحباً أبي حنيفة فأوجبوا عليه الحد وعلل في بدائع الصنائع ص: ٣٦ قول أبي حنيفة بأن هذا العقد أورث شبهة لأن الشبهة اسم لما يشبه الثابت وليس بثابت وهنا وجد ركن النكاح والأهلية والمحلية فإن الأنثى من بنات آدم (عليه السلام) محل صالح لمقاصد النكاح من الولد والسكنى والتحصيل غاية الأمر بمنع الشارع من العقد على المحارم فإت شرط الصحة فكان نكاحاً فاسداً والوطء في النكاح الفاسد لا يكون زناً بالإجماع وأطال الكلام ابن همام في ص: ١٤٩، ج ٤ من فتح القدير في بيان هذه الشبهة.

وزاد أبو حنيفة في الطين بلة فقال لو استأجر امرأة للزنا لا يحد ووجب عليه دفع الأجرة غاية الأمر أنه عقد فاسد وعلله أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن ج ٢، ص: ١٧٨ عند قوله تعالى ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ بأن الله تعالى سمى المهر أجراً فهو كمن قال لها أمهرك كذا نعم كان نكاحاً فاسداً وفي فتح القدير ج ٤، ص: ١٤٩ ومجمع الأنهر ج ١، ص: ٦٠٣ خالف أبا حنيفة الشافعي ومالك وأحمد وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وعلله ابن همام بأن المستوفى في الزنا المنفعة وهي المعقود عليه في الإجارة فأورث شبهة واستدل في مجمع الأنهر

ج ١، ص: ٦٠٣ بما روى أن امرأة سألت رجلاً ماءً فأبى أن يعطيها إلا أن تمكنه من نفسها فلما بلغ عمر ذلك درأ الحد وذكر ابن حزم في المحلى ج ١١، ص: ٢٥٠ هذه الرواية بزيادة أن الرجل حثا للمرأة ثلاث حثيات من تمر فقال عمر لما أخبرته المرأة بذلك (مهر مهر مهر) ودرأ الحد فقال العجب من الحنفيين المقلدين لأبي حنيفة أن يدرأوا الحد بثلاث حثيات من تمر ويجعلونه مهراً وهم لا يجيزون في النكاح الصحيح كون المهر أقل من عشرة دراهم وبهذا يفتح باب للزنا ويسهل البغاء بهذه الحيلة وهي الاستئجار بتمرتين وكسرة خبز ليزني بها ويتخلصوا من العذاب الأليم وقال في ص: ٢٥٤ تسمية الزنا عقداً فاسداً توصلاً إلى إباحة ما حرم الله كتسمية الخنزير كبشاً ليستحله بهذا الاسم ثم نقل عن أبي الشعثاء جابر بن زيد وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه أنهم قالوا من وطئ حريمته عالماً بالتحريم عالماً بقربابتها منه سواء وطئها باسم نكاح أو بملك يمين أو بغير ذلك فإنه يقتل محصناً كان أو غير محصن .

وأغرب من ذلك ما نقله في ص: ٢٥١ عن ابن الماجشون صاحب (مالك) أن المرأة التي يستخدمها الرجل سنين كثيرة لا حد على من استخدمها إذا وطئها ولم يتضح الفرق بين المدة الطويلة والقصيرة كما لم يعرف مقدار المدة الطويلة وهل يصح القول بإباحة الزنا بمن استخدمها ولو مقدار عمر نوح انتهى المحلى ج ١١ .

(٩) في الوافي ج ٥، ص: ٤٩ نقلاً عن الكافي والتهذيب عن الفضيل أن علي بن الحسين (عليه السلام) كان يأمر الصبيان أن يجمعوا بين الصلاتين المغرب والعشاء ويقول هو خير من أن يناموا عنها.

وظاهره وإن اقتضى التفريق بينهما وأن الجمع للصبيان بعلّة أن لا يناموا عن العشاء إلاّ أن أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) جوزت الجمع بينهما وبين الظهرين حاكين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في الحضر من غير علة وعلى هذا إجماع الإمامية وهذا الجمع بين الفريضتين رواه البيهقي في السنن الكبرى ج ٣، ص: ١٦٦ من أربعة طرق وفي مسند أحمد ج ١، ص ٣٥٤ قيل لابن عباس لم جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين الصلاتين قال كيلا يخرج على أمته وفي منتقى الأخبار لابن تيمية على هامش نيل الأوطار للشوكاني ج ٣، ص: ١٨٣ عن ابن عباس صلى النبي (صلى الله عليه وآله) بالمدينة سبعاً أو ثمانية الظهر والعصر، والمغرب والعشاء وفي لفظ للجماعة إلا البخاري وابن ماجة جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر قيل لابن عباس ما أراد بذلك قال أراد أن لا يخرج على أمته وفي تيسير الوصول لابن الديبع ج ٢، ص: ٢٦٩ أخرج حديث ابن عباس الستة ويروي مسلم عنه أنه (صلى الله عليه وآله) صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء جميعاً من غير خوف ولا سفر وفي مجمع الزوائد للهيثمي عن ابن مسعود جمع

رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فقليل له في ذلك فقال صنعت ذلك لثلاثي يخرج على أمتي .

وحكى السرخسي عن أحمد جواز الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة من غير عذر^(١) ويرتئي العيني في تأول الجمع بين الصلاتين حمل تأخير الأولى إلى آخر وقتها ولما فرغ منها دخلت الثانية فصلاها فيه فتخيل أنه ﷺ جمع بينهما قال وهذا مما فتح لي من الفيض الإلهي^(٢) فيكون الجمع صورياً واختاره الشوكاني في نيل الأوطار وقال الحافظ ابن حجر استحسن هذا الجمع بين الأخبار القرطبي وجزم به إمام الحرمين وابن الماجشون والطحاوي وقواه ابن سيد الناس^(٣) وضعف النووي هذا الاحتمال بمخالفته للظاهر وحديث ابن عباس ثم قال ذهب ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك والقفال والشاشي الكبير من الشافعية وابن المنذر وأبو إسحاق المروزي إلى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذ عادة^(٤) .

إلى هنا نختم الكلام عن الإتيان على أحاديثه ﷺ في فقه

(١) المبسوط ج ١، ص ١٤٩ .

(٢) عمدة القاري ج ٢، ص ٤٣٧ .

(٣) فتح الباري شرح البخاري ج ٢، ص ١٦ .

(٤) شرح صحيح مسلم على هامش إرشاد الساري ج ٣، ص ٤١٠ .

الشريعة وقد بقي منها ما يزيد على الخمسين لأن البحث قد اتسع وكله قطرة من بحر فإن الإمام مودع أسرار الأحكام ولكن الظروف القاسية لم تسع لجملة منهم بث المعارف الإلهية وكانت أبواب الاجتماع بشيعتهم موصدة عليهم والمراقبة من الخلفاء محيطة بهم حتى إن جملة من الشيعة أحرقوا كتبهم التي حفظوا فيها ما وعوه عن أئمتهم في مختلف الفنون فهذا ابن أبي عمير يضطره الخوف إلى أن يلقي كتبه في الدجلة ويضربه الرشيد على التشيع وهو شيخ كبير وأي جريمة ارتكبها أو كبيرة قارفها غير الموالاة للأئمة الطاهرين كما ضاع الكثير من كتب الشيعة بتعاقب الحوادث فلذلك زوي عنا جملة مهمة من أخبار رجالات أهل البيت فلم نقف على الكثير من مزايا أبي الفضل ومسلم بن عقيل وعلي الأكبر وأبي جعفر ابن الإمام الهادي والعقيلة زينب شريكة الحسين في الدعوة الإلهية وبذلك فاتنا نصائحهم في تهذيب النفوس وأدعيتهم المشتملة على أسرار الإجابة وعباداتهم الكاشفة عن تمام صلتهم بالمبدأ الأعلى جل شأنه وما يؤثر عنهم في فقه الشريعة وتفسير الكتاب العزيز وكلماتهم الحكيمة التي تأخذ بيد من يفقهها إلى السعادة الخالدة نعم شع من بين ثنایا الجوامع دراري ناصعة أوقفنا على مكانتهم العالية وإن كلمة شيخنا الصدوق في الخصال ج ١، ص: ٣٥ خرجت هذا الخبر وهو قوله (إن لعمي العباس منزلة) الخ مع أخبار كثيرة في فضل

العباس في كتاب مقتل الحسين شاهدة له وضاع هذا المقتل كمقتل الحسين للأصبغ بن نباتة ونصر بن مزاحم وإبراهيم بن محمد بن سعد الثقفي ابن عم المختار والواقدي محمد بن عمر مولى الأسلميين وعبد العزيز بن يحيى الجلودي ولوط بن يحيى أبي مخنف وعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا وجابر الجعفي والشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي إلى غيرها ولو كانت هذه المقاتل في أيدينا لأفادتنا فائدة كبيرة.

احتجاجه

إن من وظائف الإمامة إدلاء الحجج والبراهين القوية على الحقائق الناصعة تثبيتاً للعقائد وإقامة للبرهنة الصادقة على المعارف الإلهية وتدعيماً للحق الجلي ودحض الأباطيل واكتساح الشبه وقلع جذور التشكيك وقلع بذوره وتدع ببيانها الأوفى جرائيم الانحراف عن أهل البيت في مدحرة البطلان حتى لا تربك بهرجة الباطل وزبرجة التحويل ضعفاء الأمة فتوقعهم في مساقط الجهل وتتلاعب بهم الأهواء المردية وكل واحد من أئمة الهدى جاء من هذا النوع بالشيء الكثير حسبما اقتضته ظروفه والإمام السجاد عليه السلام مع احتفافه بسياسة قاسية وسيوف بني أمية تقطر من دمائهم الزاكية جاء عنه ما فيه بلغة المسترشد وهداية المتعنت بأوضح بيان وأجلى برهان وإلى القارئ ما وجدناه من احتجاجه على خصومه.

(١) شاجره رجل في مسألة من الفقه فقال له لو صرت إلى

منازلنا لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا أيكون أحد أعلم بالسنة منا^(١).

(٢) سأله رجل عما فضلوا به على الناس وسادوهم فقال (عليه السلام) الناس كلهم لا يخلون من ثلاث: رجل أسلم على يد جدنا رسول الله ﷺ فهو مولانا ونحن سادته وإلينا يرجع بالولاء ورجل قاتلنا فقتلناه ومضى إلى النار ورجل أخذنا منه الجزية عن يد وهو صاغر ولا رابع لهم فأبي فضل لم نحزه وشرف لم نخص به^(٢).

(٣) مر (عليه السلام) على الحسن البصري وهو يعظ الناس بمنى فقال (عليه السلام) يا هذا أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى إذا نزل بك الموت قال لا فقال (عليه السلام) أفحدث نفسك بالتحول والانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها فأطرق الحسن البصري ملياً ثم قال إني أقول ذلك بلا حقيقة فقال (عليه السلام) أفترجو نبياً بعد محمد ﷺ تكون لك معه سابقة قال لا فقال (عليه السلام) أفترجو داراً غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها قال لا فقال (عليه السلام) أرايت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا إنك على حال لا ترضاها ولا تحدث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة

(١) نزهة الناظر ص ٣٣.

(٢) الفصول المختارة (للسيد المرتضى) ص ٧، ج ١ ط. أول.

ولا ترجو نبياً بعد محمد ﷺ ولا داراً غير الدار التي أنت فيها
فترد إليها وتعمل فيها وأنت تعظ الناس ثم انصرف ﷺ عنه فسأل
الحسن البصري عنه فقيل له إنه علي بن الحسين فقال هو من أهل
بيت علم وارتفع عن الوعظ^(١).

(٤) روى علي بن هاشم بن البريد عن أبيه أن رجلاً سأل
علي بن الحسين ﷺ مسائل فأجابها ثم عاد يسأل مثلها
فقال ﷺ له مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما
تعملوا بما علمتم فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبها إلا
كفرًا ولم يزد من الله إلا بعداً^(٢).

(٥) روى أبو عبد الله الصادق ﷺ أن عبداً البصري لقي علي
ابن الحسين ﷺ في طريق مكة فقال له يا علي تركت الجهاد
وصعوبته وأقبلت على الحج ولينه وقد قال الله عز وجل ﴿إِنَّ
اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ
وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فقال له علي بن الحسين ﷺ أتم
الآية فقال ﴿الَّتِي بَيْنَ الْعَبِيدِ وَالْحَمِيدُونَ السَّخِيحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ

(١) الاحتجاج (للطبرسي) ص ١٧١.

(٢) أصول الكافي على هامش مرآة العقول ج ١، ص ٣٠.

الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ فقال علي بن الحسين (عليه السلام) إذا رأيت هؤلاء الذين
هذه صفتهم فالجهد معهم أفضل من الحج (١).

(٦) روى الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) أن علي بن الحسين (عليه السلام)
سئل عن الصمد فقال (عليه السلام) الصمد الذي لا شريك له ولا يؤوده
حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء والذي لا جوف له والذي قد
انتهى سؤده والذي لا يأكل ولا يشرب والذي لا ينام والذي لم
يزل ولا يزال وروى عاصم بن حميد أن علي بن الحسين (عليه السلام)
سئل عن التوحيد فقال إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر
الزمان أقوام متعمقون فأنزل الله قل هو الله أحد والآيات من
سورة الحديد إلى قوله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فمن رام وراء ذلك فقد
هلك (٢).

(٧) روى العياشي أن رجلاً جاء إلى علي بن الحسين (عليه السلام)
فقال له انت علي بن الحسين قال نعم فقال أبوك الذي قتل
المؤمنين قال (عليه السلام) ويلك كيف قطعت على أبي أنه قتل المؤمنين
قال الرجل بقوله إخواننا قد بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم
قال (عليه السلام) ويلك أما قرأت قول الله تعالى ﴿وَإِلَى مَدِينِكَ أَخَاهُمْ

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣، ص ٣٧١.

(٢) الوافي ج ١، ص ٨١.

شُعَيْبًا ﴿١﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴿٢﴾ فكانوا إخوانهم في دينهم فقال الرجل لقد فرجت عني فرج الله عنك ^(١).

(٨) روى الطبرسي أن رجلاً قال لعلي بن الحسين عليه السلام إنكم أهل بيت مغفور لكم فغضب عليه السلام وقال إن الله تعالى يقول ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مَبِينَةٍ يَضَعُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ إلى قوله ﴿تُؤْتَاهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ ثم قال إنه يجري فينا كما أجرى في أزواج النبي صلى الله عليه وآله لمحسنا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب ^(٢).

(٩) روى الباقر عليه السلام أنه قيل لعلي بن الحسين يا ابن رسول الله كيف يعاتب الله هؤلاء الأخلاف على قبائح أسلافهم وهو سبحانه يقول ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ فقال عليه السلام إن القرآن نزل بلغة العرب فهو يخاطب أهل اللسان بلغتهم فإنك ترى الرجل التميمي يقول أغرنا على قوم كذا وإنما أغار عليهم أسلافه ويقول العربي نحن فعلنا ببني فلان كذا ونحن سبينا آل فلان ونحن خربنا البلد الكذائي ولا يريد أنهم باشروا ذلك بأنفسهم وإنما يريد هؤلاء بالافتخار أن قومهم فعلوا كذا وهكذا قول الله عز وجل في هذه الآيات إنما هو توبيخ لأسلافهم وتوبيخ عدل لهؤلاء الموجودين

(١) تفسير البرهان ج ١، ص ٣٦١.

(٢) تفسير البرهان ج ٢، ص ٨٤٣.

لأن هؤلاء الأخلاف رضوا بفعل أسلافهم ومصوبون لهم فجاز أن يقول أنتم فعلتم كذا أي أنكم رضيتم بقبيح أفعالهم .

(١٠) جاء إليه رجل برجل يزعم أنه قاتل أبيه وقد اعترف به ووجب عليه القصاص فسأله علي بن الحسين (عليه السلام) العفو ليعظم ثوابه فلم تطب نفس ابن المقتول بالعفو فقال (عليه السلام) إن كان لهذا القاتل عليك حق فهب له هذه الجناية واغفر له ذنبه فقال يا ابن رسول الله له علي حق لم يبلغ العفو عن قتل أبي فقال (عليه السلام) فماذا تريد منه قال أريد القود فإن أراد المصالحة صالحته وتركت القود لأجل حقه فقال (عليه السلام) ما حقه عليك قال إنه علمني توحيد الله ونبوة رسوله وإمامة علي والأئمة (عليهم السلام) فقال السجادة (عليه السلام) ألم تر أن هذا يفي بدم أبيك بلى والله إن هذا ليفي بدماء أهل الأرض كلهم من الأولين والآخرين سوى الأنبياء والأئمة إن قتلوا فإنه لا يفي بدمائهم شيء .

(١١) كان صلوات الله عليه يذكر حال من مسخهم الله قردة من بني إسرائيل ويحكي قصتهم فلما بلغ آخرها قال إن الله تعالى مسخ أولئك القوم لاصطيادهم السمك فكيف عند الله عز وجل حال من قتل أولاد رسول الله وهتك حريمه إن الله وإن لم يمسخهم في الدنيا فإن المعد لهم من عذاب الآخرة أضعاف عذاب المسخ فقليل له يا ابن رسول الله فإننا قد سمعنا منك هذا الحديث فقال لنا بعض النصاب إن كان قتل الحسين باطلاً فهو

أعظم عند الله من صيد السمك أفلا غضب الله على قاتليه كما غضب على صائدي السمك فقال ﷺ قل لهم إن معاصي إبليس أعظم من معاصي من كفر بإغوائه فأهلك الله من شاء منهم كقوم نوح وفرعون ولم يهلك إبليس وهو أولى بالهلاك فما باله سبحانه وتعالى أهلك الذين قصرُوا عن إبليس في عمل الموبقات وأمهل إبليس مع إثارة لكشف المحرمات أما كان ربنا سبحانه حكيمًا في تدبيره أهلك هؤلاء بحكمته واستبقى إبليس فكذاك هؤلاء الصائدون يوم السبت والقاتلون الحسين ﷺ يفعل في الفريقين ما يعلم أنه أولى بالصواب والحكمة لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

(١٢) حدث ثابت البناني قال كنت حاجاً مع جماعة من عباد البصرة فيهم أيوب السجستاني وصالح المري وعتبة الغلام وحبیب الفارسي ومالك بن دينار فلما دخلنا مكة وجدنا أهلها في شدة من قلة الماء ففزعوا إلينا يطلبون الاستسقاء فأتينا الكعبة وطفنا بها وتضرعنا إلى الله تعالى فلم يستجب لنا وبيننا نحن على هذا إذ أقبل فتى قد أكربته أحزانه فقال لنا أما فيكم أحد يحبه الرحمن قلنا له علينا الدعاء وعليه الإجابة فقال لو كان فيكم من يحبه لأجابه ثم أتى الكعبة وخر ساجداً وسمعناه يقول في سجوده سيدي بحبك لي إلا سقيتهم الغيث فما استتم كلامه حتى هطلت السماء كأفواه القرب فقلنا يا فتى من أين علمت أنه يحبك فقال

لو لم يحبني لم يستزني فلما استزارني علمت أنه يحبني فسألته بحبه لي فأجابني ثم أنشأ:

من عرف الرب فلم تغنه معرفة الرب فذاك الشقي
ما ضر في الطاعة ما ناله في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقى والعز كل العز للمتقى^(١)

(١٣) يتحدث أصحاب أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أن محمد بن الحنفية اجتمع بمكة مع علي بن الحسين (عليه السلام) وقال له إنك قد علمت أن رسول الله (ﷺ) أوصى بالإمامة من بعده إلى أمير المؤمنين ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين (عليه السلام) وقد قتل أبوك ولم يوص وأنا عمك وصنو أبيك ولولادتي من علي (عليه السلام) وتقدمي في السن أكون أحق بالإمامة فلا تنازعني في الوصية والإمامة فقال له زين العابدين اتق الله يا عم لا تدع ما ليس لك بحق إنني أعظك أن تكون من الجاهلين إن أبي (عليه السلام) أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إلي قبل أن يستشهد بساعة وهذا سلاح رسول الله (ﷺ) عندي فلا تتعرض لهذا الأمر فإني أخاف عليك نقص العمر وتشيت الحال إن الله تعالى جعل الإمامة في عقب الحسين (عليه السلام) فإذا أردت أن تعلم صحة ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود نتحاكم إليه ونسأله أن يقر لمن الإمامة بعد الحسين (عليه السلام)

(١) إلى هنا من الاحتجاج (للطبرسي) من ص ١٧٠ إلى ص ١٧٢.

فقبل محمد بن الحنفية وانتهيا إلى الحجر الأسود فقال زين العابدين لمحمد ابداً أنت فتقدّم محمّد فصلّى ركعتين ودعا بدعوات وابتهل إلى الله تعالى في أن ينطق له الحجر فلم يجبه بشيء أبداً.

وتقدم علي بن الحسين عليه السلام فصلّى ركعتين ثم قال اللهم إني أسألك باسمك المكتوب في سرادق المجد وأسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء وأسألك باسمك المكتوب في سرادق الجلال وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العزة وأسألك باسمك المكتوب في سرادق القدرة وأسألك باسمك المكتوب في سرادق السر السابق الفائق الحسن الجميل رب الملائكة الثمانية ورب العرش العظيم والعين التي لا تنام وبالاسم الأكبر الأكبر الأسفل وبالاسم الأعظم الأعظم المحيط المحيط بملكوت السموات والأرض وبالاسم الذي أشرقت به الشمس وأضاء به القمر وسجرت به البحار ونصبت به الجبال وبالاسم الذي قام به العرش والكرسي وبأسمائك المكرمات المقدسات المكنونات المخزونات في علم الغيب عندك أسألك بذلك كله أن تصلي على محمد وآل محمد ^(١) لَمَّا أنطقت هذا الحجر فأنطق الله الحجر بلسان عربي فصيح يخبر بالإمامة بعد الحسين بن علي عليه السلام ^(٢).

(١) الصحيفة الثانية ص ٢١٦ مصر (للحلي العاملي).

(٢) كشف الغمة (للإربلي) ص ٢٠٨.

فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن مكانه ونطق بصوت فصيح عربي سمعه كل من حضر اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ لك يا علي بن الحسين على محمد بن الحنفية وعلى جميع من في الأرض والسماء وإنك مفترض الطاعة فاسمع له يا محمد وأطع.

فقال محمد بن الحنفية سمعاً وطاعة يا حجة الله في أرضه وسمائه وانصرف ابن الحنفية مدعياً بإمامة زين العابدين عليه وعلى الناس أجمعين^(١).

وفي حديث آخر أن السجاد (عليه السلام) في ما احتج به على ابن الحنفية أن يأتي المقابر فمضيا معاً وانتهيا إلى قبر صاحبه قريب العهد به فقال (عليه السلام) لمحمد سل صاحب هذا القبر عمن يستحق الإمامة بعد الحسين (عليه السلام) فلم يفعل ابن الحنفية وطلب من الإمام أن يسأله فدعا علي بن الحسين ربه تعالى ثم دعا صاحب القبر فأنكشف القبر عن رجل ينفذ التراب عن رأسه وهو يقول الحق لعلي بن الحسين (عليه السلام) دونك يا محمد فوقع ابن الحنفية على رجل

(١) حديث المخاصمة عند الحجر متكرر في الكتب رواه في الكافي باب ما يفرق بين المحق والمبطل في أمر الإمامة وبصائر الدرجات ص ١٤٧ ودلائل الإمامة ص ١٥٣ ومناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص ٢٤٩ إيران وإعلام الوري ص ١٥٣ وروضة الواعظين ص ١٦٩ والخرائج ص ٤٧ ومختصر البصائر ص ١٤ وص: ١٧٠.

علي بن الحسين يقبلها ويلوذ به ويطلب منه العفو عما صدر منه^(١).

إن جلاله ابن الحنفية وتبصره في الدين لم تكن محل التشكيك فإنه ممن شهد وصية أبيه أمير المؤمنين بأن الإمام بعده الحسن ثم الحسين وبعده ابنه زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر كما تقدم في النص على السجادة^(٢)، ومن المقطوع به أنه لم تخف عليه نصوص الرسول الأعظم^(ص) ووصيه المقدم وأخويه الإمامين على من يستحق هذا الأمر بعد الحسين ولكنه في هذه المخاصمة وغيرها أراد أن يعرف الأمة طريق رشدتها بشهادة مثل هذه الصخرة الصماء التي لا تبصر ولا تسمع لكونها أوقع في النفوس وأبلغ في دفع الريب بعد أن كانت من الله تعالى يختارها لمن يشاء من عباده معلناً به على لسان رسوله الأمين.

ومن هنا أوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون ولم يوص إلى ولده ولا ولد موسى^(٣) ولم يخطئ سهم ابن الحنفية المرمى فلقد تاب إلى الحق خلق كثير ووجبت الحجة على من قصر وتأخر وممن أبصر الحق أبو خالد الكابلي بعد أن خدم ابن الحنفية سبع سنين معتقداً أنه الحجة بعد أبيه ولما رآه يعظم زين

(١) مدينة المعاجز ص ٣١٩ عن ثاقب المناقب.

(٢) أصول الكافي باب الإمامة في العقب وبصائر الدرجات ص ١٣٧.

العابدين ويخاطبه بما لا يخاطب به أحداً سألَه عن ذلك فعرفه بشهادة الحجر الأسود بالخلافة الإلهية^(١) وأنه الحجة على ابن الحنفية ومن في الأرض فنال السعادة الخالدة برجوعه إلى إمام الأمة وشاهد من كرامات السجاد (عليه السلام) ما أفاده رسوخاً في العقيدة وتثبيتاً للموالاتة.

وكيف لا يكون ابن الحنفية مجداً في تشييد الدين وتوطيد أسسه وتعريف الأمة من يجب عليهم أخذ معالم دينهم منهم وقد شهد له أبوه أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه أحد المحامدة الذين يأبون أن يعصى الله طرفة عين أبداً^(٢) وشهد له أخوه أبو محمد الحسن بأنه من عياب العلم ومناجم التقى وأنه لا يخشى عليه الحسد الذي لا يخلو منه أحد وأنه سمع أباه أمير المؤمنين يقول من أراد أن يبرني في الدنيا والآخرة فليبر ولدي محمداً^(٣).

ويمكننا أن نتعرف من إخبار أبي محمد (عليه السلام) الواقف على نفسيات الرجال بنفي الحسد عنه أن ما جرى منه من المحاكمة عند الحجر لنكتة دقيقة وهي تعريف الناس أن أمر الإمامة لم يكن بالاختيار وإلاّ فأَي ربط لتكلم الصخرة الصماء بهذا الأمر العظيم

(١) مدينة المعاجز ص ٢٩٧.

(٢) رجال الكشي ص ٤٧.

(٣) أصول الكافي باب النص على الحسين وإعلام الوري ص ١٦٧.

وعدم حضوره في مشهد الطف إما للمرض المتزايد كما يرتئيه العلامة الحلي في أجوبة مسائل ابن مهنا وإما لإذن الحسين له بالبقاء ليكتب ما يحدث من بني أُمّية كما ينص عليه محمد بن أبي طالب الحائري ومن هنا قال المجلسي أعلا الله مقامه إن حسن القول في أولاد الأئمة وترك التعرض لهم أحسن من القدر فيهم إلا أن يثبت ذلك بدليل قاطع^(١) وعدم تكذيب ما نسبته إليه المختار من الإمامة^(٢) فعلى فرض الصحة فإنه من جهة اغتنامه الفرصة بأخذ ثأره من أولئك الطغاة عبدة المطامع حيث وضح له أن الأمر لا يتم له إلا من هذا الطريق ولذا أيد دعوته بتحريض الشيعة على مساعدته في الطلب بدم المظلوم سيد شباب أهل الجنة عليه السلام ويقول بحضرتهم يزعم المختار لنا شيعة وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسي يحدثون. كما أن الغرض من دعوة المختار لابن الحنفية دون الإمام السجاد عليه السلام مع اعتقاده بإمامته هو تنزيه مقام الإمام الحجة عن التدخل في هذه الثورة حتى لا يتهمه أمراء الجور بتحريض الأمة عليهم وهذا سر لا يهتدي إليه إلا من أودع الباري سبحانه فيه نور الإيمان فزكت نفسه وطهر ضميره ومن هنا نعرف الزور في ما نسبته الشهرستاني في (الملل

(١) مرآة العقول: ص ٢٥٥.

(٢) كامل ابن الأثير ج ٤، ص ٦٤ وشذرات الذهب ج ١، ص ٧٤ وتهذيب كامل المبرد ج ١، ص ١٤٩.

والنحل) إلى ابن الحنفية من تكذيبه المختار والطعن عليه وحث الشيعة على الإعراض عنه زعماً منه تلويث ساحة المختار بهذه المفتريات و﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

في البيت الحرام

إن المولى جل شأنه لا يقله صقع ولا يحويه مكان غير أنه جلت عظمته راقه تعظيم بقاع خاصة لسرٍّ أودعه فيها وأضافها لنفسه إضافة تشريف وإشادة بذكره والتنويه بذلك السر المصون فدعا الناس إلى تعاهدها وتعبدهم بشد الرحال إليها والتقرب إليه فيها بالضراعة والابتهاال وبأعمال شرعها بحكمته البالغة مثل الطواف والاستلام والصلاة ومن هاتيك الأصقاع (الكعبة) المعظمة فجعل فناءها حرماً آمناً تؤمه الناس مدى الحقب والأعوام ويأتونه من كل فج عميق فيقام هنالك موسم عام ومحتشد رهيب من الأمم والأجيال يطلبون فيه الرغائب وينالون المواهب ويعرف به الراغب من الحائد والمؤمن من الجاحد وتشد به قلوب المزدلفين إليه بالنظر إلى ذلك المحتشد اللهام ويشتبك التعرف بين أمم متباينة وتقوى الروابط بين عناصر مختلفة في النزعات فينكفئون وقد ضربت الوحدة بينهم بجرانها وأناخ الوئام بكلكله حتى تسفر الحالة عن الفوز بالسعادة في الدنيا بتواصل العرى وينتهي منصرم الأمر إلى الحبور منذ يومهم إلى حين الغبطة والسرور.

ومن آثار عظمة الكعبة المشرفة أن أودع الله تعالى إلى جنبها الحجر الأسود أنزله من السماء درة بيضاء على آدم (عليه السلام) فأودعه في محله ليكون شاهداً يوم القيامة لمن يؤم البيت مستلماً بالتذل والطاعة^(١) ولأهمية موقع الحجر الأسود قدر سبحانه أن لا ينصبه في محله إلا أعظم رجل في العالم ففي البدء نصبه خليل الرحمن (عليه السلام) ولما هدمت السيول الكعبة وما حولها تنافست القبائل في وضع الحجر بعد عمارتها حتى تحالفوا على القتال فوضع بنو عبد الدار دماً في جفنة وغمسوا أيديهم في الدم على أن لا يمكنوا غيرهم من وضع الحجر في محله فسموا (لعقة الدم) ومكثت قريش أربع ليال على هذا التنافس^(٢) ثم إن الوليد بن المغيرة المخزومي أشار عليهم بأن يحكموا أول من يدخل عليهم من باب المسجد ليقضي بينهم فأول من دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا هذا (الأمين) محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانوا يلقبونه به قبل البعثة ورضوا بحكمه فدعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بثوب وضع فيه الحجر وأمر رئيس كل قبيلة أن يأخذ بطرف الثوب ورفعه بأجمعهم فلما بلغوا به الموضع أخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحجر ووضعه في مكانه^(٣).

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣، ص ٢٥٠.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢، ص ٢٠١.

(٣) تاريخ مكة (للأزرقي) ج ١، ص ١٠٣.

ثم إن الحجاج الثقفي هدم الكعبة فأخذ الناس ترابها ولما أرادوا بناءها خرجت عليهم (حية) فخافوا منها وتركوا البناء وأخبروا الحجاج بذلك فلم يدر ما يصنع فرقي المنبر وقال أيها الناس أنشد الله عبداً عنده علم مما ابتلينا به لما أخبرنا فقام إليه شيخ وقال إن يكن عند أحد علم هذا فعند رجل رأيته جاء الكعبة فأخذ مقدارها ومضى فسأله الحجاج عنه قال هو علي بن الحسين عليه السلام قال الحجاج إنه معدن ذلك وأرسل إلى زين العابدين عليه السلام وأخبره بما شاهدته الناس من الأفعى وامتناعهم من البناء فقال السجاد عليه السلام يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وأنهبته الناس كأنك تراه تراثاً لك اصعد المنبر وأمر الناس برد ما أخذوه من التراب ففعل ولم يبقَ عند أحد منه شيء فلما اجتمع التراب جاء علي بن الحسين عليه السلام وعين لهم الأساس وأمرهم أن يحفروا فغابت (الحية) ولما انتهوا إلى موضع القواعد أمرهم عليه السلام بالتنحي ودنا منه وغطاه بثوبه وبكى ثم طرح عليه التراب بيده المقدسة وأمر العملة أن يبنوا فوقه فلما ارتفعت الحيطان أمر بالتراب فألقي في جوفه فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بدرج^(١) ثم إنه عليه السلام أخذ الحجر بنفسه ووضعه في محله لم يشركه فيه أحد.

(١) الكافي على مرآة العقول ج ٣، ص ٢٦٠ ومحبوب القلوب (لقطب الدين محمد ابن الشيخ علي اللاهيجي) ص ٣٧.

وسأل السجادة (عليه السلام) رجل من أهل الشام عن بدء الطواف وعلته فقال زين العابدين أما بدؤه فإن الله تعالى قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فقالت الملائكة أي رب خليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون أي رب اجعل الخليفة منا نحن فنحن لا نفسد ولا نسفك ولا نتباغض ولا نتحاسد ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك فقال سبحانه وتعالى إني أعلم ما لا تعلمون فظنت الملائكة أن ما قالوه ردّ على ربهم عز وجل وأنه غضب عليهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون إشفاقاً من غضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنزلت الرحمة عليهم ووضع الله تحت العرش بيتاً على أربع أساطين من زبرجد وغشاهن بياقوتة حمراء وسمى ذلك البيت (الضراح) ثم أذن الله للملائكة بالطواف حول هذا البيت ودعوا العرش فطافت الملائكة بالبيت وصار أهون عليهم من العرش وهو «البيت المعمور»، يدخله في كل يوم وليلة سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً ثم أمر الله الملائكة أن يبنوا له بيتاً في الأرض بمثاله وقدره وأمر الله من خلقه في الأرض أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور^(١).

(١) تاريخ مكة (للأزرقي) ص ٣، ج ١.

وذكر السيد زين العابدين بن نور الدين مراد بن علي بن مرتضى الحسيني الكاشي نزيل مكة المعظمة والمستشهد بها أنه في يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة (١٠٣٩) دخل سيل عظيم إلى المسجد الحرام حتى بلغ ارتفاعه إلى فوق القامة ومات بسببه خلق كثير وفي يوم الخميس انهدم أطراف البيت فأخذ يفكر بأن أساس البيت الذي بناه الخليل والرسول الأقدس والإمام زين العابدين صلوات الله عليهم كيف يضعه من لا يقر بالولاية فذاكر شريف مكة عن أن مصروف البناء لا بد أن يكون من مال طاهر ولكن ينسب في الظاهر إلى الدولة فقبل ثم خوفه الناس من التدخل فأعرض وأكثر التوسل إلى الله تعالى في عدم حرمان أهل الولاء من ذلك وفي هذه الأيام أتاه رجل وقص عليه رؤيا رآها كأن نعش سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وضع في قبال الكعبة وصلى عليه جده الأظهر مع جميع الأنبياء عليهم السلام وأن النبي صلى الله عليه وآله أمر السيد زين العابدين بدفن التابوت في جوف الكعبة ففرح السيد بهذه الرؤيا التي عبرها بأن وضع الأساس يكون على يده وفي يوم الثلاثاء ٣ جمادى الثانية سنة (١٠٤٠) شرعوا في هدم تتمة البناء وكان السيد مشاركاً في العمل وشاهد من العمال والوكلاء تبجيلاً بحيث إنهم لم يتخلفوا عما يأمرهم به ولما وصلوا إلى (الحجر) وضعوا حجراً فوقه وآخر تحته وأبقوه على حاله وفي ليلة الأحد ٢٢ جمادى الثانية قرروا وضع الأساس في

صبيحتها فأكثر السيد تلك الليلة من التضرع إلى الله تعالى في أن يوفقه لوضع الأساس بالرغم من الشريف وشيخ الحرم وعلماء مكة وخدام البيت وبقي تلك الليلة في المسجد الأقدس يتضرع ويبكي إلى وقت الصبح فلم يحضر إلاّ المباشر وبعض العملة فقال له المباشر يا سيد زين العابدين اقرأ الفاتحة وادعُ الله فقرأها ودعا الله بالمروى في الكافي وهو اللهم إني أسألك باسمك العظيم الأعظم الأجل الأكرم المخزون المكنون الخ. ثم أخذ حجراً للركن الغربي وناولهُ رجل من الصلحاء يقال له محمد حسين الأبرقوثي الساروج ووضع السيد الحجر في موضع أساس إبراهيم وباشر في البناء إلى مقدار ثلاثة أذرع ارتفاعاً ثم ذكر كيفية البناء وتشريح المسجد^(١) وكان هذا في زمان السلطان مراد ابن السلطان أحمد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد ابن السلطان سليم ابن السلطان سليمان وهو الذي أمر بالعمارة وأرخ هذا السيل (رقى إلى قفل بيت الله)^(٢).

(١) خاتمة مستدرك الوسائل ج ٣، ص ٤١١، ودار السلام ج ١، ص ٢٠٩.

(٢) خلاصة الأثر ج ٤، ص ٣٣٩.

عبادته

لا نتبجح في إطراء الإمام زين العابدين عليه السلام بكثرة صلاته في اليوم واللييلة ألف ركعة^(١) ولا بمتابعة صيامه الذي تحكيه مولاته بقولها: ما فرشت له فراشاً بليل قط ولا أتيته بطعام في نهار قط^(٢) وإنما المهم معرفة أنه عليه السلام لم يأت بتلك المظاهر إلا بحق اليقين سواء من ناحية النية المقصورة على تأهل المولى سبحانه للعبادة لا من الخوف والرجاء كما سلف مثله عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكنني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك أو من ناحية الالتفات إلى مغازي ما يقوله ويعمل به فلا يطرق إلى قوله من ولا إلى عمله مخالفة للدعوى أو من ناحية المعبود جل جلاله في تضاعيف ما يخاطبه ويأتي به ابتغاء مرضاته فهو يعبد الله تعالى كأنه يراه ويخافه كأنه ينظر إليه وجلال المهيمن وعظمته

(١) الخصال ج ٢، ص ١٠١.

(٢) علل الشرائع ص ٨٨.

متجلية لديه في كل الأحوال إذاً فلا غرو في ما نتحدث به الرواة من الخشية والرهبة التي تعلوه عند المثل أمام المولى عزّ شأنه لأداء فرضه فتضطرب أعضاؤه وإذا دخل في الصلاة لم يتحرك منه شيء إلا ما حركه الريح^(١) وإذا قيل له في ذلك يقول أتدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجي^(٢) إني أريد أن أتأهب للقيام بين يدي ملك عظيم فإذا دخل في الصلاة اصفر لونه ويصلي صلاة مودع لا يصلي بعدها^(٣) وإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يغمره العرق^(٤) رآه أبو حمزة الثمالي يصلي وقد سقط رداؤه على منكبيه فلم يسوّه ولما فرغ من الصلاة سأله عن ذلك فقال (عليه السلام) أتدري بين يدي من أنا واقف إن العبد لا يقبل منه صلاة إلا ما أقبل عليه، قال أبو حمزة هلكنّا فطمّنه الإمام بأن الله تعالى يتم ما نقص منها بالنوافل^(٥) ووقع حريق في بيت كان ساجداً فيه فصاحوا النار يا ابن رسول الله فلم يلتفت ولا خفف من صلاته وبعد أن فرغ قيل له ما ألهاك عنها قال ألهتني النار الكبرى وسقط ابن له في البئر

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣، ص ١١٩.

(٢) حلية الأولياء ج ٣، ص ١٣٣.

(٣) علل الشرائع ص ٨٨.

(٤) الكافي باب الخشوع في الصلاة على المرأة ج ٣، ص ١١٩ والتهذيب ج ١، ص ٢١٨.

(٥) دعائم الإسلام ج ١، ص ١٩١.

ففزع الناس وأخرجوه وهو قائم في محرابه ولما قيل له في ذلك قال ﷺ كنت أناجي رباً عظيماً^(١) وكان يسجد على تربة الحسين ﷺ^(٢) لأن السجود عليها يخرق الحجب السبع^(٣) ويقبل الله صلاة من سجد عليها ما لم يقبله من غيرها^(٤).

لأن الله سبحانه فضل تربة سيد الشهداء على سائر بقاع الأرض حتى بيته المعظم ففي الحديث أن أرض الكعبة افتخرت بنسبتها إليه جل شأنه فأوحى إليها الجليل تعالى إني خلقت أرضاً لولاها ما خلقتك ولولا ما تضمنته لما خلقت البيت الذي افتخرت به^(٥):

فاسجد على تربته القدسية فإن فيها الفضل والمزية فنورها يخرق سبع الحجب يفوق نور نيرات الشهب ما سجد الصادق مهما صلى إلا عليها وكفاها فضلاً^(٦) ولما شاهدت عمته فاطمة بنت علي بن أبي طالب ما ناء به من الجهد في العبادة خافت عليه الهلاك وهو بقية السلف وحمى الأمن ومعقد الآمال ومفزع المستجير فأتت جابر بن عبد الله

(١) عيون المعجزات، ص ٦٥، وتاريخ القرماني ص ١١٠.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص ٢٥١.

(٣) مصباح المتهجد (للشيخ الطوسي) ص ٥١٠.

(٤) مستدرک النوري ج ٤ ص ٢٤٨.

(٥) كامل الزيارة ص ٢٦٨.

(٦) المقبولة الحسينية ص ٨٩ للحجة الشيخ هادي كاشف الغطاء (قده).

الأنصاري وهو خاصتهم وصاحب جدهم الأعظم (عليه السلام) وله منزلة عالية عند آل الرسول (عليه السلام) فلعله يستطيع أن يخفف العناء والجهد عن الإمام فقالت له يا صاحب رسول الله (عليه السلام) إن لنا عليكم حقوقاً ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحداً يهلك نفسه اجتهداً تذكرونه الله تعالى وتدعونه إلى البقيا على نفسه وهذا علي بن الحسين قد انخرم أنفه وثفتت جبهته وركبتاه وراحتاه إداًباً منه لنفسه في العبادة فأتى جابر باب علي بن الحسين (عليه السلام) فرأى على الباب أبا جعفر الباقر (عليه السلام) مقبلاً في أغيلمة من بني هاشم فقال هذه مشية رسول الله (عليه السلام) وسأله عن نفسه فقال أنا محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام) فبكى جابر وقال أنت والله باقر العلم ادنُ مني بأبي أنت وأمي فدنا منه فحل إزاره وقبله في صدره ووضع عليه خده ووجهه وقال أقرأك عن جدك رسول الله (عليه السلام) السلام وأمرني أن أفعل بك هذا وقال لي يوشك أن تعيش حتى تلقى من ولدي من اسمه اسمي محمد يبقر العلم بقرأ وإنك تبقى حتى تعمى ثم يكشف لك عن بصرك وقال له استأذن لي على أبيك فدخل أبو جعفر (عليه السلام) على أبيه وأخبره بأن شيخاً بالباب فعل معه كذا وكذا .

فقال له زين العابدين ذلك جابر الأنصاري ثم قال له أمن بين ولدان أهلك قال لك ما قال وفعل ما فعل قال نعم فقال (عليه السلام) إنه لم يقصدك بسوء ولقد أشاط بدمك ثم أذن له فدخل جابر على السجاد (عليه السلام) وهو في محرابه قد أنضته العبادة فنهض إليه الإمام

وسأله عن حاله وأجلسه إلى جنبه فقال له جابر يا ابن رسول الله أما علمت أن الله خلق الجنة لكم ولمن أحبكم وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك فقال علي بن الحسين يا صاحب رسول الله ﷺ أما علمت أن رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد له وتعبّد بأبي هو وأمي حتى انتفخ الساق وورم القدم فقليل له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ﷺ أفلا أكون عبداً شكوراً فلما نظر جابر إلى علي بن الحسين لا يقبل قول من يستميله عن الجهد في القصد قال له يا ابن رسول الله البقيا على نفسك فإنك لمن أسرة بهم يستدفع البلاء وتستكشف اللاواء وبهم تستمطر السماء .

فقال ﷺ يا جابر لا أزال على منهاج أبوي متأسياً بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما فأقبل جابر على من حضر وقال والله ما رئي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف ابن يعقوب والله لذرية الحسين ﷺ أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، وإن منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(١) .

(١) أمالي ابن الشيخ الطوسي ص ٤٧ وبشارة المصطفى ص ٨٠ وكانت ولادة جابر قبل النبوة بأربع سنين وحضر مع أبيه ليلة العقبة الكبرى لبيعة النبي ﷺ وله سبع عشرة سنة واستصغره أبوه يوم بدر فلم يأذن له =

= ولما استشهد في (أحد) ملك أمره فلم تفته مشاهد النبي ﷺ واستفاد من صحبة أهل البيت السعادة الخالدة أوقفوه على خواص الأشياء وأسرار الأحكام وأتحفته الصديقة الزهراء (عليها السلام) بالنظر إلى اللوح النازل على أبيها من السماء وفيه أسماء من يلي الخلافة الكبرى من أبنائها وروى عن النبي ﷺ ألفاً وخمسمائة وأربعين حديثاً وكان الباقر (عليه السلام) يزوره ويسمع حديثه وحمّله رسول الله ﷺ سلامه على ولده الباقر بعد أن بشره بلقائه وعرفه صفاته فكان يجلس في المسجد ويجهر بقوله يا باقر يا باقر فيعجب منه من لا خبرة له في مقادير الرجال وينسبه الآخر إلى الهجر والهديان فيقول لهم والله ما أهجر ولكني سمعت رسول الله ﷺ يذكر الحديث وابتلي بذهاب بصره مرتين الأولى قبل يوم كربلاء ولذا لم يحضر مع سيد الشهداء (عليه السلام) ويشهد له قوله لعطية العوفي حين مجيئه معه يوم الأربعاء من مقتله لزيارة الحسين وقد التقى مع السجاد وعماته عند رجوعهم من الشام (المسنيه) يا عطية) يعني القبر ثم من الله عليه بالعافية حتى شاهد أبا جعفر (عليه السلام) كما ينص عليه هذا الحديث وذكر المؤرخون أنه مات مكفوف البصر بالمدينة سنة (٧٧) عن (٩٤) سنة وألجأته الفاقة الشديدة إلى الشيوخ نحو معاوية لاستيلائه على أموال المسلمين ولم يأذن له ابن هند إلاّ بعد أيام ولما دخل عليه قال يا معاوية لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول من حجب ذا فاقة حجبه الله يوم فاقتة فقال معاوية وإنني سمعته يقول ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تردوا علي الحوض أفلا صبرت قال جابر لقد ذكرتني ما نسيت ثم خرج منه صفر الكف فأرسل إليه معاوية ستمائة دينار فردها وكتب إليه :

وإنني لأختار القنوع على الغنى إذا اجتمعا والماء بالبارد المحض
وأقضي على نفسي إذا الأمر نابني وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضي =

ورأى عبد الملك بن مروان أثر الاجتهاد في العبادة على زين العابدين فقال له لقد سبق لك من الله الحسنى وأنت بضعة من رسول الله قريب النسب وكيد السبب وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك ولقد أوتيت من العلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك قبلك إلا من مضى من سلفك وأكثر من الثناء عليه فقال علي بن الحسين كل ما ذكرته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم ولقد كان رسول الله ﷺ يقف في الصلاة حتى تتورم قدماه ويظماً في الصيام حتى يعصب فوه فقليل له يا رسول الله ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول ﷺ بلى وله الحمد في الآخرة والأولى ثم يقول صلوات الله عليه والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشر من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون ولا يبلغ حمد نعمة منها على جميع حمد الحامدين لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل أو نهار أو سر أو علانية ولولا أن لأهلي علي حقاً ولسائر الناس من خاصهم وعامهم علي حقوقاً لا

= وألبس أثواب الحياء وقد أرى مكان الغنى أن لا أهين له عرضي
ثم قال لرسوله قل له والله يا ابن آكلة الأكباد لا أوجد في صحيفتك حسنة أنا سببها (مروج الذهب في أحوال عبد الملك وتهذيب الأسماء واللغات للنووي والاستيعاب).

يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ثم لم أردهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين وبكى بكاءً شديداً فقال عبد الملك شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها وبين من طلب الدنيا من أين جاءته ما له في الآخرة من خلاق^(١).

وذكر الصادق (عليه السلام) أمير المؤمنين (عليه السلام) فأطراه بما هو أهله ثم قال والله ما أكل من الدنيا حراماً قط حتى مضى لسييله وما عرض له أمران هما الله رضاً إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه وما نزلت برسول الله نازلة إلا دعاه ثقة به وما أطاق عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من هذه الأمة غيره وإنه ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار مما كدَّ بيديه ورشح منه جبينه وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة وما لباسه إلا الكرايس إذا فضل شيء من كمه عن يده دعا بالجلم فقصه.

ولم يشبهه أحد من ولده ولا أهل بيته في لباسه وفقهه وعبادته إلا علي بن الحسين ولقد دخل عليه ابنه أبو جعفر الباقر فلما رآه قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه غيره حتى اصفر لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود

(١) البحار ج ١١، ص ١٨ ومستدرک الوسائل ج ١، ص ١٤.

وورمت ساقاه من القيام في الصلاة فلم يملك نفسه حين رآه بهذه الحال دون أن أجهش بالبكاء رحمة له فالتفت إليه أبوه بعد هنيئة وقال يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة جدي علي بن أبي طالب فأعطاه وقرأ شيئاً سيراً وتركه متضجراً وقال من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١) وكان عليه السلام يكرر قوله مالك يوم الدين حتى كاد أن يموت ^(٢).

ورآه أسباط في مسجد الكوفة معفراً وجهه بالتراب ويناجي ربه فقال له يا ابن رسول الله تعذب نفسك وقد فضلك الله بما فضلك فبكى وذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ أن كل عين باكية يوم القيامة إلا أربعة أعين: عين بكت من خشية الله وعين فقدت في سبيل الله وعين غمضت عن محارم الله وعين ساهرة ساجدة يباهي بها الله ملائكته يقول انظروا إلى عبدي قد جافى بدنه عن المضاجع يدعوني خوفاً من عذابي وطمعاً في رحمتي اشهدوا أنني قد غفرت له. ورآه طاووس عند الميزاب ببيت الله الحرام يبكي ويتضرع فقال له أراك على هذا الحال وأنت ابن رسول الله ولجذك الشفاعة ورحمة الله واسعة فقال له يا طاووس لا تؤمني نسبتي إلى رسول الله بعد قوله تعالى ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا

(١) الإرشاد (للمفيد).

(٢) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٢، ص ٥٣٠.

يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ وَلَا تَوْمَنِي شَفَاعَةَ جَدِي وَاللَّهُ يَقُولُ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ﴿٢﴾ وَأَمَّا رَحْمَةُ اللَّهِ فَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ ﴿٣﴾ وَكَانَ (عليه السلام) يَصِلُ شَعْبَانَ بِشَهْرِ رَمَضَانَ وَيَقُولُ صُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴿٤﴾ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَّا بِالْדُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ فَإِذَا أَفْطَرَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَفْعَلَ فَعَلْتُ ﴿٥﴾ وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا فِيمَا إِذَا لَمْ يَسْأَلْ عَنْ بَيَانِ حُكْمٍ أَوْ دَفْعِ شُبْهَةٍ أَوْ مُحَاجَاةِ مَخَاصِمٍ لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ سِنَخِ الطَّاعَةِ لِلْمَوْلَى سُبْحَانَهُ . وَكَانَ (عليه السلام) يَقُولُ فِي آخِرِ الْوَتْرِ وَهُوَ قَائِمٌ رَبِّ أَسْأَتُ وَظَلَمْتُ نَفْسِي وَبُئْسَ مَا صَنَعْتُ وَهَذِهِ يَدَايِ جَزَاءُ بِمَا صَنَعْتُ ثُمَّ يَبْسُطُهُمَا جَمِيعاً أَمَامَ وَجْهِهِ وَيَقُولُ وَهَذِهِ رَقَبَتِي خَاضِعَةٌ لَكَ لَمَّا أَتَيْتُ ثُمَّ يَطَاطِي رَأْسَهُ وَيَقُولُ هَا أَنَا ذَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَخُذْ لِنَفْسِكَ الرِّضَى مِنْ نَفْسِي حَتَّى تَرْضَى لَكَ الْعَتَبَى لَا أَعُودُ لَا أَعُودُ ﴿٦﴾ وَالْوَتْرُ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الرُّكْعَاتِ الثَّلَاثِ أَعْنِي رُكْعَتِي الشَّفْعَ وَالرُّكْعَةَ الثَّلَاثَةَ يُطْلَقُ عَلَى خُصُوصِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّمْيِيزِ بِالْقَرِينَةِ وَقَدْ اخْتَلَفَتْ الْأَخْبَارُ فِي كَوْنِ الرُّكْعَةِ الثَّلَاثَةِ مَفْصُولَةً أَوْ مُتَّصِلَةً وَيَشْهَدُ لِلأَوَّلِ رَوَايَةُ سَلِيمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الصَّادِقِ (عليه السلام) الْوَتْرُ ثَلَاثُ

(١) كشف الغمة (للإربلي) ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .

(٢) الوسائل ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٣) الوافي ج ٧ ، ص ٦٠ عن الفقيه .

(٤) من لا يحضره الفقيه .

ركعات وتفصل بينهما ورواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام الوتر ثلاث ركعات اثنتان مفصولة وواحدة ويشهد للثاني خبر كردويه الهمداني قال سألت العبد الصالح عن الوتر فقال عليه السلام صله وصحيح يعقوب بن شعيب سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التسليم في ركعتي الوتر فقال عليه السلام إن شئت سلمت وإن شئت لم تسلم (ومن أجل هذا) جمع الأردبيلي بينهما بالتخير بين الوصل والفصل كما هو مذهب العامة وفي المدارك لو قيل بالتخير بين الوصل والفصل واستحاب الفصل كان وجهاً قوياً وحمل آية الله الحكيم الطباطبائي في (مستمسك العروة) ما ظاهره الوصل على التقية للإجماع على العمل بمضمون أخبار الفصل (وعلى كل) فالمراد بالوتر هنا الركعة الثالثة بقرينة قوله في آخر الوتر وإن لم يكن فيه دلالة على الوصل أو الفصل.

ومما أفاضه عليه السلام من التعاليم على هذه الأمة التي تكون بها النجاة يوم الحسرة وحرزاً من لطم الشيطان وهو قراءة أربع آيات من أول البقرة وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر البقرة كل يوم^(١). وآية الكرسي تنتهي إلى قوله (العلي العظيم) لأن التسمية بها من جهة اشتمالها على لفظ الكرسي وآخر هذه الآية العلي العظيم ويشهد له ما ورد في طب الأئمة للحسن بن بسطام عن

(١) تفسير البرهان ج ١، ص ١٥١، والوافي ج ٥، ص ٢٧٠.

الإمام الرضا (عليه السلام) في بعض الأحراز وتكتب آية الكرسي إلى العلي العظيم والتحديد دليل الانتهاء إليه ويؤيده ما في مجمع البيان عن عبد الله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله) من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في كل ليلة في بيت لم يدخله شيطان حتى يصبح وهي أربع آيات من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها ولو كانت آية الكرسي تنتهي إلى ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لزادت على العشرة لأن الخواتيم ثلاث آيات من آخر البقرة كما صرح به الحديث المتقدم ويؤكد حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنه قال ما أرى رجلاً أدرك عقله الإسلام وولد في الإسلام يبيت ليلة حتى يقرأ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إلى قوله ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ولو تعلمون ما فيها لما تركتموها على حال إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبرني بأن الله تعالى أعطاه آية الكرسي من كنز تحت العرش ولم يؤتها نبي قبله وإني لم أبت ليلة قط منذ سمعت فضلها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أقرأها في ثلاث أحيين بعد صلاة العشاء قبل الركعتين وحيث أخذ مضجعي من النوم وعند وتري من السحر^(١).

ومن أجل هذا أفتى الشهيد الثاني في روض الجنان بانتهائها إلى العلي العظيم وفي فصل التعقيب من النفيلة قال لا نص على

(١) كتاب المسلسلات ص ١١٥ ، في جملة رسائل (لأبي جعفر محمد بن أحمد ابن علي القمي).

تحديد لها والإطلاق يقضي أن آخرها العلي العظيم والتحديد في بعض الموارد إلى هم فيها خالدون مختص به وفي شرح الإرشاد للأردبيلي عند ذكر صلاة الغدير قال الظاهر أن آية الكرسي إلى العليّ العظيم للتبادر ولما هو مقرر عند القراء والمفسرين في غير هذا المحل والزيادة تحتاج إلى قيد وفي مرآة العقول للمجلسي ج ٢، ص: ٤٩٠ المشهور أنها إذا أطلقت فالمراد بها العلي العظيم وفي شرح الصحيفة السجادية للسيد علي خان ص: ٥٢٨ عند شرح دعائه في استكشاف الهموم أن آية الكرسي تنتهي إلى العلي العظيم نص عليه بعض أصحابنا المتأخرين وهو المشهور وذكر الحجة السيد محمد باقر الأصفهاني في المتفرقات من (أجوبة المسائل) موافقتهم على ذلك وحكاها عن ملا محمد صالح المازندراني في شرح الكافي والمولى خليل القزويني في شرحه على الكافي في كتاب الدعاء والأحراز وفضل القرآن ويظهر من صاحب الجواهر (قده) الموافقة.

وهذا الرأي سديد وإن خالفه الطوسي في مصباح المتعجب في باب المباهلة والكفعمي في المصباح والبلد الأمين في صلاة الغدير والسيد ابن طاووس في الإقبال والعلامة في القواعد والتذكرة في صلاة الغدير وفي النهاية عند المباهلة والشهيد الأول في البيان في الغدير والمباهلة والفيض في خلاصة الأذكار في المباهلة والسبزواري في مفاتيح النجاة في المباهلة وهو المحكي

عن الجعفرية للمحقق الثاني ومفتاح الفلاح للبهائي وترجمته
لجمال الدين الخونساري والشيخ الأكبر في كشف الغطاء في
مكروهات التخلي .

فإن دليلهم غير واضح وما يوجد في بعض الروايات من
الأمر بالقراءة إلى هم فيها خالدون لا دلالة فيه على أن آية
الكرسي عبارة عن الآيات الثلاث فكيف يركن إليه مع النص
الصريح بالتحديد إلى العظيم وما يرويه المتقي الهندي في كنز
العمال ج ١، ص: ٢٢١، عن عبد الله بن المبارك عن أمير
المؤمنين (عليه السلام) من أن آية الكرسي خمسون كلمة في كل كلمة
خمسون بركة شاهد له .

الهبّات

إنّا لا نكبر أهل البيت عليهم السلام في ما يصدر منهم من الهبات والجوائز لذوي الفاقة والحاجة مع أن في الأجواد من يعطي مثلها وإنما المباهاة بتلكم الصلات من حيث بلوغ الغاية المتوخاة في النائل المتدفق منهم فإن الأئمة عليهم السلام متجهون إلى نواح شتى في نوالهم فلا يضعونها إلّا في مواضعها المرغوب فيها وكثيراً ما سبب عطاؤهم هداية ضالّ أو إرشاد جاهل أو صلة رحم مقطوعة أو عرفان حقيقة مجهولة؛ يحدث المؤرخون أن شامياً مر على الحسن بن علي عليه السلام فأكثر من سبه والحسن عليه السلام ساكت لا يردّ وبعد أن فرغ لطفه أبو محمد في القول ثم استدعاه إلى منزله وأضافه وأجزل عطيته وكساه فخرج من عنده غنياً ولسانه يرتل بالثناء عليه ويقول أشهد أنك ابن رسول الله حقاً وأنت خليفة الله في أرضه الله أعلم حيث يجعل رسالته لقد كنت وأبوك من أبغض خلق الله إلي والآن من أحبهم^(١).

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص ١٥٦. ونهاية الأرب (للنويري) ج ٦، =

وكان رجل من ولد عمر بن الخطاب بالمدينة يؤذي موسى بن جعفر (عليه السلام) ويسبهه إذا رآه ويشتم علياً (عليه السلام) فأراد بعض موالي الإمام الوقعة فيه فنهاه أبو الحسن (عليه السلام) ثم سأل عن العمري فقيل إنه في زرع له بناحية من نواحي المدينة فركب أبو الحسن إليه ودخل المزرعة بدابته فصاح العمري لا تطأ زرعنا فلم يلتفت حتى إذا وصل إليه نزل وباسطه في القول وسأله عما غرمه في زرعه فقال غرمت مائة دينار ثم سأله عما يرجو أن يصيب منه قال مائتي دينار فدفع إليه أبو الحسن ثلثمائة دينار لما غرمه ولما يرجوه وبشره بسلامة زرعهِ وإنتاجه ما يرجوه ففرح العمري بهذا الخلق الكريم الممتزج بالحلم والسخاء والبشارة بنتاج عمله فصاح الله أعلم حيث يجعل رسالته وقبّل رأسه ويده وسأله الصّفح عما فرط من القول فيه فتبسم أبو الحسن وانصرف إلى أصحابه يقول أيما أحسن ما أردتم أو ما صنعتته إنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم وهدى الله الرجل وصار من مواليه^(١).

هكذا كان أهل البيت في سببهم المتواصل يعرفون الملاء طريق رشدهم ويوجهونهم إلى ما فيه سعادتهم وما يريده المولى سبحانه من مقابلة القطيعة بالصلة والجفوة بالموافاة والصد

= ص ٥٢ كامل المبرد ج ٢، ص ٤، وتاريخ ابن عساكر ج ٤، ص ٢١٥.

(١) إعلام الوری (للطبرسي) ص ١٧٨.

بالوصال والتنازل إلى اليد السفلى بقصد أبواب البائسين بما يحتاجونه من المؤن مع شرفهم الوضاح ومكانتهم العظيمة وإكبار الناس لهم على أن من عرفهم حق المعرفة يعلم أنهم عليه السلام حلقات الوصل بين المولى جل شأنه وبين العباد وأن كل ما في الكون من الفضل الشامخ والعطاء غير المنصرم الذي تفضل به الله تعالى على الناس فهو لأجلهم فيمّنهم رزق الورى وثبتت الأرض والسماء وإنهم في جميع المنن الإلهية شرع سواء فأى جواد يسأجلهم وقد بلغوا الغاية فما يسجله لهم التاريخ من أمثلة النائل والمعروف والهبات في مواقعها نزر من كثير.

وإن علي بن الحسين جمانة من ذلك العقد الذهبي في جميع ما هم عليه من الفضائل والفواضل فكان إذا جنه الليل وهدأت العيون جمع ما عنده من دراهم ودنانير ودقيق وسمن ووضع على ظهره وخرج متلثماً يطرق أبواب الفقراء فيغدق عليهم نائله الواسع وإن الكثير ممن تعود صلته يقف على باب داره منتظراً له فإذا رأوه تباشروا يقول كل لصاحبه أتانا صاحب الجراب وهم لا يعرفونه لمكان لثامه حتى إذا مات وفقدوا تلك الهبات المنعشة لهم وأحسوا بلفحة العسر ولهبة الفاقة وضع لهم أن ذلك المجاهر بقوله: صدقة السر تطفئ غضب الرب هو ابن (الخيرتين) وزين العابدين^(١) حتى إن ابن عم له ممن غمرته

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص ٢٥٤.

صلاته ولم يعلم به لتكره يظهر له الشكوى من السجادة (عليه السلام) لأنه لم يصله والإمام ساكت فلما استشهد (عليه السلام) عرف من كان يأتيه بالهدية وأنه فرط في الحط من كرامته^(١) وكان يستقي لضعفة جيرانه بالليل وفي يوم الصوم يأمر بشاة فتذبح وتطبخ بماء وملح وعند المساء يدعو بالقصاع فيفرق المرق فيها على الفقراء حتى يأتي على آخره ثم يفطر على خبز وتمر ويتصدق بكسوة الشتاء عند انقضائه وبكسوة الصيف عند انتهائه كما يتصدق بلباسه الخز على من لا يعرف قيمته ويجيب من يقول له هلا بعته وتصدقت به: إني أكره أن أبيع ثوباً صليت فيه ولا يأكل طعاماً حتى يبدأ بالصدقة منه ويعجبه مؤاكلة اليتامى والزمنى والأضراء والمساكين الذين لا حيلة لهم^(٢) ويقول لخادمه إذا أعطيت السائل فمره أن يدعو بالخير فإن دعاءه لا يرد^(٣) ولما احتضر عبد الله بن الحسن اجتمع عليه غرماؤه يطالبونه فقال ليس عندي شيء ولكن ارضوا بمن شئتم من علي بن الحسين أو عبد الله بن جعفر فاختاروا السجادة (عليه السلام) فضمنه لهم إلى غلة فلما حان الوقت أتاح الله له المال فأداه^(٤).

(١) البحار ج ١١، ص ٢٩.

(٢) المناقب ج ٢، ص ٢٥٥.

(٣) لآلئ الأخبار ص ٢٧٤ باب ٦.

(٤) الوافي ج ١٠، ص ١٠٦ عن الفقيه.

حلّمه

لا ريب أن الإمام المنصوب من قبل الله تعالى علماً للناس ومقتدى لهم في ما فيه رضى الرب جل شأنه هو المركز لدائرة الأخلاق الفاضلة وإن خطوط الخصال الحميدة فيهم متساوية فالأئمة كلهم في الشجاعة والكرم والعلم وجميع الأخلاق الفاضلة سواء كما ورد عنهم عليهم السلام أولنا كآخرنا وآخرنا كأولنا وكلنا في الفضل سواء لأن من خصائص الخلافة الإلهية الكبرى الحصول على المآثر جمعاء فلا تفوت الإمام عليه السلام مآثرة منها، وتبرز أحدهم ببعضها ليس إلا من جهة اقتضاء الظرف لذلك وإلا فكل واحد منهم لو كان في مغازي الرسول ﷺ لظهر منه من البسالة كما ظهر من أمير المؤمنين عليه السلام ولو كان في أيام معاوية الذي فرق أموال المسلمين على من لا يستحقها استمالة له لظهر من الإمام كما فعل الحسن عليه السلام من الهبات والعطاء الجزل انتشالاً للبقية من المؤمنين أن لا يستهويهم وفر معاوية ولو حصلت الفترة لكل واحد منهم كما حصلت للصادق عليه السلام لنشر من الأسرار

الإلهية كما جاء به أبو عبد الله (عليه السلام) فاستدعاء الظروف القاسية واقتضاء الحكمة أوجبا أن يكون بعض الأئمة مظهراً لبعض الفضائل دون غيرها لا بمعنى خلوه منها بل لأن المصلحة في ما تظاهر به أكد. ومن تلکم المآثر التي امتاز بها الإمام السجاد (عليه السلام) الحلم المقابل للطيش مرة وللجهل أخرى وهذا هو الذي مدح صاحبه الذكر الحكيم إذ يقول ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ يعني بما تقتضيه النفس من الصفح في محله والردع حيث يقتضيه الحال والبطش إذا دعت إليه الحكمة.

لقي الإمام السجاد (عليه السلام) رجل من الخوارج فسبه وثار العبيد للانتقام منه فقال (عليه السلام) لهم مهلاً ثم أقبل على الرجل وقال ما ستر عليك منا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحى الرجل وسكت فأمر له الإمام بألف درهم فكان هذا سبباً لهدايته وانصرف يقول أشهد أنك ابن رسول الله (١) وشتمه آخر فقال (عليه السلام) يا هذا إن بيننا عقبة كؤوداً إن جزتها فلا أبالي بما تقول وإن أتحير فيها فأنا شر مما تقول (٢) ووقف عليه رجل من أهل بيته يشتمه فلم يجبه بكلمة فلما انصرف قال صلوات الله عليه لمن حضر عنده إني أحب أن تبلغوا معي إلى دار هذا الرجل لتسمعوا ردي عليه فمشوا معه فلم يسمعوا منه في الطريق إلا قوله تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ

(١) كشف الغمة ص ٢٠٥.

(٢) البحار ج ١١، ص ٢٧.

عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ ولما وصل إلى منزل الرجل طرق الباب فخرج إليه متوثباً للشر فقال له السجّاد عليه السلام يا أخي إنك وقفت عليّ أنفأً وتكلّمت فإن كان ما قلته فيّ حقاً فإني أَسْتَغْفِرُ اللهَ منه وإن لم يكن حقاً فيغفر الله لك فخجل الرجل وقبّل ما بين عينيه واعترف بالإساءة وسأله العفو والصفح ^(١).

وكان رجل بالمدينة من البطالين يضحك الناس ويستطعمهم بذلك فقال لجماعة قد أعياني علي بن الحسين فما يضحكه مني شيء ولا بد من أن أحتال في أن أضحكه فمر به زين العابدين ومعه موليان فأخذ ذلك البطال رداءه من على ظهره وتبعه الموليان فأخذه منه والإمام مخبت لم يرفع طرفه من الأرض فقال عليه السلام لهما ما هذا قالا بطل يضحك الناس ويستطعمهم بذلك فقال عليه السلام قولاً له إن الله يوماً يخسر فيه البطالون ولم يزد على هذا ^(٢).

هذه تعاليم قدسية للأمة ودروس لو اعتبروا بها وتفقهوا في مغزاها لساد الحلم بينهم واشتبكت عروق الألفة خصوصاً مع من يعرف من نفسه الزلة ويشاهد من صاحبه القدرة والعفو وكم لآل الرسول الأطهرين عليهم السلام من نصائح وإرشادات تأخذ بيد الواعي لها إلى أوج العظمة.

(١) إرشاد المفيد.

(٢) أمالي المفيد ص ١٢٨.

في شهر رمضان

يروى الشريف ابن طاووس أن السجاد عليه السلام كان إذا دخل عليه شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة إذا صدر منهم ما ينافي الحقوق الواجبة عليهم ويكتب ذلك في طومار وفي آخر يوم منه يجمعهم ويقف في وسطهم ويقرأ عليهم ما حوته الصحيفة من إساءتهم ويقول لكل واحد منهم يا فلان إنك فعلت كذا في يوم كذا حتى يأتي على آخرهم فيعترفون به ثم يقول لهم ارفعوا أصواتكم وقولوا يا علي بن الحسين إن ربك سبحانه قد أحصى عليك كل ما عملت كما أحصيت علينا كل ما عملنا ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً فاعفُ واصفح كما ترضو العفو والصفح من الله يا علي بن الحسين اذكر مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل وكفى بالله حسيباً وشهيداً فاعفُ واصفح عنك المليك ويصفح فإنه يقول ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .

وبهذا يلقنهم فينادون معه وهو واقف بينهم يبكي ويتضرع ويقول ربنا إنك أمرتنا أن نعتفو عمن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا فنحن قد عفونا عمن ظلمنا كما أمرت فاعفُ عنا فإنك أولى بالعتفو منا ومن المأمورين وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا وقد أتيناك سؤالاً ومساكين وقد أنخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك فامنن علينا ولا تخيبنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين إلهي كرمت فأكرمني إذ كنت من سؤالك وجدت بالمعروف فاخلفني بأهل نوالك يا كريم ثم يقول لمواليه قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني وما كان مني من سوء ملكة فإني مليك سوء لئيم ظالم مملوك لمليك جواد عادل محسن متفضل فيقولون قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت إلينا فيقول لهم قولوا اللهم اعفُ عن علي بن الحسين كما عفا عنا وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرهق وهو عليه السلام يؤمن على دعائهم ثم يقول لهم اذهبوا قد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاء للعتفو عني وعتق رقبتي ويجيزهم يوم الفطر بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس وما من سنة إلا ويعتق صلوات الله عليه في آخر ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ما بين عشرين عبد إلى أكثر أو أقل ويقول إن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان سبعين ألف عتيق من النار كلُّ قد استوجب النار وفي آخر ليلة منه أعتق فيها مثل ما أعتق في جميع الشهر وإني لأحب أن يراني الله وقد أعتقت رقاباً

في ملكي في دار الدنيا رجاء أن يعتق رقبتني من النار ولم يستخدم أحداً فوق الحول فإذا ملك العبد أول السنة أو في أثنائها أعتقه في آخر ليلة من شهر رمضان وهذا دأبه في كل سنة حتى لحق بربه تعالى وكان يشتري السودان وليس له بهم حاجة ولكن إذا أتى عرفات يوم الموقف سد بهم تلك الفرج والخلال فإذا أفاض أعتقهم جميعاً وأجازهم بمال كثير^(١).

ولم يخف قصد الإمام (عليه السلام) من الإتيان بهذا النوع من العبادة في كل موقف يزدلف فيه جماهير الناس وما يفعله من البر بالمماليك في شهر الصيام من كل عام ذلك الشهر المبارك الذي تشخص فيه الأبصار إلى إحسان المحسنين فإن الغرض المهم تعريف الملاء الديني برفع الصغار عمن يملكون أمره ملكاً شرعياً أو سلطة استحواذ فيرتفع شأنهم ويكون عدادهم في الأقوياء والأشراف ويساهمون المسلمين في الصالح العام والعمل الصالح فإن في نفس هذا الترفيع وإطلاق الحرية تنشيطاً لهم على العمل ويرفعهم عن الفشل كما أنه يثبت آخرين بازدياد العدد وكثرة المدد وفيه تأميد لما هو معلوم من فضله سبحانه من رفع رتب العباد وكشف كربهم من غير استحقاق ملزم لهم بل بالتفضل عليهم فحسب وفيه لفت أنظار المشايعين له على الإمامة المتفقهين في

هذه الدروس الأخلاقية إلى متابعة السير على هذا النهج القويم واقتصاص أثر المولى جل شأنه في إعلاء مثابة عبيده وإجزال الفضل عليهم فيتصور الإنسان أنه متى فعل ذلك البر والإحسان إلى خلق الله فسيجازى من الله تعالى ببر أوسع مما أتى به ويتدفق عليه إحسان المهيمن عزّ شأنه وبهذا يتسع نطاق الهبات ويعم الخير وينشر العدل، وهناك سر دقيق لاحظته الإمام عليه السلام وهو أن هؤلاء العبيد المتهذبن بالآداب العلوية عندما يرفع عنهم نير العبودية ويطلق سراحهم يكونون أكبر الدعاة إلى الدين الحنيف دين الوحدة والإسلام وهذه ملحوظة لا يفقها إلا من أودع الله فيه نور اليقين.

تواضعه

الإنسان الكامل مهما دلته المعرفة بأن التكبر لا يحق إلاّ للذات المتوغلة في الكبرياء من شتى النواحي لأنها الكائنة بذاتها القائمة بنفسها المتصرفة في من عداها كيفما شاءت وأرادت فلا تحدثه نفسه آثاماً بالتكبر وإن تحلت بالفضائل لعلمه بأنه منقاد للمشیئة الإلهية في جميع الأحوال كالريشة في مهب الريح لكونه حادثاً مسبوقاً بالعدم وأنه يطرأ عليه العدم عند حلول أجله وانقضاء مدته ثم مهما كبرت نفسه بالماثر يجدها دون عظمة من أوجد كيانه محفوفاً بالنقص من شتى النواحي خصوصاً إذا عرف تـكونه من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب وأوله نطفة مـذرة وآخره جيفة قدرة وما بينهما يحمل العذرة فكيف يترفع على غيره الذي يحتمل أن يكون له مزية عليه عند الله ومهما كان الإنسان عالماً باحتوائه على الصفات الحميدة فلا يفوته العلم بأن المرتبة النازلة عنه من لطف الباري سبحانه ومنحه فمن الواجب إدامة الشكر لهذه الميزة التي أفاضها الله عليه وحباه بها فإن

الإنسان في حاجة إلى استمرار هذا الفيض الربوبي والعطاء غير المجذوذ لأنه بانقطاعه عنه يهوي إلى هوة الضعة ويصبح عبدة وعظة وهل كبرياء العبد وجبروته إلا نزاع مع ذات الجلالة تعالت عظمته بصفة لا تليق إلاّ به وإن النفوس الكاملة المحبوبة بالفواضل تعلم بأن المتصرف فيها له الملك يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ومن يعرف بأن الذباب وهو أضعف خلق الله إذا سلبه شيئاً لا يستطيع رده يكون في جميع الآفات خاضعاً للإرادة الإلهية لهجاً بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾.

ويشهد لذلك ما ورد أنه سبحانه وتعالى أوحى إلى نبيه موسى ﷺ أن يأتي الميقات بمن هو دونه فلم تقع خيرته على أحد فرقاً من مكنون القدر واحتمل أن يكون في كل واحد ما هو خالٍ منه حتى ظفر بكلب أبرص فوضع الجبل في عنقه وأخذه معه وفي أثناء الطريق احتمل أن يكون في هذا صفة محبوبة امتاز بها عليه فأطلق سراحه ووافى الميقات وحده فجاء النداء لماذا أتيت وحدك قال موسى ﷺ إني لم أجد أقل مني فأوحى الله تعالى إليه لو أتيت بالكلب لمحي اسمك من ديوان الأنبياء^(١).

(١) لآلئ الأخبار (للتويسركاني) ص ٧٩١ في ذم التكبر وأنوار الهداية وسراج الأمة (للحاج ملا حسين اليزدي) باب ٣٠ التواضع.

وعلى هذا فالإمام زين العابدين وإن كان زينة المتواضعين وجمانة عقدهم وعلى الغارب والسنام من هاتيك الفضيلة الراحلة تراه يتنازل بالمحادثة والمجالسة والمؤاكلة مع الأذنين حتى كأنه واحد منهم وهو ابن رسول الله وعلة الكائنات بهم فتح الله الوجود وبهم يختم تعريفاً للأمة بأن الكبرياء لا يليق إلاّ بذات الجلالة فاطر السماوات والأرضين فكان يمشي متواضعاً كأن على رأسه الطير ولم يسبق يمينه شماله^(١). ومع هذا قد يشاهد متحرياً لما فيه الأبهة والعظمة إكراماً لنفسه عما فيه الامتهان وتعليماً لمن لا يفقه الشريعة باجتناب ظواهر الخسة والدناءة وعلى هذا جاء الحديث عن الصادق (عليه السلام) أن علي بن الحسين (عليه السلام) بيتاع الراحلة بمائة دينار ويكرم بها نفسه^(٢) ورآه الزهري في ليلة مطيرة يحمل الدقيق فقال له إلى أين يا ابن رسول الله قال (عليه السلام) : إني أريد سفراً وحملت إليه زاداً أضعه في محل حريز فسأله الزهري أن يدفع ما حمله إلى غلامه فأبى صلوات الله عليه فأراد الزهري أن يحمله بنفسه فعرفّه الإمام (عليه السلام) بأنه لا ينجليه في سفره إلاّ أن يحمله بنفسه ثم أقسم عليه أن ينصرف فمضى الزهري وبعد أيام سأله الزهري عن ذلك السفر قال إنه ليس كما ظننت ولكنه الموت وإليه أستعد والاستعداد له بتجنب الحرام وبذل

(١) مشكاة الأنوار ص ٢٠٥ ومحاسن البرقي ج ١، ص ١٢٥.

(٢) محاسن البرقي ج ٢، ص ٢٣٩.

الخير والندی^(١) وكان عليه السلام إذا دخل عليه ختنه على ابنته أو أخته بسط له رداءه وقال مرحباً بمن كفى المؤنة وستر العورة^(٢) وإذا سافر كتم نفسه عن الرفقاء وقام بما يحتاجون إليه فسافر مرة مع من لا يعرفه فرآه رجل يعرفه فقال لهم أتدرون من هذا إنه علي بن الحسين فسقطوا عليه يقبلون يديه ورجليه ويعتذرون من التقصير معه وسئل عن سبب السفر مع من لا يعرفه فقال سافرت مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله ما لا أستحق فهذا ألزمني السفر مع من لا يعرفني^(٣) وكان إذا سافر يصلي ركعتين ثم يركب راحلته وإذا بقي مواليه يتنفلون وقف ينتظرهم فقليل له ألا تنهاهم فيقول إني أكره أن أنهى عبداً إذا صلى والسنة أحب إلي^(٤) ومرت صلوات الله عليه على مجذومين بينهم سفرة يأكلون منها فدعوه إلى الأكل معهم فقال عليه السلام لولا أنني صائم لفعلت ولما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع لهم وأحسنه ثم دعاهم وأكل معهم^(٥).

وهذا الفعل من الإمام الحجة الواقف على أسرار التكوين

(١) البحار ج ١١، ص ٢٠ عن العلل.

(٢) الوافي ج ١٢، ص ١٧.

(٣) عيون أخبار الرضا ص ٢٨٣.

(٤) المحاسن ج ١، ص ٢٢٣.

(٥) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٢، ص ١٣٠ باب التواضع.

يفيدنا فقهاً بأن الاتصال بذوي العاهات قد لا يؤثر في انفعال الأجسام الصحيحة لوجود القوة المانعة من التأثير أو للتوكل على الله تعالى والثقة بأنه سبحانه مورد البلاء حسب مقتضيات وأمر النبي ﷺ بالفرار عن المجذوم لا دلالة فيه على العدوى بحيث يكون الاتصال به علة تامة للتأثير لإمكان وجود المناعة الرافعة للانفعال بل الغرض من قوله ﷺ فر من المجذوم فرارك من الأسد^(١) الإيعاز إلى استقذاره وتنن ربحه وربما سبب ذلك تعبير المبتلى بهذا المرض والإزراء عليه والتنفر منه فينكسر قلبه والمولى الحكيم لا يريد من العباد إلا التراحم والتعاطف فيما بينهم وامتناع النبي ﷺ من إدخال المجذوم عليه للبيعة^(٢) على فرض الصحة لا دلالة فيه على العدوى لاحتمال أن في الحاضرين من يتنفر منه فيظهر ما يسوء المريض وإلا فقد ورد أنه ﷺ أخذ بيد مجذوم ووضعها في القصعة وقال له كل ثقة بالله وتوكلاً عليه^(٣) وما ورد من أن الرجل يصيب إبله الجرب فيوردها

(١) هذه القطعة من الحديث رواها الصدوق في الخصال ج ٢، ص ١٠٢ والفقيه ص ٣٥٢ والسيد المرتضى في الأمالي ج ٤، ص ١١١، وابن قتيبة في مختلف الحديث ص ١٢٣، وابن تيمية في مفتاح دار السعادة ج ٢، ص ٢٨٧، وكنوز الحقائق (للمناوي) على هامش الجامع الصغير (للسيوطي) ج ٢، ص ٢٣.

(٢) صحيح مسلم ج ٢، ص ٢٦٣ كتاب الآداب.

(٣) مصابيح السنة (للبغوي) ج ٢، ص ١٣٤، ومستدرک الحاكم ج ٤، =

على الصحيحة فقال النبي ﷺ لا توردن ذا عاهة على مصح^(١) لا دلالة فيه على ملازمة تأثير الجرب في العدوى بل الفرض من النهي التحرز عن إيذاء المؤمن من جهة اعتقاده تأثير هذا المرض في العدوى فيحصل من ذلك التباعد فيما بينهما وقطع الصلات لا اعتقاد صاحب الإبل الصحيحة أن الرجل متعمد في إضراره بإدخال الجربى في إبله والشرعية حثت على التعاضد والتعاون والألفة بين المسلمين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ومما يشهد له ما ورد من أنه قيل يا رسول الله أرأيت البعير يكون به الجرب فيدخل في الإبل فيعديها قال ﷺ فمن أعدى الأول ذلك القدر^(٢) مع أنه يحتمل أن يكون في الحيوان الصحيح مناعة تضاد مكروب الجرب فلا يتأثر به ومن هنا قال علم الهدى والسيد المرتضى إنا نجد كثيراً من الإبل الصحيحة تخالط الجربى فلا يصيبها شيء^(٣) فتحصل من هذا أن الأمر بالفرار من المجذوم لم يكن من جهة العدوى بل إما لرعاية خاطر المريض فإن المريض إذا رأى الصحيح تعظم عليه المصيبة ويشدد أسفه وينسى سائر نعم الله

= ص ١٣٧، وصحيح الترمذي مع شرح ابن العربي عليه ج ٨، ص ١١.

(١) مشارق الأزهار (للحسن الصاغاني) ج ١، ص ٢٦١ وتدريب الراوي (للسيوطي) ص ١٩٧ والخصال (للصدوق) ج ٢، ص ١٠٢.

(٢) كنز العمال ج ٥، ص ١٩٨.

(٣) الأمالي ج ٤، ص ١١٣.

عليه فاجتماع الصحيح مع المريض يوجب زيادة محنة المسلم وبلائه وإما لأجل أن لا يظن السليم بثبوت العدوى من المخالطة لارتكاز سراية هذا المرض في نفسه فالأمر بالفرار شفقة على السليم ولطف به وحيث إن إزالة المرتكزات الطبيعية غير سهلة والشارع لا يرغب في هذا الاعتقاد المضاد للقضاء والقدر الإلهي تلطف بهذا اللون من البيان ليتنزه المسلم عن اعتقاد ما يبغضه المولى تعالى ولو لم يحمل الأمر بالفرار عن المجذوم على هذا التناقض أول الحديث وآخره فإن المروي في صحيح البخاري ج ٤ كتاب الطب وكنز العمال ج ٥، ص: ١٩٧، لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد وفي ص: ١٩٢ من كنز العمال عن ابن جرير اقتصر على قوله لا عدوى وفر من المجذوم كما تفر من الأسد فلو كان الأمر بالفرار من جهة العدوى لما التأم مع قوله لا عدوى^(١) وإن أردت الزيادة فراجع كتاب الشهيد مسلم بن عقيل طبع النجف عنوان (مسلم لا يتطير) فقد تبسطنا في ذلك.

(١) هذا الذي ذكرناه في معنى الحديث لم يتباعد عنه العيني في عمدة القاري ج ٦، ص ١٦٨ والعسقلاني في فتح الباري ج ١٠، ص ١٢٠ والقسطلاني في إرشاد الساري ج ٨، ص ٣٧٤ والسيوطي في التدريب ص ١٩٧.

صبره

الصبر اجتماع الفضائل النفسية وما من مآثرة إلا والصبر واقع في الطريق إليها سواء في ذلك معاناة جهد الطاعة أو كبح جماح الشهوة أو مجادلة عادية الشح أو مكافحة حب النفس إلى أمثالها من فضائل وفواضل فلكل خصلة حميدة خطة تتجه نحو الصبر اتجه خطوط الدائرة إلى مركزها ولذلك تطابقت الآيات والروايات في تعظيم أمره والمدح عليه وذكر المثوبات الجزيلة للمتلبس به وقد ذكر في القرآن العظيم الصبر في نحو سبعين موضعاً وجعل الله جزاء كل فضيلة بحساب إلا الصبر فإنه جل شأنه قال فيه ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ على أن فيه توطيد دعائم الإصلاح وتشديد مباني المودة فإن الظالم مهما بلغ الغاية من القسوة والفظاظة إذا وجد من صاحبه جلدأً على ما أوقعه به من تعذيب وأذى واحتمالاً على العادية التي أورها عليه فلا محالة يتنازل عن غلوائه ويخمد لهب عدائه وبذلك تكتسح الإحسان والشحناء فيحرق كل على صاحبه لا سيما إذا عرف منه المقدرة

على النيل منه والخط من قدره ولكنه عفا وصفح وكظم الغيظ والعفو شيمة الكرام النجباء ولكن أين من يتبع خطوات الشريعة ويفقه هذه المغازي .

فالصبر إن كان على مقاساة كسر الشهوة أفاد الصابر العدالة والعصمة وإن كان على معاناة شدائد الطاعة لزم الصابر التعبد والزهادة وإن كان لأجل الرقي والتهديب لزم العلم والفقاهة وإن كان للترفع عن الدنيا ورفض ما تهش إليه النفوس الواطئة فتلك الشهامة والإباء وإن كان لتحمل ملاقات الأقران ومنازلة الشجعان فهو الشجاعة (وقصارى القول) إن كل فضيلة رابية تلزم شريعة الأخلاق التحلي بها تستدعي الصبر على مقاماتها المجاهدة وكل رذيلة ممقوتة يجب التخلي عنها في مذهب الحفاظ يلزم الصبر على مقاساة تركها بكبح جماح النفس الأمارة بالسوء فالصبر أم الفضائل ومحور دائرة المناقب وقد تساوت إليه خطوطها فهو ثبات على ما دعا إليه الدين وألزمته الشريعة .

ومما يعين على الصبر استحضار فوائد الشيء الذي يراد فعله ومضار الشيء الذي يراد تركه سواء منها الدنيوية والأخروية وما أعد الله للصابرين من ثواب عظيم ونفع عميم «ولو قيل» قد علمنا مدخل الصبر في الاستعانة على منع النفس من شهواتها وكفها عن هواها فكيف كانت الصلاة معينة على ذلك حتى قرن بها جل شأنه بالصبر فقال ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

الْخُشْعِينَ ﴿٤٥﴾ قلنا في جوابه إن الصلاة اشتملت على تلاوة من آيات القرآن تبين للمرء قيمة الدنيا وأن في تركها السعادة مضافاً إلى أن موقف العبد بين يدي الله تعالى متذللاً خاشعاً مما يذكره بعظمة الباري عزّ شأنه ويعرفه جبروته وكبريائه ولا ريب أن الملتفت إلى هذه النواحي لا يرى لزخرف الدنيا وزينتها حقيقة تتشوق إليها نفسه فالصلاة على هذا كالصبر على معاناة ترك الزخارف الذميمة وكسر الشهوات المتحكمة في الطباع ولهذا استحقت الصلاة المقارنة بالصبر.

وكيف كان فلا يفوت القارئ أن الصبر الممدوح صاحبه ما إذا كان عن مقدرة على دفع ما ورد عليه من مضض الأذى وأما العاجز الذي لا يجد حيلة إلاّ التجلد على المكروه كالمضروب الضعيف والسجين المقهور فلا يقال له صابر ولا تترتب عليه آثار الصبر وإن استحق أن يعطف عليه إذا كان مظلوماً وأما الثناء والمدح والإكبار فهو قصر على من استمرراً تلکم المضاضة وكان في وسعه دفع المكروه عن نفسه لولا الترفع عن مقابلة الجاهل الكاشف ذلك عن قوة عقله وكمال نفسه ورسوخ إيمانه الغالب على شهواته وله بذلك مجازاة كبرى من المولى سبحانه يوم تفاض فيه الأجور وفي حديث أبي حمزة الثمالي عن السجاد عليه السلام إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ أين أهل الصبر فيقوم أناس فيقال لهم على ما صبرتم فيقولون صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن

معصية الله فيقال لهم صدقتم ادخلوا الجنة^(١).

ومن هنا تحمل الرسل الكرام والأوصياء المرضيون المكاره من طواغيت زمانهم وصبروا على كل بلية وأذى تحريماً للوصول إلى الغاية التي أرسلوا إليها وهي إرشاد أممهم إلى الطريقة المثلى ولولا تبرزهم بهذه الأكرومة الجليلة لما تمت لهم الطاعة بين الملاء وفاتهم الغرض المقصود من إرسالهم مع تمكنهم من الانتقام وقدرتهم على الغلبة ممن ناوهم ولو بخرق العادة وما أكثر ما وقع من ذلك عند اقتضاء المصلحة.

ولقد ثبت في المعتقد الصحيح أن الإمام المقيّض من المولى سبحانه للخلافة الكبرى بعد انقضاء أمد الرسالة أرقى الناس في جميع صفات الكمال فلا يكون في الرعية من يساويه أو يفوقه ولو في بعض المكارم وهذا من لوازم كونه أفضل الأمة وإلا لزم ترجيح المفضول القبيح عقلاً وكل أئمتنا (عليهم السلام) جماع الفضائل ومطلع أنوار الفواضل وإن كان بعضها في بعضهم أكثر لكنهم كأسنان المشط في التفوق على عامة الناس في الفضائل جمعاء وإنما ظروف بعضهم اقتضت ذلك الاختصاص فصبروا صلوات الله عليهم على مقاساة الأهوال مع قدرتهم على دفع البلايا عنهم ولو بخرق العادة لكنهم استسلموا للقضاء الجاري وصبروا على

(١) حلية الأولياء (لأبي نعيم) ج ٣، ص ١٣٨.

ما انتابهم في سبيل الحق وبعين الله تعالى كل ذلك وفي هذا يقول أبو جعفر عليه السلام لجماعة من أصحابه: وا عجباً من قوم يتولونا ويجعلونا أئمة ويصفون طاعتنا عليهم مفروضة كطاعة الله ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم فينقصون حقنا ويعيبون ذلك علينا عند من أعطاه الله برهان معرفتنا والتسليم لأمرنا أترون الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم في ما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم.

فقال له حمران جعلت فداك أرايت ما كان من أمر قيام علي ابن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام بدين الله وما أصيبوا به من قبل الطواغيت والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا فقال أبو جعفر عليه السلام يا حمران إن الله تعالى قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه ثم أجراه فبتقدم علم من رسول الله إليهم قام علي والحسن والحسين عليهم السلام وبعلم صمت من صمت منا ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله تعالى في إظهار الطواغيت عليهم سألوا الله دفع ذلك عنهم وألحوا عليه في إزالة ملك الطواغيت لأجابههم ودفع ذلك عنهم وكان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد وما كان الذي أصابهم يا حمران لذنوب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغها أوليائه فلا تذهبن بك

المذاهب^(١) ويقول سيّد الأوصياء (عليه السلام) لو أراد الله تعالى بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وأن يحشر طير السماء لفعل ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء واضمحل الابتلاء ولما وجب للقائلين^(٢) أجور المبطلين ولا لحق المؤمنين ثواب المحسنين ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمتد نحوه أعناق الرجال وتشد إليه عقد الرحال لكان أهون على الخلق في الاختبار وأبعد لهم من الاستكبار^(٣) وكانت النيات مشتركة ولكن الله أراد أن يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه عن أمور خاصة وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة أجزل^(٤).

ولقد كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) متقدماً في صفات الكمال والجلال متسماً أعلا ذروة من الخلق المحمدي ومن تلك المآثر صبره على المكاره حتى عد ذلك من مكارم أخلاقه وأساس كل أكرومة جاء بها لأن المصائب المتعاقبة عليه لم يماثله فيها أي مظلوم ومضطهد من نبي أو ولي.

(١) بصائر الدرجات (للصفار) ص ٣٣.

(٢) القائلين من القيلولة ومراده لولا الابتلاء لكانوا مستريحين فلا يحصل لهم أجر المبطلين.

(٣) مراده (عليه السلام) أن الأنبياء لو كانوا أولي قوة ورهبة لما كان إيمان الخلق طاعة لله فقط بل للخوف منهم فتكون النيات مشتركة بين الخوف من الله ومنهم.

(٤) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣، ص ٢٥٣.

ولو أن أيوباً رأى بعض ما رأى لقال بلى هذا العظيمة بلواه
 صاحب أباه في سفره من مكة إلى كربلاء وهو يعلم أن تلك
 الركائب القدسية لا تسري إلاّ والخطر أمامهم والمنية تسايهم
 ولوائح الفناء محيطة بهم ونصب عينه ما ينجم ويخبو من إمارات
 القهر والغلبة من أعدائهم وانشال الأنصار عنهم والأنباء الموحشة
 تتوارد عليهم بتخاذل أهل الكوفة وغدرهم (بمسلم بن عقيل عليه السلام)
 مع ما يشاهده في ثنایا الطريق من فادح مكرب وشجو مبرح
 وحادثة مزعجة ولما ضرب الحسين عليه السلام أخبثته في كربلاء وطنبت
 معه الأخطار واكتنفته الأهوال والعدو معسكر أمامه بجيشه
 اللجب ولم تمر ساعة إلاّ ويتزايد ذلك الخميس عدة وعدداً وكل
 هذه المزعجات بعين من عقائل بيت الوحي وملء مسامعهن
 ضوضاء الجيش اللهام وقد سردق على تلکم الأخبية خوف
 ووجل وداخل سجافه نحيب وعولة ونشيج وزفرة مما يبصرن من
 أهوال ويسمعن لغط الرجال والحالة تؤذن بالخطر وبين الثنایا
 لوائح الموت متلعة وإمارات الخذلان بادية وجانب (الحق)
 مضطهد لا ينحو إليه ناصر ولا يقصده مدافع فلم يفتأن الحرائر
 بين كرب مدلهم وهمّ محقق.

وكل هذه المصائب بعين الإمام السجاد عليه السلام يقاسي عليها
 لفحة المصاب وملمات المحن أضف إلى ذلك علمه بما سيقع
 مما هو أمض وأنكى من كوارث تستلين لها الجلامد وتدكدك

الهضب الرواسي وتدع الجفون قرحى من قتل ريحانة الرسول
وشظية كبد الزهراء ومهجة أمير المؤمنين وسيد شباب أهل الجنة
وقد تركوه شلوأ مبضعاً تسفي عليه الريح بوغاء الثرى وتنتاشه
سمر الرماح وتنهل منه بيض الصفاح.

وأي شهيد أصلت الشمس جسمه ومشهدا من أصله متولد
وأي ذبيح داست الخيل صدره وفرسانها من ذكره تتجمد
ألم تك تدر أن روح (محمد) كقرآنه في سبطه متجسد
فلو علمت تلك الخيول كأهلها بأن الذي تحت السنايك أحمد
لثارت على فرسانها وتمردت كما أنهم ثاروا بها وتمردوا^(١)
وحوله نجوم الأرض من آل عبد المطلب مصابيح الدجى
وأعلام الهدى.

قد غير الطعن منهم كل جارحة إلا المكارم في أمن من الغير
ويشاهد على عصف النياق حرائر النبوة فمن صبية أفزعته
الأهوال وألمت بها طوارئ اليتيم من شتى النواحي إلى ذاكرة
طفلها حين كانت تناغيه في مهده فتذرف الدمع من أجفانها ويهيج
اللبن من أثدائها إلى فاقدة أخاً هو قطب الحرب وهو مدارها
ولما مروا بهم على القتلى وشاهدتهم بتلك الحالة المشجية عظم

(١) من قصيدة في الحسين (عليه السلام) (للسيد صالح ابن العلامة السيد مهدي بحر العلوم) نشرت في جريدة القدوة عدد عشرين سنة (١٣٧٠).

عليه واشتد قلقه فلما تبينت ذلك منه عمته العقيلة أهمها أمر الإمام فأخذت تصبره وتسليه وهو الذي لا توازن الجبال بصبره وفي ما قالت له ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحي رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدون أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا علواً^(١). ولما جيء بهم إلى الكوفة وهو على بعير ظالع ويداه مغلولتان إلى عنقه وأوداجه تشخب دماً وقد أنهكته العلة وشاهد اجتماع الناس للنظر إليهم قال ﷺ:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم يا أمة لم تراع جدنا فينا لو أننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا تسيروننا على الأقتاب عارية كأننا لم نشيد فيكم ديناً وأوماً إلى ذلك الجمع المغمور بالأضاليل أن اسكتوا فلما هدأت فورتهم حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى عليه وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا علي بن

(١) كامل الزيارة (لابن قولويه) ص ٢٦١.

الحسين بن علي بن أبي طالب أنا ابن من انتهكت حرمة وسلبت نعمته وانتهب ماله وسبي عياله أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات أنا ابن من قتل صبراً وكفى بذلك فخرًا، أيها الناس ناشدكم الله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهود والمواثيق والبيعة وقتلتموه فتباً لكم لما قدمت لكم أنفسكم وسوأة لرأيكم بأية عين تنظرون إلى رسول الله إذ يقول لكم قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي ثم قال (عليه السلام) رحم الله امرأً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته فإن لنا برسول الله أسوة حسنة فصاحوا نحن سامعون مطيعون حافظون لزامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك فمرنا بأمرك يرحمك الله فإننا حرب لحربك وسلم لسلمك نبراً ممن ظلمك وظلمنا فقال (عليه السلام) هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين ما تشتهون أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم إلى أبي من قبل كلا ورب الراقصات فإن الجرح لَمَّا يندمل قتل أبي بالأمس وأهل بيته ولم ينسَ ثكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي إن وجدته والله لبين لهاتي ومرارته بين حناجري وحلقي وغصته تجري في فراش صدري^(١).

وشاهد في مجلس ابن زياد ما يفطر الصخر الأصم رأى

(١) مثير الأحزان (لابن نما) واللهموف (لابن طاووس).

مخدرات الإمامة في ذلك المحتشد المنتشي بسكرة الظفر وأنشودة الغلبة ورأس سيد شباب أهل الجنة أمام ابن مرجانة ينكت ثنياه بقضيب ودع حديث الشام وأهله ويزيد ومجلسه والحبس الذي كانوا فيه فإنه يجلب الأسى وتنفطر له القلوب ألباً وتبكي السماء دماً فلقد كان (ابن ميسون)^(١) يمّوه على أهل الشام أن الجماعة من الخوارج أبادهم الله وأدخلوهم على يزيد مربقين بالحبال^(٢) فأقامهم على درج باب الجامع حيث يقام السبي ورأس الحسين أمامه ينظر إليه ويقول^(٣) :

صبرنا فكان الصبر منا عزيمة وأسيفنا يقطعن كفاً ومعصما
نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعزّ وأظلما

(١) في شذرات الذهب (لابن العماد) ج ٤، ص ٢٧٥، حوادث سنة (٥٨٣) أن عبد المغيث بن زهير بن علوي الحربي الحنبلي صنف كتاباً في فضائل يزيد أتى فيه بالموضوعات وفي البداية (لابن كثير) ج ١٢، ص ٣٢٨ رد عليه ابن الجوزي فأجاد واصاب وفي كامل ابن الأثير ج ١١، ص ٢١٣ أتى فيه بالعجائب والغرائب وفي طبقات الحنابلة (لابن رجب) ج ٢، ص ٣٤ أن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي يرى صحة خلافة يزيد لأن ستين من الصحابة بايعوه منهم ابن عمر.

(٢) تذكرة الخواص ص ١٤٩ والأنوار النعمانية ص ٣٤٠ واللهوف ص ١٠١ صيدا.

(٣) مرآة الجنان (لليافعي) ج ١، ص ١٣٥.

والتفت إلى السجاد متشمتاً بقوله كيف رأيت صنع الله بكم فقال (عليه السلام) رأيت ما قضاه الله قبل أن يخلق السماوات والأرض^(١)، ويقال قال له أنت ابن من قتله الله فقال (عليه السلام) أنا ابن من قتله أنت وقرأ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾^(٢) وشاور يزيد من حضر عنده في أمره فأشاروا عليه بقتله فقال الإمام لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار به جلساء فرعون حين شاورهم في أمر موسى (عليه السلام) فقالوا ﴿أَرَجِهْ وَأَخَاهُ﴾ ولا يقتل الأعداء أولاد الأنبياء فأمسك يزيد مطرقاً^(٣) واستأذنه (عليه السلام) في الكلام فأبى حتى ألح عليه الناس وقال له ابنه معاوية ائذن له فما قدر أن يأتي به فعرفه يزيد بأن هؤلاء ورثوا العلم والفصاحة^(٤) وزقوا العلم زقاً^(٥) وما زالوا به حتى أذن له وقال لا تقل هجراً فقال (عليه السلام) الهجر لا يليق بي^(٦) ثم رقي المنبر وقال:

الحمد لله الذي لا بداية له والدائم الذي لا نفاذ له والأول

(١) محاضرات الراغب ج ١، ص ١٧٥.

(٢) تذكرة الخواص ص ٣٧.

(٣) إثبات الوصية (للمسعودي) ص ١٤٣.

(٤) كامل البهائي.

(٥) رياض الأحزان ص ١٤٨.

(٦) مشير الأحزان (لابن نما) ص ١٤٨.

الذي لا أولية له والآخر الذي لا آخرية له والباقي بعد فناء الخلق
 قدّر الليالي والأيام وقسم فيما بينها فتبارك الله الملك العلام ثم
 استطرد في ذلك كثيراً إلى أن قال أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا
 بسبع أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة
 والمحبة في قلوب المؤمنين وفضلنا بأنّ منا النبي والصدّيق
 والطيار وأسد الله وأسد رسوله وسبّطاً هذه الأمة أيها الناس أنا
 ابن مكة ومنى أنا ابن زمزم والصفاء أنا ابن من حمل الركن
 بأطراف الردى أنا ابن خير من ائتزر وارتنى وخير من طاف
 وسعى وحجّ ولبي أنا ابن من حمل على البراق وبلغ به جبرئيل
 إلى سدره المنتهى فكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى أنا ابن من
 صلى بملائكة السما أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى أنا
 ابن من ضرب بين يدي رسول الله ببدر وحنين ولم يكفر بالله طرفة
 عين أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين ويعسوب المسلمين
 ونور المجاهدين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ومفرق
 الأحزاب أربطهم جأشاً وأمضاهم عزيمة ذاك أبو السبطين الحسن
 والحسين علي بن أبي طالب أنا ابن فاطمة الزهراء وسيدة النساء
 وابن خديجة الكبرى أنا ابن المرمّل بالدماء أنا ابن ذبيح كربلاء
 أنا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء وناحت الطير في الهواء .

فلما بلغ إلى هذا الموضع ضج الناس بالبكاء وخشي يزيد
 الفتنة فأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة فقال المؤذن (الله أكبر) قال

الإمام الله أكبر وأجلّ وأعلى وأكرم مما أخاف وأحذر ولما قال (أشهد أن لا إله إلا الله) قال (عليه السلام) نعم أشهد مع كل شاهد أن لا إله غيره ولا رب سواه ولما قال (أشهد أن محمداً رسول الله) التفت الإمام (عليه السلام) إلى يزيد وقال هذا الرسول العزيز الكريم جدك أم جدي فإن قلت جدك علم الحاضرون والناس كلهم أنك كاذب وإن قلت جدي فلم قتلت أبي ظلماً وعدواناً وانتهيت ماله وسييت نساءه فويل لك يوم القيامة إذا كان جدي (عليه السلام) خصمك فصاح (يزيد) بالمؤذن أقم للصلاة فوقعت بين الناس همهمة وصلى بعضهم وتفرق الآخر^(١).

وفي بعض الأيام خرج الإمام زين العابدين من الخبرة المسجونين فيها يتروح وكانت لا تقيهم من حر ولا برد^(٢) فلقيه المنهال بن عمرو وقال له كيف أمسيت يا ابن رسول الله قال يا منهال أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً (عليه السلام) منها وأمست قريش تفتخر على العرب بأن محمداً منها وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين فإننا لله وإننا إليه راجعون يقول المنهال بينما هو يكلمني إذ أتت امرأة تقول له إلى أين يا

(١) نفس المهموم ص ٢٤٣.

(٢) اللهوف ص ١٠٧.

نعم الخلف فتركني وأسرع إليها فسألت عنها قيل هي عمته زينب ابنة علي عليه السلام ^(١).

لما وضح ليزيد فشله في هذه الفعلة التي لم يرتكبها حتى من لم ينتحل دين الإسلام وخاف انقلاب الأمر عليه لكثرة اللوم عليه حتى من نسائه وأهل بيته وكانت أندية الشام تلهج بالقساوة التي استعملها مع آل النبي صلى الله عليه وآله لم يجد مناصاً من التعجيل بإخراج السجادة وحرمه من الشام إلى المدينة بصحبة النعمان بن بشير الأنصاري وجماعة معه ^(٢) ومكنهم مما يريدون فارتحل زين العابدين من الشام ومعه رأس أبيه ^(٣) ورؤوس الشهداء حتى ألحقها بأبدانها ^(٤) ولما بلغوا الطريق المنتهي إلى العراق قالوا للدليل مر بنا على كربلاء فوصلوا إليها واجتمعوا مع جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم وردوا لزيارة الحسين عليه السلام وأقاموا في الطف ينوحون على الحسين عليه السلام ^(٥) ثلاثة أيام ^(٦) وبالقرب من المدينة ضرب فسطاطه وأنزل نساءه وأمر بشر بن

(١) الأنوار النعمانية ص ٣٤٠.

(٢) الإرشاد (للمفيد).

(٣) ذكرنا في مقتل الحسين شهادة علمائنا وغيرهم بذلك.

(٤) تاريخ حبيب السير بواسطة نفس المهموم ص ٢٥٣.

(٥) اللهوف ص ١١٢ صيدا.

(٦) رياض الأحرار ص ١٥٧.

حذلم أن يدخل المدينة وينعى الحسين (عليه السلام) وعند مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنشأ برفيع صوت:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدعني مدرار
الجسم منه بكربلاء مخرج والرأس منه على القناة يدار
وأخبر الناس بمكان زين العابدين (عليه السلام) فخرجوا إليه ببكاء
وعويل فأومأ إلى الناس بالسكوت وقال: الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين الذي بعد
فارتفع في السموات العلى وقرب فشهد النجوى نحمده على
عظائم الأمور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة اللواذع
وجليل الرزء وعظيم المصاب أيها الناس إن الله تعالى وله الحمد
ابتلانا بمصائب وثلمة في الإسلام عظيمة قتل أبو عبد الله
الحسين (عليه السلام) وعترته وسبيت نساؤه وصبيته وداروا برأسه في
البلدان من فوق عامل السنان وهذه الرزية لا مثلها رزية أيها
الناس فأى رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن
من أجله أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انهمالها فلقد
بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسموات
بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان في
لجج البحار والملائكة المقربون وإله السموات أجمعون أيها
الناس أي قلب لا ينصدع لقتله أم أي فؤاد لا يحزن وأي سمع لا
يصمّ أصبحنا مشردين مطرودين مذودين شاسعين عن الأمصار

كأنّا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه
ولا ثلّمة في الإسلام ثلّمنّاها ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن
هذا إلّا اختلاق والله لو أنّ النبي ﷺ تقدّم إليهم في قتالنا كما
تقدّم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا فإنّا لله وإنا إليه
راجعون من مصيبة ما أعظمها وأفجعها وأوجعها وأكظّها وأفظعها
وأمرّها فعند الله نحتسب مصابنا وما بلغ بنا فإنه عزيز ذو انتقام.

فقام إليه صوحان بن صعصعة بن صوحان وكان زمناً واعتذر
إليه بما هو مبتلىّ به من زمانة رجله فقبل عليه عذره وأحسن الظن
به وشكره وترحم على أبيه ثم دخل المدينة بأهله وحرمه^(١).

البكاء على أبيه

إن البكاء على سيد الشهداء من عوامل السعادة الخالدة والزلقى إلى المهيمن سبحانه ولم يزل خاتم الأنبياء يبكيه في بيته وفي المسجد وحده ومع أصحابه ويجيب من يسأله: أخبرني جبرئيل بقتل ولدي الحسين في جماعة من أهل بيته وأراني التربة التي يقتل فيها^(١) مضافاً إلى ما في البكاء عليه من التعريف بالقساوة التي استعملها الأمويون ولفيفهم ومن هنا كان الأئمة يحثون شيعتهم على عقد المحافل لذكر حادثة الطف وإسبال الدموع لكارثتها المؤلمة وأكثرها من بيان الأجور المترتبة عليه إلى حد بعيد حتى جاء عنهم (عليه السلام) إن الله تعالى يحط ذنوب من خرج من عينه كجناح الذباب لتذكر ما جرى على قتيل العبرة^(٢).

(١) الخصائص (للسيوطي) ج ٢، ص ١٢٥، ومستدرک الحاكم ج ٣، ص ١٧٦

وأعلام النبوة (للماوردي) ص ٨٣.

(٢) كامل الزيارة ص ١٠٨.

ولا يفوت القارئ أن الغفران لا يتحقق في التعدي على حقوق العباد أو المشتركة بينهم وبين المولى سبحانه كالزكاة والخمس فإن العفو عنها مقرون برضا المتعدى عليهم من الناس نعم في حقوقه المحضة يمكن التفضل منه تعالت نعمائه بالعفو وقد تقدمت الإشارة إليه في عنوان التعريف بالصحيفة.

ولقد راق أئمة الهدى عليهم السلام أن تبقى تلکم الذكريات الخالدة متواصلة مدى الدهر تتحدث بها الأجيال المتعاقبة علماً منهم ببقاء الدين غصاً طرياً ما دامت الأمة تتذاكر فاجعة أبي الضيم عليه السلام وغير خفي أن إكثار الإمام زين العابدين عليه السلام من البكاء على أبيه سيد الشهداء طيلة حياته لم يكن لمحض الرقة والعاطفة التي يعرفنا عنها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بلزومها للطبيعة البشرية يوم بكى على ولده إبراهيم فاستعظم ذلك منه عبد الرحمن بن عوف وقال له (وأنت يا رسول الله) فقال يا ابن عوف (إنها رحمة) ثم أتبعها بعبارة أخرى وقال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما لا يرضي الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون^(١) ولما مات صبي لإحدى بناته فاضت عينه فقال له سعد بن عباد ما هذا يا رسول الله قال صلى الله عليه وآله رحمة جعلها الله في قلوب عباده الرحماء^(٢) فدل

(١) صحيح البخاري ج ١، ص ١٩٨ باب الجنائز

(٢) صحيح مسلم ج ١، ص ٣٤٠ باب البكاء على الميت.

قوله (عليه السلام) (رحمة) على أن العلائق النسبية والسببية ووشائج الرحم تقهر الإنسان على احتراق قلبه فيتأثر بما أُصيب به محبوبه وتفيض العين دمعها وتجري عبرتها ولم يكن بكاء النبي (صلى الله عليه وآله) على إبراهيم إلاّ لمحض الرقة وتحريك العاطفة ولم يشاهد فيه طعنة رمح ولا ضربة سيف ولا أوام أذكى أحشائه كما ابتلي به أبو عبد الله (عليه السلام) .

فلَوْ أَنَّ أَحْمَدَ قَدْ رَأَاهُ عَلَى الثَّرَى لَفَرَشَنَ مِنْهُ لَجْسَمَهُ الْأَحْشَاءُ
أَوْ بِالطُّفُوفِ رَأَتْ ظَمَاهُ سَقْتَهُ مِنْ مَاءِ الْمَدَامِعِ أُمُّهُ «الزَّهْرَاءُ»^(١)

والإمام السجاد (عليه السلام) شاهد ريحانة النبي (صلى الله عليه وآله) وروح الإسلام ومهجة البتول وقد أسالت حلفاء الظلم دمه الطاهر وأزهقت نفسه المقدسة :

ووجهوا نحوه في الحرب أربعة السهم والسيف والخطي والحجرا^(٢)

مع ما شاهد في عقائل الوحي من السلب والضرب والأسر والعيول والزفرة فالبكاء على أبيه صلوات الله عليه وإن لم يخرج عن الرحمة والحنان إلاّ أنّه (عليه السلام) لاحظ به غاية سامية وهي تعريف الأجيال المتعاقبة الواعين لهذا النبأ ومن شاهد حاله ما جاء به الأمويون من القساوة والفظاعة وخروجهم عن الدين والشريعة

(١) من قصيدة في الحسين لآية الله الحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (قدس سره).

(٢) من قصيدة في الحسين للعلامة الجليل الشيخ محمد رضا الشيباني .

وتنمرهم تجاه العدل والمروءة والإنسانية إلى غيرها مما يندى منه وجه الحفاظ ويشمئز الخلق الكريم.

لقد بكى عليه السلام على أبيه المدة التي عاش فيها حتى قال له مولاه إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين فقال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني العبرة^(١) وقال له آخر أما آن لحزنك أن ينقضي فقال ويلك لقد شكّا يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت حين قال يا أسفى ولم يفقد إلاّ ابناً واحداً وهو حي في الدنيا وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي^(٢) وكان عليه السلام إذا أخذ الإناء يشرب الماء تذكر عطش أبيه ومن معه فيبكي حتى يمزجه من دموعه فإذا قيل له في ذلك يقول كيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي هو مطلق للوحوش والسباع^(٣) كما أنه عليه السلام يرقّ ويستعبر كلما ينظر إلى عبيد الله بن العباس قمر بني هاشم وإلى آل عقيل ويقول إني أذكر موقف آبائهم مع الحسين عليه السلام^(٤) وكثيراً ما يحدث أصحابه بفوائد الحزن لأجل مصابهم والبكاء على ما

(١) الخصال ج ١، ص ١٣١ وج ٢، ص ١٠١.

(٢) كامل الزيارة ص ١٠٧.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص ٢٦٣.

(٤) المجدي لأبي الحسن العمري وسر السلسلة لأبي نصر البخاري وكلاهما في النسب.

انتابهم من المحن فيقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين حتى تسيل على خده بواه الله في الجنة غرقاً وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خديه في ما مسنا من الأذى من عدونا في الدنيا بواه الله منزل صدق وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خديه من مضاضة ما أؤذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى يوم القيامة من سخط النار^(١).

فكان صلوات الله عليه بإدامته البكاء على أبيه يجدد في الأفئدة نار ما ارتكبه أولئك الطغاة من الجرائم وناؤا به من مآثم يأبى الحنان البشري أن يكون صاحبها إنساناً فضلاً عن أن يقود أمة أو يسوس رعية وفضلاً عن أن يكون خليفة في دين أو متبعاً في دنيا. وحيث لم تسعه المجاهرة بموبقات من اغتصبهم الخلافة الإلهية وجر إليهم الويلات ونكل بهم اتخذ البكاء طريقاً لتنبيه الناس بتلكم الجرائم وهذا منه (عليه السلام) أكبر جهاد ناجع في تحطيم عرش من أهلك الحرث والنسل ونشر العيث والفساد في البلاد فكان بكاءه متعمماً للنهضة المقدسة من وراء ستر مسدول وهو على علم بأن أولئك المتسنمين عرش الخلافة لم يسعهم منعه عن البكاء لأن كل واحد يتنفر ممن يردع عن النوح على الفقيد لا سيما إذا عرف مكانته السامية بين الملأ وكان لفقده أثر

(١) ثواب الأعمال (للصدوق) ص ٤٨.

ممض ولوعة محرقة وهذه سنة جارية يبعث إليها الود المتأكد ولم يفقد الإمام زين العابدين عليه السلام بهذا العمل مفعوله من التأثير في القلوب وفتح على آل حرب باباً ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قلبه العذاب.

وقد سبقته إلى هذا الجهاد الكبير جدته الصديقة الزهراء عليها السلام فإنها لم تبرح عن البكاء على أبيها خاتم الرسل عليه السلام المتضمن للشكوى مما نالها وبالطبع تتأثر النساء المجتمعات معها للنياحة بذلك فيلقينه على رجالهن مع عدم نسيان فضلها الذي كان نبي الإسلام يجاهر به فربما تثور العواطف وتحتدم النفوس فينقلب ظهر المجن ولذلك طلب أولو الأمر من أمير المؤمنين عليه السلام إسكانها معتذرين بأن نفوسهم لا تطيب بطعام ولا شراب وعزيزة الرسول عليه السلام تنوح الليل والنهار^(١) فلم تهدأ عن البكاء فاضطر سيد الأوصياء عليه السلام لإخراجها إلى البقيع بعد أن بنى لها بيتاً من جريد النخل^(٢) سماه (بيت الأحزان) فكانت تخرج إليه نهائراً بولدها وترجع ليلاً^(٣) وعن هذا البيت يحكي السمهودي عن الغزالي استحباب الصلاة في مسجد فاطمة بالبقيع وقال غيره إنه يعرف

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص ٨٧.

(٢) كتاب المختار من نوادر الأخبار بهامش مفيد العلوم (للخوارزمي) ص ١٩١.

(٣) البحار ج ١٠، ص ١٥.

(ببيت الحزن) لأن فاطمة أقامت فيه أيام حزنها على أبيها (عليه السلام) (١) وسار على هذا الأثر أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) في وصيته بثمانمائة درهم لنوادب يندبونه بمنى أيام الموسم عشر سنين (٢) فإن الغرض تعريف الأمة المستحق للخلافة الإلهية وقد اغتصبت منه واختيار النساء من جهة أن الرجال لم يتمكنوا من المجاهرة بمن له الحق فرقاً من السيف كما أن اختياره أيام منى من جهة قصر زمان عرفات والمشعر مع اشتغال الناس بالعبادة فتذكير النوادب لا يأخذ محله مع أن أيام منى ثلاثة وهي أيام أفراح ومسرات فالبكاء يوجب إلفات نظر الناس إلى الأسباب الباعثة عليه وبهذا الفحص تتجلى لهم الحقيقة ويسطع بصيص من ألق الحق المحجوب بظلم الجائرين ثم هذا النبأ يتناقله المزدلفون إلى تلك المشاعر عندما يصلون إلى مقرهم فتصل الدعوة إلى الغائبين من هذا الطريق وبه تتم الحجة فلا يسع كل أحد العذر بعدم وصوله إلى بلد الإمام - المدينة - ليعرف دعوته وأعماله (٣).

(١) تاريخ المدينة المسمى وفاء الوفا ج ٢، ص ٩٥.

(٢) الخرائج.

(٣) راجع في ذلك كتاب زيد الشهيد ص ٨٢ إلى ص ٨٧ الطبعة الثانية النجف.

مع الأمويين

لم يفتأ زين العابدين عليه السلام مع طواغيت زمانه من بني أمية على طرف النقيض أولئك يقابلونه بمقتضى جبلتهم الممتزجة بالهفات والهناث شنشنة أسلافهم مع نبي الرحمة عليه السلام فتجد أبا سفيان يؤلب على الرسول الأقدس عليه السلام ويقود الجيش ويسوق المقاب لاستئصاله ومن معه لكن لا يغلب أمر الله تعالى ولا يطفى نوره فلما تمكن النبي عليه السلام يوم الفتح من قريش تطف عليهم بالعفو وأكرم أبا سفيان بأمان من يدخل داره^(١) وجازوه يوم الطف أن قتلوا ذريته وسبوا حريمه ولما حوصر عثمان كان أمير المؤمنين يدافع عنه ويأمر ولديه سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام الإمامين على الأمة إن قاما وإن قعدا أن يقفا على باب داره ويذبا عنه ويرسل الماء إليه لئلا يكظّه العطش وهو محصور^(٢) مع أنه لم يزل يرمي أمير المؤمنين عليه السلام بالقذائف كلما صفا له الجو أو أطل من على

(١) كامل ابن الأثير ج ٢، ص ٩٣.

(٢) العقد الفريد ج ٢، ص ٢٦٨.

نافذة من الفرق ثم اقرأ صحفاً مملوءة بمخازي معاوية وابنه يزيد من جراء ما أوقعاه بسيدي شباب أهل الجنة وبمطلع الأكمة منك شماتة مروان بن الحكم بقتل سيد الشهداء وقوله وهو ينظر إلى رأس ابن النبي الأكرم (عليه السلام) بين يدي يزيد:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين
شفيت نفسي من دم الحسين أخذت ثأري وقضيت ديني^(١)

يقول هذا وهو مغمور بفضل (الحسين) وقد ضمنا حياته يوم جيء به إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) في وقعة الجمل^(٢) فلم يردعه هذا عن الوقعة والشماتة كما لم يمسكه الخجل من هذه الفلتات حتى جاء بعائلته يوم واقعة الحرة وضمها إلى عيال زين العابدين (عليه السلام) فرقاً من بطش الجيش المتهجم فرأى من زين العابدين (عليه السلام) جاهاً عريضاً وخلقاً واسعاً وحلماً راجحاً كما يقتضيه عنصره الطيب وهذا بعد أن استجار بعبد الله بن عمر بن الخطاب فلم يرَ عنده ما يسره^(٣).

هنا يسأل عن قعود السجاد (عليه السلام) في مشاركة أهل المدينة الناقمين أفعال يزيد والثائرين في وجه جيشه المتمرد وهي الغاية

(١) لاحظ ما كتبناه في مقتل الحسين ص ٢٣٨.

(٢) مروج الذهب ج ٢، ص: ١٤.

(٣) تاريخ الطبري ج ٧، ص ٧.

التي يتطلبها موتور مثله وبعد التأمل في مقاصد أهل البيت عليه السلام في أفعالهم وأقوالهم لا يبقى وقع لهذا السؤال فإن للأئمة أنواعاً من الجهاد في سبيل ما قيصوا له من الدعوة الإلهية حسب ما تقتضيه الظروف فمن نهضة بالسيف يؤسس بها دعامة الحق الصراح إلى دعوة باللسان يبين ما أبهمه المرجفون وسترته الشبه والأباطيل إلى بث للأخلاق الفاضلة التي لا يقوم بها إلا ولي يقتدى به أو إمام يجب اتباعه إلى إشارات لا يعدوها بلج الحق الواضح كما شوهد كل منها عند الإمام الحجة فليس من البدع أن تختلف أنواع ما ينهض به كل منهم كما أن من يقوم بالأمر ينظر إلى إبقاء البقية الصالحة من عترة الوحي ولقد كان أمير المؤمنين يهتف بصحبه يوم صفين: املكوا عني هذين الغلامين لئلا ينقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله يعني بهما الحسن والحسين عليهما السلام قضاءً للحكمة الإلهية بإبقاء الدين بهما ويقول في كتابه إلى أخيه عقيل جواباً عما كتبه إليه من عزمه على المصير بولده وأهل بيته إليه ليجاهدوا بين يديه فإنه لا خير في العيش بعده (أقم يا أخي راشداً محموداً فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إذا هلكت)^(١) كما أن المصلحة قد تلزم إمام الأمة بالمخاطرة بنفسه ونفس من يعز عليه لغاية مهمة تترتب عليه. وعلى هذا قضية سيد الشهداء فكان هو الظافر الفاتح بإظهاره قسوة الحزب

(١) كتاب الشهيد مسلم بن عقيل ص ٣٠ ط. النجف.

السفياني الساقط عن النواميس البشرية الفاقد للطقوس الإنسانية فضلاً عن الخلافة الإلهية فأرخص (حسين الإباء) حياته الثمينة تجاه ما يتصوره من تحطيم العرش الأموي واستسهل كل ما لاقاه من استئصال أهله وصحبه وإزهاق نفسه القدسية .

إن الإمام السجاد (عليه السلام) جد عليم بأحوال الناس ونفسياتهم الخائرة لا من جهة علم الإمامة المفاض عليه من ساحة الجلال الربوبي تعالى شأنه فقط بل بالتجارب الصحيحة لديه فإنها أثبتت خيانة القلوب وخور العزائم ولؤم العناصر منذ زاولهم وعرف أحوالهم فعلم صلوات الله عليه أن هذه الثورة لا تنتهي إلى أمر صالح تستفيد الأمة منه مناجحها وإنما تذهب هاتيك الدماء المراقبة والنفوس المزهقة جُباراً كما اتضح لديه خيانة مروان وابنه عبد الملك فإنهما كانا عيناً لأمير الجيش^(١) على عورات المدينة حتى تطلع جيشه المتهجم على المنافذ الموصلة لهم إلى البلد وبسببهم تمكنوا من الغلبة على أهل المدينة فأراقوا دماء الأبرياء وهتكوا الأعراض وخرقوا النواميس وقد كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) عالماً بهذا كله فلو نهض مع الثائرين الذين نقت عليهم السلطة الغاشمة لحسب من جملتهم واتهم بتحريه الشغب وابتغاء الفتن فلا يستنتج من نهضته ما نتج من مشهد الطف فلذلك

(١) أنساب الأشراف (للبلاذري) ج ٤ ، ص ٣٤ .

تنحى عن الفتنة وابتعد عن شررها المتطايير فكان فيه الإبقاء على كيان الإمامة ومن انضوى إلى بيته من آل عبد مناف زهاء أربعمائة ما بين رجل وامرأة وصبي^(١) وعدد كبير من أهل المدينة فقام عليه السلام بما يحتاجون إليه إلى أن ارتحل الجيش الفاتك^(٢) وبالعالم أمير (مسرف) في إكرام الإمام عليه السلام والحفاوة به حين وضح له عدم تدخله في هذه الثورة وعرفه بوصية (يزيد) به والإحسان إليه^(٣) وقيل لأمير الجيش رأيك تسب هذا وأهله فلما جيء به إليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لرأي مني ولكن قلبي ملئ منه رعباً^(٤).

ومما حفظ من دعاء السجاد عليه السلام حين بلغه توجه مسرف نحو المدينة: رب كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك عندها صبري فيا من قل عند نعمه شكري فلم يحرمني وقل عند بلائه صبري فلم يخذلني يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ويا ذا النعماء التي لا تحصى أبداً صل على محمد وآله وادفع عني شره فإنني أدرك بك في نحره وأستعيز بك من شره^(٥).

(١) أعيان الشيعة ج ٤، ص ٣٥٧.

(٢) ربيع الأبرار (للزمخشري) مخطوط.

(٣) أنساب الأشراف ج ٤، ص ٣٤.

(٤) مروج الذهب ج ٢، ص ٩٦.

(٥) الإرشاد (للشيخ المفيد).

ولم يبرح زين العابدين (عليه السلام) متجرعاً للغصص مع متغلبى زمانه من آل حرب وعمالهم فلقد كان هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي والياً على المدينة من قبل عبد الملك يجدّ في الحط من الإمام ويسيء إليه بالرغم من وصية عبد الملك في الإحسان والإكرام إليه غير أن العنصر الموبوء والمنبت الدنيء حالا دون تنفيذ الوصية فاستعمل هذا الوالي كل شدة مع زين العابدين (عليه السلام) ولكن (ابن الخيرتين) لم يقابله بما يسوؤه ولما عزله الوليد بن عبد الملك وولى مكانه عمر بن عبد العزيز كتب إليه أن يوقف هشاماً بين الناس ويجلده فأوقفه عند دار مروان بن الحكم فلم يخف هشام من أحد إلا من علي بن الحسين (عليه السلام) لكثرة ما أوقعه معه من الأذى والسب وفاته أن الله تعالى يأبى للنفوس القدسية إلا المقابلة بالإحسان لمن أساء إليهم (والإناء ينضح بما فيه) فأوصى الإمام خواصه ألا يتعرضوا لهشام بسوء وبلغه ذلك فسرّ وابتهج وعرف مقام زين العابدين من الشهامة والحلم الراجح والترفع عن الدنيا فكان إذا رآه بعد ذلك لم يتمالك دون أن يجهر بقوله: الله أعلم حيث يجعل رسالته^(١).

ولما رجع صلوات الله عليه إلى المدينة بعماته وأخواته من

(١) تاريخ الطبري ج ٨، ص ٦١ وكامل ابن الأثير ج ٤، ص ٢٠١، والبداية (لابن كثير) ج ٩، ص ٧١.

الأسر وقلبه ملتهب بنار المصاب يقف عليه إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله فيقول متشمتاً (من الغالب) فقال له إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب^(١).

أشار بذلك إلى الغاية التي ضحى سيد الشهداء نفسه القدسية لأجلها وأنه هو الفاتح المنصور على ممر الدهور وفشل يزيد بما سعى له من إطفاء نور الله وما أراحه أبوه معاوية من نقض مساعي الرسول ﷺ وإماتة الشهادة له بالرسالة ولكن القضاء الإلهي أبى إلا الإعلان في الأوقات الخمسة بشهادة الرسالة لنبي الإسلام كما ألزم بالصلاة عليه وعلى آله في التشهدين وهو مذهب الإمامية وظاهر الشعراني الموافقة لهم فإنه روى عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يطيل التشهد بالصلاة على نفسه وآله وبالدعاء بعده كما يفعل في التشهد الأخير ويقول ﷺ إذ أقعدتم في كل ركعتين فليخير أحدكم بعد التشهد من الدعاء ما أعجبه^(٢) ولم يتعقبه بالتفصيل.

وباقى المسلمين اختلفوا في الصلاة على النبي ﷺ فيهما قال ابن كثير أوجب الشافعي الصلاة عليه في التشهد الأخير وفي التشهد الأول لا تجب قولاً واحداً وهل تستحب على قولين

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص ٦٦.

(٢) كشف الغمة ج ١، ص ١٩٣.

للشافعي^(١) وقال الشعراني إنه سنة في التشهد الأخير عند أبي حنيفة ومالك وعند الشافعي وأحمد في أشهر الروايتين فرض^(٢) ونقل الزرقاني انتصار الأعلام للشافعي كالحافظ ابن كثير وابن القيم وابن حجر والسخاوي والخيزري فإنهم نقلوا الوجوب عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبي مسعود عقبة بن عمرو وجابر بن عبد الله الأنصاري وعمر بن الخطاب وابنه والشعبي وأبي جعفر محمد الباقر (عليه السلام) ومقاتل^(٣) وقال القاضي عياض شذ الشافعي في حكمه بوجوب الصلاة على النبي (ﷺ) في التشهد الأخير قبل السلام وفسادها بتركه حتى إن الإتيان به في غير هذا المحل لا يجزي^(٤).

وسواء كانت الصلاة عليه واجبة في التشهد أو مندوبة فلا بد من اقترانها بالصلاة على آله لما روي عنه (عليه السلام) لا تصلوا علي الصلاة البتراء تقولون اللهم صلّ على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد فقليل له ومن أهلك يا رسول الله قال علي وفاطمة والحسن والحسين^(٥).

(١) التفسير (لابن كثير) ج ٣، ص ٥١٣.

(٢) الميزان ج ١، ص ١٣٩.

(٣) شرح المواهب اللدنية ج ٦، ص ٣٣٣.

(٤) الشفا ج ٢، ص ٥٣.

(٥) كشف الغمة (للإربلي) ج ١، ص ١٩٤.

وروي أن علياً عليه السلام قال لرسول الله ﷺ كيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ^(١) وروى عبد الملك بن هارون عن أبيه عن جده تعليم النبي الصلاة عليه مقرونة معها الصلاة على آله ^(٢).

وفي الحديث عن أبي جعفر الباقر عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم يقبل منه وصحح الدارقطني عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال لو صليت صلاة لم أصلّ فيها على النبي ﷺ ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم قال الشهاب الخفاجي يفيد هذا أن الصلاة على آل في التشهد الأخير واجبة كالصلاة عليه وفيها قولان للشافعي والصحيح في المذهب أنها غير واجبة وأما في التشهد الأول فمن قال إنها واجبة في الأخير قال باستحبابها وينسب إلى الشافعي في ذلك :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله كفاكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له فيحتمل أن يريد لا صلاة له صحيحة فيوافق قوله بوجوب

(١) شرح ديوان الحماسة (للتبريزي) ج ٣، ص ١٤.

(٢) تاريخ بغداد (للخطيب) ج ١٤، ص ٣٠٣ وج ٨، ص ١٤٣.

الصلاة على الآل ويحتمل لا صلاة له كاملة فيوافق أحد قوليه^(١).

لقد ابتعدنا عما نحن فيه من التدليل على ما يحمله عبد الملك من النيل من زين العابدين والخط من مقامه الرفيع وإن تظاهر في بعض الأوقات بإكرامه والحفاوة به حتى إنه يوصي في ذلك الحجاج عامله على المدينة فيكتب إليه جنبني دماء بني هاشم لأنني رأيت آل أبي سفيان لما ولغوا في دمائهم انتزع الله ملكهم ومقتهم الناس وأوصاه بكتمانه عن الإمام السجاد (عليه السلام) ولكن لا يخفى هذا عمن استمدّ من اللوح المحفوظ وكان ممنوحاً بالفيوضات الإلهية آناء الليل وأطراف النهار فكتب (عليه السلام) إلى عبد الملك يشكره على هذه الوصية ويشره بما عوضه الله من الزيادة في ملكه ثم يأتي بالشاهد المقنع لعبد الملك فيذكر له تاريخ كتابه إلى الحجاج ولما وقف عبد الملك على هذا الكتاب عرف أن أهل هذا البيت (عليهم السلام) لم تنقطع عنهم مواد العلم وأن ما أخبر به السجاد (عليه السلام) ثابت في اللوح الأزلي فأهدى إلى الإمام مع رسوله مالاً وأثواباً ليفرقه على المحاويج من بني هاشم^(٢)

(١) شرح الشفا ج ٣، ص ٤٥٣، طبع سنة (١٣٢٦) مصر وفي الصواعق المحرقة ص ١٣٩، عند الشافعي من واجبات الصلاة الصلاة على الآل كالصلاة عليه (عليه السلام) وفي إسعاف الراغبين (للصبان) على هامش نور الأبصار ص ١٢١، ذكر البيتين (للشافعي).

(٢) كشف الغمة (للإربلي) ص ٢٠٩ والخرائج ص ٢٦ الهند.

ويحكي أحمد بن يعقوب المعروف بابن واضح أن الإمام زين العابدين عليه السلام كتب إلى عبد الملك في هذه القصة إني رأيت رسول الله ﷺ ليلة كذا في شهر كذا وأخبرني بما كتبت به إلى الحجاج في هذه الليلة بكذا وكذا وأخبر رسول الله بأن الله تعالى قد زاد برهة في ملكك^(١).

ولم يقتنع ابن مروان بهذه الآية النيرة فيرتدع عن الضلال الموبق له ويخلع نير المذلة يوم يقوم الناس لرب العالمين فيرجع الأمر إلى أهله أو يترك الإمام وما تفرغ له من العبادة والتضرع إلى المولى سبحانه بل جد في إزعاج الإمام وسلب راحته فيرسل إلى عامله بالمدينة أن يحمله إلى الشام مثقلاً بالحديد وشاهده الزهري على هذا الحال في بعض المنازل فاستأذن الموكلين به في التسليم عليه وتوديعه فأذنوا له ولما رأى الأغلال والأقياد بكى وودّ أنه مكانه فقال له عليه السلام أتظن أن هذا الذي تراه يكرمني أما لو شئت ما كان فإنه وإن بلغ بك وبأمثالك التلهف عليّ إنه ليذكرني عذاب الله ثم أخرج يديه من الغل ورجليه من القيد وقال يا زهري لا جزت معهم على هذا منزلين من المدينة قال الزهري

(١) تاريخ يعقوبي ج ٣، ص ٤٧، نجف (المطبعة الحيدرية) وفي الصواعق المحرقة ص ١١٩ والفصول المهمة (لابن الصباغ) ص ٢١٥ أشار إلى القصة وقال كوشف في ذلك.

فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون يطلبونه بالمدينة فما وجدوه وسألتهم عنه قال لي بعضهم إنا نراه متبوعاً إنه لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده إذ أصبحنا فلم نجد بين محمله إلا حديده قال وقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عن علي بن الحسين (عليه السلام) فأخبرته بما كان من أمره فقال أتاني في اليوم الذي فقدته فيه الأعوان وقال ما أنا وأنت قلت له أقم عندي قال لا أحب فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة قلت يا أمير المؤمنين إن علي بن الحسين ليس حيث تظن إنه مشغول بنفسه قال عبد الملك حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به^(١).

وشاهده عبد الملك يطوف بالكعبة والهيبة الإلهية تعلوه ونور الإمامة غشي أبصار الناظرين وقد تجلت له عظمة الباري سبحانه وأعضاؤه ترتعد من خشيته فلم ير في ذلك البيت المعظم غير المولى تعالى شأنه ولم يلتفت إلى من فيه من المزدلفين للطواف وتعجب ابن مروان من إعراض الإمام عنه وفاته أن من أقبل على الله تعالى بكله لم ير في الوجود غيره فقال لمن حضر عنده رده إلي فلما جيء به إليه قال له عبد الملك إني لست قاتل أبيك فما يمنعك من المصير إلي قال الإمام (عليه السلام) إن قاتل أبي (عليه السلام) أفسد دنياه عليه بما فعله وأفسد أبي عليه بذلك آخرته فإن أحببت أن تكون

(١) حلية الأولياء (لأبي نعيم) ج ٣، ص ١٣٥.

مثله فكن قال عبد الملك كلا ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا فعندها أبدى زين العابدين من تصرفات الإمامة ما أبهر العقول حين بسط رداءه وقال اللهم أره حرمة أوليائك عندك فنظر الحاضرون وإذا الرداء مملوء درأً يكاد شعاعه يخطف الأبصار وقال لعبد الملك إن من يكون هذا حرمة عند الله تعالى لا يحتاج إلى دنياك ثم قال اللهم خذه فلا حاجة لي به فنظروا إلى رداءه فإذا هو خالٍ من ذلك^(١).

ثم إن عبد الملك بعد ذلك كتب إليه يطلب منه سيف رسول الله ﷺ ودرعه ويتهدده إن لم يفعل فكتب إليه زين العابدين عليه السلام إن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون وقد قال سبحانه وتعالى إن الله لا يحب كل خوان كفور فانظر أينما أولى بهذه الآية^(٢). وهنا وقفت الهيبة الإلهية سداً دون الطاغية وبوادره بعد إصراره الشديد المشفوع بالتهديد فلم يسعه إلا التقهقر عما نواه من السوء بسيد الأمة وما هو إلا من لحظات الباري جل شأنه على عباده الصالحين وأوليائه المقربين الحاجزة عن عادية الجائرين التي أخبر عنها الإمام عليه السلام في ما كتبه إلى الحجاج الثقفي وذلك أن عبد الملك أرسل إليه ملك الروم

(١) الخرائج ص ٢٦ الهند.

(٢) المحاسن (للبرقي).

يتوعدده بالمسير لحربه بجنود لا قبل له بها ويقول في كتابه أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة لأغزونك بجنود مائة ألف ومائة ألف^(١) فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يوقف علي بن الحسين (عليه السلام) على الكتاب ويسأله الجواب ويتهدده إن أبى فامثل الحجاج أمر عبد الملك ولكن (الأمين على الدين) وحافظ الشريعة لم يتباعد عن النصائح الناجعة مهما شاهد من أمراء الوقت الإزعاج في الفينة بعد الفينة لأن المولى سبحانه أودع فيه حلماً راجحاً يزري بالشم الرعان وقيضه علماً يهتدى به إلى سنن الحق وقامعاً لنوايا المشركين وتصغير قدرهم وتعريفهم وخامة أعمالهم الشريرة وفي ما قال صلوات الله عليه للحجاج: إن الله تعالى لوحاً محفوظاً يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة ليس فيها لحظة إلا يحيي فينا ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وإني لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة فكتب الحجاج بهذه الموعظة الناجعة إلى عبد الملك وكتبها إلى ملك الروم فلما قرأ الكتاب قال ما خرج هذا الكلام إلا من معدن النبوة وكف عن المسير لحرب عبد الملك^(٢).

ومن المقطوع به أن تلك الدرة المستخرجة من كنز الإمامة

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص ٢٥٩.

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٣، ص ٤٧، ومناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص ٢٥٩.

كانت مشفوعة بلحظات صاحب الخلافة الكبرى ولولا تصرفه في نفس ملك الروم بالكف عن حرب المسلمين واستيلاء الرعب عليه لما أجدت نفس الكلمة في فسخ عزمه وتقهره عما عليه من الغلبة والقهر وأما عبد الملك فحيث طبع الله على قلبه وأعمته الشهوات عن إِبصار نعم الله عليه لم تأخذ هذه النصيحة من الإمام عليه السلام محلها في نفس المرواني فتناسى فضل الإمام عليه بكلمته الذهبية التي ملأت قلب الملك القاهر خيفة حتى اندحر عزمه وتفككت نيته عن التجمع لغزو بلاد الإسلام فلم يكف ابن مروان عن إزعاج زين العابدين والسعي في النيل منه والخط من مقامه ولكن أبى الله إلا أن تعلو كلمته ولا يطفى نوره.

يحدث أبو جعفر الباقر عليه السلام أن عبد الملك كتب إلى الحجاج وهو بالمدينة أن يشتري له درع رسول الله وسيفه فبعث إلى عبد الله بن الحسن وهو أكبر ولد رسول الله ذلك اليوم وسأله عنهما فقال له عبد الله إنَّ وليَّ الأمر بعد رسول الله أمير المؤمنين وبعده الحسن وبعده الحسين وبعده علي بن الحسين عليه السلام والسيف والدرع عنده فأرسل الحجاج إلى علي بن الحسين وطلب منه الدرع والسيف فأبى عليه فقال الحجاج لئن صليت العشاء الآخرة ولم تحضرهما ضربت عنقك.

ولما عرف الإمام منه الجد في الطغيان أخرج درعاً غير درع رسول الله وسيفاً غير سيفه فنقص في الدرع وزاد في موضع آخر

منه وغير السيف وحملهما إلى الحجاج فأنكرهما وحملهما إلى ابن الحنفية فلم يثبتهما معرفة معتذراً ببعد العهد وحيث لم يتضح له عدم نسبتهما إلى رسول الله (ﷺ) سأل الإمام بيعهما فكره (عليه السلام) بيع ما هو منسوب لرسول الله ولكن الحجاج ألح عليه ودفع أربعين ألف درهم وأخذهما منه وأنفذهما إلى عبد الملك وكتب إليه بما دار بينهما .

ولما حج عبد الملك تلك السنة واجتمع بزين العابدين (عليه السلام) رد السيف والدرع المغصوبين منه وعرفه بأن الحجاج أخذهما بالقهر فزاده عبد الملك في الثمن خمسين ألف درهم فأبى صلوات الله عليه من البيع فأقسم عليه عبد الملك أن يمضي البيع فقال (عليه السلام) على شريطة أن تكتب كتاباً تشهد فيه قبائل قريش بأني وارث رسول الله وأنّ الدرع والسيف له دون كل هاشمي وهاشمية فأجابه عبد الملك إلى ذلك وكان نص الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشتراه عبد الملك بن مروان من علي بن الحسين وارث رسول الله (ﷺ) اشترى درع رسول الله وسيفه اللذين ورثهما منه بمائة ألف درهم وقد قبض علي بن الحسين الثمن وقبض عبد الملك الدرع والسيف ولا حق ولا سبيل عليه لأحد من بني هاشم ولا لأحد من العالمين وأحضر قبائل قريش قبيلة قبيلة وأشهدهم على ما جرى بينه وبين علي بن الحسين (عليه السلام) وأخذ زين العابدين (عليه السلام) الكتاب والمال .

فكانت قريش يقول بعضهم لبعض إن عبد الملك أجهل الخلق يقر لعلي بن الحسين أنه وارث رسول الله ﷺ دون الناس جميعاً ويتسمى بإمرة المؤمنين ويصعد على منبر رسول الله وهو أحق به منه إن هذا لهو الخسران المبين^(١).

ومن هذا يظهر الغرض المقصود للإمام في امتناعه من إعطاء السيف والدرع فإنه أراد أن يسجل على عبد الملك اغتصابه للخلافة الإلهية واعترافه بذلك أمام الأمة وهذا لون من البيان للتعريف باستحقاقهم الأمر دون غيرهم.

ثم لم يقتنع عبد الملك بكل ما شاهده من آيات الإمامة وبراهين الخلافة الحققة فيرتدع عما يحط من كرامة الإمام فيكتب إليه بلغني أنك زوجت أمك من مولاك وقد وضعت شرفك وحسبك فكتب إليه زين العابدين إن الله رفع بالإسلام كل خسيصة وأتم به الناقصة وأذهب به اللؤم فلا لؤم على مسلم وإنما اللؤم لؤم الجاهلية وأما تزويجي أُمِّي فإنما أردت بذلك برّها فلما انتهى الكتاب إلى عبد الملك قال لقد صنع علي بن الحسين أمرين ما كان يصنعهما أحد وزاد بذلك شرفاً^(٢) وقد ذكرنا في عنوان التعريف بشاه زنان أن هذه الأمة ليست أمه التي ولدته وإنما هي المربية له وأما أمه التي ولدته فقد ماتت في نفاسها به.

(١) مدينة المعاجز ص ٣١٨ عن هداية الحضيبي.

(٢) التهذيب (للشيخ الطوسي) ج ٢، ص ٢٢٦ باب الكفاءة.

وبلغه أن علي بن الحسين تزوج مولاة له فكتب إليه إنك علمت أن في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت فكتب إليه السجاد (عليه السلام) أما بعد فقد بلغني كتابك تعنفي فيه بتزويجي مولاتي وتزعم أنه كان في قريش من أتمجد به في الصهر وأستنجبه في الولد وإنه ليس فوق رسول الله مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم وكانت هذه الجارية ملك يميني خرجت مني إرادة الله عز وجل بأمر ألتمس فيه ثوابه ثم ارتجعتها على سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن كان زكياً في دين الله تعالى فليس يخل به شيء من أمره وقد رفع الله بالإسلام الخسيصة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم فلا لؤم على امرئ مسلم وإنما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام فلما وقف عبد الملك على الكتاب رمى به إلى ولده سليمان وبعد أن قرأه قال يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك علي بن الحسين فقال يا بني لا تقل ذلك فإنها ألسن بني هاشم التي تفلق الصخر وتغرف من بحر، إن علي بن الحسين يرتفع من حيث يتضع الناس^(١).

وفي حديث آخر أن السجاد (عليه السلام) استشهد في كتابه إليه بعمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو حجة لا يقبل الرد والإنكار وأن له برسول الله (صلى الله عليه وآله) أسوة حسنة وقد قال رسول الله الإسلام رفع الخسيصة

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣، ص ٤٤٨ باب المؤمن كفء المؤمنة.

فالمسلم كفاء المسلم ولقد تزوج ﷺ أمته وأنكح عبده يعني به زيد بن حارثة فإنه زوجه من زينب بنت عمته أميمة ابنة عبد المطلب سيد البطحاء فقال عبد الملك لمن حضر عنده بعد قراءة هذا خبروني عن رجل إذا أتى ما يضع الناس لم يزد إلا شرفاً قالوا ذاك أمير المؤمنين يعنون به عبد الملك فأنكر عليهم وعرفهم بأن ما عنده من الشرف لا يرفع تلك الخسيصة فاستفهموه عمن يعرفه من الرجال له هذا الشأو البعيد والجاه العريض قال هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(١) ذلك الذي عرقت فيه آصرة النبوة فرفعته عن مستوى البشر وألحقته بالذروة العالية من الشرف.

يقول المرواني هذا أمام من حضر عنده بملء فمه ويأباه قلبه لأن الله تعالى طبع عليه فله الخزي يوم النشور فإن القلوب أوعية فمن زكت طينته وطابت أرومته أدرك ببصيرته جمال الحق واستنار بنور التوحيد ورفعت له أعلام الحقائق وسلك سبل السلام ومن نبئت جرثومته على سباح الصعيد الموبق فلا محالة يكون ثمر غرسه سموماً قتالة مطلية بالوبال ولو كان ابن مروان يعرف لزين العابدين الوقوف على استخراج الحقائق من معادنها وقد منحه الله تعالى أسرار الكائنات وخواص الطبائع لما جدّ في إزعاجه

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣، ص ٤٤٨.

من حرم جده (عليه السلام) ويحمله مثقلاً بالحديد ويغري العامل بقتله والمنبت الدنيء لا ينتظر منه إلا القبائح وما تمجه الإنسانية.

يحدث الشيخ الديلمي أن رجلاً قال لعبد الملك أناظرك وأنا آمن؟ قال نعم فقال له أخبرني عن هذا الأمر الذي صار إليك بنص من الله ورسوله قال لا فقال اجتمعت الأمة وتراضوا بك قال لا فقال كانت لك بيعة في أعناقهم فوفوا بها قال لا فقال اختارك أهل الشورى قال لا فقال أليس قد قهرتهم على أمرهم واستأثرت بفيئهم دونهم قال بلى فقال بأي شيء سميت أمير المؤمنين ولم يؤمرك الله ورسوله ولا المسلمون فقال له عبد الملك اخرج عن بلادي وإلا قتلتك فقال الرجل ليس هذا جواب أهل العدل والإنصاف.

ويحدث أبو حمزة الثمالي أن رجلاً سمع عبد الملك يخطب بمكة فلما صار إلى موضع العظة من خطبته قام إليه وقال مهلاً إنكم تأمرون ولا تأتمرون وتنهون ولا تنتهون وتعظون ولا تتعظون أفأقتدأ بسيرتكم أم طاعة لأمركم فإن قلت اقتدأ بسيرتنا فكيف يقتدى بسيرة الظالمين وما الحجة في اتباع المجرمين الذين اتخذوا مال الله دولاً وجعلوا عباد الله خولاً وإن قلت أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحننا فكيف ينصح غيره من لم ينصح نفسه أم كيف تجب طاعة من لم تثبت له عدالة وإن قلت خذوا الحكمة من حيث وجدتموها واقبلوا العظة ممن سمعتموها فلعل فينا من هو

أفصح بصنوف العظاات وأعرف بوجوه اللغات فتزحزحوا عنها
وأطلقوا أفعالها وخلوا سبيلها ينتدب لها التي شرذتموهم في
البلاد ونقلتموهم عن مستقرهم إلى كل واد فوالله ما قلدناكم أزمة
أمرنا وحكمناكم في أموالنا وأبداننا لتسيروا بسيرة الجبارين غير
أنّا بصراء بأنفسنا باستيفاء المدة وبلوغ الغاية وتمام المحنة ولكل
قائم منكم يوم لا يعدوه كتاب لا بد أن يتلوه لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة إلّا أحصاها وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فقام
إليه أصحاب المسالّح وقبضوا عليه وكان آخر عهدنا به ولا ندري
ما كان من أمره .

مع هشام

مما لا ينكر حسد الأمويين للهاشميين ولم تزل مراحل
 حقدهم تغلي منذ منافرة عبد شمس لأخيه هاشم وتغلبه على عبد
 شمس وما جرى لأمية مع عبد المطلب حتى استعبده شيخ
 البطحاء عشر سنين وما جرى عليهم من النبي الأقدس حين كسر
 أصنامهم في الجاهلية واكتسح عاداتهم الوثنية وأبطل تقاليدهم
 الهمجية ودحض نخوتهم الممقوتة ولا سيما بعد أن رفع الله شأن
 رسوله الأعظم ﷺ وأيده بالفتوح فلم يسع القوم إلا الرضوخ
 للقوة وإظهار كلمة الإسلام وقلوبهم مملوءة غيظاً على (المنقذ
 الأكبر) ومما زاد في غلوائهم مساواتهم لسائر المسلمين لأن
 الإسلام لم يفرق بين الحر والعبد والشریف والوضيع إلا بالتقوى
 ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ مع أنهم يرون رجالات الهاشميين
 مكتنفين بالمآثر والمفاخر ولا يقرأون في ديوان آل حرب إلا
 المخازي فذكى جمر غلوائهم وبدا مكنون عدائهم وأخذوا يجدّون
 في إطفاء نور الله وإخفاء بلج شمس الإمامة بإسْدال الشبه ولا

يهون عليهم أن يظهر لعلوي فضل أو تنشر لفاطمي منقبة .

ومن ذلك أن إمام الأمة زين العابدين عليه السلام دخل البيت الحرام والهيبة الإلهية تحف به ونور الإمامة يسطع من أسرة جبهته وقد احتشد البيت المعظم بمختلف الفرق ولا يهم كل فرد منهم إلا أداء واجبه من استلام الحجر وأداء النسك وقد تساوى في ذلك القوي والضعيف والملك والرعية حتى إن هشاماً لما رأى ازدحام الناس على الحجر وتعسر عليه استلامه برفق وضع له منبر جلس عليه ينظر الجمع المتهاافت على أداء الفرض ويسلم من مدافعة الرجال ويتربق الفرصة في الوصول إلى محل العبادة .

وبينا هو على هذا إذ أقبل إمام الحق عليه السلام وليس معه من الجلال إلا ما وصفناه فهابه الحاج وتقهقر الجمع عن محل الفريضة حتى استلم الحجر وحده وقضى ما عليه من دون أي مزاحم فتعجب من حضر من الشاميين المحتفين بهشام وأخذوا يتساءلون عنه وقد شبت نار الضغائن بقلبه وتغير لونه واضطربت أعضاؤه وهو غير شاعر ولم يرقه أن ينوه بآبن النبي ﷺ حذار أن يرغب فيه ويقتص أثره وينتهي الحال إلى ولائه فأنكر معرفته وهو أعرف الناس به ولكن المولى سبحانه وتعالى أبى إلا أن يظهر أمر حجته وينشر بين الأمة فضل الأمين على شريعته فقيض ولياً من أوليائه ليشيد بذكره ويهتف بفضله ويجاهر بما حباه به المهيمن جل شأنه من المحامد وجعله مناراً يهتدى به ألا وهو الشيعي

الصميم المتفاني في ولاء آل الرسول ﷺ «الفرزدق»^(١) فقد حداه إيمانه الخالص المتغلغل في صدره وولأؤه المتوغل في لبة قلبه

(١) الفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم (وأمة ليلي) بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع فهي أخت الأقرع بن حابس وبنت عم أبيه غالب وقيل إن أمه لينة بنت قرظة الضبية وفد جده صعصعة على النبي ﷺ وأسلم وعلمه آيات من القرآن ولما وفد ابنه غالب على النبي ﷺ أخبره بفعل أبيه في المؤؤودات فاستحسنه وبشره بما هو مدخر له من الأجر ولحق غالب بأمر المؤمنين (عليه السلام) دخل عليه في البصرة ومعه ابنه الفرزدق فأخبره بأنه يقول الشعر فأرشدته (عليه السلام) إلى ما هو خير له من ذلك وهو تعلم القرآن ففعل واستفاد الفرزدق بهذه النصيحة من (علم المهتدين) سعادة خالدة (تزوج) ابنة عمه النوار بنت أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع وسمى ابن خلكان وابن كثير جدّها (ضبيعة) وأنه عقر الجمل الذي عليه عائشة يوم البصرة وكان أبوها ممن أعان على عثمان يوم الدار فقتلته بنو سعد ((وولدت النوار) من الفرزدق لبطة وخبطة وله من غيرها آخر سمي زمعة وخرج لبطة مع إبراهيم بن عبد الله المحض وهو شيخ كبير فقتل وانقرض عقب الفرزدق ولما دنت منه الوفاة أوصى بتدبير ما يملكه من عبد وأمة ومات بذات الجنب ودفن بمقابر البصرة سنة (١١٠) عن عمر يقارب المائة وعليه تكون ولادته فوق العشرة من الهجرة بقليل ترجمته في (وفيات الأعيان لابن خلكان والبداية لابن كثير ج ٩، ص ٢٦٥ والأغانى ج ١٩، ص ٢ والإصابة ج ٣، ص ٢١٦ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢١٩).

إلى أداء أجر الرسالة المأخوذ على الأسود والأبيض والحر والعبد فأقام أكبر برهان على تشييعه الذي لا يختلف فيه اثنان وشكل أجلى قياس أنتج اقتصاص اثر عترة الوحي فباح بما أوحته إليه سريرته المحموددة وخصاله المستحسنة وطينته الطاهرة ونفسه الزاكية غير مبالٍ بغضب (المرواني) وما يلم به بعد ذلك من سجن وقطع صلة وغيرها فاستسهل كل صعب دون الإشادة بذكر الحق والهتاف به خشية أن تتحكم الأغراض المستهدفة في النفوس الضعيفة فيروج الضلال فلم يرق هشام تلك المصارحة بالحقيقة التي سترها دون الشاميين وكبر عليه مدح الإمام السجاد عليه السلام فأمر بسجن الفرزدق (بعسفان) بين مكة والمدينة وقطع صلته فلم يعبأ الفرزدق بذلك بعد أن مكنه الله تعالى من المجاهرة بفضل الإمام وعرف الحاضرين من يجب عليهم اتباعه وأن تمويهات أرباب الضلال لا تجديهم نفعاً يوم نشر الصحف ولا يعدم مع تلك الدعاية الكبرى فيض حجة الوقت عليه السلام فقد حباه بما هو خير له من جوائز السلطان الجائر - اثني عشر ألف درهماً - وقيل ألف دينار مشفوعاً بالعذر بعدم وجدان الأكثر فأرجعها الفرزدق لا لقلّة ولكن خاف فوات الأجر الذي يتوخاه بمجاهرته بفضل (ابن الخيرتين) وقد غضب الله ولسوله وأداءً لأجر الرسالة فعرفه الإمام قبول الله تعالى نصرته لذرية الرسول والتعريف بحقوقهم المغتصبة وأنهم صلوات الله عليهم لا يرجعون بعطايهم ثم أقسم

عليه أن يقبلها فلم يرَ بدأً من امتثال أمر حجة الله على العباد وأخذ المال جذلاً بالبشارة الصادرة من المعصوم (عليه السلام) بدوام الخلود بنعيم الجنان وبهؤلاء الرجال المتفانين دون العقيدة يبقى الحق غصاً ويندحر الباطل مخزياً وتنقسم عرى الإلحاد وينصرم حبل الجاهلية الأولى وتنقشع سحب الأوهام.

وهذه الحادثة لم يختلف فيها اثنان من حملة التاريخ لاشتهارها بينهم وجملة منهم رواها مسندة واقتنع الآخر بالشهرة المستفيضة فأرسلها غير متردد في نسبة القصيدة إلى الفرزدق وأنه قالها بحضرة هشام في البيت الحرام واختلاف المؤرخين في عدد أبياتها وكيفية ترتيبها من التقديم والتأخير لا يوهن أصل الصدور بعد الإجماع منهم على إنشائها كما أشرنا إليه.

نعم بعض الكتاب المنبعثين إلى قلب الحقائق وزحلقتها عن مراكزها بدافع الأغراض التي لم ينجح لأربابها رغم الجد سعي ولا عمل حاول أن يؤثر بسحر بيانه وبهرجة لسانه لستر هذه الفضيلة وفاته أن الحقيقة لا يمحقها الوهم والتضليل. وإن القيام بالواجب ورجاء المنفعة العامة حتم علينا إرجاع الحق إلى نصابه بالتنبيه على مواضع الخطأ في مقال ذلك الكاتب وإليك نص عبارته لتعرف الغلطة الواضحة قال في كتابه المجمل في تاريخ الأدب العربي ص: ٢٦٨ مطبعة العراق ببغداد سنة (١٣٤٧):

والذي يدور على الألسنة أن السبب في حبس هشام إياه قصيدة قالها في مدح علي بن الحسين وعرض فيها بهشام إذ قال:
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
والتحقيق أن هذه القصيدة محمولة عليه وليست منه في وِرد
ولا صَدَر وقائلها إنما هو الحزين الكناني من فحول شعراء
الأمويين قالها في عبد الله بن عبد الملك بن مروان ومن الناس
من يرويها لغيره أيضاً إذاً فدعوى أن الفرزدق علوي المذهب في
سياسته ساقطة^(١).

ما تلوتها إلّا وأضحكني ضخامة في أسلوبها وانتفاخ في
تأديتها وصوغها وفي ديباجة عالية تشير إلى أدب جم ونظر بعيد
ولا يهمنا كون الفرزدق علوياً أو غير علوي في عقيدته فإن
التاريخ يحصي لنا من الرجال العلويين ما هم أغزر من الفرزدق
أدباً وعلماً وإن كان لنا في أدب الفرزدق وشاعريته شاهد عدل
على تشيعه وعلويته ومما يؤكد قول ابن هاني الأندلسي في

(١) نشرنا ما ذكرناه من المناقشة في مجلة العرفان عدد ٢٢ سنة (١٣٥٠) في
ج ٣، ص ٣٧٤ وج ٥، ص ٦٥١ باب المناظرة تحت عنوان الوجدان يحاكم
مخالفه ثم نشرنا مصادر القصيدة في هامش كفاية الطالب ص ٣٠٣
والكواكب السماوية ص ٢٠ من المقدمة.

قصيدته التي مدح بها أبا الفرج الشيباني^(١):

لله من علوي الرأي منتسب إلى العلي وائلي الأصل مرّي
شيعي أملاك بكرٍ إن هم انتسبوا وليس تلقى أديباً غير شيعي
من أصلح المغرب الأقصى بلا أدب غير التشيع والدين الحنيفي

وإن كلمة ابن هاني مضرب مثل في تلك القرون وقاعدة
إحصائية ونتيجة استقرائية أتحفنا بها التاريخ نستفيد منها أن الذكاء
والعبقرية في الأدب لا يتفقان في القلب الحساس إلا مع التشيع
والعقيدة العلوية، إنما الذي يهمنا أن يودع مثل هذا الكاتب في
كتابه غلطة في التاريخ واضحة ثم يشفعها بذلك الاستنتاج الناقص
المتفكك فإن علوية المذهب للفرزدق لم تستند إلى نسبة القصيدة
إليه فحسب وإنما علويته من معالم التاريخ المشهورة.

ومن الغريب جداً ربطه السياسة بعلوية المذهب فإن السياسة
لا دخل لها بالمذهب والعقيدة إذ كثير من الشيعة المخلصين
لأهل البيت من أقطاب أمراء السياسة الغاصبة المعادية للمذهب
الشيعة والعقيدة العلوية.

على أن المؤرخين لم يغفلوا هذه الظاهرة غير أن منهم من
صرح بتشيعة ومنهم من جزم بأن الباعث له على إنشاء القصيدة

(١) ديوان ابن هاني ص ٢٢٥ المطبعة اللبنانية بيروت سنة (١٨٨٦ م).

تغاضي هشام عن حقوق السجادة ﷺ وما ألزمه المولى سبحانه به من أداء أجر الرسالة في المودة للقربى فهذا ابن خلكان في الوفيات والياضي في مرآة الجنان ج ١ ، ص : ٢٣٩ والدميري في حياة الحيوان بمادة الأسد قالوا للفرزدق مكرمة يرجى له فيها الرحمة في دار الآخرة وذكروا القصة والقصيدة ويقول ابن العماد في شذرات الذهب ج ١ ، ص : ١٤٢ مما يرجى له الزلفى وعظيم العائدة بحميته في أهل بيت رسول الله ﷺ ومدحه زين العابدين علي بن الحسين وإعرابه عن الرغبة والرغبة وفي البداية لابن كثير ج ٩ ، ص : ١٠٩ قال الفرزدق للسجادة ﷺ إنما قلت هذا لله عز وجل ونصرة للحق وقياماً بحق رسول الله في ذريته ولست أعتاض عن ذلك بشيء وفي شرح شواهد المغني للسيوطي ص : ٢٥٠ مصر قال الفرزدق للسجادة ﷺ حين رد الصلة يا ابن رسول الله ما قلته إلا غضباً لله عز وجل ولرسوله وما كنت لأخذ عليه شيئاً وفي كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص : ٣٠٦ قال سمعت الحافظ فقيه الحرم محمد بن أحمد بن علي القسطلاني يقول سمعت شيخ الحرمين أبا عبد الله القرطبي يقول لو لم يكن لأبي فراس عند الله عمل إلا هذا لدخل الجنة به لأنها كلمة حق عند ذي سلطان جائر وفي (نسمة السحر في من تشيع وشعر) بترجمة الفرزدق فأما عقيدته فقد فاز بحب أهل البيت وفي شرح رسالة ابن زيدون لمحمد بن نباتة على هامش شرح لامية العجم للصفدي ج ٢ ،

ص: ١٦٢ كان الفرزدق مائلاً لبني هاشم وإن الكميت لما عرض عليه شعره واستشاره في إذاعته وقرأ عليه القصيدة البائية إلى أن وصل إلى قوله:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب
إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله في ما نابني أتقرب
بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
قال له الفرزدق والله لو جزتهم إلى غيرهم لذهب قولك
باطلاً.

وفي مروج الذهب للمسعودي ج ٢، ص: ١٩٥ قال الفرزدق
للكميت لله درك يا بني لقد أصبت وأحسنيت إذ عدلت عن
الزعانف والأوباش إذاً لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك فأظهر
ثم أظهر وكد الأعداء فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي
وفي (معاهد التنصيص) لعبد الرحيم العباسي ج ٢، ص: ٢٦ لما
عرض عليه الكميت القصيدة البائية واستشاره في إذاعتها قال له
يا ابن أخي أذع فأنت والله أشعر من مضى ومن بقي وفي (سلسلة
الذهب) لعبد الرحمن الجامي بالحري أن يغفر الله للعالمين بهذه
القصيدة حكى ذلك عنه الوحيد البهبهاني في حاشيته على ترجمة
الفرزدق من رجال ميرزا محمد الاسترآبادي وتابعهم على ذلك
جرجي زيدان فإنه يقول في آداب اللغة العربية ج ١، ص: ٢٤٧

لم يكن من مُدّاح بني أمية لأنه يتشيع لعلي وولده عليه السلام وفي تاريخ التمدن الإسلامي ج ٣، ص: ١٠٠ كان الفرزدق متشيعاً في الباطن لبني هاشم وفي تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص: ١٦٠ كانت للفرزدق مواقف محموددة في الذود عن آل علي تجلت فيها صراحته وشجاعته وفي المنتخب من تاريخ آداب العرب ص: ٤٧ تأليف م. عطاء الدمشقي يعد له مكرمة واحدة وهي حبه الشديد لآل علي ولم يردّه عنه سطوة بني أمية وكان يجاهر في ذلك وفي جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي كان الفرزدق يتشيع ويستره أيام اختلافه إلى بني أمية ثم كاشف به آخر أيام حياته.

هذه كلمات من نص على تشيعه وميله إلى ولد أمير المؤمنين علي عليه السلام وكل من ذكر القصيدة نص على ما بعثه زين العابدين عليه السلام إليه من المال لما بلغه قطع هشام صلته عنه وغضبه عليه وأن الفرزدق ردها على الإمام عليه السلام معترداً بأنه لم يوقفه هذا الموقف بين برائن الأسد ونابه إلاّ الزلفى إلى المولى جل شأنه وأداء أجر الرسالة المأخوذ على الأبيض والأسود وهذا ينم عن شدة علاقته بذرية الرسول ﷺ واعتقاده وجوب طاعتهم والذب عنهم والإشادة بما حباهم به الباري جل شأنه من الفضائل والفواضل التي امتازوا بها على البشر عامة واستحقوا الكرامة العظمى والتأهل للخلافة الكبرى.

وهذه النصوص التاريخية كلها بمرأى من ذلك الكاتب العراقي ولكن لماذا ألقى نفسه في مخالفة الوجدان فباعد بين الفرزدق والتشيع كما باعد بينه وبين القصيدة المشهورة عند المؤرخين كأنه أمن مناقشة الحساب وغفل عن أن ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد.

وإن القارئ حينما تمر عليه كلمات أرباب التراجم والتاريخ الحافظين في جوامعهم هذه الحادثة يتجلى له اتفاقهم على السبب الباعث للفرزدق على إنشائها وهو تجاهل هشام بمعرفة زين العابدين عند استفهام أهل الشام منه بعدما شاهدوا الإمام متجللاً بالهيبة الربوبية وقد ازدان بالخلافة وتمنطق بالكرامة ورأوا تقهقر الجمع عن الحجر حتى استلمه وحده فنهضت حمية الدين بالفرزدق فأنشأ تلك القصيدة راداً على هشام ومعرفاً للحاضرين بغيه وحسده ولم يعبأ بسطوته وتجبره.

وقد روى هذه الحادثة جماعة بإسناد صح لديهم فمنهم أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ج ١، ص: ١٥٣ ومنهم الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة (٤٣٠) في حلية الأولياء ج ٣، ص: ١٣٩ ومنهم أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني ج ١٩، ص: ٤٠ ومنهم الشيخ الجليل محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي من أعيان القرن الرابع في رجاله ص: ٨٦ رواها عن أستاذه محمد

ابن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي من عيون الإمامية في المائة الثالثة كثير التصنيف له تفسير في مجلدين يعرف بتفسير العياشي لم يوجد إلا الجزء الأول ومنهم السيد علي خان شارح الصحيفة السجادية الكاملة في الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة.

وهناك جماعة كثيرة اقتنعوا بشهرة القصيدة والحادثة عن ذكر إسنادها فأرسلوها في جوامعهم إرسال المسلمات كما أن منهم من أثبتها بتمامها حسبما صحت لديه روايتها فأنهاها البعض إلى أحد وأربعين بيتاً وأثبت الآخر ثلاثين وخرّج الثالث تسعاً وعشرين والرابع سبعةً وعشرين واقتصر البعض على بعض أبياتها اكتفاءً بشهرتها عن الإتيان عليها بتمامها ولأجله كان الشريف علم الهدى السيد المرتضى يقول في الأمالي ج ١، ص: ٤٨ إنها أكثر مما روينا وقد تركناها لكونها معروفة ويقول ابن حجر في الصواعق المحرقة ص: ١١٩ إنها مشهورة وفي نسمة السحر للفرزدق الأبيات المشهورة وفي تاريخ التمدن الإسلامي ج ٣، ص: ١٠٠ عند ذكر الشعر وبني أمية نظم الفرزدق قصيدته المشهورة في مدح أهل البيت وذكر المطلع فالقصيدة مجمع على نسبتها للفرزدق لا ينكرها إلا من أنكر ضوء الشمس وضياء القمر وإلى القارئ الكريم أسماء من أثبتها في كتابه من السنة والشيعة وبيان عدد أبياتها.

في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ١، ص: ١٥٣ والبداية لابن كثير ج ٩، ص: ١٠٨ وشذرات الذهب لابن العماد ج ١، ص: ١٤٢ ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢، ص: ٣٣٨ إيران والإتحاف للشبراوي ص: ٥١ أنها سبع وعشرون وفي دائرة المعارف لفريد وجدي بترجمة الفرزدق ج ٧، ص: ١٦٦ ونور الأبصار للشبلنجي ص: ١٢٨ وروضة الواعظين للفتال ص: ١٧١ وروضات الجنات بترجمة الفرزدق ص: ٥٢٠ ثمان وعشرون وفي كفاية الطالب للكنجي ص: ٣٠٦ وزهر الآداب للحصري على هامش العقد الفريد ج ١، ص: ٦٨ ورجال الكشي ص: ٨٦ والخرائج لسعيد بن هبة الله الراوندي ص: ٢٩ الهند تسع وعشرون وفي المناقب لابن شهر آشوب ج ٢، ص: ٢٦٥ إيران تسع وثلاثون وفي الاختصاص للشيخ المفيد ثلاثون وفي الأغاني لأبي الفرج ج ١٩، ص: ٤٠ عشرون وفي حاشية المغني للشيخ محمد الأمير ص: ١٥ أحد وعشرون وفي شرح شواهد المغني للسيوطي ص: ٢٤٩ مصر ثلاث وعشرون وفي الدرجات الرفيعة للسيد علي خان بترجمة الفرزدق أربع وعشرون وفي حياة الحيوان للدميمري ج ١، ص: ١١ بمادة الأسد وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص: ١٨٥ ومراة الجنان لليافعي ج ١، ص: ٢٣٩ خمس وعشرون وفي الفصول المهمة لابن الصباغ ص: ٢١٨ ست وعشرون وفي الفصول المختارة للسيد المرتضى ص: ١٨ طبع أول ستة عشر

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٣، ص: ١٣٩ وشرح شواهد
 المغني للعيني على هامش خزنة الأدب للبغدادى ج ٢، ص: ٥١٣
 وتاريخ الملوك للقرمانى ص: ١١٠ وتاريخ الأدب العربى لأحمد
 حسن الزيات ص: ١٦٠ والصواعق المحرقة لابن حجر ص:
 ١١٩ ثمانية وفي ينابيع المودة: ٣٧٩ ومطالب السؤل ص: ٧٩
 لابن طلحة الشافعى تسع وفي جواهر الأدب عشرة.

وأبو الفرج لم ينكر إنشاء الفرزدق للقصيدة في مدح
 السجاد عليه السلام وإنما أنكر في الأغاني ج ١٤، ص: ٧٥ رواية البيتين
 للفرزدق في حق السجاد عليه السلام وهما قوله: (في كفه خيزران) وقوله
 (يغضي حياءً) فإنهما عنده من إنشاء الحزين الكنانى في عبد الله
 ابن عبد الملك بن مروان وذكر لهما قصة قال وليس هما مما
 يمدح بهما علي بن الحسين وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد
 وهذا منه اجتهدا وتحكم حيث تخيل أن الفرزدق عنى بالعصا التي
 يحملها الإمام زين العابدين عليه السلام هي التي يحمله الملوك والجبابرة
 فنزه ساحة الإمام عليه السلام عن مثل ذلك بما أدى إليه اجتهداه وقد فاته
 أن الفرزدق عنى بالعصا ما يحمله المسافر وهي التي كان زين
 العابدين يعلقها عند السفر على ناقته ولم يضربها بها مدة حياته^(١)
 وقد ندب النبي ﷺ إلى حمل العصا في السفر والسجاد عليه السلام أولى

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ج ١، ص ٣٩٦.

وأحرى باتباع سنة جده على أنا لو وافقنا أبا الفرج في البيت الأول وهو قوله :

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرينه شمم
فلا نوافقه على البيت الثاني وهو قوله :

يغضي حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم
فإن الإمام السجاد (عليه السلام) من أتم مصاديقه لأن صاحب ذلك
البهاء والهيبة والجلال الذي تنكشف عنه الناس وينزاح الجمع
عن طريقه حتى يستلم الحجر مع تكاثرهم وازدحامهم لا شك أنه
(يغضي حياءً ويغضى من مهابته) ويحتمل أن القصيدة لما تذاكرها
الناس وأخذت مكانتها من الشهرة أخذ الحزين هذين البيتين
وجعلهما في مدح عبد الله بن عبد الملك مع أن هذا البيت الثاني
نسبه إلى الفرزدق كل من ذكر القصيدة والحادثة والبيت الآخر
وهو (في كفه خيزران) نسبه إلى الفرزدق في زين العابدين ابن
خلكان والدميري والسيوطي والكنجي والياضي وابن الصباغ
والحصري والشيخ المفيد وابن شهر آشوب وفريد وجدي .

ومع التنازل إلى ما رامه أبو الفرج من نسبة البيتين إلى
الحزين فأين هو مما جزم به (الأثري) من نسبة القصيدة إلى
الحزين فإنه لم يذكره أحد من المؤرخين لما عرفت من اتفاقهم
على أنها للفرزدق في الإمام علي بن الحسين وأبو تمام في ديوان

الحماسة وإن نسب إلى الحزين قوله (هذا الذي تعرف البطحاء) وبعده (إذا رآته قريش) ثم (يكاد يمسكه) وبعده (أي القبائل) ثم البيتين لكنه أثبت أنها في علي بن الحسين وهذا منه خطأ لأن الحزين لم يكن من مدّاح بني هاشم لاختصاصه بالأمويين ولعدم وضوح هذه النسبة عند التبريزي شارح الحماسة قال ويقال إنها للفرزدق وذكر القصة^(١) والجاحظ ذكر البيتين في جملة أبيات ونسبها إلى الشاعر ولم يعينه والعجب من الشارح الأستاذ حسن السندوبي كيف يتردد بين الفرزدق وغيره^(٢) مع أن نصوص المؤرخين على أنها للفرزدق أمامه وهي آيات بينة وشواهد متقنة وحجة بالغة لا تدحض مطروحة على الطريق ولا تخفيها إلا غشاوة التعصب والعناد ولله درّ من قال:

ما بال مرضى قلوب إن هم علموا	فضلاً لآل علي مسّهم ضرر
وإن هم سمعوا مدحاً لهم قدحوا	بالمدح أو بهتوا من قال أو رجموا
يقطع الذكر أحشاهم لحقدهم	فليس يدرى أكلمّ ذاك أم كليم
أورى الفرزدق ناراً حين ناشدهم	(هذا ابن خير عباد الله كلهم)
فأنكرت فئة ما قال من دغل	وآخرون على ممدوحها انقسموا
من قائل إنما يعنى هشام بها	وقائل إنما يعنى بها قثم

(١) شرح الحماسة (للتبريزي) ج ٤ ، ص ١٦٧ طبع سنة (١٣٥٨).

(٢) البيان والتبيين ج ١ ، ص ٢٨٦ ط . ثانٍ.

فكيف لو سمعوا قول النبي لهم
خلفت فيكم كتاب الله مقترناً
أم كيف لو سمعوا مدح الإله له
أظن سامعها منهم إذا تليت
في ما روته لنا من قوله الأمام
بعترتي فاحفظوهم فيّ واعتصموا
ببينات من القرآن تنتظم
يود لو أنه في أذنه صمم^(١)

(١) في الكواكب السماوية ص ٢٧١ أنها لبعض المعاصرين .

قصيدة الفرزدق

روى أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ج ١، ص: ١٥٣ بسنده المتصل إلى ابن عائشة عبد الله بن محمد عن أبيه قال حج هشام بن عبد الملك في زمن أبيه وساق الحديث كما تقدم إلى أن قال وأنشأ الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رآته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت	عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياءً ويغضي من مهابته	فما يكلم إلا حين يبتسم
من جده دان فضل الأنبياء له	وفضل أمته دانت له الأمم
ينشق نور الهدى عن نور غرته	كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته	طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا

اللَّهِ شَرَفَهُ قَدَمًا وَفَضْلَهُ
فَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرِهِ
كَلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تَخْشَى بَوَادِرَهُ
حَمَّالٌ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا افْتَدَحُوا
لَا يَخْلِفُ الْوَعْدَ مِيْمُونَ نَقِيبَتِهِ
مَا قَالَ لَا قَطَّ إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ
عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ وَانْقَشَعَتْ
مِنْ مَعَشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ وَبَغْضِهِمْ
إِنْ عَدَّ أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أَثْمَتَهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
هُمْ الْغِيُوْثُ إِذَا مَا أَزْمَةُ أَزْمَتْ
لَا يَنْقُصُ الْعَسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
يَسْتَدْفِعُ السُّوءَ وَالْبَلَوَى بِحُبِّهِمْ
مُقَدِّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرَهُمْ
يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحْلَلَ الذَّمَّ سَاحَتَهُمْ
أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّةَ ذَا

جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
الْعَرَبُ تَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتِ وَالْعَجَمُ
يُسْتَوْكِفَانِ وَلَا يَعْرِوهُمَا الْعَدَمُ
يُزِينُهُ اثْنَانِ حَسَنُ الْخَلْقِ وَالْكَرَمُ
حَلَوُ الشَّمَائِلِ تَحَلُّوْا عِنْدَهُ النَّعْمُ
رَحِبُ الْفَنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزَمُ
لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَاؤُهُ نَعْمُ
عَنْهَا الْعِمَايَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلْمُ
كَفَرُ وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمَعْتَصِمُ
أَوْ قِلٌ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قِلٌ هُمْ
وَلَا يَدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرَمُوا
وَالْأُسْدُ أُسْدُ الشَّرِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدِمُ
سَيِّانٌ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدَمُوا
وَيَسْتَزَادُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعْمُ
فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمُخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلَمُ
خَيْمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالْنَدَى عُصْمُ
لَأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نَعْمُ
فَالْدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالُهُ الْأُمَمُ

الشهادة

إن أئمة الهدى عليهم السلام حيث كانوا أرقى أفراد البشر في ملكاتهم وصفاتهم فلا يفوقهم أي أحد في شيء منها ولا جرم يكون خروجهم من الدنيا على حال أربى في نيل الجزاء وهو الشهادة التي أكرمهم المولى سبحانه بها فإنها أفضل ما يلاقي به العبد ربه تعالى وقد أخبر الرسول ﷺ بما أعد الله للشهيد من فضل وحباه في الدار الآخرة بما يتفوق به على غيره ممن لم تحصل له تلك الخاصة المميزة لأفراد البشر فقال ﷺ: فوق كل ذي برٍّ برٌّ حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل فليس فوقه برٌّ^(١) وفي ما حدث به الصديقة الزهراء عليها السلام أن أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والזبور فما

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣، ص ٣٧٨ في فضل الشهادة والتهديب (للطوسي) ج ٢، ص ٤٢ والخصال (للصدوق) ج ١، ص ٨، ونوادر الراوندي ص ٨ وشرح الصحيفة (للسيد علي خان) ص ٥٨.

عند الله خير من الدنيا وما فيها قتلة أهون من ميتة^(١) وما من نبي ولا وصي إلا شهيد^(٢) حتى إنه (عليه السلام) التحق بالرفيق الأعلى شهيداً بسمّ دستاه إليه^(٣).

وهذه الأخبار من الحكيم الذي لا ينطق إلا عن وحي إلهي تفيدنا القطع بأن ما أصاب أئمة الشريعة من القتل بالسيف والسم لأجل قضاء الحكمة الربوبية بأن ما أعده الله لهم من المنازل العالية والكرامة الكبرى لا يحصل إلا بالشهادة في سبيل طاعته عز وجل كما أخبر بذلك الإمام الباقر (عليه السلام)^(٤) وقد أعلم النبي (عليه السلام) سيد الشهداء بأن ما حباه الله تعالى به من الدرجات التي لم ينلها أحد من الخلق لا يحصل إلا بالشهادة^(٥) ومن أجل هذا كان أمير المؤمنين يقول يوم صفين اللهم ارزقني أشرف القتل في سبيلك أنصرك وأنصر رسولك أشتري به الحياة الباقية بالحياة الدنيا^(٦) ويقول (عليه السلام) في حروبه اللهم إنك أعلمت سبيلاً من سُبُلِكَ جعلت فيه

(١) تفسير فرات ص ٥٥.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٤٥.

(٣) تفسير العياشي ونص الحجة السيد محمد جد السيد بحر العلوم في رسالة المواليد والوفيات على تسميتها.

(٤) بصائر الدرجات ص ٣٣.

(٥) أمالي الصدوق ص ٩٢ مجلس ٣٠.

(٦) الصحيفة العلوية (للشيخ عبد الله السماهيجي) ص ١٦٤.

رضاك وندبت إليه أوليائك وجعلته أشرف سبلك عندك ثواباً وأكرمها لديك مآباً ثم اشتريت من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فاجعلني ممن اشتريت فيه منه نفسه ثم وفي لك ببيعه الذي بايعك عليه غير ناكث ولا ناقض عهداً ولا مبدل تبديلاً استيجاباً لمحبتك وتقرباً إليك فاجعله خاتمة عملي وصير فيه فناء عمري^(١).

وأمر المؤمنين عليه السلام وإن كان على يقين من تأخر شهادته عن هذه الحروب على ما تعتقده الإمامية بأن الله تعالى منحهم بالعلم لما كان ويكون وما هو كائن إلا أنه أظهر حبه لمواقف الشهداء في تلك المعركة ليفوز بالأجر الجزيل (فإن من أحب عمل قوم شاركهم في عملهم) على أنه عليه السلام لم يطلب في دعائه تعجيل قتله وإنما كان دعاؤه بأن تكون الشهادة خاتمة عمله ولا ينافيه علمه بتأخرها فإن دعائه هذا إظهار للرضا بمجاري القضاء وخضوع للأمر المحتوم وكل ذلك عبادة يجب أن يكون مثله فائزاً بها وقد اقتضى هذا النهج أبناؤه فتكرر في أدعية زين العابدين طلب الشهادة من الله بسيوف الأعداء لأنها الكرامة التي ليس فوقها شيء^(٢) ويحدث أبو محمد الحسن السبط عليه السلام بأن هذا الأمر

(١) شرح الصحيفة (للسيد علي خان) ص ٥٨.

(٢) الدعاء الأول من أدعية الصحيفة الكاملة.

يملكه اثنا عشر إماماً ما منهم إلا مقتول أو مسموم^(١) ويقول الإمام الرضا (عليه السلام) ما منا إلا مقتول شهيد قيل له فمن يقتلك قال (عليه السلام) يقتلني شر خلق الله بالسم ويدفني في دار مضيعة وبلاد غربة^(٢) وفي حديث الصادق (عليه السلام) ما منا إلا مقتول شهيد^(٣).

ولما كان أمناء الوحي وحفاظ الشريعة (عليه السلام) زبد العوالم كلها بل هم النور الساري في جميعها ولولا هم لساخت الأرض بأهلها وكما أن النجوم أمان لأهل السماء من استراق السمع كانوا صلوات الله عليهم أمان لأهل الأرض من البلاء المردى والعذاب المهلك الذي جرى في الأمم السالفة وإلى كونهم علّة العلل والنور الساري في الموجودات أشار الحديث الوارد عنهم (عليه السلام) أنهم فاتحة الكون وخاتمته.

أراد منشئ كيانههم ومودع العصمة فيهم أن يشرفهم في الآخرة كما شرفهم في الدنيا فأعدّ لهم من المنازل ما لم يكن لنبي أو وصي تعويضاً عما قاسوه في سبيل مرضاته من غصص وآلام حتى لفظوا آخر نفوسهم بالقتل أو السم انقياداً لما قدره الباري جل شأنه وإنما اختصهم بهذا البلاء لمصالح وأسرار يعلمها رب

(١) كفاية الأثر (للخزاز) ص ٣١٧.

(٢) الأماشي ص ٣٩ مجلس ١٥ ح ٨ وعيون الأخبار ص ٣٦٣ كلاهما (للصدوق).

(٣) إعلام الوری (للطبرسي) ص ٢١١.

العالمين ولا سبيل إلى الوقفة والتشكيك في ذلك ما لم تنكشف لنا المصالح الباعثة على اختصاصهم بوجوب الإقدام على ما فيه إزهاق نفوسهم الطاهرة ويكون حالهم في التكليف بالصبر على الهلكة كسائر التكاليف الواجبة عليهم غاية الأمر امتازوا في هذا النحو من التكليف عن سائر الأمة لغايات أراد جل شأنه أن يبلغهم إياها وهذا أنجع في دفع غائلة الوقوع في التهلكة مما خبط به الباحثون وقد تنبه له المحققون من علمائنا الأعلام فيقول الشيخ المفيد في جواب المسائل العكبرية:

لسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث على التفصيل والتميز ويكون بإعلام الله تعالى كما لا نمنع أن يتعبد الله أمير المؤمنين بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل فيبلغه بذلك علو الدرجة ما لا يبلغه إلاّ به بأن يطيعه في ذلك طاعة لو كلفها سواء لم يردّها ولا يكون أمير المؤمنين ملقياً بيده إلى التهلكة ولا معيناً على نفسه معونة تستقبح في العقول ولا يلزم فيه ما يظنه المعترضون كما لا نمنع أن يكون الحسين (عليه السلام) عالماً بموضع الماء وأنه قريب منه بقدر ذراع فلو حفر لنبع له الماء فامتناعه من الحفر لم يكن فيه إعانة على نفسه بعد أن يكون متعبداً بترك السعي في طلب الماء حيث يكون ممنوعاً منه ولا يستبعد العقل ذلك ولا يقبحه وكذلك في علم الحسن (عليه السلام) بعاقبة موادة معاوية فقد جاء الخبر بعلمه به وكان شاهد الحال يقضي به غير أنه دفع

به عن تعجيل قتله وتسليم أصحابه إلى معاوية وكان في ذلك لطف في بقاءه إلى حال مضيه ولطف لبقاء كثير من شيعته وأهله وولده ودفع فساد في الدين أعظم من الفساد الذي حصل عند هذنته وكان (عليه السلام) عالماً بما صنع ولكن الله تعالى تعبده بذلك .

وقال العلامة الحلي في جواب من سألته عن تعريض أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه للقتل بأنه يحتمل أن يكون قد أخبر بوقوع القتل في تلك الليلة وفي أي مكان يقتل وإن تكليفه مغاير لتكليفنا فجاز أن يكون بذل مهجته في ذات الله تعالى واجباً عليه كما يجب الثبات على المجاهد وإن كان ثباته يفضي إلى القتل^(١) .

وقال المجلسي ذهب كثير من أصحابنا إلى أن الأئمة خرجوا من الدنيا على الشهادة واستدلوا بقول الصادق والله ما منا إلا مقتول شهيد^(٢) .

وقال الشيخ الجليل المحقق يوسف البحراني إنَّ رضى الأئمة (عليهم السلام) بما ينزل بهم من القتل بالسيف أو السم وما يقع بهم من الهوان الظلم على أيدي أعدائهم مع كونهم عالمين به وقادرين على دفعه إنما هو لما علموه من كونه مرضياً لله تعالى ومختاراً له بالنسبة إليهم (عليهم السلام) وموجباً للقرب من حضرة قدسه فلا

(١) مرآة العقول ج ١ ، ص ١٨٩ ، والبحار ج ٩ ، ص ٦٣٣ .

(٢) البحار ج ٧ ، ص ٤٠٣ .

يكون من قبيل الإلقاء باليد إلى التهلكة الذي حرّمته الآية إذ هو ما اقترن بالنهي من الشارع نهى تحريم وهذا مما علم رضاه به واختياره له فهو على النقيض من ذلك وأما ما ينزل بهم من تلك المحذورات قبل الوقت المحدود والأجل المحدود فلا يصل إليهم شيء من الضرر إما للامتناع منه ظاهراً أو للاحتجاب منه باطناً أو للطلب من الله تعالى في دفعه عنهم لعلمهم بأنه غير مراد للمولى جل شأنه في حقهم ولا مقدر لهم وبالجمله فإنهم عليه السلام يدورون مدار ما علموه من القضاء والقدر مما اختاره لهم القادر القاهر المختار عزّ شأنه^(١).

وعلى ضوء تلك الأحاديث الدالة على ما اختاره الله تعالى للأئمة الطاهرين من الإقدام على إزهاق نفوسهم القدسية بالقتل أو السم مشى العلماء فسجلوا في جوامعهم ما صح لديهم من شهادتهم على أيدي أعدائهم وفي هذا يقول شيخنا الطبرسي مضى الحسن العسكري مسموماً وكذا أبوه وجده وجميع الأئمة خرجوا من الدنيا بالشهادة^(٢) ولكن هناك شذمة قليلة الخبرة بالتاريخ قاصرة النظر في الأحاديث لم تدعن بهذه المنحة المباركة من المولى تعالى لأمناء شرعه فأثبتت لبعضهم الموت

(١) الدرة النجفية ص ٨٥.

(٢) إعلام الورى ص ٢١١.

حتف الأنف غفلة عن أن ما اشتمل عليه قولهم (عليه السلام) (ما منا إلا مقتول أو مسموم) من النفي المتعقب بأداة الاستثناء يفيد حصر الشهادة في كل واحد منهم وأن هذه الجملة كقول القائل «لا إله إلا الله» الدال على حصر الشهادة بالتوحيد لذات «واجب الوجود» وكقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (يا علي ما عرفك إلا الله وأنا) ^(١) الدال على عدم وقوف أحد من الخلق على كنه سيد الأوصياء غير موجد كيانه عز وجل وخاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) وما ورد من الدعاء في كل يوم من شهر رمضان المشتمل على الصلاة على محمد وآله وإن نص على شهادة بعضهم وذكر الآخر بعنوان المظلومية ^(٢) لا يكون شاهداً لهذه الطائفة لإرساله المانع من مصادمة تلك الأحاديث الناصة على الشهادة مع أن بعض نسخ الإقبال المصححة صرحت بالشهادة فإنه قال في كل واحد منهم (والعن من شرك في دمه) على أنه لم ينص على شهادة الرضا (عليه السلام) والزهراء ورقية ولا إشكال في تحققها فلا جرم حينئذ من الالتزام بعدم كونه بصدد حصر الشهادة.

وبعد تفكك هذه المزعمة بالحجة الواضحة نشاهد الآخر يجاهر بغرابة أخرى فينفي حضور زين العابدين (عليه السلام) دفن أبيه سيد

(١) المحتضر ص ١٦٥.

(٢) الدعاء في مصباح المتهجد ص ٣٣٠ والإقبال ص ٣٤٤.

شباب أهل الجنة كأنه لم يقرأ ما يرويه شيخنا المجلسي أعلا الله مقامه عن الاختصاص للشيخ المفيد من مكاتبة إبراهيم بن أبي سمال إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام وفيها إنا قد رويناه إن الإمام لا يغسله إلاّ إمام فما تقول فيه فكتب إليه أن الذي بلغك هو الحق ويروي أبو بصير عن الصادق في ما أوصاه به أبو جعفر عليه السلام إذا مت فلا يغسلني أحد غيرك فإن الإمام لا يغسله إلاّ إمام^(١) وفي رواية الراوندي عن الباقر أن السجاد عليه السلام أوصاه بذلك^(٢) ويحدث أحمد بن عمر الخلال أنه قال لأبي الحسن الرضا عليه السلام إنهم يحتاجونا في أن الإمام لا يغسله إلاّ إمام فقال عليه السلام ما قلت لهم قال قلت إن قال مولاي غسلته تحت عرش ربي تعالى فقد صدق وإن قال غسلته في تخوم الأرض فقد صدق فقال عليه السلام لا هكذا تقول وقل لهم إني غسلته وقال المفضل بن عمر للصادق عليه السلام من غسل فاطمة عليها السلام قال ذاك أمير المؤمنين فكأنني استعظمته فقال عليه السلام كأنك ضقت ممّا أخبرتك به قلت قد كان ذلك قال عليه السلام لا تضيقن فإنها صديقة ولم يكن يغسلها إلاّ صديق أما علمت أن مريم لم يغسلها إلاّ ابنها عيسى عليه السلام^(٣) وقال المأمون لهزيمة أليس زعمتم

(١) البحار ج ٧، ص ٤٢١.

(٢) الخرائج ص ٢٠.

(٣) الكافي على هامش مرآة العقول ج ١، ص ٢٨٩ وص: ٣٨٩ وذكرنا في كتاب الصديقة الزهراء ص ١٠٧ رواية غسلها قبل الوفاة والاكتفاء به =

أن الإمام لا يغفله إلا إمام مثله، فأين محمد ابن علي ابنه وهو بمدينة الرسول وهذا بطوس بخراسان فقال له هرثمة: إن الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله فإن تعدى متعدٍ وغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدي غاسله ولا تبطل إمامة الذي بعده بأن غلب على غسل أبيه ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بالمدينة لغسله ابنه محمد ظاهراً ولا يغسله الآن إلا هو حيث يخفى^(١) وفي مناظرة أبي الحسن الرضا (عليه السلام) مع ابن أبي حمزة أنه (عليه السلام) قال له أخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً قال بلى. قال (عليه السلام) فمن ولي أمره قال علي بن الحسين فقال الرضا وأين كان قال كان محبوساً بالكوفة عند ابن زياد ولكنه خرج وهم لا يعلمون به حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف إلى السجن فقال الرضا (عليه السلام) إن من مكن علي بن الحسين أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه ثم ينصرف يمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه وليس هو في حبس ولا إزار^(٢).

وهذه الأخبار وإن كان موردها الغسل إلا أن التكفين والدفن لا يعدوه لأن المعصوم (عليه السلام) في سيره إلى المبدأ الأعلى سبحانه

= وقول بعض العلماء إن الغُسلين من خصائصها.

(١) عيون أخبار الرضا ص ٣٥٥.

(٢) إثبات الوصية للمسعودي ص ١٧٣، النجف.

بانتهاه أمد الفيض الإلهي بوجوده المبارك لا يقرب منه من لم يكن من أهل هذه المرتبة وليست هذه الدعوى غريبة في الأئمة بعد أن تكوّنوا من الحقيقة المحمدية وشاركوا جدهم في المآثر كلها إلا النبوة والأزواج^(١) وهذه أسرار لا تصل إليها أفكار البشر ولا سبيل لنا إلى الإنكار بمجرد بعدنا عن إدراكها ما لم تبلغ حد الاستحالة وقد أفادت الآثار الصحيحة بأن للأئمة أحوالاً غريبة ليس لسائر الخلق الشركة معهم فيها كإحيائهم الأموات بالأجساد الأصلية ورؤية بعضهم بعضاً وصعود أجسادهم إلى السماء وسماعهم سلام الزائرين لهم ولأجلها صادق على ذلك الشيخ المفيد في المقالات ص: ٨٤ والكراچكي في كنز الفوائد والمجلسي في مرآة العقول ج ١، ص: ٣٧٣ والشيخ كاشف الغطاء في منهج الرشاد ص: ٥١ والعلامة النوري في دار السلام ج ١، ص: ٢٨٩.

(١) المحتضر ص ٢٠.

أقوال العلماء في شهادات الأئمة عليه السلام

ومن هنا لم يتباعد الأعلام عن الإذعان بشهادة كل إمام معصوم عليه السلام فأما أمير المؤمنين وسيد الشهداء فلا يرتاب أحد في شهادتهما بالقتل . (وأما سيدة النساء) ففي الكافي باب فاطمة عن علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام أن فاطمة كانت صديقة شهيدة وقال المجلسي في مرآة العقول ج ١ ، ص : ٣٨٣ شهادة فاطمة من المتواترات (والحسن عليه السلام) في إرشاد الشيخ المفيد ومناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ، ص : ١٦٤ وروضة الواعظين ص : ١٤٣ وإعلام الوري ص : ١٢٥ وجدول مصباح الكفعمي وجدول شرح ميمية أبي فراس سمته جعدة . (والسجاد) في مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ، ص : ٢٦٩ ودلائل الإمامة لابن جرير الطبري ص : ٨٠ وتاريخ القرماني ص : ١١١ ورسالة المواليد للسيد محمد جد السيد بحر العلوم وأرجوزة الشيخ الفتوني أن الوليد سمه ويتفق مع الأنوار النعمانية ص : ١٢٥ وجدول مصباح الكفعمي ص : ٢٧٦ الهند وجدول شرح ميمية أبي فراس ص : ١٦ وأرجوزة

الحر العاملي وجدول أحسن التقويم للسيد عبد الله شبر من أن هشام بن عبد الملك سمه لأن شهادته أيام ملك الوليد فيجوز أنه أوعز إلى أخيه بسمه وفي الإتحاف للشبراوي ص: ٥٢ مات بالمدينة مسموماً يقال سمه الوليد بن عبد الملك وفي الصواعق المحرقة ص: ١٢٠ والفصول المهمة لابن الصباغ قيل سمه الوليد بن عبد الملك. (والباقر) في دلائل الإمامة ص: ٩٤ ومناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص: ٢٩٥ وأرجوزة الشيخ الفتوني سمه إبراهيم بن الوليد وفي الأنوار النعمانية ص: ١٢٥ ورسالة السيد محمد الطباطبائي وجدولي المصباح وشرح الميمية وأرجوزة الحر العاملي سمه هشام بن عبد الملك وفي الصواعق المحرقة ص: ١٢٠ توفي مسموماً كأبيه وفي الفصول المهمة لابن الصباغ ص: ٢٣٣ مات بالسم في زمن إبراهيم بن الوليد. (والصادق) في دلائل الإمامة ص: ١١١ ومناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص: ٣٤٩ ورسالة السيد محمد الطباطبائي وأرجوزة الشيخ الفتوني سمه المنصور وفي الأنوار النعمانية ص: ١٢٦ وجدولي المصباح وشرح الميمية سمه بالعنب وفي الإتحاف للشبراوي ص: ٥٤ مات بالسم في أيام المنصور وفي الفصول المهمة ص: ٢٤٣ يقال مات بالسم في أيام المنصور وفي الصواعق المحرقة ص: ١٢١ توفي مسموماً على ما حكى وفي أرجوزة الحر العاملي (وقته بالسم في المشهور). و(الكاظم) في إرشاد الشيخ

المفيد ودلائل الإمامة ص: ١٤٨ وإعلام الوري ص: ١٨٠ والمناقب ج ٢، ص: ٣٨٣ والأنوار النعمانية ص: ١٢٧ وروضة الواعظين ص: ١٨٥ وجدولي الكفعمي وشرح الميمية وأرجوزة الحر العاملي سمه الرشيد وفي أرجوزة الشيخ الفتوني (وسمه السندي بعد الحبس) وفي رسالة السيد محمد جعله في طعام وقيل في رطب فأكل منه وأحس بالسم.

وذكرنا في رسالة الإمام الرضا والإمام الجواد (عليهما السلام) شهادة العلماء بأنهما مضيا مسمومين. (والهادي) في دلائل الإمامة ص: ٢١٦ مات مسموماً بسر من رأى وفي مناقب ابن شهر آشوب ج ٢، ص: ٤٤٢ استشهد مسموماً وقال ابن بابويه سمه المعتمد وفي جدولي المصباح وشرح الميمية وجنات الخلود وأرجوزة الفتوني سمه المعتز وقال الحر العاملي في أرجوزته سمه ابن المتوكل. (والعسكري) في دلائل الإمامة ص: ٢٢٣ في أيام المعتمد استشهد ولي الله مسموماً وفي المناقب لابن شهر آشوب ج ٢، ص: ٤٥٧ والأنوار النعمانية ورسالة السيد محمد الطباطبائي وجنات الخلود وجدولي المصباح وشرح الميمية وأرجوزة الحر العاملي والشيخ الفتوني سمه المعتمد وقال الطبرسي في إعلام الوري ص: ٢١١ ذهب كثير من علمائنا إلى أن الحسن العسكري مضى مسموماً وكذلك أبوه وجده وجميع الأئمة خرجوا من الدنيا بالشهادة وإسنادهم في ذلك ما روي عن

الصادق عليه السلام ما منا إلا مقتول أو شهيد.

وإني لا أرى بعد هذه النصوص من العلماء الأعلام من يرتاب في شهادة الأئمة المعصومين عليهم السلام إلا قاصر النظر كثير التشكيك لقلة الوقوف على التاريخ والإمام بالأحاديث.

وصايا السجاد لأولاده

دخل جماعة على الإمام زين العابدين عائدين له فقالوا كيف أصبحت يا ابن رسول الله فدتك أنفسنا . قال (عليه السلام) في عافية والله المحمود على ذلك ثم قال لهم كيف أصبحتم جميعاً قالوا أصبحنا لك والله يا ابن رسول الله محبين وادين قال (عليه السلام) من أحبنا الله تعالى أدخله الله ظلاً ظليلاً يوم لا ظلّ إلاّ ظله ومن أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنا بالجنة ومن أحبنا لغرض دنياً أتاه رزقه من حيث لا يحتسب^(١) (ومما أوصى به ولده) أن قال لهم إذا أصابتكم مصيبة أو نزلت بكم فاقة فليتوضأ الرجل ويحسن وضوءه ويصلي أربع ركعات أو ركعتين وبعد الفراغ يقول يا موضع كل شكوى يا سامع كل نجوى يا شافي كل بلاء يا عالم كل خفية يا كاشف ما يشاء يا نجيّ موسى ويا مصطفىّ محمد يا خليل إبراهيم أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت قوته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير

(١) الفصول المهمة (لابن الصباغ) ص ٢١٨ .

الذي لا يجد لكشف ما فيه إلا أنت يا أرحم الراحمين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال ﷺ من أصابه البلاء ودعا بهذا الدعاء أصابه الفرج من الله تعالى^(١).

وقال ﷺ يا بني أخذ بيدي جدي وقال يا بني افعل الخير إلى كل من طلبه منك فإن كان أهله فقد أصبت موضعه وإن لم يكن أهله كنت أهله وإن شتمك رجل وتحول إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل منه^(٢) وقال ﷺ لبعض ولده إن الله تعالى رضىني لك ولم يرضك لي وأوصاك بي ولم يوصني بك فعليك بالبر تحفة يسيرة^(٣) وقال ﷺ يا بني خمسة لا تصاحبهم ولا ترافقهم في طريق ولا تحدثهم إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بائعك بأكلة أو أقل منها وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفحك فيضرك وإياك ومصاحبة قاطع رحمه فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع^(٤): قال الله تعالى في سورة محمد الآية ٢٢: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ

(١) كشف الغمة (للإربلي) ص ١٦٥ وتاريخ القرمانى ص ١١٠.

(٢) مشكاة الأنوار ص ٦٥.

(٣) تحف العقول ص ٦٧.

(٤) كشف الغمة ص ٢٠٠.

﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ وقال الله تعالى في سورة الرعد الآية ٢٥: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ وقال الله تعالى في سورة البقرة الآية ٢٧: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْخُسُوفُ ﴿٢٧﴾﴾ (١).

ثم قال (عليه السلام) أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً وأعظمكم عند الله عملاً أسعاكم لعياله وأكرمكم عند الله أتقاكم لله تعالى (٢) وقال (عليه السلام) يا بني اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ولا تجب أخاك إلى الأمر الذي مضرتك عليك أكثر من منفعتك له (٣) وإياك ومعاداة الرجال فإنها لن تعدمك مكر حليم أو مفاجأة لئيم (٤) وقال (عليه السلام) لأبي جعفر الباقر (عليه السلام) أوصيك بما أوصاني به أبي (عليه السلام) اصبر على الحق وإن كان مرأً (٥) وافعل الخير إلى كل من طلبه منك (٦) واشكر الله في ما أنعم عليك وأنعم على من شكرك

(١) الوافي ج ٣، ص ١٠٥.

(٢) تحف العقول ص ٦٧.

(٣) حلية الأولياء ج ٣، ص ١٣٨ والبيان والتبيين (للجاحظ) ج ٢، ص ٥٩ طبع ثانٍ.

(٤) البحار ج ١٧، ص ١٦٠.

(٥) مجموعة ورام ص ١٤.

(٦) روضة الكافي ملحقة بتحف العقول ص ١٩١ حديث ١٤١.

فإنه لا زوال للنعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت والشاكر بشكره أسعد منه بالنعمة التي وجب عليه الشكر لها ثم تلا قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١).

وفي أيام مرضه جمع أولاده محمداً والحسن وعبد الله وزيداً والحسين وأوصى بالإمامة إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام وقال له يا بني العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والعقل ترجمان العلم واعلم أن العلم أبقى واللسان أكثر هذراً وأنّ صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين إصلاح شأن المعاش ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه ففطن له واعلم أن الساعات تذهب عمرك وأنك لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى وإياك والأمل الطويل فكم من مؤمل أماً لا يبلغه وجامع مال لا يأكله ومانع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه أصابه حراماً وورثه واحتمل إصره وباء بوزره ذلك هو الخسران المبين^(٢).

وحدث الزهري أنه دخل على زين العابدين أيام مرضه فقدم إليه طبق فيه هندباء فقال عليه السلام له كل منه إنه الهندباء وما من ورقة إلا وعليها قطرة من ماء الجنة وفيه شفاء من كل داء وجيء إليه بدهن البنفسج فقال عليه السلام فضله على الأدهان كفضل الإسلام على

(١) أمالي ابن الطوسي ص: ٣١٩.

(٢) كفاية الأثر (للخزاز) ص ٣١٩.

الأديان ثم دخل عليه أبو جعفر الباقر فجعل يسارّه طويلاً فسمع يقول له عليك بحسن الخلق .

قال الزهري فوقع في نفسي أنه نعى نفسه فقلت له يا ابن رسول الله إن وقع من أمر الله ما لا بد لنا منه فإلى من نختلف بعدك قال (عليه السلام) يا أبا عبد الله إلى ابني هذا - وأشار إلى محمد الباقر (عليه السلام) - فإنه وصيي ووارثي وعيبة علمي هو معدن العلم وبقاره قلت يا ابن رسول الله ما معنى (باقر العلم) قال (عليه السلام) سوف يختلف إليه خلص شيعتي فيبقر العلم عليهم بقرّاً قلت له هلا أوصيت إلى أكبر ولدك قال (عليه السلام) يا أبا عبد الله ليست الإمامة بالكبر والصغر هكذا عهد إلينا رسول الله ﷺ وهكذا وجدناه مكتوباً في اللوح والصحيفة قلت يا ابن رسول الله كم عهد إليكم نبيكم أن يكون الأوصياء بعده قال (عليه السلام) وجدنا في الصحيفة واللوحة اثني عشر اسماً مكتوبة إمامتهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم ثم قال (عليه السلام) يخرج من صلب محمد ابني سبعة من الأوصياء فيهم المهدي (عليه السلام) ^(١) .

وقال (عليه السلام) لأبي جعفر إني حججت على ناقتي هذه عشرين حجة لم أقرعها بسوط فإذا نفقت فادفنها، لا يأكل لحمها السباع فإن رسول الله ﷺ قال ما من بغير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلا جعله الله من نعم الجنة وبارك في نسله فلما نفقت دفنها

أبو جعفر الباقر عليه السلام ^(١).

ولما حضرت علي بن الحسين عليه السلام الوفاة أخرج صندوقاً عنده فقال: يا محمد احمل هذا الصندوق. فلما توفي طلب منه بعض إخوته الميراث مما فيه قال له لم يكن فيه مما تراثونه إن فيه سلاح رسول الله ﷺ وألواح موسى وعصاه وخاتم سليمان بن داود عليه السلام والطست الذي كان موسى يقرب فيه القربان والاسم الأعظم الذي عند رسول الله ﷺ فإذا أراد أن لا يصل إلى المسلمين من المشركين نشابة وضعه بينهم والتابوت الذي جاءت به الملائكة وإن مثل السلاح فينا مثل السلاح في بني إسرائيل فمن وقف التابوت على باب دارهم أوتوا النبوة فكذلك السلاح في أهل البيت فمن كان عنده أوتي الإمامة وإن الدرع الذي يلبسه رسول الله ﷺ يكون على كل إمام بلا زيادة ونقصان وإن صاحب هذا الأمر لو أراد أهل السماء والأرض أن يحولوه عن موضعه الذي وضعه الله لما استطاعوا ^(٢).

وقال لأبي جعفر عليه السلام يا بني إذا مت فلا يلي غسلي غيرك فإن الإمام لا يلي غسله إلا إمام مثله يكون بعده ^(٣) وفي الليلة التي قبض فيها عليه السلام أخبر من كان عنده بأن هذه الليلة هي التي قدر الله

(١) ثواب الأعمال ص ٢٩ ومحاسن البرقي ج ٢، ص ٦٣٥.

(٢) بصائر الدرجات ص ٤٦، ٤٧، ٤٨.

(٣) الخرائج ص ٢٠.

فيها الرحلة إلى جوار قدسه^(١) وأُغمي عليه ثلاث مرات قرأ بعد المرة الأخيرة إذا وقعت الواقعة وأنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ثم قال الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين^(٢).

وهذا الإغماء منه من جهة توجهه بكليته إلى الدرجات العالية وانغماره في عالم الملكوت ومشاهدته ما أعد الله له من أنواع الكرامة والنعم فناسب ذلك تلاوة سورة الواقعة والفتح المبين ومن هنا عقبه بقوله الحمد لله الذي صدقنا وعده.

وقبض صلوات الله عليه مظلوماً مضطهداً شهيداً بسم أوعز به الوليد بن عبد الملك إلى أخيه هشام فقضى عليه في الخامس والعشرين من المحرم سنة (٩٥) عن سبع وخمسين سنة فضجت المدينة بالبكاء والعويل وكان كيوم مات فيه رسول الله لأنهم فقدوا النصائح الكافلة بالنعيم والعظات البالغة فقدوا النور الإلهي الذي يستضيئون به إلى الصراط السوي ويبصرون منه أسرار الكائنات وجيء به إلى البقيع وواروه في تربة عمه الحسن (عليه السلام) في قبة العباس بن عبد المطلب^(٣).

(١) البحار ج ١١، ص ٤٣.

(٢) الكافي على هامش مرآة العقول ج ١، ص ٣٩٧.

(٣) وفيات الأعيان (لابن خلكان) والفصول المهمة ص ٢٢١ ومطالب السؤل ص ٧٩ والإتحاف ص ٥٢ والصواعق المحرقة ص ١٢٠ ذكروا الدفن في قبة العباس.

سعيد بن المسيب

ولم يحضر سعيد بن المسيب تشييعه وبقي في المسجد معتذراً بأنه سمع علي بن الحسين يحدث عن أبيه عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الله تعالى أنه قال ما من عبد من عبادي آمن بي وصدق بك وصلى في مسجدك ركعتين على خلاء من الناس إلا غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فلم أرَ شاهداً على هذا الحديث أفضل من علي بن الحسين عليه السلام فقلت في نفسي إن أدركت ركعتين يوماً من الدهر كما نص عليه الحديث فاليوم هو ولم يبقَ رجل ولا امرأة إلا خرج لجنازته وشهدها البر والفاجر والصالح والطالح وانشال الناس على جنازته يشيعونها حتى وضعت في مقرها وبقيت في المسجد لأصلي ركعتين فسمعت تكبيراً من السماء وإجابة تكبير من الأرض ثم تكبير من السماء وتكبير من الأرض ففزعت وسقطت لوجهي فكبر من في السماء سبعاً ومن في الأرض سبعاً وصلي علي بن الحسين عليه السلام فلم أدرك الصلاة عليه ولا الركعتين فقال له علي بن زيد لو كنت أنا لم اختر إلا الصلاة عليه إن هذا هو الخسران المبين فبكى سعيد

وقال ما أردت إلا الخير ليتني كنت صليت عليه فإنه ما رأي مثله .
ونظر إليه حشرم مولى الأشجع جالساً في المسجد وتاركاً لتشيع جنازة علي بن الحسين فأنكر عليه وقال له ألا تصلي على هذا الرجل الصالح في البيت الصالح^(١) .

وفي هذا الحديث دلالة على بعده عن الرحمات الإلهية وأنه منحرف عن الولاء لزين العابدين ولو كان من الثابتين على محبته والمعتقدين إمامته لأثرت فاجعة فقد به بقلبه وفاضت عينه لفراقه وبقي حيران لا يتمكن من إتيان الركعتين كما يريد هما المولى سبحانه فجازاه عز شأنه عن تهاونه بالمصيبة الجليلة بالحرمان من نيل المثوبة وعدم التوفيق للطاعة والمتأمل ما ذكره المؤرخون من أحواله يتجلى له انحرافه عن السجادة (عليه السلام) وخداعه في التظاهر بالزهد والتقشف ولقد بالغ علماء السنة في ورعه وعبادته حتى حكى ابن خلكان أنه صلى الفجر بوضوء العتمة خمسين سنة (والعتمة) هي العشاء^(٢) .

ولم ينقل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المتكون من النور الأقدس ولا أحد أبنائه المعصومين (عليهم السلام) أنهم أحيوا الليل كله طيلة حياتهم

(١) رجال الكشي ص ٧٦ و ٧٧ .

(٢) سنن البيهقي ج ١ ، ص ٣٢٧ وإرشاد الساري (للقسطلاني) ج ١ ، ص ٥٠١
ونيل الأوطار ج ٢ ، ص ٩ وصحيح البخاري ج ١ ، ص ٩٤ وزاد المعاد
(لابن القيم) على هامش شرح المواهب اللدنية ج ٣ ، ص ١٥٤ والتهذيب
(للطوسي) ج ١ ، ص ٢١٠ والوسائل ج ٣ ، ص ٢٨ باب ١٢١ .

حافظين لوضوء العشاء مع أنهم أرقى البشر في الكمالات ولا يعقل أن يسبقهم أي أحد إلى فضيلة لكون النوم ضرورياً للبشر عامة ثم يزيد ابن خلكان في الغرابة فيقول مر عليه أربعون سنة لم يشاهد إلا باب داره وباب المسجد وهذه الجملة تفيدنا فقهاً بعدم توفيق الرجل لزيارة المؤمنين ولا عيادة مرضاهم ولا قضاء حوائجهم ولا الإصلاح بينهم من جهة ملازمته بيته والمسجد وكيف يتوفق لأعمال البر ويزاول الخيرات ويتحلى بالمكارم من انحراف عن أمير المؤمنين وولده المعصومين وقد كان الرجل في عداد هؤلاء^(١) ويسجل الشيخ المفيد في كتاب الأركان أنه خارجي إباضي^(٢) ولذا كان يفتي في فقه الشريعة بما يوافق رأيهم فيحكم بتحليل المرأة لزوجها الأول بمجرد عقد الثاني من دون وطء قال ابن المنذر لا نعلم أحداً وافقه على هذا إلا طائفة من الخوارج^(٣) على أن العبادة المزعومة له لا تتفق مع الشعر الذي يترنم به في مسجد رسول الله ﷺ ثم يستغفر من هذه الفعلة التي نهت عنها شريعة الإسلام^(٤) ومن المقطوع به أن هذا الشعر لم يكن من سنخ ما يتضمن الحكمة والنصيحة وإلا لما احتاج إلى الاستغفار منه لأنه محبوب للشارع وكيف يعد في صف أهل

(١) شرح النهج الحديدي ج ١، ص ٣٧٠ مصر.

(٢) حاشية الخلاصة (لشهاد الثاني).

(٣) نيل الأوطار (لشوكاني) ج ٦، ص ٢١٦.

(٤) الأغاني ج ١، ص ٤٨.

الزهد والعبادة وهو الذي يحدث عنه أبو الفرج أنه مر في مكة بدار العاص بن وائل فسمع غناء الأخضر الحربي فطرب حتى ضرب برجله الأرض وقال هذا والله مما يلذ سماعه^(١) فإن هذه الصورة إلى أمثالها تعرفنا مبلغ الرجل من الطرب وحبه للغناء غير أنه اتخذ الزهادة شركاً لغاياته ولقد كان يموه على البسطاء بأنه يعرف أوقات الصلاة بسماعه الأذان من قبر رسول الله ﷺ لأنه كان أعمى فيقوم ويصلي وحده والناس يتعجبون منه وينسبون له الجنون^(٢) ويروي الصفوري أنه هرب من الحجاج واختفى في بعض حجرات النبي ﷺ فكان لا يعلم أوقات الصلاة إلاّ بهممة يسمعها من القبر^(٣) والعجب ممن يسود صحيفته بهذه المفتريات وهو يعلم أنه لا أذان ولا صلاة في القبر وأن الأنبياء مرفوعون إلى السماء كما يشهد به صلاة النبي ﷺ بهم في السماء ليلة المعراج.

والغريب من شيخنا الحائري وغيره حيث أتعبوا أنفسهم في الدفاع عنه بما لم ينقع الغليل وقد غفلوا عن مخاريقه أو لم يفقهوا الغاية من مدح العامة له ولقد أجاد شيخنا الشهيد الثاني في حاشيته على الخلاصة حيث قال إن هذا الرجل بعيد عن مقام الولاية لزين العابدين فضلاً عن أن يكون من حواريينه وإني

(١) الأغاني ج ١، ص ٤٨.

(٢) كتاب ألف باء (ليوسف البلوي) ج ١، ص ٤٨٠.

(٣) نزهة المجالس ص ١١٠ باب الدعاء.

لأعجب من إدخاله في القسم الأول من الخلاصة مع ما هو المعلوم من حاله وسيرته ومذهبه في الأحكام الشرعية المخالفة لطريقة أهل البيت وكان بطريقة أبي هريرة أشبه وحاله بروايته أدخل والعلامة نقل أقواله في كتبه الفقهية مثل التذكرة والمنتهى بما يخالف طريقة أهل البيت وتابعه الشيخ الجليل الشيخ محمد طه نجف في إتيان المقال ص: ١٨٩ حيث قال سعيد بن المسيب ناصبي لا يدفع نصبه وقد رغب عن الصلاة على زين العابدين في ما هو مشهور والأخبار الواردة في رجال الكشي في مدحه ضعيفة غير نقية السند بجهالة أو تضعيف ولهذا الخلاف قال المجلسي في الوجيزة مختلف فيه .

ولد إما لستين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب^(١) او لستين بقيتا منها^(٢) وكان أعور تزوج ابنة أبي هريرة فولدت له محمداً كان يدعي النسب فنفي قوماً من المخزوميين فرفع ذلك إلى الوليد فضربه الحد^(٣) وجده حزن وفد على النبي ﷺ فأمره أن يغير اسمه إلى سهل فأبى أن يغير اسماً سماه به أبوه فلم تزل الحزونة في عقبه^(٤) .

(١) تهذيب التهذيب (لابن حجر) ج ٤ ، ص ٨٦ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٣) المعارف (لابن قتيبة) ص ١٩٤ .

(٤) حاشية الشهيد الثاني على الخلاصة .

أولاد السجاد عليه السلام

في إرشاد الشيخ المفيد وإعلام الورى والفصول المهمة ونور الأبصار للشبلنجي أن له من الذكور أحد عشر والبنات أربعاً: الإمام أبو جعفر الباقر وأمه أم عبد الله بنت الحسن السبط عليه السلام وزيد وعمر لأم ولد وعبد الله والحسن والحسين الأصغر وعبد الرحمن وسليمان لأم ولد وعلي الأصغر وخديجة لأم ولد ومحمد الأصغر لأم ولد وفاطمة وعليه وأم كلثوم لأم ولد وفي طبقات ابن سعد أن الحسن والحسين درجا والباقر وعبد الله أهمهم أم عبد الله بنت الحسن عليه السلام وعمر وزيد وعلي وخديجة لأم ولد والحسين الأصغر وعليه ويقال لها أم علي لأم ولد وكلثم وسليمان ومليكة لأم ولد والقاسم وأم الحسن وأم البنين وفاطمة لأمهات أولاد شتى (والمعقبون منهم) كما في أنساب الشيخ الفتوني الإمام الباقر وعبد الله الباهر وعمر الأشرف وعلي الأصغر وزيد الشهيد وزاد في عمدة الطالب الحسين الأكبر.

تاريخ الشهادة

اختلفوا في اليوم الذي استشهد فيه الإمام السجاد عليه السلام مسموماً بأمر الوليد بن عبد الملك بعد الاتفاق على أنه في شهر المحرم على خمسة أقوال: (الأول) ثاني عشر المحرم ذكره الشهيد في مزار الدروس والشبلنجي في نور الأبصار ص: ١٢٩ وجدول شرح ميمية أبي فراس ص: ١٦. (الثاني) ثامن عشر المحرم نص عليه في مطالب السؤول ص: ٧٩ وهو ظاهر الطبرسي في إعلام الوری والفتال في روضة الواعظين فإن عبارتهم مضى لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم والحجة السيد عبد الله شبر في جدول أحسن التقويم. (الثالث) الثاني والعشرون من المحرم ذكره الكفعمي في جدول المصباح. (الرابع) الخامس والعشرون من المحرم ذكره المفيد في مسار الشيعة والشيخ الطوسي في مصباح المتهجد ص: ٥٥١ والكفعمي في المصباح ص: ٢٦٩ الهند والفيض في تقويم المحسنين. (الخامس) التاسع والعشرون من المحرم ذكره الحجة السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي في جدول الإيقاد.

هذا آخر ما تيسر لنا من جمع ما يتعلق بحياة إمام الأمة زين
العابدين عليه السلام والحمد لله رب العالمين وإليه سبحانه نبتهل بالتوفيق
لخدمات الأئمة المعصومين عليهم السلام ونشر ما بقي مما جمعناه من
أحاديثه في الفضائل وما تركناه من أحاديثه في فقه الشريعة.

المدح والثناء

للحجة آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني أعلا الله مقامه

سبحان من أبدع في الإيجاد	بسر المودع في السجاد
أبان سر الحق والحقيقة	بصورة بديعة أنيقة
تصورت في أعظم المجالي	حقيقة الجلال والجمال
جل عن الثنا في جلاله	عز عن الإطراء في جماله
بدر سماء عالم الأسماء	وزين أهل الأرض والسماء
غرة وجه عالم الإمكان	قرة عين العلم والعرفان
نور الهدى وبهجة اللاهوت	روح التقى ومهجة الناسوت
قطب محيط الغيب والشهادة	وقبله الأقطاب في العبادة
وكعبة الأوتاد والأبدال	ومستجار الكل في الأهوال
نتيجة الجواهر الزواهر	وصفوة الكل من القواهر
مؤصل الأصول في البداية	وغاية الغايات في النهاية
مبدأ كل طائل ونائل	ومنتهى الخيرات والفضائل

ونفسه اللطيفة الزكية
 بل هي أم الصحف المكرمة
 بل الحروف العاليات طراً
 هو الكتاب الناطق الربوبي
 يفصح عن مقام سر الذات
 وفي الثناء والدعا لسانه
 زبوره نور رواق العظمة
 زبوره في الحمد والتمجيد
 فيه من الإخلاص والتوحيد
 وحاله أبلغ من مقالته
 فإنه معلم الضراعة
 له لدى العجز والاستكانة
 وفي العبودية والعبادة
 مقامه الكريم في أقصى الفنا
 وفوزه بمنتهى الشهود
 وكيف لا وهو سليل الخيره
 ونوره الباهر في المحراب
 والثفنات الغر في مساجده
 بنورها استنارت السبع العلا
 وآية النور على جبينه

صحيفة المكارم السنية
 جوامع الحكمة منها مُحْكَمَةٌ
 تحكي عن اسمه العليّ قدرا
 ومخزن الأسرار والغيوب
 يعرب عن حقائق الصفات
 لسان باريه تعالى شأنه
 يفوق كل الزبر المعظمة
 زينة عرش ربه المجيد
 ما لا ترى عليه من مزيد
 جل عن الوصف لسان حاله
 والاعتراف منه بالإضاعة
 مكانة لا فوقها مكانة
 في غاية السمو والسيادة
 تراثه من جده حين دنا
 من مبدأ الإيجاد والوجود
 حفيد (لا أعبد رباً لم أراه)
 يذهب بالأبصار والألباب
 أطواره السبعة في مشاهده
 والملا الأعلى بنورها علا
 وشقة البدر على عرنيه

كأن كفيه لدى الدعاء
قيامه في ساعة الضراعة
وقوفه بين يدي معبوده
لسانه في موقع التلاوه
وكيف لا وإنما لسانه
لا بل لسانه لدى التلاوة
تلاوة تفتطر القلوبا
تلاوة تهابها الأملاك
وكيف وهي من سماء العظمة
تمثل الواجب في آياته
تمثل الشعائر المعظمة
تمثل العروج في الصلاة
تمثل الجحيم في حروره
ومكرماته بلا إحصاء
وصبره الجميل في المصائب
ونال من ذوي القلوب القاسيه
شاهد بالطف من الفضائع
كيف وفي مصارع الكرام
وكاد أن تقضي على حياته
شاهد رض هيكل التوحيد

ميزان عدل الله في القضاء
يذكّر الناس قيام الساعة
يذكّر الموقف في رعوده
عين الحياة معدن الحلاوه
مهبط وحي الله جل شانه
لسان غيب الله في الطلاوة
بالرعب بل تكاد أن تذوبا
تكاد تندك بها الأفلاك
ومصدر الصحائف المعظمة
بل ذاته الأقدس في صفاته
تمثلاً بكل معنى الكلمة
إلى سماوات المكاشفات
والخلد في حريه وهوره
جلت عن المديح والثناء
وحلمه من أعجب العجائب
ما لا تطيقه الجبال الراسيه
ما لا أمض منه في الفجائع
مصارع العقول والأحلام
وهو على ما هو من ثباته
بعاديات الشرك والجحود

وهو يضعضع السموات العلى
شاهد رأس المجد والمعالي
وإنه من أعظم الرزايا
كيف وهذا الرأس رأس الدين
وقبله العقول والنفوس
رأى اضطرام النار في الخباء
رأى هجوم الكفر والضلالة
رأى فرارهن في البيداء
شاهد في عقائل النبوة
من نهبها وسلبها وضربها
لقد رأى رب الحفاظ والإبا
شاهد سَوْق الخفريات الطاهرة
وقد رأى من الدعي ابن الدعي
وما رآه في دمشق الشام
ومنه من عظم البلا لا جزعا
أتضرب الدفوف والطبول
واتخذوا يوم المصاب عيدا
شاهد ربات خدور العصمه
كأنهن من سبايا الروم
رأى وقوف الطاهرات الزاكية

فهل ترى أعظم من هذا البلا
على العوالي في يد الأنذال
على النبي سيد البرايا
وهو مدار عالم التكوين
ومطلع الأقمار والشموس
وهو خباء العز والإباء
على بنات الوحي والرسالة
وهو عليه أعظم الأرزاء
ما ليس في شريعة المروة
ولا مجير قط غير ربها
حرائر المختار في أسر السبا
سوافر الوجوه لابن العاهرة
هتك المصونات بقول موجه
أدهى من الكل على الإمام
يا ليت أُمي لم تلدني سمعا
وابن النبي رأسه محمول
بغياً لكي يرضوا به يزيدا
مهتوكة بين لئام الأمه
فياله من منظر مشوم
قبالة الرجس يزيد الطاغية

وهن في الوثاق والحبال
وقد رأى من ذلك الكفور
كيف وقد شاهد مرشف النبي
شلت يد مدت إليه مداً
تلك الثنايا نقطة التوحيد
ثغره تمت حدود المعرفة
ثغره سدت ثغور الدين
لا بدع من طاغية الإلحاد
وما رأى في نفسه من البلا
كيف وأضحى قائد العباد
وباسط اليدين بالعطاء
غُلَّت يدُ الضلال والفساد
أيسحب المطلق في القيود
أصبح قطب حلقة التوحيد
وسيق جوهر الوجود المطلق
ولا تسل عما رأى من الأذى
وما انقضى بكاؤه حتى قضى
وكيف لا يبكي وقد شاهد ما
وكيف لا تبكي دماً عين السما
وفي ذرى العوالم العلويه

في محشد الأوغاد والأنزال
ما دونه الموت على الغيور
يقرع بالعود فيا للعجب
كادت له الأرض تهدّ هداً
ومركز التجريد والتفريد
غدت رسومها به منكشفه
تنكته مخرصة اللعين
من أمه آكلة الأكباد
من عظمه تندك أطواد العلا
مصفاً يقاد في الأصفاد
أصبح مغلولاً بلا خطاء
غَلَّت يدُ المعروف والأيادي
وهو مجرد عن الحدود
في حلق القيود من حديد
إلى ابن مرجانة ذلك الشقي
يا حبذا الموت المريح حبذا
حياته وهو حليف للرضا
بكت له عين السماء بالدماء
وقد بكت سحائب القدس دما
أقيمت المآتم الشجيه

ناهيك في ذلك لطم الحور	في جنة الحبور والسرور
فكيف تنسى هذه الرزية	والوتر وتر سيد البريه
إن يكن الموتور سيد الورى	فهل ترى أعظم منه هل ترى
أم هل ترى يذهب ثأر المصطفى	هدراً ولا يطلب من أهل الجفا
فلا ورب العرش هذا الثار	يطلبه المنتقم القهار
على يد الحجة خاتم الحجج	من يفتح الله به باب الفرج
فكل قلب بالأسى شجي	حتى يقوم القائم المهدي
فانصره يا رب وخذ بثاره	واجعلني اللهم من أنصاره

الطبيب الأستاذ محمد الخليلي

ما للعيون دموعهن غوادي	تهمي فلا تظفي لهيب فؤادي
أبغي السلو تكلفاً فكأنني	أوري حشاي لظى بقدح زناد
وأروح أشكو البدر ما قد حل بي	فيرد لي شكوى عديم رقاد
وأرى النجوم ضئيلة من بعد ما	كانت تشع بنورها الوقاد
فأبيت أسواناً ومذ طلعت ذكاً	ألفيتها بزغت بثوب حداد
ما لي أراها كدرت أفهل غدت	مثلي تعج لمحنة السجاد
محن لها الأفلاك يسكن سيرها	ويدك حزنأ شامخ الأطواد
محن لها حزن الورى والجن و	الأملاك تبكيه وكل جماد
عجباً ولا عجب إذا هلع الملا	أو أكثروا بالنوح والتعداد

فلقد أصمَّ الدهرَ وقعَ رزيةٍ
لو لم يكن صبر الإمام ولطفه
لهفي له يوم الطفوف مقيداً
يحدو به الحادي على مهزولة
يرنو إلى تلك الضحايا صُرْعاً
مهشومة الأضلاع تحت سنانك
ويرى ابن بنت محمد وصحابه
ويرى مصونات الرسالة سيّرت
ويرى الخيام تشب فيها النار من
ويرى الرؤوس على القنا مهدية
ويرى اليتيمة واليتيم تعج من
ويرى بكوفان الجموع تجمهرت
(فيصيح وا ذلاه أين عشيرتي
وأمض ما لاقاه يوم وروده
نادٍ يضم يزيد حفّاً بطغمة
نادٍ يضم فهوده وقروده
نادٍ تقام به بنات محمد
نادٍ يسب به النبي وصنوه
وبه ثنايا السبط تقررعا عصا
ويقول لا خجلاً ولا وجللاً ولم

عظمت فشقت مسمع الأصداد
بالعالمين لهذّ كل عماد
بالسقم والأغلال والأصفاد
في أسر تلك الطغمة الأوغاد
فوق الصعيد سلبية الأبراد
الخيّل الجياد لقيّ بذاك الوادي
يقضون في جنب الفرات صوادي
أسرى بأيدي شامت ومُعادي
نادٍ وراها كامن الأحقاد
ليزيد والمهدي لها ابن زياد
آلام سائقه وسب الحادي
من شامتين بهم ومن حساد
وسراة قومي أين أهل ودادي
للشام من ذل بذاك النادي
جبلت وإياه على الإلحاد
وخموره وفسوقه المتمادي
أسرى ولا من منكر نقاد
جهرّاً وسبطاه وبنت الهادي
جلف يبين الكفر بالإنشاد
يحذر بما قد فاه يوم معاد

لعبت بهذا الملك هاشم حيث لا وحي وقد ضل السرى والحادي
 مترنحاً يبدي كمين ضغينة موروثه الآباء والأجداد
 لله ما لاقاه آل محمد من عصابة حادت عن الإرشاد
 جازوه في أبنائه من بعده بالقتل أو بالسّم والإبعاد
 وغدا الطليق ابن الطليق عليهم يقسو فيهلك حرمة الأسياد
 فليفعلوا في هذه الدنيا كما شاءوا فإن الله بالمرصاد

العلامة الشيخ عبد الواحد مظفر

أَعْنَفُ إِنَّ رَقَرْتُ دَمْعِي عَلَى خَدِي لَذَكْرَى إِمَامٍ سَادَ بِالْجَدِّ وَالْجَدِّ
 بكائي على السجّاد فرض محتم علي فلا أصغي إلى لائم جهدي
 أجدد ذكره فأعقد مأتماً له كل عام أو أُغَيَّبَ في لحدي
 وتشركني في النوح من أهل وده جماهير لا تحصى بحصر ولا عد
 وحق لهم أن الضمير لصادق بمعتقد خالٍ من الريب والردّ
 ومن كان عن زين العباد بغفلة أثبت له جهد المناصح في الود
 وإن قلت فليصغي ولا يتبع الهوى ويقصد إن رام النجاة إلى قصدي
 فإن علي بن الحسين كجده علي وكالسبطين في فضله الفرد
 إمام هدىً بادِ المنار وإنه لتُهدى به الضلال في القرب والبعد
 هو الحجة الكبرى على كل مسلم من العرب والأترّك والفرس والهند
 هو المصلح الأسمى هو المنقذ الذي أتى من ضمير الكون يرمز للرشد

فيا أمة المختار أحمد أبصري
ولا تجحدي حق الولا وتمسكي
ولا تُخدعي في كل بهتٍ منمّقٍ
وخَلّي الذي يرويه مروان وابنه
ولكن علي بن الحسين حديثه
همُ القوم حقاً طَهَّرَ اللَّهُ بيَتَهُم
مودتهم أجر الرسالة عدلها

سبيل هداك اليوم للحق واستهدي
بحب بني المختار وُفِّقَتِ للرشد
أتى عن بني الزرقاء أو عن بني هند
فما لبني الزرقاء بالصدق من عهد
صحيح رواه عن أبيه عن الجدّ
وأذهب عنه الرّجس في الهزل والجد
فخذها على التحقيق من صادق الوعد

العلامة الشيخ ميرزا محمد علي الأوردبادي

له بين أشواط الحمى والمعالم
بأرجائها عرف الرسالة فائح
وللحجة السجاد منبثق الهدى
على محور الإبداع منه ابن بجدة
لئن يَشَأْ أقطار الدنا صقع يثرب
وفي ملتقى القوسين بضعة فاطم
يدر على الأجيال فيضاً مقدساً
ومن سيبه الدأماء قطرة واشل
إذا اعتز بالتيجان أرؤس معشر
مآثره جمّت فكل فضيلة

مغانم قدس أو مغاني كرائم
وأجواؤها تزهو بضوء العزائم
ومنتجع التقوى ومأوى المكارم
تدور عليه دائرات العوالم
(فإن وليداً بين كسرى وهاشم)
يقيم من الإيجاد شُمّ الدعائم
فيثبتها بين الصوى والعلائم
ودون نداه الغمر صوب الغمام
فإن بني المختار عز العمائم
على جبهة الأكوان نقطة واشم

وفوق مناط النجم موطن أخص
(ولولا احتقار الأسد شبهتها به
وما نقموا منه سوى أن أحمداً
وفي مهبط الوحي المبين مباءة
وسل عن حصاة الوالدية تختبر
وإن بإحياء ابن خولة معجزاً
ودع من هشام نكره فهو عارف
بأعياصه تزهو المناسك مثلما
وللحجر الميمون أصدق شاهد
وكاثرة الأنواء عنه مئثر
وشم الرواسي دون راسخ حلمه
وعز سما فوق السماك محله
وطبع سرت عنه الرياح شذية
وسيب أعار السحب سحاً وأعلم

له تحت عرش الدين أرسى القوائم
ولكنها معدودة في البهائم)
أبوه ونجراً من علي وفاطم
لخير إمام بالشرعة قائم
حديثاً مضى في مثله شخص غانم
تقاعس عن أشباهه حلم حالم
بأن الذي وافى صريحة هاشم
بمقدمه تزهو عراض المواسم
بأن ولي الأمر بضعة فاطم
كثرن دراري الشهب عند التزاحم
متى شمخت أطواها بالصلادم
تقاعس عن أن يرتقى بالسلالم
وفاح مدى الأحقاب مر النسائم
العباب بشح عنده جد لازم

العلامة الشيخ محمد رضا الغراوي

ما للهموم تراكت بفؤادي
وديارهم ظلت غواسق بعدما
أمست خلاء لم يبت فيها سوى

أظعون من أهوى حداها الحادي
كانت شوارق من سناها الوادي
أزل وإلا مستكن الوادي

وترى الثعال مع الذؤال لدى المسا
أقوت معالمها وغاز نميرها
فكانها أبيات آل المصطفى
حيران حران الحشا مما لقي
أعني به زين العباد ومن دعي
هو حجة الله ارتضاه لخلقه
ومن الذي عاشت بنيل أكفه
وينيلها الأقوات لا يدرونها
حتى سقته السم آل أمية
لم يكفهم ما جرعه بكر بلا
قد قطع السم الذعاف فؤاده
فمضى حميد الذكر غير مذم
قد أعولت أملاكها لمصابه
وتقلعت أسس الهدى من بعده
الله أكبر أي خطب مذهى
الله أكبر أي غاشية غشت
أبكت علياً والبتول وأحمد
من ذا يعيش المعتفي والمجتدي
من لليتامى والأيامى والألى
ومن الذي تروى العطاش بسية

بعضاً لبعض بالعواء ينادي
حتى لها أقوت قوى المرتاد
لما خلت عن أهلها الأمجاد
من محنة هارت ذرى الأطواد
دون الورى بالسيد السجاد
وأبو الأئمة علة الإيجاد
أهل الرجا من عاكف أو بادي
من أي بيت قد أتت أو نادي
فقضى سميم الضغن والأحقاد
من فادح قد فتّ للأكباد
قطعاً فليت به أصيب فؤادي
عفّ المآزر طاهر الأبراد
وتبدل التسبيح بالتعداد
وانهار حصن الرشد والإرشاد
قد برقع الإسلام ثوب حداد
فغشت أديم الأرض برد سواد
والجن ظلت بالعويل تنادي
بعطاه بعد عطائك المعتاد
سنتوا إذا قد جفّ زرع الوادي
لوما حماها الجذب صوب عهاد

ومن الذي يحمي الوري لوما اغتدت تعدو عليها للزمان عوادي
فعليك صلى الله يا باب الرجا ما دمت تذكر في ذرى الأعواد

الخطيب الفاضل السيد عبد الأمير ابن السيد عباس الأعرجي

إذا الشعر لم يسطع عليه شعور وفيه لطلاب الحقيقة نور
وإن هو لم يحمل من الحق مشعلاً وللمدلج الساري السبيل ينير
ولم ينظم الإصلاح سلك نظامه ويسعف فيه معدم وفقير
ولم ينشر المعروف عرف بيانه ولم يخش منه منكر ونكير
ولم يرتفع فيه لواء هداية ويرهبه مستعمر وأجير
ولم يهد للهادين أبلغ مدحة إذا نشرت فيها يفوح عبير
ولم يسلك النهج القويم بقصده فما هو إلا فتنة وغرور
فيا شعراء العصر والقادة التي لها الطرف يرنو والبنان يشير
دعوا جلقاً وابن الطليق وحزبه فليس سواء أكمله وبصير
وعرجوا على روض البقيع ويمموا فتى كله خيرٌ يفيض وخير
به هاشم نالت مناها وفارس علاها وعمّ المؤمنين سرور
هو الخيرة ابن الخيرتين ويا ترى سواه بنيل المكرمات جدير
تجلى وشعبان يشع وطيبة تضوع وروض المكرمات نضير
لخمس مضت منه بأنوار خمسة بهم وبه الست الجهات تنير
هو الحجة العظمى على الأرض والسما إمام لرب العالمين سفير

ومن بعده الغر الثمانية التي
 سل البيت عنه يوم أقبل وحده
 ورام استلام الركن بالراحة التي
 له أفرج الجمع الغفير ونال ما
 تجاهله لما تساءل حزبه
 فأفصح همام بن غالب ناظماً
 ألا إن خير الناس أمّاً ووالداً
 تجاهلت قدر ابن البتول ومن له
 له منبر من خاتم الرسل أحمد
 حباه علي حكمة وبلاغة
 ومن فاطم ما لا يزال لوقعه
 حكى آله الأظهار فضلاً ومحنة
 رأى رحله نهب العدى وعياله
 وريحانة الهادي عفيراً وحوله
 سرى والسبايا خلفه وأمامه
 غيور براه السقم والسبي والسرى
 (أقاد ذليلاً في دمشق كأنني
 (وجدي رسول الله في كل مشهد
 (فيا ليت أُمّي لم تلدني ولم أكن
 تحمّل همّاً لو تحمل بعضه

إلى المصطفى في الشأتين تصوير
 وطاف ولكن الحجاج كثير
 أناملها للمجتدين بحور
 أراد وطرف ابن الطريد حسير
 وما ذاك في قدر الإمام يضير
 معانٍ لها يعنو الحسود جرير
 علي ومن ناواه فهو شرير
 المودة في قربى الرسول تشير
 ومن جده كسرى الملوك سرير
 وحلماً وصبراً شَبَّر وشبير
 بعيني وقلبي عبرة وزفير
 وصابر ما لم يستطعه صبور
 عليها خيول الظالمين تغير
 نجوم سماء قد هوت وبدور
 رؤوس بأطراف الرماح تنير
 ينادي ولكن ما هناك مجير
 من الزنج عبد غاب عنه نصير
 وشيخي أمير المؤمنين أمير
 يراني يزيد في البلاد أسير
 ثبير إذاً لانهار منه ثبير

السيد محمد بن آية الله السيد جمال الهاشمي

مرج البحرين فخراً وعلاء
وارتمى الدهر على ظليهما
هاهو الإيمان في موكبه
حرث الصحراء حتى أصبحت
قرب الإيمان من أبعادها
صهر الإيمان في بوتقة
وحد الإنسان في ناموسه
فارس قد خدمت نيرانها
أين كسرى أين عنها تاجه
مزق الحق بساطاً فوقه
يثرب يا مطلع الفجر الذي
لك ذكر كلما مر على
إن تاريخك في أحداثه
قاد جيش الله في إيمانه
ومشت يثرب في أفراحها
ها هو الديوان في أعضائه
والسبايا وقفت خاشعة
وفتاتين وما أبهاهما
وهب الحق امتيازاً بلغا

والتقى النجمان زهواً وسناء
خائراً قد هذه الجري عياء
يسبق التاريخ حكماً وقضاء
تغمر الدنيا رفاهاً ورخاء
فدنا للحق ما عنه تناء
أخرجتها في المعاني كيماء
فمشى الناعل والحافي سواء
وتلاشى عهدا الزاهي هباء
أين إيوان به تزهو ذكاء
كم مشى الباطل يزهو خيلاء
بسناه عادت الأرض سماء
مسمع الدهر له اهتزت ثناء
غمر الأجيال سحراً ورواء
يهزم الكفر اقتحاماً وافتداء
نحوه تستقبل النصر انتشاء
يملاً العين جلالاً وبهاء
تسأل الرفق رجالاً ونساء
يرمقان الحفل كبيراً وازدراء
باسمه ما شاء الدين وشاء

وتسامت بنت كسرى شرفاً
وتغنى الدهر لما التقيا
أدرت بنت الأساطير بما
أدرت أن علياً شبلها
ولدته كوكباً من نوره
سيدّ تاه به كسرى علّاً
ورث التاجين عدلاً وهدى
هام بالله خشوعاً فذوى
عرف الغاية من إيجاده
أفرغ الروح مناجاة لها
صور حاربها الفن فما
زينة العباد في سيرته
عيد ميلاد ابن سبط المصطفى
جددت تاريخه مسرورة
تنطوي الأجيال في أحداثها
رامت الأحداث في ألعابها
هدمت أضرحة قدسية
فاستحال الحب نوحاً ملهباً
وذكت شعلتها تحرق ما
فجزى الله الأحاسيس التي

بابن طه وتملت كبرياء
مرج البحري فخراً وعلاء
أسبغ الله عليها وأفاء
سيهز الدهر صبراً وابتلاء
تكسب الشمس اعتلاءً وضياء
وبه باهى النبي الأنبياء
واعتلى العرشين تقوى ومضاء
عوده في الحب خوفاً ورجاء
فسعى أن يصهر الداء دواء
يهتف الخلد احتفالاً واحتفاء
حد دنياها ابتداءً وانتهاء
يهتدي الدهر إذا مال التواء
غمر الدنيا سروراً وهناء
أمة فاضت ولاءً ووفاء
وهي تزداد انتشاراً وانتشاء
أن يجفّ الحب عوداً ونماء
ضمت الفجر جلالاً وجلاء
واغتدى الحق دموعاً ودماء
شاده الجهل غروراً وغباء
لم ترد إلا من الله الجزاء

آه كم قاسى من الدهر وكم صدع الأيام صبراً وعناء
صاحب السبط أباه حينما ثار للدين ووافى كربلاء
فراى مصرعه في فتية غنموا الخلد وعاشوا شهداء

العلامة الشيخ محمد حسين المظفري

أسعدتني الجدود لو تعلمينا بولاء الأئمة الطاهرينا
جعل الله حبهم وولاهم بولاً سيد الورى مقرونا
أن تميزهما فحظك أخطأ ت وأغضبت سيد المرسلينا
بولاهم رضى الإله وطه وبه قد ظفرت دنياً ودينا
السر دون البرية فيهم أودع الله سره المكنونا
وصدور أم ذي خزائن فيها جعل الله علمه المخزونا
كيف فات الأنام أمر جلي تحفظ المرء إن حفظت البنينا
جاهدت أمة لتطفئ منها النور نور الإله لو يبصرونا
إن كفاً حجت عينيك فيها كيف تخفي ذكاً عن الناظرينا
لو تجاهلت عن علوم لديهم فذوو اللب قط لا يجهلونا
خسروا أحمد المطهر لما ضيعوا ود أهله الأقربينا
آية الانقلاب تنبيك عما فعلته من بعده المسلمونا
كيف ترجو شفاعة الحشر منه وهي جهراً تحارب الشافعينا
ما رعوه فيهم وشنوا عليهم بعد فقد الهادي الحروب فنونا

وعلي خير الوصيين فضلاً
 ما رأى بعد أحمد من رزايا
 أخروه عن إمرة خصه
 نكثوا العهد بعدما بايعوه
 وعلوه بالسيف وهو يصلي
 الماذا اغتالوه هلا أتوه
 حذروا بطشة الهزبر وإن
 من أذاق السبطين سمّاً وقتلاً
 لم يعفوا عن الرضيع انعطافاً
 فرقوهم في الأرض طولاً وعرضاً
 ليس بدعاً أن تستضام اعتداءً
 غير أن العقبي تخلص ذكرراً
 فاسأل الناس واسأل الأرض
 خسروها دنياً وأجدر فيهم
 إن نار الجحيم عاقبة الظلم
 وأمض الجراح وقعاً نساءً
 إن بكت قرّعت وإن هي أنت
 وتحنّ النياق شجواً عليها
 وعليها الطغاة تشتد ضرباً
 ويراهها زين العباد أسارى

وأمر الأبرار والمؤمنينا
 ما رأت مثل وقعها المرسلونا
 الله بها والكتاب جاء مبينا
 واعتدى القاسطون والمارقونا
 أبهذا يعامل الساجدوننا
 علناً كالقرين يأتي القرينا
 الأسد تخشى إذا قطنّ العرينا
 والذراري مشانقاً وسجوننا
 وعن الشيخ جاوز التسعيننا
 لم يروا مأمناً ولا مأمونا
 شأن هذا الأنام في المصلحيننا
 لمساعي الأئمة الهاديننا
 والتاريخ أين العادون والباغونا
 أن يكونوا في الحشر في الخاسريننا
 وإن الجنان للمتقيننا
 فوق عجف من النياق سبيننا
 فهي تخفي بكاءها والأنينا
 حينما تسمع النياق الحنيننا
 من رأى في الجلمود عطفاً ولينا
 لا ترى رحمة من الأسريننا

وتراه وقد أضرب به
ليس هوناً على الإمام إيسار
إنه للأنام خير إمام
إن أطاعوه رشدهم أبصروا
قد هداها الباري السبيل عياناً
لهف نفسي عليه ما زال يبكي
قتلوا في الفرات عطشى وأنكى
ما رأى الماء سائغ الشرب إلا
كيف يهنى بسائغ الماء شرباً
حرموا لذة الفرات شراباً
إن من ينظر الجسوم الزواكي
لطراد الخيول ميدان عادت
وبنات الرسول تعدو اندعاراً
كيف لا يآلف الحنين ويقضي

السقم كما جفف الخريف الغصونا
إنما الآسرون تلقى الهونا
إن عصوه أو أصبحوا طائعيناً
أو عصوا فالجحيم للعاصينا
فالورى شاكرون أو كافرون
فتية في الطفوف تلقى المنونا
أن يلاقي شماتة القاتلينا
مزجته العيون دمعاً سخينا
والبهاليل قد قضوا ظامينا
وهو بالماء يستلذ معينا
كأضاح أبادها الجازرونا
كم هجين أجرى عليها هجينا
كقطاً هاج سربها القانصونا
مدة العمر باكياً محزوناً

المحتويات

نبذة عن المؤلف	٥
مقدمة المؤلف	٣١
التعريف بشاه زنان	٣٩
ولادة السجاد عليه السلام	٥٥
تاريخ الولادة	٥٧
زين العابدين	٦١
علي الأصغر	٦٧
النص على الإمامة	٧١
دليل الإمامة	٨٧
المعجزات	٩٥
التعريف بالصحيفة الكاملة	١٢٥
دليل الصحيفة	١٥٥
تنبيه	١٨٠
مشكلة استغفار المعصوم	١٨١
رسالة الحقوق	١٨٧

٢٠٩	النصائح
٣١١	الكلمات القصار
٣٣٧	أدب الإمام
٣٧٣	لفت نظر
٣٧٥	أجوبة المسائل
٣٨١	آيات الكتاب
٤١١	في فقه الشريعة
٤٤١	احتجاجة
٤٥٥	في البيت الحرام
٤٦١	عبادته
٤٧٥	الهبات
٤٧٩	حلمه
٤٨٢	في شهر رمضان
٤٨٦	تواضعه
٤٩٣	صبره
٥١٠	البكاء على أبيه
٥١٧	مع الأمويين
٥٣٨	مع هشام
٥٥٥	قصيدة الفرزدق
٥٥٧	الشهادة
٥٦٨	أقوال العلماء في شهادات الأئمة (عليهم السلام)

المحتويات	٦٠٧
وصايا السجاد لأولاده	٥٧٢
سعيد بن المسيب	٥٧٩
أولاد السجاد عليه السلام	٥٨٤
تاريخ الشهادة	٥٨٥
المدح والثناء	٥٨٧
للحجة آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني أعلا الله مقامه	٥٨٧
الطبيب الأستاذ محمد الخليلي	٥٩٢
العلامة الشيخ عبد الواحد مظفر	٥٩٤
العلامة الشيخ ميرزا محمد علي الأوردبادي	٥٩٥
العلامة الشيخ محمد رضا الغراوي	٥٩٦
الخطيب الفاضل السيد عبد الأمير ابن السيد عباس الأعرجي	٥٩٨
السيد محمد بن آية الله السيد جمال الهاشمي	٦٠٠
العلامة الشيخ محمد حسين المظفري	٦٠٢

